رسائل

الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني

ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين

والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

رسائل
الشعائر الحسينيّة

رسالة الصولة للسيّد مهدي القزويني
ورسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين
والرسائل المؤيّدة والمعارضة لهما

تأليف
مجموعة من العلماء
جمعها وحقّقها وعلّق عليها
الشيخ محمّد الحسّون

الجزء الرابع

رسائل الشعائر الحسينيّة (الجزء الرابع)
الشيخ محمّد الحسّون
منشورات دليل ما
الطبعة الأولى: ١٤٤١ هـ. ق - ٢٠١٩ م
عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
شابك(ج٤) : ٧ - ١١٥ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨
شابك(الدورة) : ٩ - ١١١ - ٤٤٢ - ٦٠٠ - ٩٧٨
الهاتف و الفكس: ٣٧٧٤٤٩٨٨ - ٣٧٧٣٣٤١٣ (٩٨٢٥+)
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، بناية الناشرين، الطابق السادس، رقم ٦١٢ و ٦١٣
(للتواصل معنا) www.dalilema.ir | Info@dalilema.ir

المعارض

قم . شارع معلم . بناية الناشرين . الطابق B . رقم ٤٤ | الهاتف ٣٧٨٤٢٤٦٦
قم . شارع صفائية . مقابل زقاق . رقم ٣٨ | الهاتف ٣٧٧٣٧٠٠١ - ٣٧٧٣٧٠١١
طهران . شارع انقلاب . شارع الفخر الرازي . رقم ٦١ | الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
مشهد . شارع الشهداء . شمالي حديقة نادري . زقاق خوراكيان . بناية گنجينه كتاب . الطابق الأول | الهاتف ٥-٣٢٢٣٧١١٣
النجف الأشرف . سوق الحويش . مقابل جامع الهندي . مكتبة الإمام باقر العلوم | الهاتف ٠٧٨٠١٢٦٣٥٧٩
كربلاء المقدسة . شارع قبلة الإمام الحسين . مكتبة ابن فهد الحلي | الهاتف ٠٧٨٠١٥٨٨٧٠٧ - ٠٧٨٠١٥٥٨٩٤٢

سرشناسه : الحسون، محمد، ١٣٣٨ -
عنوان و پديدآور : رسائل الشعائر الحسينية : رسالة الصولة للسيد مهدي القزويني، و رسالة التنزية للسيد محسن الامين، والرسائل المويدة والمعارضة لهما / تاليف مجموعة من العلماء؛ جمعها وحققها و علق عليها محمدالحسون.
مشخصات نشر : تهران : دليل ما، ١٣٩٧.
مشخصات ظاهرى : ١٠ ج.
شابک : دوره: 9 - 111 - 442 - 600 - 978؛ ج۴: 7 - 115 - 442 - 600 - 978
وضعيت فهرستنويسى : فيپا
يادداشت : عربى.
يادداشت : كتابنامه.
موضوع : حسين بن على (ع)، امام سوم، ۴ - ۶۱ق. -- سوگوارى ها
موضوع : Hosayn ibn'Ali, Imam III, 625 - 680 -- Laments
موضوع : سوگواريها -- آداب و رسوم
موضوع : Mourning etiquette
موضوع : شعاير و مراسم مذهبى
موضوع : Rites and ceremonies
رده بندى کنگره : ١٣٩٧ ٥ ر ٤٧٦ ح / ٣/ BP٢٦٠
رده بندى ديويى : ٢٩٧/ ٧٤
شماره كتابشناسى ملى : ٥٤٥٠٠١٣

منشورات دليل ما
www.dalilema.ir

مركز لنشر و توزيع معارف اهل البيت
الفائز بالدرجة الأولى في النشر تسع مرات
الناشر لما يقارب ١٠٠٠ عنوان

دليل الكتاب

(١٢) الأعلام الحسينيّة، للسيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد (القرن الرابع عشر)، فارسيّ.

(١٣) قطعة من كتاب الفردوس الأعلى، للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء (ت١٣٧٣هـ).

(١٤) سيماء الصلحاء، للشيخ عبدالحسين صادق العامليّ (ت١٣٦١هـ).

(١٢)

الأعلام الحسينيّة

في جواز اللطمات وضرب القامات

والتشبيهات والتعبية على العترة النبويّة

تأليف

السيّد مرتضى ابن السيّد علي الداماد

(القرن الرابع عشر الهجري)

ترجمتها إلى العربيّة: أمّ علي مشكور

[مقدّمة المؤلّف]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾(١)

أحمد الله وأشكره، والحمدُ حقّه، كما أخرج الإنسان من ظلمات العدم إلى نور الوجود، والصلاة الدائمة على الروح الطاهرة لأشرف المرسلين والهادي إلى السبيل، محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله وعلى ذريّته الطاهرة.

وبعد:

فقد تعرّض أحدُ المتلبّسين بلباس أهل السلالة الجليلة(٢)، وحملة الشريعة المقدّسة ـ في مقالة وردت في العدد ١٣٦١(٣) من صحيفة الأوقات العراقية ـ

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) هو السيّد محمّد مهدي الموسوي القزويني البصري (ت١٣٥٨هـ).

انظر ترجمته وما كتبناه عن هذه الصحيفة في هذه المجموعة (رسائل الشعائر الحسينية، رسالة التنزيه للسيّد محسن الأمين والرسائل المؤيّدة والمعارضة لها) ١:٩٩-١٠١. وانظر فقرات ممّا ورد في هذه الصحيفة ضمن هذه المجموعة ٢:١٥٧ .

وانظر نصّ رسالة (صولة الحقّ على جولة الباطل) ضمن هذه المجموعة ٢:١٦٥.

(٣) كذا والصحيح ١٦٦١.

لإقامة العزاء على الإمام المظلوم، شفيع يوم الجزاء، خامس أهل العباء، الحسين عليه السلام، قائلاً بتحريم بعض أساليبه على هذا العظيم.

وكون اسمه مطروحاً في خانة المهملات والمجهولات أولى، فإنّه (لا يهمنّي مَن قال، وإنّما يهمّني المقال).

وممّا لا يفخى على المتنوّرين المؤمنين ـ بغض النظر عن الأخبار والأحاديث ـ بأنّ شهادة خامس أهل الكساء، تحتوي على الحكم والفلسفة والأسرار، ولها الربط الوثيق ببقاء العالم الإسلامي، وثورة الدين المبين، ودوام الشريعة المقدّسة.

وإن عجزت عقولنا القاصرة عن إدراك ذلك ومعرفته، فمع هذا كلّه نشير إلى بعض هذه الأسرار التي يفهمها مَن له عقل سليم، وتتضح له بأدنى حدّ من التأمّل:

إنّ شهادة هذا المظلوم وإخوته وأولاده، وأعوانه وأطفاله، وأصحابه وأهل بيته وعياله ـ خصوصاً في ذلك الزمان ـ لو لم تحصل، ولو لم يُضحّ بهذا كلّه في سبيل الدين الحنيف، فأيّ علامة تبقى للإسلام في زماننا المشؤوم، ولكن بالعكس سوف يموت رأس الكلمة رويداً رويداً، ويحيى الباطل، ويظهر الظلم والجور والفساد، ويلغى القرآن المجيد، كما أنّه يقتل جميع الأنبياء والرسل والأئمة الأطهار عليهم السلام.

ولكن أيّها المفتي البصريّ تأمّل قليلاً، وكُن مُنصفاً، لماذا نظرت إلى الإسلام من نافذة ضيّقة، وشاهدته من جهة ظلماء، وقرّرت إلقاء الفتنة بين المسلمين؟!

إنّ أيّام الدنيا تمرّ، وإنّ فرعون ونمرود وشدّاد ووو ـ الذين طووا عالم الدنيا ـ رحلوا عنها، ولسوف يكشف عن أحوالهم وتعلم أنت أيضاً بالمصير ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾(١).

سوف ترى إذا انجلى الغبارُ   أفَرسٌ تحتك أم حمارُ(٢)

فقد رأى أحد أكابر العلماء الأعلام، صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف في عالم الرؤيا، حزيناً باكياً، واضعاً رأسه بين ركبتيه، فقبّل رجله وقال له: فديتك، لقد تقطّعت أكبادنا، لماذا لم تعجّل في طلعتك، وتنتقم من أعدائك؟

فقال عجّل الله تعالى فرجه الشريف: إنّ كبدي يتقطّع أكثر؛ لأنّ كلّ مصيبة ترد عليكم من الأعداء تؤلّم قلبي، فيما يصيبني من العدو في كفّة وما يصيبني من المسلمين في كفة أخرى.

من از بيگانگان هرگز ننالم   كه با من هرجه كردآن آشنا كرد(٣)

---

(١) الشعراء (٢٦): ٨٨.

(٢) البيت من قصيدة لبديع الزمان الهمداني (ت٣٩٨هـ) يمدح الصحابة، ويهجو بها الخوازمي، ويجيب عن قصيد رويت له في الطعن عليهم، ومطلعها:

وكلني بالهم والكآبة   طعّانة لعّانة سبّابة

انظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢: ١٦١، ١٩٦، برقم١٩.

(٣) ديوان حافظ الشيرازي: (غزليات ١٣٠) وفيه كلمة «ديگر» بدلاً عن كلمة «هرگز».

[ترجمته: أنا لا أتّأوّه من الغرباء أصلاً لأنّ ما فعلوه بي قد فعله القريب]

[الشعائر الإسلاميّة]

يوشك أن تمحى الشريعة، وتضمحل وتضيع، ألم تر أنّ الأعداء قد أحاطوا بنا في هذا العصر، وروّجوا للأديان الباطلة؟! والمصيبة الأعظم أن المتجدّدين يسعون ليل نهار، ولم يهدوا في آنٍ، همّهم الوحيد هو إطفاء أنوار أهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم) ومحو آثارهم، ولكن ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾[1].

وقد علموا أنّ أصل إحياء دين النبيّ صلى الله عليه وآله، إنّما يكون من خلال هذه الشعائر المعدودة التي جعلناها عَلَماً لديننا، وسننال ببركتها خير الدنيا والآخرة.

وأوّل هذه الشعائر العظيمة: زيارة العتبات المقدّسة[2]، مع أنواع الصعوبات والمشاق التي يتحمّلها الزوّار، زاد الله في توفيقاتهم.

---

(١) الصف (٦١): ٨.

(٢) انظر كامل الزيارات لابن قولويه: ٣٩، الباب ١ و٢، في ثواب زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله، والباب ١٠ و١١ في ثواب زيارة أمير المؤمنين عليه السلام، والباب ١٥ في ثواب زيارة الحسن ⇦

الثاني: إقامة المآتم في عشرة محرّم الحرام[1] ووفيات أهل البيت عليهم السلام، التي لها التأثير الكبير في إحياء شعائر أهل البيت عليهم السلام، حيث تُجبى الأموال المنذورة والمبالغ الطائلة في الهند من مختلف الملل كي تُصرف على هذه المآتم.

الثالث: خروج مواكب اللطم والتطبير، وضرب السلاسل والطبل والطاس والبوق، والشعائر المتعارفة في أيّام العزاء منذ عصر غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف حتّى زماننا هذا.



ابن علي عليهما السلام، والباب٤٣ و٧٨ في ثواب زيارة الحسين عليه السلام، وكذا بقية الأبواب في ثواب زيارة بقية الأئمّة عليهم السلام.

(١) روى المجلسي في البحار ٤٥: ٢٥٧، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٤٤، الحديث١٥ قصّة دعبل ودخوله على الإمام الرضا عليه السلام في محرّم، قال: فرأيته جالساً جلسة الحزين الكئيب وأصحابه حوله، فلمّا رآني مقبلاً، قال لي: «مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه»، ثمّ إنّه وسّع لي في مجلسه وأجلسني إلى جانبه، ثمّ قال لي:

«يا دعبل، أحبّ أن تنشدني شعراً، فإنّ هذه الأيّام أيّام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيّام سرور كانت على أعدائنا خصوصاً بني أمية.

يا دعبل، من بكى وأبكى على مصابنا ولو واحداً كان أجره على الله.

يا دعبل، من ذرفت عيناه على مصابنا وبكى لما أصابنا من أعدائنا حشره الله معنا في زمرتنا.

يا دعبل، من بكى على مصاب جدّي الحسين عليه السلام غفر الله له ذنوبه البتة...».

وروى الصدوق في أماليه: ١٩، المجلس٢٧ الحديث٢، التسلسل١٩٩، عن الرضا عليه السلام، قال: «كان أبي (صلوات الله عليه) إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيّام، فاذا دخل يوم العاشر كان ذلك يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين (صلوات الله عليه)».

وكانت هذه المواكب تخرج على عهد الفحول من العلماء، الذين حملوا لواء العزاء المحمّدي، وكلّ منهم متّبعاً سيرة مَن قبله من المسلمين.

وإن كانت هذه الأفعال ـ نعوذ بالله ـ غير صحيحة بنظرهم، فلماذا لم ينهوا عنها في برهة من الزمن؟! من قبل عهد آية الله العظمى السيّد ميرزا محمّد حسن الشيرازي(١) (أعلى الله مقامه) حيث كانت المواكب المشتملة على اللطم والتطبير والشبيه وغير ذلك تخرج بأمره وإعداده، بل من بيته الشريف، ثمّ تدخل في زقاقات سامراء وأسواقها؟!

ومن بعد وفاة هذا العالم الكبير كانت المواكب ترتب بمعونة آية الله آقا ميرزا محمّد تقي قدس سره(٢) كالسابق.

---

(١) هو الميرزا السيّد محمّد حسن الشيرازي، المعروف بالمجدّد الشيرازي، ولد في شيراز سنة ١٢٣٠هـ وحضر درس المحقّق السيّد حسن المدرس والمحقّق الكلباسي، ثم توجّه إلى العراق سنة ١٣٠٩هـ وحضر الأندية العلمية، حتّى نصّ صاحب الجواهر باجتهاده، واختصّ في التلمذة والحضور بأبحاث المحقق الأنصاري، حتّى صار يشار إليه بين تلاميذه، وهاجر إلى سامراء سنة ١٢٩١هـ ثمّ تبعه أصحابه وتلاميذه، فصارت سامراء مركزاً للعلم والعمل.

وهو الذي أفتى بحرمة تدخين التنباك لمّا أعطى امتياز حصره الشاه ناصر الدين للإنكليز، فامتنع عن تدخينه جميع الإيرانيين واضطر الإنكليز إلى فسخ الامتياز.

توفي سنة ١٣١٢هـ وحمل إلى النجف الأشرف، ودفن في أحد حجرات الصحن العلوي المقدّس.

انظر: أعيان الشيعة ٥: ٣٠٤، الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمي ٣: ٢٢٢.

(٢) وهو الميرزا محمّد تقي الشيرازي الحائري ابن محبّ علي، توفي ١٣٣٨هـ في كربلاء، حضر على الأردكاني والميرزا الشيرازي وانقطع إليه حتّى صار من أكبر تلامذته، وبعد وفاة الميرزا بقي في سامراء ورجع إلى تقليده جماعة كثيرة، وفي أثناء الحرب العالمية ⇦

وأمّا المرحوم حجّة الإسلام والمسلمين آقا فاضل الشربياني[١] (عليه الرحمة) فقد كان يوكل أجوبة الأسئلة الواردة عليه في قضية الشعائر إلى باب الحوائج أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وكان يتصدّر بنفسه المواكب العزائية التي يخرج فيها العلماء، حيث تمرّ في الأسواق والشوارع وتجتازها حتّى تدخل صحن أبي الأئمة عليه السلام.

وكان في صدارة موكب السادات العلماء المرحوم حجّة الإسلام السيّد محمّد بحر العلوم[٢]، والسيّد حسين القزويني[٣].

⇨

وانسحاب العثمانيين من العراق واحتلال الانكليز للعراق أعلن الثورة ضدّهم، وكان له بها مواقف مشهودة.

انظر: أعيان الشيعة ٩: ١٩٢.

(١) هو الملا محمّد بن فضل علي بن عبد الرحمن بن فضل علي الشرابياني، المعروف بالفاضل الشرابياني وبملا محمّد المقرر، ولد في شرابيان قرية من قرى أذربيجان سنة ١٢٤٨هـ وتوفي في رمضان سنة ١٣٢٣هـ تتلمذ على يد السيّد حسين الترك، والشيخ الأنصاري، له كتب في الفقه والأصول، وقلّد في آذربيجان وقفقاسية بعد الميرزا الشيرازي.

انظر أعيان الشيعة ١٠: ٣٦.

(٢) هو السيّد محمّد ابن السيّد محمّد تقي ابن السيّد رضا ابن السيّد محمّد المهدي بحر العلوم، ولد في النجف الأشرف ١٢٦١هـ وتوفي فجأة بالنجف سنة ١٣٢٦، وتلمذ على علماء عصره أمثال السيّد علي صاحب البرهان، والفقيه الشيخ راضي، والسيّد حسين الترك وغيرهم، وكان محقّقاً مدقّقاً عريقاً عريفاً في الفقه، وصنّف بعدما كفّ بصره كتابه المعروف «بلغة الفقيه».

انظر: أعيان الشيعة ٩: ٤٠٨.

(٣) هو السيّد حسين ابن السيّد مهدي ابن السيّد حسين ابن السيّد أحمد الحسيني الحلّي النجفي، المعروف بالقزويني. ولد بالحلّة سنة ١٢٦٨هـ

⇦

كما كان يخرج في المواكب المرحوم حجّة الإسلام آقا شيخ محمّد طه نجفي[1]، والمرحوم آقا ميرزا حبيب الله الرشتي[2]، وجمع من العلماء الأعلام الذين كانوا يحضرون المواكب المشتملة على التشابيه والتطبير.

⇨

وآل القزويني بيت علم وسيادة جليل، من أجلّ البيوتات العلميّة في النجف والحلّة وطويريج، لهم رئاسة علمية دينية ورئاسة دنيوية، والمترجم من أعيانهم وأعيان عصره علماً ورئاسة وجلالة وهيبة وخلقاً، وكانت داره مجمع الفضلاء والأدباء تلقى فيها المحاضرات، وينشد فيها الشعر.

وهو سبط الشيخ علي بن جعفر الكبير آل كشف الغطاء، درس عند أبيه السيّد مهدي وأخويه السيّد صالح والسيّد محمّد القزويني، وكذا أخذ عن الملا لطف الله المازندراني والملا محمّد الإيرواني والآخوند صاحب الكفاية والميرزا حبيب الله الرشتي.

توفي بالنجف الأشرف في ٢١ ذي الحجّة ١٣٢٥هـ ودفن بالنجف في مقرتهم.

انظر أعيان الشيعة ٦: ١٧٦.

(١) وهو الشيخ محمّد طه ابن الشيخ مهدي ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محمّد ابن الحاج نجف علي التبريزي، ولد في النجف سنة ١٢٤١هـ وتوفي سنة ١٣٢٣هـ، وهو من الفقهاء والعلماء المحقّقين المدققين، وتتلمذ على الشيخ علي الطفيلي والشيخ محسن خنفر والشيخ الأنصاري، وكانت له رياسة عامّة بعد وفاة الشيخ محسن الكاظمي، ورجع الناس إليه في التقليد.

انظر أعيان الشيعة ٩: ٣٧٥.

(٢) وهو الشيخ ميرزا حبيب الله ابن الميرزا محمّد علي خان الگيلاني الرشتي، توفي في النجف سنة ١٣١٢، كان أستاذ عصره، فقيهاً أصولياً محققاً، مؤسساً في الأصول، وحيد عصره في أبكار الأفكار، قرأ مبادئ العلوم في رشت وقزوين، ثمّ هاجر إلى النجف وتتلمذ على يد صاحب الجواهر والشيخ الأنصاري، وتخرّج على يده مئات من العلماء.

⇦

فمشاهدة هؤلاء العلماء لهذه الشعائر بالعيان يُعدّ دليلاً واضحاً على جوازها.

وأمّا الوالد المرحوم، حجّة الإسلام والمسلمين، آية الله في العالمين، قدوة أرباب التقى، الطائف بالبيت والساعي في الصفا، سميّ جدّه علي المرتضى، نوّر الله مرقده، فقد كان والهاً بسيّد الشهداء عليه السلام وكان يهتمّ اهتماماً بالغاً بتشييد وتأييد مواكب اللطم والعزاء والتطبير، خصوصاً في عشرة محرم الحرام، فكان يستقبل في بيته الشريف جمعاً من المواكب التي تختلف عليه واحدةً تلو الأخرى، وكان هو بنفسه يجمع رؤساء المواكب ويحثهم ويرغّبهم على الاستمرار فيها.

وقد حذوت ـ أنا الأحقر ـ حذوه، وسرتُ على منهجه، وسلكت على عادته وطريقه، فلن أتركها، بل أضفت عليها موكب التطبير للسادة الهاشميّين، الذي جمّعته في بيتي، حيث يتوجّه المتطبّرون إلى الله تعالى مع كمال التضرّع والابتهال، ويسألونه أن لا يسلب منهم هذه الوسيلة الحسينية، والتوفيقات والتأييدات الغيبيّة بمنّه وفضله، فإنّه منعم كريم ورؤوف رحيم.

ولابدّ أن يقوم هؤلاء الأكابر بإحياء كلمة الحقّ، ويكونوا من مصاديق العاملين بالآية الوافية الهادية: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي**

⇨

انظر: أعيان الشيعة ٤: ٥٥٩.

الْقُرْبَى﴾[١]، كما كان يفعل صاحب الرياض[٢] (جعل الله قبره روضةً من رياض الجنة) الذي أمر بتأسيس مواكب العزاء لدى العطارين في كربلاء المقدّسة، وكان هو بنفسه يحمل مشعل الموكب.

وقد حاز أعمدة الدين المبين ورؤساؤه المراتب العالية في دار الدنيا، والدرجات الرفيعة في الأخرى؛ لعملهم واتّباعهم أوامر سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله حيث قال: «ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل»[٣].

وعن الريّان بن شبيب حيث يقول له الإمام عليه السلام: «إنْ سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[٤].

---

(١) الشورى (٤٢): ٢٣.

(٢) هو السيّد مير علي بن محمّد علي ابن أبي المعالي الشهير بالصغير، ابن أبي المعالي الكبير الطباطبائي، هو ابن أخت العلامة الوحيد البهبهاني وصهره على ابنته، تلمّذ عليه وتربّى في حجره، قال عنه الحائري في منتهى المقال: ثقة عالم عرّيف وفقيه فاضل غطريف، جليل القدر وحيد العصر، حسن الخلق عظيم الحلم.

له مؤلفات أشهرها: (رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل» حيث جمع فيه جميع أبواب الفقه من الطهارة إلى الديات، وانتهت إليه رئاسة المرجعية بعد وفاة خاله الوحيد البهبهاني، ولد في الكاظمية سنة ١١٦١هـ وتوفي في الحائر الحسيني سنة ١٢٣١هـ ودفن في الرواق المشرفي في الحضرة الحسينية المقدّسة قريباً من قبر خاله.

انظر: روضات الجنّات ٤: ٣٩٩، برقم ٤٢٢، منتهى المقال ٥: ٦٣، برقم ٢١٠١، أعيان الشيعة ٨: ٣١٤.

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٣، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٣٤، الحديث ٣٧.

(٤) الأمالي للصدوق: ١٩٣، المجلس ٢٧، الحديث ٥، التسلسل ٢٠٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام للصدوق ١: ٢٦٩، الباب ٢٨، الحديث ٥٨.

وجاء عن أبي الأئمّةعليه السلام ضمن الأحاديث الأربعمائة «إنّ الله تبارك وتعالى اطلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة، ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا»[(١)].

وما يرويه خالد بن سدير عن الصادقعليه السلام حيث يقول: «وقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين بن عليعليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب»[(٢)].

---

(١) الخصال للصدوق: ٦٣٥، حديث الأربعمائة.

(٢) تهذيب الأحكام للطوسي ٨: ٣٢٥، كتاب الأيمان والنذور والكفّارات، باب الكفارات، الحديث ٢٣، تسلسل١٢٠٧.

[جواز التطبير وضرب السلاسل]

لذا يكفي في جواز التطبير واللطم وضرب السلاسل ونحوها، هذه الأخبار الصحيحة السالفة، إضافةً إلى المستفيضة، بل المتواترة منها، ممّا جاء في كتب الخاصّة والعامة، مصرّحاً بالجواز، بل باستحباب الجزع والفزع على مصائب سيّد الشهداء عليه السلام أرواحنا له الفداء[1].

وأمّا ما يتوهّم به مَن منع التطبير استدلالاً بقوله تعالى في الآية الوافية الهادية: ﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[2] فهو فاسد ساقط عن الاعتبار؛ لعدم اشتمال ما تقدّم من الشعائر على التهلكة غالباً، بل لا يزيد الألم فيها على

---

(١) انظر: كامل الزيارات لابن قولوية: ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، الحديث١٣٩، ١٤٠، ١٤١، وص١٤٦، الحديث١٧١ وص١٦٥، الحديث٢١٤، وص١٦٩، الحديث٢١٩، ٢٢٠، وص١٨٤، الحديث٢٥٤، وص١٨٧، الحديث٢٦٣، وص٢٠١، الحديث٢٨٦، وص٢٠٣، الحديث٢٩١، وص٢٠٩ الحديث٢٩٩ وص٢١٠، الحديث٣٠١، وص٢١٤، الحديث٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٣، وص٣٢٦، الحديث ٥٦٦، وص٣٥٣، الحديث٦٠٧، وص٤١٩، الحديث٦٣٩، وص٤٧٤، الحديث٧٢٣ وص٥٣٧ الحديث٨٢٩، ٨٣٠.

المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٥، ١٠٧، الحديث ٢٨١١، ٢٨١٤. مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٥، عن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) البقرة (٢): ١٩٥.

آلام الفصد والحجامة المباحين، للظنّ في وجود نفع دنيوي، فكيف لو قطع بوجود أجر وثواب أخروي؟!

ولو كان مطلق الإيلام مانعاً، لعمّ ذلك البكاء والعزاء أيضاً، وهو خلاف الإجماع، بل الضرورة لما تواتر من بكاء الأنبياء والأولياء(١) ونوح الجنّ(٢).

ففي زيارة الناحية الشريفة: «وأُقيمتْ لك المآتم في أعلى علّيين، ولطمت عليك الحور العين، وبكت السماء وسكّانها، والجنان وخزّانها، والهضاب وأقطارها، والأرض وأقطارها والبحار وحيتانها، ومكّة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحلّ والإحرام»(٣).

ولا يخفى أنّ هناك مراتب للّطم: فمنه ما يكون بضرب الصدور، ومنه ما يكون بضرب السلاسل، بل بالتطبير؛ لأنّ الإيلام فيه أشدّ، ولا يؤدّي هذا إلى الموت والهلاك، إلّا في بعض الموارد النادرة، ولذا فإنّ الهلاك نتيجة التطبير كالأمر المعدوم.

ولو كان له نوع خطر يعتدّ به لصدق على الفصد والحجامة بأنّهما تؤدّيان إلى الهلاك؛ لاتفاق طروء الموت في بعض مواردهما.

وهذه الصدّيقة الصغرى زينب الكبرى عليها السلام ـ التي حملت أسرار آل محمّد صلى الله عليه وآله، وهمّ علماء الشريعة والسلوك، وأئمة أسس الحكمة، وأساطين

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام الباب ٣٠، الحديث ٤٤، الخصال للصدوق: ٥٨، الحديث ٧٩، الفتوح لابن أعثم ٢: ٥٥٣.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٢١، الحديث ٢٨٦٢ و٢٨٦٧، ٢٨٦٨، ٢٨٦٩.

(٣) المزار للمشهدي: ٥٠٦، القسم الرابع، الباب ١٨، زيارة الناحية المقدّسة، برقم ٩.

علماء الحقيقة المتعالية، والمراتب الجليلة، الطاهرة المعصومة، التي جعلوا شأنها كشأن إبراهيم الخليل عليه السلام، وعدّوا قولها وفعلها وتقريرها حجّة كالإمام ـ نطحت جبينها بمقدّم محملها حتّى سال الدم من تحت المحمل[1].

وقد توهّم بعض من لا علم له ـ بلا علم ولا تفحّص ـ في أنّ «نطحت» فعل مجهول، ولكنّ النطح غير الدّق؛ لأنّ الدقّ يقع في حالتي الاختيار والاضطرار، إضافةً إلى أنّ سياق الخبر يأبى عن وجود مثل هذا التوهّم، كما لا يخفى ذلك على المنصف غير المتعسّف، المتأمّل في الخبر.

وأمّا ما يتوهّم من كراهة الجزع والفزع، فهو مردود مندفع بقول صادق آل العصمة عليه السلام، «كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام»[2].

وأمّا ما يتوهّم من عدم جواز خمش الوجه وشقّ الجيب واللطم بضرب الوجوه، فيُستثنى منه ما كان مخصوصاً على هذا الجليل، (وعلى مثل الحسين فلتُشق الجيوب، ولتخمش الوجوه ولتُلطم الخدود)[3].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١١٥، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٣٩.

(٢) الأمالي للطوسي: ١٦٢، المجلس ٦، الحديث ٢٠، التسلسل ٢٦٨، وانظر: كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٠١، الباب ٣٢، الحديث ٢، التسلسل ٢٨٦.

(٣) تهذيب الأحكام للطوسي ٨: ٣٢٥، كتاب الأيمان والنذور والكفّارات، باب الكفّارات، الحديث ٣٢، التسلسل ١٢٠٧، وفيه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «وعلى مثله تُلطم الخدود وتشق الجيوب».

ويؤيّد ذلك ما جاء في زيارة الناحية للإمام صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف حيث يقول: «فلأندبنك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ عليك بدل الدموع دماً، حتّى أموت بلوعة المصاب، وغصّة الاكتئاب»(١).

وقد وردت هذه العبارة عن الإمام الصادق عليه السلام.

وروى المجلسي رحمه الله في البحار عن الإمام زين العابدين عليه السلام: أنّه كلّما أحضر قدح الماء بين يديه ـ لكي يشرب ـ فكان يملؤه بدموع عينه الشريفة(٢).

ومع قطع النظر عن الأخبار المتواترة الصريحة الدالّة على المرام، تكفينا الأصول العقليّة في المقام : من أصالة البراءة، وأصالة الإباحة، واستصحاب أحكام الشرايع السابقة، إذ قد تظافر وتواتر، حتّى شاع وذاع وقرع الأسماع وملأ الأصقاع، من جزع الأنبياء الشارعين، وفزع الأولياء البارعين السالفين على الحسين عليه السلام، وبكائهم، وإقامتهم لعزاء الحسين عليه السلام، فضلاً عن الملائكة المقرّبين، وصنوف الروحانيّين والكروبيّين(٣).

هست از ملال كه چه برى ذات ذو الجلال   أو درد است هيچ دلى نيست بى ملال

---

(١) المزار للمشهدي: ٥٠١، القسم الرابع، الباب١٨، الزيارة التاسعة المعروفة بزيارة الناحية المقدّسة.

(٢) انظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٣٠٣، باب إمامة علي بن الحسين عليهما السلام، واللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ١٢١، وبحار الأنوار ٤٦: ١٠٨، الباب٦، الحديث١.

(٣) انظر :كامل الزيارات لابن قولويه: ١٣٧ ـ ٢٠٠، الباب١٩ إلى الباب٣١.

[ترجمته: إنّ غضب ذات الجلال على هذا المصاب أورث حزناً لم يدع قلباً من الحزن خالياً].

ولنا أن نزيد على هذه الجملة قاعدة : عدم الدليل دليل العدم؛ إذ تفحصّنا جميع الكتب الجامعة لنوادر الأخبار، وطرائف الآثار، فلم نجد ما يُومن أو يشير أو يُشعر بالمنع، والبيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر.

وهذه الجملة كافية في المقام، ومثبتة للمرام، وإن أردتَ بسط المقال، وتطويل المجال، فأحضِر قلبك، وألقِ بسمعك لما يوحى إليك من ألسنة القلم والمِزبر، وصفحات اللوح والمسطر، حتّى نوضّح المقام، ونشرح المرام فقرة بعد فقرة.

[الضرب بالطبل والصنج والنفخ بالبوق]

وأمّا في خصوص الطبل[1] والصنج[2] والبوق[3] والتزاحم في الطرق، فإنّ الطبل لا يُعدّ من آلات اللهو واللعب، بل من وسائل إظهار الحزن والألم.

وأمّا الطرق فهي من الأماكن العامّة التي وضع لها الشارع المقدّس قوانين حال التزاحم فيها، وخروج مواكب العزاء مصحوباً بالإلتزام بهذه القوانين ليس خرقاً لحرمتها.

أمّا جواز التغنّي بالآيات ـ بعد شرح المرام وتوضيح المقام ـ فهو محتاج إلى بيان معنى الغناء ومعرفة حقيقتة[4]، مضافاً إلى أنّ استعمال هذه الآلات بحدّ

(١) في الصحاح ٥: ١٧٥٠ «طبل»: الذي يضرب به، وفي المعجم الوسيط: ٥٥١ «طبل»: آلة يشدّ عليها الجلد، المعبّر عنه بلسان العامة (الدمّام).

(٢) في الصحاح ١: ٣٢٥ «صنج»: الصنج: الذي تعرفه العرب، وهو الذي يتّخذ من صفر، يضرب أحدهما بالآخر، وأمّا الصنج ذو الأوتار فيختصّ به العجم، وهما معربان (صنج) المعبّر عنه بلسان العامة (طوسي).

(٣) في العين للفراهيدي ٥: ٢٢٩: والبوق: شبه منقاب ملتوي الخرق، وفي المعجم الوسيط: ٧٧ أداة مجوّفة يُنفخ فيها ويزمّر (باق).

(٤) انظر: المكاسب للشيخ الأنصاري ١: ٢٩٠ ـ ٢٩٨، وفيه :

⇦

ذاته جائز، إلّا أن يكون بكيفيّة اللهو واللعب الذي يصدق عليه معنى الطرب، فيكون حكم الآلات هذه حينئذٍ حكم الحنجرة والحلقوم.

وقد جاء عن جماعة من فحولِ العلماء الأعلام ما فيه بيان المراد الذي قد تقدّم، فوصف خاتم الحكماء والمحدّثين ملاّ محسن فيض (أفاض الله على تربته شآبيب غفرانه وإحسانه) قائلاً:

إنّ الغناء صفة للكلام لا للصوت، ولو كان الكلام حكمة، أو موعظة شعرية، أو آية قرآنية أو رثاءً لآل طه وياسين، أو صوتاً حسناً حزيناً أو ترجيعاً بالصوت بحيث يؤدّي إلى الحزن والهم، فلا يعدّ غناءً. ولو كان القول محرّماً، من قبيل التشبيب والمدح والقدح لغير المستحق، فإنّه غناء وإن لم يكن باعثاً على الحزن والطرب[1].

وبالجملة «من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنّة»[2].

⇨

وظاهر هذه الأخبار بأسرها حرمة الغناء من حيث اللهو والباطل، فالغناء ـ وهي من مقولة الكيفيّة للأصوات كما سيجيء ـ فهو وإن كان أعمّ وجب تقييده بما كان من هذا العنوان، كما أنه لو كان أخصّ وجب التعدّي عنه إلى مطلق الصوت الخارج على وجه اللهو.

وبالجملة، فالمحرّم هو ما كان من لحون أهل الفسوق والمعاصي التي ورد النهي عن قراءة القرآن بها، سواء كان مساوياً للغناء أو أعمّ أو أخصّ، مع أنّ الظاهر أن ليس الغناء إلاّ هو، وإن اختلفت فيه عبارات الفقهاء واللغويين.

(١) انظر: الوافي للفيض الكاشاني ١٧: ٢١٨، كتاب المكاسب، أبواب وجوه المكاسب، باب٣٤، ومفاتيح الشرائع للفيض الكاشاني ٢: ٢١، مفتاح برقم ٤٦٥.

(٢) انظر: كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٠١، الباب ٣٢، ٣٣، وفيه: عن الصادق عليه السلام قال: «من أنشد في الحسين عليه السلام بيت شعر فبكى وأبكى عشرة فله ولهم الجنّة، ومن أنشد في

⇦

ويشير إلى ذلك الحديث الشريف الذي روته الخاصّة والعامّة في شعر دعبل بمحضر ثامن الأئمة وسيّد الشعر عليه السلام في رثاء الإمام المظلوم عليه السلام، حيث أنشده فارتفع صوت هذا الإمام المظلوم عليه السلام بالأنين والبكاء على مصائب جدّه الجليل[1].

⇨

الحسين عليه السلام بيتاً فبكى وأبكى تسعه فله ولهم الجنّة، فلم يزل حتّى قال: مَن أنشد بيتاً فبكى ـ وأظنّه قال: أو تباكى ـ فله الجنة».

(١) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٥٣، الباب ٤٠، الحديث ٨، وفيه: قال: لمّا وصل إبراهيم ابن العبّاس ودعبل بن علي الخزاعي إلى الرضا عليه السلام، وقد بويع له بالعهد أنشده دعبل:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

وأنشد إبراهيم بن العبّاس:

أزالت عناء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبيّ محمّد

فوهب لهما عشرين ألف درهم من الدراهم التي عليها اسمه، كان المأمون أمر بضربها في ذلك الوقت، قال: فأمّا دعبل فصار بالعشرة آلاف التي حصّته إلى قوم، فباع كلّ درهم بعشرة دراهم، فتخلصت له مائة ألف درهم.

وأمّا إبراهيم فلم تزل عنده بعد أن أهدى بعضها وفرّق بعضها على أهله إلى أن توفّي رحمه الله، وكفنه وجهازه منها.

وانظر: تاريخ بغداد ٨: ٣٧٨، ترجمة دعبل برقم ٤٤٩٠، تاريخ دمشق لابن عساكر ١٧: ٢٤٩، ترجمة دعبل برقم ٢٠٨٣، وتهذيب الكمال للمزّي ٢١: ١٥٠، ترجمة الإمام الرضا عليه السلام برقم ٤١٤١، لسان الميزان لابن حجر ٢: ٤٣١.

[إخبار النبي صلى الله عليه وآله باستشهاد الحسين عليه السلام]

وقد نقل أحد علماء العامّة المعروف بـ(الماوردي الشافعي) ت ٤٥٠هـ[1]، في كتابه: أعلام النبوّة، عن عائشة: أنّ الإمام سيّد الشهداء عليه السلام جاء يوماً ـ أيّام طفولته ـ يهرول مسرعاً، وهو يتكلّم بكلام رعاة الغنم وسائقي الجمال، فدخل على النبيّ صلى الله عليه وآله وارتقى صدره المبارك، فأحنى له ظهره، وكان هذا الإمام المظلوم مشغولاً باللّعب، فنادى جبرئيل النبيّ صلى الله عليه وآله قائلاً: يا رسول الله، ستقع فتنة بين أمّتك، ويقتل ولدك هذا بعد رحيلك.

ثمّ مدّ يده وأخرج له تربة بيضاء وقال: وهذه التربة التي يقتل عليها تسمّى الطف، فتغيّر وضع النبي صلى الله عليه وآله وقام من مكانه باكي العين، حزيناً مغموماً، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمّار، وأبو ذرّ: جعلنا فداك مِمَ بكاؤك؟

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بالماوردي، من وجوه فقهاء الشافعية، وإمام في الفقه والأصول والتفسير، وكان من رجال السياسة في الدولة العبّاسية، ولد ٣٦٤، وتوفي سنة ٤٥٠هـ

انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١٨: ٦٤، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٥: ٢٦٧ برقم ٥١١.

فقالصلى الله عليه وآله: «أخبرني جبرئيل إنّ ولدي الحسينعليه السلام يقتل بعد رحيلي بأرض يقال لها الطف، وأتاني بهذه التربة وقال: إنّه يُستشهد عليها، ولذا بكيت، فبكى أصحابه جميعاً»[1].

فأعاننا الله وإياكم من مفتريات نقل الفرد البصريّ، ومحرّفات أقواله، وإنكاره ونهيه عن إقامة العزاء.

(١) انظر: أعلام النبوّة: ١٥٣، الباب١٢، باختلاف كثير، المعجم الكبير للطبراني ٣: ١٠٧ الحديث٢٨١٤.

[ما يجب على المسلمين]

إن كلّ عاقل يعلم أنّ خاتم المرسلين ﷺ ـ هو وأصحابه الأجلاّء ـ قد عقد مأتم العزاء على سيّد الشهداء قبل استشهاده، والنبي ـ هو المؤسس لأساس الدين، وأشرف المخلوقات ـ قد هيّأ لإقامة عزائه بعد استشهاده بطريق أولى وأكثر.

لذا لابدّ أن نعدّ المقدّمات لإقامة عزاء هذا الجليل بأيّ نحو كان، وأيّ وسيلة من الوسائل والآلات التي تؤدّي إلى الحزن والغم والبكاء، كي نشارك خاتم المرسلين في العزاء، ونكسب بذلك الأجر والثواب والقرب الإلهي.

وأمّا ما يتوهّم فيه من الازدحام والتدافع في الأزقة والأسواق، فهو مندفع ومردود أيضاً، بأنّ ذلك يكون غالباً في أيّام الزيارات، والوقوف عند العزاء، ولا يحصل فيه التنافر والتشاجر بين شخصين أو جماعتين إلّا نادراً، ولا يكون سبباً في التقاء طرفيّ القاتل والمقتول والنزاع والتضارب بينهما.

ولذا فليس هذا الاحتمال الفاسد الشاذ النادر ـ والنادر كالمعدوم ـ يكون سبباً موجباً لمنع الزيارة، أو تغلق أبواب الصحن الشريف لأجله، ومن يمنع هذا الشعار الإسلامي فهو لا شكّ إمّا كافر أو شاكّ.

ولو فُرض حضور طرفي قضيّة ـ من مدّع ومدّعى عليه ـ عند حاكم الشرع، بغية الترافع والتخاصم ـ ولو للقتل ـ فوقع بينهما الجدال والتشاجر، فأيّ جاهل مركّب يقول بوجوب إغلاق باب المحكمة حينئذٍ، أو عدم الحضور عند العلماء؛ لاحتمال أن يكون النزاع بينهما جارّاً إلى القتل؟!

وعليه فلابدّ حينئذ أن تُعطّل الأحكام الإلهيّة بالكليّة، ويترك أمر إصلاح ذات البين، فيجب علينا، بل ليس لدينا طريق لإتمام الحجّة الإلهية أمام الكفّار والمشركين ـ خصوصاً في زمن غيبة صاحب العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ـ إلّا أن نظهر مظلومية النواميس الإلهيّة.

ومن يسافر إلى الهند، أو له صلة بها، يرى آثار ونتائج هذا الشعار الإسلامي الأعظم، حيث يدخل في السنة آلاف من عبدة البقر والأصنام والنار، من مؤسّسي الهند وبُناتها، من مدن زنجبار وماوه ودنكون، في الإسلام، وكم يتواصل هؤلاء مع المسلمين، ويبذلوا الأموال الطائلة في سبيل أن يمشوا على النار، كما يتعارف عند أغلب الهنود، الذين يأتون من سائر المدن والقرى ـ مع المسلمين ـ وفيهم الرجال والنساء، والشيب والشباب، محتضني أطفالهم الرضّع، قاصدين من مسافات بعيدة، حفاة الأقدام، وهم ينادون: حسين حسين عليه السلام، وقد أُضرمت هذه النار بحزمات الحطب الممتاز الذي جمعوه من

غابات الهند، فيلقى عليه براميل النفط الأسود على مسافة عشرة أو اثني عشر ذراعاً، فيجتازون هذه النار دون أن يصبهم أذى، وذلك ببركة هذا الإمام الجليل عليه السلام.

نطفه پاک بباید که شود قابل فیض

ورنه هر سنگ وگلی لؤلؤ ومرجان نشود[1]

[ترجمته: إنّ النطفة إذا كانت طاهرة، فلابدّ أن تكون قابلة لنزول الفيض عليها، ولذا فإنّ الحجر الذي هو من التراب لا يتحوّل إلى لؤلؤ ومرجان].

(١) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ٢٢٧. وفيه كلمة «گوهر» بدل كلمة «نطفة».

[الدليل على جواز الشبيه]

أمّا في جواز الشبيه والتمثيل، فقد جاء في عدّة من الأخبار، وكثير من الأحاديث التي جاء أغلبها في مجلّدات الكافي والوافي والبحار، بأسانيد عديدة ومتون متعدّدة، التي نورد بعضها تيمّناً وتبرّكاً:

فقد روى السيّد السند رضي الدين ابن طاووس رحمه الله عن الإمام الناطق بالحقّ جعفر الصادق عليه السلام في جواب من سأله عن زيارة خصوص سيّد المرسلين وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله من بعد، فقال عليه السلام :

«إنّه يسمعك من قريب، ويبلغه عنك من بعيد[1]، فإذا أردت ذلك فمثّل بين يديك شبه القبر، واكتب عليه اسمه صلى الله عليه وآله وتكون على غسل، ثمّ قم قائماً»[2] وزر الزيارة المفصّلة.

---

(١) إلى هنا نصّ الرواية في كامل الزيارات لابن قولويه: ٤٣، الباب٢، الحديث٦، التسلسل١١، والزيارة في إقبال الأعمال.

(٢) إقبال الأعمال لابن طاووس ٢: ١٢٣، الفصل١٢، فيما تذكره من زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله. وانظر: المزار للشهيد الأوّل: ١٠، ٢٦، بحار الأنوار ٩٧: ١٨٣ كتاب المزار، أبواب زيارة ⇦

وجاء في أحاديث معتبرة : بأنّ الملائكة اشتاقت إلى جمال الوجه المبارك لأمير المؤمنين عليه السلام، فجعل لهم الذات الأحديّة جلّ وعلا مثالاً له عليه السلام، وعليه أثر ضربة ابن الزنا عبد الرحمن بن ملجم، فحزنت الملائكة واغتمّت لذلك، وكانت تكسب أجر وثواب الزيارة والتولّي بذلك[١].

وقد جعل الحقّ تعالى ـ جلّت عظمته ـ في أكثر من مرّة للأنبياء والأولياء مثالاً وشبيهاً لوقائع كربلاء، وسيأتي الكلام عن ذلك.

وبالجملة، فإنّ التشبيه في الموجودات الخارجيّة، كاستعمال اللفظ بأزاء المعاني العقلية ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾[٢].

⇨

النبي صلى الله عليه وآله، الباب ٢، الحديث ١١، مفاتيح الجنان: ٤٨٥، الباب الثالث، الفصل الثالث، زيارة النبي صلى الله عليه وآله من بعيد.

(١) المختصر: ٢٥٥ الحديث ٣٤٢، وفيه: وروي عن الأعمش، عن جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام قال: «قال النبيّ صلى الله عليه وآله: ليلة أسري بي إلى السماء وبلغت السماء الخامسة، نظرت إلى صورة علي بن أبي طالب، فقلت : حبيبي جبرئيل ما هذه الصورة؟

فقال: اشتهت الملائكة أن ينظروا إلى صورة علي فقالوا: ربّنا إنّ بني آدم في دنياهم يتمتّعون غدوة وعشيّة بالنظر إلى ابن عمّ حبيبك محمّد وخليفته ووصيّه وأمينه، فمتّعنا بصورته قدر ما تمتّع أهل الدنيا به، فصوّر لهم صورته من نور قدسه ـ عزّ وجلّ ـ فصورة علي بين أيديهم ليلاً ونهاراً، يزورونه، وينظرون إليه غدوة وعشيّة.

قال أبو عبد الله عليه السلام: فلمّا ضربه اللعين ابن ملجم على رأسه، صارت تلك الضربة في صورته التي في السماء، فالملائكة ينظرون إليه غدوة وعشيّة، ويلعنون قاتله ابن ملجم...».

(٢) العنكبوت (٢٩): ٤٣.

وأصل الجواز في الشبيه أنّه كان مأخوذاً من العلماء المعاصرين لسلاطين الصفويّة، وقد أخذ الإيرانيون ـ الذين كانوا قريبي العهد بالتشيّع ـ من حكماء وعلماء ذلك العصر التدبير والتشبيه، حيث نقل هؤلاء العلماء والحكماء مصائب آل الرسول صلى الله عليه وآله من مرحلة البيان إلى مقام المشاهدة والعيان، كي تتأثّر بذلك النفوس وينقلب حالها، وتنكسر القلوب القاسية المتحجّرة في حبّ الحسين عليه السلام[1].

---

(١) قد يستشهد البعض بجواز التمثيل بما جرى بمحضر الإمام الصادق عليه السلام، حيث إنّ أحد الشعراء دخل عليه وألقى عليه قصيدة في رثاء الحسين عليه السلام، ففي كتاب أسرار الشهادة للفاضل الدربندي ١: ١٨٢ (ت ١٢٨٥هـ):

هو ما رواه ثقة الإسلام الكليني في كتاب الروضة من الكافي، ومضمونه ومعناه ـ على ما في خلدي الآن ـ أنّ الكميت الشاعر دخل على الصادق فقال: «يا كميت: أنشد في جدّي الحسين عليه السلام»، فلّما أنشد الكميت أبياتاً في مصيبة الحسين عليه السلام، بكى الإمام بكاءً شديداً، وبكت نسوة الإمام عليه السلام وأهله وحريمه وصحن في حجراتهنّ، فبينما الإمام في البكاء والنحيب إذ خرجت جارية من خلف الستر من الباب الذي كان في سمت حجرات الحرم، وفي يدها طفل صغير رضيع، فوضعته في حجر الإمام عليه السلام، فاشتدّ حينئذ في غاية الاشتداد بكاء الإمام عليه السلام، ونحيبه، وعلا صوته الشريف، وأعلنت النسوة الطاهرات والحرم أصواتهنّ بالبكاء والنحيب من خلف الأستار من الحجرات.

هذا وأنت خبير بأنّ مقصود النسوة الطاهرات والحرم من إنفاذ ذلك الطفل من ذرّية رسول الله صلى الله عليه وآله إلى حضرة الإمام عليه السلام ما كان إلّا تشبيهاً بعلي الأصغر الرضيع الشهيد ـ روحي له الفداء ـ وذلك لتشتدّ بذلك الحرقة في الباكين والباكيات، ويكثر البكاء والنحيب، فتقرير الإمام كقوله وفعله في الحجيّة، فإذا ثبت وورد ذلك في أصل الشرع في الجملة ثبت الجواز، بل الاستحباب في كلّ ما أشرنا إليه لعدم القول بالفصل.

⇦

نعم، لابدّ أن تراعى القوانين الشرعيّة في الشبيه، حتّى لا تقع خلافاً للشرع المقدّس الأنور؛ لأنّ أدلّة المحرّمات مقدّمة على أدلة السُنن والمندوبات، كما هو التحقيق عند حملة عرش العلم بالفقه.

وأمّا في خصوص خروج الرجال بزيّ النساء، وبالعكس، في عمل الشبيه، فإنّه لم يثبت في الشرع تحريمه لو ترتّب عليه غرض شرعيّ كما تشهد به الروايات المعتبرة والأخبار المُكثرة في الكتب الجامعة لنوادر الأخبار من الوافي والوسائل والبحار، المتضمّنة لفعل أمير المؤمنين عليه السلام حيث إنّه عليه السلام أمر جماعة كثيرة من النسوان أن يتلبّسن بعمائم الرجال، ويتبرّزون [كذا] بحلية من الأبطال والفرسان، ثمّ أمرهنّ أن يصاحبن عائشة من البصرة إلى المدينة المنوّرة، لحكم خفيّةٍ كانت تقتضي ذلك[1].

⇦

مضافاً إلى أنّ السيرة كانت جارية في زمن آل بويه كما ورد في الكامل في التاريخ لابن الأثير ٨: ٥٤٩ أحداث سنة ٣٥٢هـ: أمر معزّ الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم، ويبطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباباً عملوها بالمسرح، وأن يخرج النساء منشورات الشعور، مسودات الوجوه، قد شققن ثيابهنّ، يدرن في البلد بالنوائح، ويلطمن وجوههّن على الحسين بن علي (رضي الله عنهما)، ففعل الناس ذلك، ولم يكن للسنيّة قدرة على المنع منه، لكثرة الشيعة، ولأنّ السلطان معهم.

للمزيد انظر: موسوعة الإمام الحسين عليه السلام للريشهري ٦: ٢٩٤.

(١) انظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٧٣، الفتوح لابن أعثم ٢: ٤١٧، السيرة الحلبية ٣: ٣٥٨.

وكذلك تصوير الذات الأحديّة وقائع عاشوراء لسيّدنا آدم عليه السلام(١).

وتشبيه صاحب الأمر عليه السلام بملائكة السموات(٢).

والنعش الذي مثّل به للصدّيقة الطاهرة عليها السلام(٣).

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي ٤٥: ٣١٥ ـ ٣١٦، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٤٦، الحديث ١٥.

وفيه : عن كعب الأحبار، حين سئل عن الملاحم التي تظهر آخر الزمان، فصار يخبرهم بأنواع الأخبار والملاحم والفتن التي تظهر في العالم، ثمّ قال: وأعظمها فتنة وأشرها مصيبة لاتنسى إلى أبد الآبدين مصيبة الحسين عليه السلام... إنّ الله تعالى لم يترك شيئاً كان أو يكون من أوّل الدهر إلى آخره إلّا وقد فسّره لموسى عليه السلام... ثمّ مثّل لآدم عليه السلام مقتل الحسين ومصرعه.

(٢) علل الشرائع للصدوق ١: ١٦٠، الباب ١٢٩، الحديث ١.

وفيه: عن أبي حمزة الثمالي: سألت أبا جعفر الباقر عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: يابن رسول الله، فلستم كلكم قائمين بالحق؟ قال: «بلى».

قلت: فلما سمّي القائم قائماً؟

قال: «لما قتل جدي الحسين عليه السلام ضجّت عليه الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب، وقالوا: إلهنا وسيّدنا أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك، وخيرتك من خلقك؟! فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم : قرّوا ملائكتي، فوعزتي وجلالي لانتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عزّ وجلّ عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ : بذلك القائم أنتقم منهم».

(٣) روضة الواعظين للفتّال النيسابوري: ١٥١، مجلس في ذكر وفاة فاطمة الزهراء عليها السلام وفيه: قال أمير المؤمنين عليه السلام : « أربعة ليس إلى فراقهنّ سبيل: بنت أمامة أوصتني بها فاطمة، ثمّ قالت : أوصيك يابن عمّ أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيتُ الملائكة صوّروا صورته»، فقال لها: «صفيه إليّ»، فوصفته، فاتخذه لها، فأوّل نعش عمل في وجه الأرض بذلك، وما رأى أحد قبله ولا عمل أحد.

وما جاء كذلك في الأخبار الكثيرة، ومنها حكاية الخضر وموسى عليهما السلام وهي باختصار:

أنّ النبيّ موسى عليه السلام خطب يوماً في بني إسرائيل خطبة في منتهى الكمال والبلاغة، والفصاحة والبراعة، والسلامة في الإنشاء، فتعجّب بنو إسرائيل من ذلك فقالوا له: هل يوجد من هو أعلم منك؟

فقال عليه السلام: إنّي لا أعلم أحداً أعلم مني، فجاءه النداء من جانب الذات الأحديّة جلّت عظمته: أن يا موسى إنّي خلقْت من نوري عباداً في كامل الصفاء والبهاء، فهم مظهر علمي.

فقال موسى عليه السلام: ومن هؤلاء الذين هم أعلم وأفضل الخلق؟

فجاءه النداء: إذهب إلى الجزيرة بجانب البحر حيث عبدنا الصالح الخضر عليه السلام كي تتعلّم أسماء وفضائل ومناقب الأشخاص المقرّبين منّا.

فذهب النبيّ موسى عليه السلام إلى تلك الناحية التي فيها الخضر عليه السلام، فوجده في الجزيرة التي كانت بجانب البحر، وبعد السلام والتحية قال له: إنّي أمرتُ إن أتتلمذ على يديك، وأتعلّم منك أسرار الحقّ.

فأبى الخضر ذلك في باديء الأمر وقال: إنّك لا تطق ذلك[1]، كما جاء في الحديث بأنّه «حديثنا صعب مستصعب لا يتحمّله إلّا ملك مقرّب أو نبيّ مرسل، أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان»[2].

---

(١) انظر: تفسير القمي ٢: ٣٧، سورة الكهف (١٨) ذيل الآية ٦٠، علل الشرائع للصدوق ١: ٥٩، الباب ٥٤، الحديث ١، بتفاوت كبير.

(٢) بصائر الدرجات للصفّار: ٤٢، الجزء الأول، الباب ١١، الحديث ١١، وانظر: أحاديث الباب، وكذا الأبواب التي قبل هذا الباب.

وفي موضع آخر يقول: «حديثنا سر مقنّع بالسّر»[١].

وما أمر موسى عليه السلام بتعلّمه إنّما هي الفضائل والمراتب العالية، والدرجات المتعالية لمحمّد وآل محمّد عليهم السلام، كما جاء في الروايات المستفيضة، بل المتواترة في كتب الأحبّاء، لاسيّما الكافي والوافي والبحار، حيث ذكرت أنّ التفاوت بين مراتب الأنبياء ودرجاتهم إنّما يكون بقدر معرفتهم لشؤون ومقامات محمّد وآل محمّد عليهم السلام[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: لا، لم يعلم الكروبيّين من فضائلنا ومناقبنا الّا القليل»، وهي إشارة إلى أنّ فضائل آل محمّد عليهم السلام لا منتهى لها ولا عدد حتّى لو بلغ حدّاً من الكثرة، فإنّ المليون والبليون والكاتراليون والكتليون مثلاً أعداد أيضاً، ولا يطلق على عدد أنه غير متناه ولو كثر.

---

(١) لم أعثر على حديث بهذا اللفظ، إنّما هو بلفظ : «إنّ أمرنا سرّ في سرّ، وسرّ مستسر، وسرّ لا يفيد إلّا سرّ، وسرّ على سرّ، وسرّ مقنع بسرّ».

أو: «إنّ أمرنا هذا مستور مقنع بالميثاق، من هتكه أذلّه الله».

أو: «إنّ أمرنا هو الحقّ وحقّ الحقّ، وهو الظاهر وباطن الباطن، وهو السرّ، وسرّ السرّ، وسرّ المستسر، وسرّ مقنع بالسرّ».

انظر: بصائر الدرجات: ٤٨ ـ ٤٩، الجزء الأوّل، نادر من الباب في أنّ علم آل محمّد عليهم السلام سرّ مستسر، الحديث ١ إلى ٤.

(٢) انظر: بصائر الدرجات للصفّار: ٩٠، الجزء الثاني، الباب ٧ –٨، مدينة المعاجز للبحراني ١: ٥٧، الباب الأول، الثاني: أنّ علياً عليه السلام سمّي أمير المؤمنين...، وبحار الأنوار للمجلسي ٥: ٢٢٥، الباب ١٠.

وانظر أيضاً : الهداية للصدوق: ٢٥، الباب ٢، والاعتقادات له أيضاً : ٩٣، الباب ٣٥.

وما علمه الملائكة المقرّبون والأنبياء المرسلون ـ كإبراهيم الخليل عليه السلام، وموسى الكليم عليه السلام، ونوح نجيّ الله وعيسى روح الله عليهما السلام ـ من فضائل ومناقب آل محمّد صلى الله عليه وآله إنّما هو قليل من كثير، لأنّ كمالاتهم موصولة بقدس الكمالات الإلهيّة التي لا انتهاء لمثلها، ولذا قال العلماء الراسخون والحكماء الشامخون: الواجب فوق مالا يتناهى بما لا يتناهى مدّةً وعدّةً وشدّةً.

وإنّ قميصاً خيط من نسج تسعةٍ وعشرين حرفاً عن معاليك قاصر[1].

هذا، وقد قال النبي الخاتم صلى الله عليه وآله: «يا علي، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلّا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا»[2].

فمعرفة مراتب ودرجات آل محمّد صلى الله عليه وآله إذاً أمر مشكل، ولذا كان ـ أي الخضر عليه السلام ـ يأبى عن تعليمها ويمتنع، وقال: يا موسى، إنّي أخاف أنّك لا

---

(١) ينسب الشعر إلى بعض الشعراء أو العرفاء، انظر: سلافة العصر في محاسن الشعر بكلّ عصر للسيّد علي صدر الدين المدني: ٥٦٣، الإلهيات للسبحاني: ١٠٢، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية للإمام الخميني: ١٤.

في أحد المواقع الالكترونية نُسب هذا البيت إلى محمّد جواد بن عبد الرضا عوّاد البغدادي، أديب شيعي من أهل بغداد، وبها وفاته، له ديوان شعر صغير بمكتبة السيّد الحكيم العامّة بالنجف الأشرف.

انظر ترجمة الشاعر: في أعيان الشيعة ٤: ٢٧٣، والأعلام للزركلي ٦: ٧٤.

(٢) وردت الرواية في كتابي الحسن بن سليمان الحلّي مختصر بصائر الدرجات: ١٢٥، المختصر: ٧٨، الحديث١١٣، وتأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ١: ١٣٩، وانظر: مناقب آل أبي طالب٣: ٦٠.

تطيق ذلك، وبعد أن بان عجز موسى عليه السلام وضعفه توسّل إلى الخضر وأقسم عليه حتّى أرضاه وأقنعه بحسن حديثه ولطيف كلامه، وقد قال الأدباء: لا شبكة أصيد من لسان، ولا صيد أعظم من إنسان، شتّان بين من صاد إنسيّاً بلسانه، وبين من صاد وحشيّاً بحباله[1]، فانشغلا بالعلم والتعليم والمذاكرة.

---

(١) انظر: يتيمة الدهر للثعالبي ٤: ٢٢٧.

[البكاء على الإمام المظلوم موجب لغفران الذنوب]

وإنّما علّم الخضر موسى ذلك كي يصل إلى مقام التخلية[1]، البكاء على الإمام المظلوم موجب لغفران الذنوب حيث إنّه شرح له مصائب الإمام خامس أهل الكساء عليهم السلام، وما يجري من وقائع ورزايا في عرصة كربلاء، وأراه مثالاً للطفّ، فتعالى صراخ النبيّ موسى عليه السلام وتخلّى بذلك حتّى نال المقامات العالية والدرجات المتسامية اللائقة به[2].

وكيف لا يسعه أن ينال الأسرار الإلهية وغوامض العلوم الربّانية، وقد قال الذي هو بالحقّ ناطق الإمام جعفر الصادق عليه السلام «من بكى على الحسين ولو مثل

---

(١) انظر: فصوص الحكم لابن عربي ١: ٢٠٥، فصّ ٢٥، والتخلية هي: خلوّ الباطن من السوء وجميع الأمور التي تمنع الإنسان من الخالق. انظر: العرفان الشيعي: ٢١٧.

(٢) لم أجد مصدره، نعم هناك رواية في البحار ١٣: ٢٧٩، ٣٠١، ٣٠٦ تذكر فيها لقاء موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام، وإخبار الخضر لموسى بما يصيب آل محمّد من البلاء.

جناح الذبابة غفر الله له ذنوبه ولـو كانـت بعـدد ورق الأشـجار، وقطـر الأمطـار، ورمل القفار، وزبد البحار»[١].

فإذا كان البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام سـبباً لغفـران كـلّ هـذه الـذنوب، فكيف لا يكون موجباً للتصفية والتحلية، والتخلية والتجلية للنبيّ موسى عليه السلام.

لذا فإنّ موسى عليه السلام لمّا حصـل علـى كـلّ هـذا الكمـال والبهـاء، بواسـطة البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، بذل جهده واشتغل بتعلّم الأسرار اللاهوتيّـة علـى يـد الخضـر عليه السلام، فكـان مثـل الخضـر عليه السلام المفـيض، ومثـل موسـى عليه السلام المستفيض.

(١) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٠٧، الباب ٣٢، الحديث٩، التسلسل٢٩٣، وانظر: الحديث ٢٨٧، ٢٩٧. وفيه : «من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب، غفر لـه ذنوبه ولو كانت مثل زيد البحر».

[حضور أمير المؤمنين علي عليه السلام في عالم الأنوار]

وبينا هما مشغولان بالكلام، وإذ بسرّ آخر من الأسرار الإلهيّة يظهر لهما، حيث شاهدا طائراً طويل المنقار قد وقف على لجّة في وسط البحر وأخذ منها قطرة بمنقاره، ثمّ رمى بها نحو السماء، وأخذ ثانيةً ورمى بها نحو المشرق، وثالثة نحو المغرب، وأخرى جهة الجنوب، ثمّ تلاها بأخرى إلى جهة الشمال، ثمّ قطرة أخيرة ألقاها في وسط البحر، وغاب بعد ذلك، فلم يشاهد له أثر، فتعجّب موسى والخضر عليهما السلام من ذلك وذهلا لمّا رأيا ذلك، ولم يدركان الّا أنّ هذا سرّ من الأسرار الإلهية، ولكن لا يعلما لأيّ شيء يرمز ويشير، وإذا بشاب صبيح الوجه قد ظهر لهم بزَيّ راع الأغنام وقال: أراكما متحيّرين؟!

فقالا: لقد شاهدنا منظراً ولم نفهم معناه.

فقال: إنّ هذا الطائر يشير إلى أن ما أحصيتموه أنتم وأهل السموات والأرضين، والجهات الستة، والطرق العشرة، وما قلتم من مناقب وفضائل وليّ

الكلّ ولي الله، السيّد الذي لا بديل له المولى أمير المؤمنين عليه السلام إنّما هو مثل القطرة من البحر[١].

كتاب فضل تورا آب بحر كافي نسيت
كه تَرْكنم سر انگشت وصفحه بشمارم[٢]

[ترجمته: إنّ كتاب فضلك لا يسعه ماء البحر
فكيف أبلّ أناملي كي أقلّب صفحاته]

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

يك دهان خواهم به پهناى فلك تا بگويم وصف آن رشك ملك[٤]

[ترجمته:
أُريد لساناً بسعة الفلك (السماء) كي أصف محسود المَلَكْ].

---

(١) المختصر للحسن بن سليمان الحلّي: ١٨٠، الحديث٢١٦، بتفاوت كبير.

(٢) هذا البيت منسوب إلى الشاعر سعد الدين مسعود الأميري المعروف بالخواجة أرجاسب، من فضلاء تلاميذ المحقّق جلال الدين الدواني الذي توفي (٩٠٧هـ) ومعاصر الشاه إسماعيل الفاتح الذي توفي (٩٣٠هـ)، وقتل بتحريك الشاه قوام الدين النور بخشي.
ونقل بعض قصائده في مديح الصفوية ووزرائهم وجملة من غزلياته. ونقل أيضاً (ساقي نامه) له، وكلّها بالفارسية، وتخلّصه في آخر غزلياته بباء النسبة أميري.
انظر: الذريعة لآغا بزرگ الطهراني، ج٩ ق١: ٩٧ ـ ٩٨، برقم٥٩٨.

(٣) سورة لقمان (٣١): ٢٧.

(٤) المثنوي المعنوي للمولوي: الدفتر الخامس، الشعر برقم٧٤.

وقد جاء في بعض الأخبار المعتبرة : أنّ الشاب الذي ظهر لهم بزيٍّ الراعي كان هو المولى أمير المؤمنينعليه السلام، ولا عجب في ذلك؛ لأنّ مقتضى الأخبار المستفيضة، بل المتواترة، أنّ هذا السيّد كان موجوداً مع جميع الأنبياء والمرسلين في عالم الأنوار، وقد أعانهم ونصرهم(١)، كما جاء في النبويّ الشريف واللسان المعبّر بالبيان المعجز الصادر عن خاتم الأنبياء وسند الأصفياء محمّدصلى الله عليه وآله، بعد رجوعه من غزوة تبوك، ومحلّ الشاهد فيه قولهصلى الله عليه وآله : «يا عليّ، إنّ الله نصر بك الأنبياء سرّاً، ونصرني بك سرّاً وعلانية»(٢).

وقول نفس المولىعليه السلام أيضاً: «لا يستكمل أحد الإيمان حتّى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية»(٣).

ومعنى النورانيّة فيهعليه السلام ـ كما بيّنها خاتم الحكماء والمجتهدين، جناب المجلسيرحمه الله في مجلّدات البحار، في مواضع كثيرة وموارد غير معدودة ـ هي : أنّ نعتقد حضور المولى أمير المؤمنينعليه السلام مع جميع الأنبياء والأولياء في عالم المعاني، وأنّه كان يساعدهم وينصرهم في حقيقة الدين، والدعوة إلى التوحيد،

---

(١) مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١٢٢، ٢٦، مدينة المعاجز ١: ١٤٣، الحديث٨١، الأنوار النعمانية ١: ٣١.

(٢) الأنوار النعمانية ١: ٣٠، نور علوي برقم١١، كذا ذكرت هذه الرواية وأشباها في البيت لبعض العرفاء مرسلاً. انظر: مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية: ٧٧، شرح مثنوي لملاّ هادي السبزواري ١: ١٥٨، زبدة التفاسير لفتح الله الكاشاني ٧: ٢٦٩، سورة الإنسان (٧٦) ذيل الآية ٢. نفحات الأزهار ٥: ١١١، عن معارج العلي (مخطوط).

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ١، الباب ١٣، الحديث١، مناقب آل أبي طالب ٢: ٧٩.

وإعلاء كلمة الحقّ، وبسط العدل، وخصوصاً النبي الخاتم صلى الله عليه وآله الذي كان له ناصراً ومعيناً في الظاهر والباطن.

كما أنّ إحدى فقرات الزيارة الغديريّة تشهد على الحال، وتصدّق المقال، حيث جاء فيها: «شهدتَ مع النبي صلى الله عليه وآله جميع حروبه ومغازيه، تحملُ الراية أمامه، وتضربَ بالسيف قدّامه»[1].

(١) المزار للمشهدي: ٢٧٥، القسم الثالث، الباب١٣، الزيارة برقم١٢ لأمير المؤمنين عليه السلام في يوم الغدير.

[في فتح وادي تبوك على يد أمير المؤمنين عليه السلام]

ومن جملة ذلك ـ أي من مصاديق معرفته عليه السلام بالنورانيّة ـ غزوة تبوك المعروفة، ومجملها : أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما عزم أن يتحرّك صوب تبوك، أخبر بأنّ جماعة من رؤوس الشرك قد اجتمعوا في منطقة كذا، واستعدوا أن يغيروا على المدينة، منتظرين خروجك وجيشك منها، فطلب النبي صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً له: «يا علي، إنّ المدينة عورة لا يصلح لها الّا أنا أو أنت»[1].

يعني أنّ المدينة معرّضة للخطر ولا يستطيع أحد أن يحفظها الّا أنا أو أنت، فالأنسب أن تبقى بها، فيكون لك أجر أكثر من أجر المجاهدين.

فقال عليه السلام : «حبّا وكرامةً يا رسول الله» «رضيت وسأحفظ المدينة بعون الله».

---

(١) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ٩: ٣٢.

فانطلق الرسولﷺ بجيشه الجرّار، وبقي حيدر الكرار في المدينة مع جمع من كبار الصحابة أمثال سلمان رضي الله عنه(١).

ويقال: إنّ سلمان كان قد اصطحب الإمام المولى عليه السلام يوماً في إحدى حدائق النخل، فصعد الإمام عليه السلام على نخلة وكان يكسر من كربها ويرميه إلى الأرض كي يأخذه سلمان إلى المنزل لغرض الطبخ ونحوه، وإذا بصوت حزين يرفعه الإمام عليه السلام، قائلاً: «لبيك لبيك، ها أنا ذا بين يديك، مرني يا رسول الله».

يقول سلمان : فقلت: ما الخبر؟

فقال عليه السلام: «يا سلمان، إنّ جيش رسول الله قد انكسر وهو يدعوني إلى نصرته»، فنزل ودخل إلى حجرة الطاهرة المطهّرة عليها السلام وتقلّد بسيفه ذي الفقار وخرج مغضباً.

قال سلمان: فقلتُ : أريد أن أكون معك.

قال عليه السلام: «ضع قدمك موضع قدمي».

قال: فما عددتُ عليه الّا سبعة عشر قدماً فإذا نحن بوادي تبوك، فصاح بهم أبو الحسن عليه السلام صيحةً دهش منه العسكران وتدكدك الجمعان، ثمّ حمل على المشركين وهم سبعة عشر فرقة، جمعها سبعون ألفاً، فخرقها ومزّقها وبددّ

(١) انظر قصة غزوة تبوك وبقاء أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة: في صحيح البخاري ٥: ١٢٩ كتاب المغازي، باب غزوة تبوك، صحيح مسلم ٧: ١٢٠، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي عليه السلام، تاريخ الطبري ٢: ٣٦٨، أحداث سنة ٩ للهجرة.

شملها، فهو الليث الباسل، والبطل الهلاهل، والهزبر المنازل، الذي ولايته فريضة، ومحبّته فضيلة، واتّباعه إلى الله وسيلة»[(١)].

ثمّ أتى عند النبيّ صلى الله عليه وآله فضمّه النبيّ إلى صدره وقال: «يا عليّ، لمّا انكسر جيشي هبط عليّ الأمين جبرئيل عليه السلام من عند الله عزّ وجلّ يخبّرني بينك وبين خمسة الآف من الملائكة مردفين، وأنا اخترتك لنصرتي».

فقال جبرئيل: «يا محمّد صلى الله عليه وآله، قمْ على ركوةٍ من الأرض ونادِ عليّاً مظهر العجائب تجده عوناً لك في النوائب، يا علي إنّ الله نصر بك الأنبياء سرّاً، ونصرني بك سرّاً وعلانيّة».

ثمّ نزل جبرئيل وقال: «يا رسول الله، إنّ الملائكة لتعجب من مواساة هذا الفتى»!!

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لم لا يكون كذلك وهو أخي، وابن عمّي، وأنا منه وهو منّي»[(٢)].

---

(١) انظر: مدينة المعاجز للبحراني ٢: ٩، الباب ٢٣٣، الحديث ٣٥٤ بتفاوت كبير.

(٢) يبدو أنّ هذه الرواية واردة في عزوة أحد سنة ٢ للهجرة كما في تفسير فرات الكوفي: ٩٣ ـ ٩٦، تفسير سورة آل عمران (٣) الآية ١٤٣، ١٤٤، الحديث ٣٤، التسلسل ٧٨ بتفاوت كبير، وانظر: الكافي ٨: ١١٠، الحديث ٩٠، وغيرهما، وليس فيهما من أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نصر الأنبياء سرّاً ونصر رسول الله صلى الله عليه وآله سرّاً وعلانية.

[مواساة أبي الفضل العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام]

ولم يكن أخ واسى أخاه مثل هذي المواساة إلاّ العبّاس عليه السلام، لمّا اشتد العطش بالحسين عليه السلام ركب على المسناة، والعبّاس أخوه بين يديه، فاعترضته خيل ابن سعد، ورمى رجل من بني دارم سهماً على الحسين عليه السلام فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع السهم وبسط كفيه، فلمّا امتلأتا رمى بالدم وقال: «ربّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك»، ثمّ اقتطع العبّاس عنه وأحاطوا به حتّى قتّلوه، فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً[1].

وفي قول الشاعر:

أحقّ الناس أن يبكى عليه ... فتىً أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده عليٌّ ... أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماءِ[2]

(١) انظر الإرشاد للمفيد ٢: ١٠٩.

(٢) تنسب هذه الأبيات إلى أحد أحفاد أبي الفضل العبّاس عليه السلام، وهو الفضل بن الحسن بن عبيد الله، وكان لسناً فصيحاً، شديد الدين عظيم الشجاعة.

⇦

وهـذه النقطـة تعـدّ ـ عنـد حملـة الأسـرار وكاشـفي الأسـرار مـن العلمـاء الراسخين والحكماء الشـامخين ـ دلـيلاً وبرهانـاً علـى أفضـليّة أبـي الفضـل عليه السلام على سائر الشهداء، علماً بأنّ جناب علي الأكبر أشرف؛ لأنّه فـاطمي، وقـد أتـاه الشرف من جهة الأب والأم، ولكنّ فضل الرتبة وعلوّ المرتبة إنّما يكـون بقـوّة الإيمان وشدّته.

وقد أجمع علماء الشيعة من المتشرّعة وأهل السـلوك أنّ أفضـل الشـهداء بعد سيّدهم ـ روحي وأرواح العالمين له الفداء ـ إمّا أبو الفضل أو علـي الأكبـر، على الخلاف المعروف بين حملة الأسرار ونقلة الأخبار.

ولكنّي أجد أنّ ما ظهر من أحوال قمر بني هاشم أبي الفضل، وبـرز منهـا في مقام الفداء عن أخيه عليه السلام، لم يظهر من أيّ أحد، حتّى السيّد علـي الأكبـر، فقد رجع الأمير علي الأكبر ـ بعد أوّل هجوم ـ من سـاحة الحـرب وقـال: يـا أبـة العطش قد قتلني، وثقل الحديد قد أجهدني، فهل إلـى شـربة مـن المـاء سـبيل. فطلب من أبيه السيّد العظيم ماءً، فبكى الحسين عليه السلام بكاءً شديداً وقال: «يـا بنـي هات لسانك»(١).

⇨

انظر: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لابن عنبة: ٣٥٧، شرح الأخبار للقاضـي المغربـي ٣: ١٩٣، اللهـوف فـي قتلـى الطفـوف لابـن طـاووس: ٧٠، مقاتـل الطـالبين لأبـي الفـرج الأصفهاني: ٥٥.

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم ٥: ١١٤ ـ ١١٥، اللهـوف فـي قتلـى الطفـوف لابـن طـاووس: ٦٧، بحار الأنوار ٤٥: ٤٢ ـ ٤٤.

آسمان چون از عطش گلزار دين را خوار داشت

شبه أحمد در برشه تشنگي اظهار داشت

سقه زبانش در دهن بگرفت وغم بسيار داشت

بلبلي برگ گلي خوش رنگ در منقار داشت

واندران برگ نوا خوشناله هاي زارداشت

[ترجمته: إنّ سماء روضة الدين كانت تحمل أشواكاً من أجل العطش،

وشبيه النبيّ كان يتضوّع من صالية العطش.

فأخذ لسانه في حلقه وهو مغتم كثيراً، كأنّه بلبل قد أخذ في منقاره ورقة جميلة.

وقد حملت هذه الورقة في طيّاتها نغمات وأنين وبكاء، وقد أحسنت الحنين].

[في شهادة قمر بني هاشم أبي الفضل العباس عليه السلام]

فتعال الآن وشاهد عزم أبي الفضل عليه السلام ـ فدت عزمَه أرواح العالمين ـ العزم الذي لم تر عين الزمان نظيره.

لـــه همـــم لا منتهـــى لكبارهـــا وهمّته الصغرى أجلّ من الدهر[1]

لما سمع أطفال أخيه ينادون: «العطش» بأنين، نفذت طاقته، وأقبل على أخيه مطأطأً رأسه، مستأذناً إيّاه في الجهاد، وكان الحسين عليه السلام يعلم بشجاعة هذا الأسد، الذي هو علامة من حيدر الكرار، ولو أُذن له في الجهاد لتفرّق

(١) اختلف في نسبة هذه الأبيات: تارة إلى حسّان بن ثابت الأنصاري، وأخرى إلى بكر بن النطاح في أبي دلف، أو أنّها لأعرابي.

انظر: معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ١: ٢٠٨ ـ ٢٠٩، تاريخ دمشق ٤٩: ١٣٢، ترجمة أبو دلف العجلي برقم ٥٦٧٦، ربيع الأبرار للزمخشري ٤: ٣٧٠، المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي التنوخي: ١١٩.

عسكره وفلّت حدوده، لذا قال له : «فاطلب شربة لهؤلاء الأطفال» يعني: إنّي أبعثك كي تجلب الماء، لا أن تقاتل، فأخذ قربة وانحدر نحو المشرعة، وإذا به يظهر من المكمن يرتجز ويقول: إنّي أنا العبّاس عند الزمجرة[1].

---

(١) اختلف المؤرّخون في نقل أرجوزة أبي الفضل العبّاس، فقد نقلها الفاضل الدربندي في أسرار الشهادة ٢: ٤٩٩ هكذا:

أنا الذي أعرف عند الزمجرة ... ابن علي المسمّى حيدرة

فاثبتوا اليوم لنا يا كفرة ... لعترة الحمد وآل البقرة

بينما يذكرها ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٥٦ هكذا:

لا أرهب الموت إذ الموت رقى ... حتّى أوارى في المصاليت لقا

نفسي لنفس المصطفى الطهر وقا ... إنّي أنا العبّاس أغدوا بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

وذكرها أبو مخنف في مقتله باختلاف يسير: ١٧٩ هكذا:

لا أرهب الموت إذ الموت زقا ... حتّى أوارى في المصاليت لقى

إنّي أنا العبّاس أغدوا بالسقا ... ولا أهاب الموت يوم الملتقى

وفي ينابيع المودّة للقندوزي ٣: ٦٧ هكذا:

أقاتل اليوم بقلب مهتد ... أذبّ عن سبيّ النبيّ أحمد

أضربكم بالصارم المهند ... حتّى تحيدوا عن قتال سيّدي

إنّي أنا العبّاس ذو التودّد ... نجل علي الطاهر المؤيّد

الزمجرة : الصوت، يقال للرجل إذا أكثر الصخب والصياح والزجر، الصحاح للجوهري ٢: ٦٧١ (زجر).

⇦

وقد وُكّل بالفرات أربعة آلاف أو اثنى عشر أو أقلّ أو أكثر، فلما سمعوا صيحة أبي الفضل وشاهدوا وجوده وحسن هيئته على صدر المشرعة تفرّقوا عنها، ولاذوا بالفرار، واختاروه على القرار، وانحدر هو ـ بلا مانع ـ نحو المشرعة، فلمّا وصل إلى الجرف ضرب رمحه بالأرض ولا أعلم إلى أيّ حدّ من الماء قد نفذ رمح مَن كان تذكاراً لشاهد عليّ‌عليه السلام الذي اقتلع باب خيبر وهي سبعون ألف منّاً ـ ونزل من جواده، ثمّ ملأ أولاً القربة ماءً وسدّ فوهتها، ثمّ علّقها تحت فرسه.

فانظر الآن إلى هذا البطل الصنديد، والأمير الذي لم يشرب الماء منذ ثلاثة أيّام، وقد بذل هذا الجهد وهو يعلم أنّه لا يصل إلى الماء بعد هذه المرّة، وأنّ الماء الذي حمله للأطفال قليلٌ لا يكفي في ارتواء الأطفال والصغار، فكيف يروّي عطش الكبار؟!

وكان الأنسب له أن يشرب الماء في مكانه، لمّا ملأ كفّيه وقرّبهما نحوه كي يشرب.

الآن انظر إلى عزمه، الآن انظر إلى شهامته، الآن انظر إلى تضحيته، وشاهد مواساته، ألم تشبه مواساة أبيه امير المؤمنين‌عليه السلام؟!

⇨

وأمّا شطر البيت الذي ذكره المصنّف فلم أجده في أي مصدر من المصادر.

فأحسّ برودة الماء على شفتيه، فذكر عطش أخيه الحسين عليه السلام فرمى الماء من يده وخرج من المشرعة عطشاناً ظامياً[١].

ولم تشاهد هذه الحالة ولا تظهر عند أحدٍ من الشهداء حتّى علي الأكبر، ولذا فإنّ أبا الفضل عليه السلام عزيز على الصدّيقة الطاهرة عليها السلام أكثر من علي الأكبر.

(١) انظر: مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٧٨، ينابيع المودّة للقندوزي ٣: ٦٧، الباب ٦١، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥٦، بحار الأنوار للمجلسي ٤٥: ٣٩ ـ ٤٢، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٣٧.

[في رؤيا العالم المرتاض وما يتعلق بأبي الفضل عليه السلام]

ألم تسمع بأنّ عالماً مرتاضاً حضر عند الخمسة الطيّبين عليهم السلام في عالم الرؤيا، فسمع أمير المؤمنين عليه السلام يخاطب الصدّيقة الطاهرة عليها السلام، قائلاً: ماذا أعددت من وسائل الشفاعة يوم القيامة للعصاة من الأمّة؟

فقالت: يا أبا الحسن، إنّ الكّفين المقطوعتين لولدي أبي الفضل تكفي لشفاعة جميع المذنبين[1].

ولا أعلم يا ربّ إن كان لِكفّي قمر بن هاشم القطيعتين هذه المرتبة من الفضل بحيث تشفع لجميع المذنبين، فما هو حال الكفين اللتين قطعهما الجمّال الملعون ظلماً ليلة الحادي عشر من الجسد[2].

---

(١) انظر: أسرار الشهادة للفاضل الدربندي ٢: ٥١٤.

(٢) انظر: مدينة المعاجز للبحراني ٤: ٦٧، الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٠٧، الباب الخامس، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١١٥، الفصل١٢ الحديث٤٨.

وعليه فقد ثبت بعد هذه المقدّمات المقام النوراني لآل محمّد صلّى الله عليه وآله، واتضح أنّ الشاب النوراني الذي ظهر بزيّ الراعي وأخذ يعلّم النبي موسى عليه السلام والخضر إنّما كان أمير المؤمنين عليه السلام.

(وما كان ربّاً ولكن ليس من بشر).

وهنا استشكال عظيم، ترك الأفهام صرعى والعقول حيارى، فاختار كلّ مهرباً.

وقد أورد جماعة من علماء الدين إشكالاً في المقام وصورته:

بأنّ موسى (على نبيّنا وعليه السلام) كان نبيّاً من أنبياء أولي العزم، فكيف يكتسب علماً من الخضر عليه السلام، والحال أنّ مقام المتعلّم أسمى من مقام المعلّم[1].

(١) ذكر هذا الإشكال جمع من المفسّرين، انظر: التبيان للطوسي ٧: ٧٠، مجمع البيان للطبرسي ٦: ٣٦٧، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١١: ١٧، تفسير روح المعاني للآلوسي ١٥: ٣٣١.

[جواب على إشكال تعلّم موسى عليه السلام من الخضر عليه السلام]

وقد أجاب جمع من العلماء بأنّه يظهر من هذا الأمر الخفيّ أنّ موسى عليه السلام كان يحمل علم الشريعة، والخضر يحمل علم الطريقة، وقد تعلّمه موسى عليه السلام من الخضر.

وهذا الجواب يلوح عليه أثر الإهمال؛ لأنّ الأنبياء ـ أولي العزم ـ بل مطلق الأنبياء، بل الأولياء والعلماء يجب أن يحملوا علم الظاهر والباطن والطريقة والشريعة[1].

قال النبي صلى الله عليه وآله: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل رأس ديني، والشرف مركبي، والعلم سلاحي، والحلم حاجتي، والتوكّل زادي، والقناعة كنزي، والخوف رفيقي، والصدق منزلي ومأواي، والفقر فخري وبه افتخر على الأنبياء»[2].

---

(١) انظر: شرح فصوص الحكم لعبد الرزّاق الكاشاني: ٣١٥، فص برقم٢٥.

(٢) عوالي اللئالي ١٢٥، الحديث ٢١٢، وفيه: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي».

⇦

فقيهـــي گرنـــدارد ذوق عرفـــان   سـفيهش گـر بخـواني نيسـت عصـيان
أگـر عـارف نـدارد فقـه وحكمـت   بـود در ديـن ودر عقلـش سـخافت
شـريعت بـا طريقـت هسـت تـؤام   يكـي چـون مغـز و ديگـر قشـر محكـم

[ترجمته:

الفقيـه إذا لـم يكـن لـه ذوق عرفـاني   فوصـفه بالسـفيه لـيس بالعصـيان
والعارف إذا لم يكن عنده فقه وحكمة   ففـي دينـه وعقلـه الخفّـة والسـخافة
والشـريعة والطريقـة توأمـان   أحـدهما يمثّـل اللـبّ والآخـر القشـر

فكيف بالنبيّ موسى عليه السلام على جلالة قدره، أن يجهل علم الطريقة، الذي هو عبارة عن علم تهذيب الأخلاق المنقسم إلى مراحل أربع، وهي: التخلية، والتجلية، والتحلية، والفناء(١).

⇨

وفي مستدرك الوسائل ١١: ١٧٣، باب ٤ من أبواب جهاد النفس ومايناسبه، الحديث٨، التسلسل ١٢٦٧٢: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني، والحبّ أساسي، والشوق مركبي، والخوف رفيقي، والعلم سلاحي، والحلم صاحبي، والتوكل زادي، [ردائي خ] والقناعة كنزي، والصدق منزلي، واليقين مأواي، والفقر فخري، وبه افتخر على سائر الأنبياء والمرسلين».

(١) يعتقد أهل العرفان والتصوّف بثلاث مراحل للسير والسلوك من أجل الوصول إلى كمال الحقيقة، وتجلّي نور الحقّ في قلب السالك وهي: مرحلة التخلية، ومرحلة التحلية، ومرحلة التجلية.

التخلية: هي خلّو الباطن من السوء، وجميع الأمور التي تمنع الإنسان من الخالق.

التحلية: هي تحلّي النفس بالصفات الحميدة، والفضائل الإنسانية.

التجلية: هي تجلّي الخالق وإشراق نور الحقّ في قلب السالك.

⇦

ومن لم يكن واجداً ومرتقياً لهذه المراحل لا يكن ولياً من أولياء الله تعالى، ومن لم يكن ولياً لا يكون نبيّاً، فضلاً عن كونه من الأنبياء أولي العزم.

وقال جمع ممّن لا تحصيل له : إنّ موسى هذا غير موسى ذلك أخ هارون[1].

وفيه : إنّ هذا مخالف لإجماع المفسّرين من العامّة والخاصّة، وإن شئت قولاً فصلاً وبياناً جزلاً فاستمع لما يوحى إليك من ألسنة القلم، والمزبّر في صفحات اللوح والمصدر[2].

وتحقيق القول فيه: أنّ حملة أسرار آل محمّدﷺ نقلوا من ألسنة العصمة أنّ جميع الأنبياء والأولياء، ما عدا محمّد وآل محمّدﷺ يستكملون مراتبهم، ويجذبون الفيوضات الحقّة تدريجاً، حتّى يصلوا إلى الكمال الذي ينبغي ويليق بهم، فيستدعي لذلك مدّةً مديدة، وعهداً طويلاً كما جاء في هذه

⇨

الفناء: هو فناء السالك ذاته وصفاته وأفعاله في ذات تعالى صفاته وأفعاله بحيث لا يرى إلّا الله تعالى ولا يرى نفسه.

انظر: العرفان الشيعي: ١٧٧، ٢١٧، ٢٥٠.

(١) هو موسى بن ميشا بن يوسف، وكان نبيّاً في بني اسرائيل قبل موسى بن عمران.

انظر: تفسير الرازي ٢١: ١٤٣، المستدرك على الصحيحين ٢: ٥٧٣، التبيان للطوسي ٧: ٨٢، تفسير الطبري ١٥: ٣٤٧، الحديث ١٧٤٩٤.

(٢) انظر: مقدّمة فتح الباري لابن حجر: ٣١١، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٢: ٣٠٤، تفسير السمرقندي ٢: ٣٥٣.

الآيـة: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾(١) شـهادة على الحال ومصدّقاً للمقال.

سـحر گـه رهـروى در سـرزمينى   همـى گفـت ايـن معمّـا بـاقرينى
كـه أى صـوفى شـراب آنگـه شـود   كـه در شيشـه بمانـد أربعينـى(٢)

[ترجمته: في وقت السحر قال عابر الطريق لقرينه هذا اللغز.

يـا صـوفي يكـون الخمـر صـافياً   إذا بقـى فـى الزجاجـة أربعـين يومـاً]

وعليه فإنّ موسى عليه السلام لم يكن من أولي العزم في بداية وجوده، بل لمّا ارتاض مدّة طويلة، وأخذ العلوم من الخضر عليه السلام وغيره، ارتقى في مدارج الكمال، كما أنّه اشتغل بالتعلّم لمدّة طويلة من الزمن على يد النبيّ شعيب عليه السلام(٣).

شـبان وادى أيمـن گهـى رسـد بمـراد   كـه چنـد سـال بجـان خـدمت شـعيب

[ترجمته: إنّ راعي الواد الأيمن لا يصل إلى مراده، إلّا بعد أن يخدم شعيباً بنفسه].

---

(١) الكهف (١٨): ٢٥.

(٢) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ٤٨٣، وفي بعض النسخ (بر آرد) بدل (بماند).

(٣) انظر بحار الأنوار ١٣: ١٩، كتاب النبوّة، أبواب قصص موسى وهارون عليهما السلام، الباب٢، وص٢٧٨، الباب١٠.

(٤) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ١٨٨.

[شفاعة الصديقة الطاهرةعليها السلام في يوم المحشر]

وعمدة الدرجات التي ارتقى إليها موسىعليه السلام، إنّما كانت بسبب مشاهدته مثال عرصة الطفّ وما يكون فيها من الرزايا والمحن، التي كان يضجّ لها بالبكاء، فيرقى لذلك، وتحصل له التصفية والتجلية فوق التحلية.

كما أنّ أكثر الأنبياء والأولياء طلبوا من الله ـ جلّت قدرته ـ أن يريهم شبيه ومثال عرصة الطفّ، فقد روى ـ في خصوص هذا الأمر ـ الشيخ الصدوقرحمه الله في العلل، والأمالي والإكمال وعيون أخبار الرضاعليه السلام، والسيّد المرتضى في عيون المعجزات، وابن شهرآشوب في المناقب، وأحمد ابن أبي طالب الطبرسي في الاحتجاج، والفضل بن الحسن الطبرسي في مجمع البيان، وعلي ابن موسى بن طاووس في الإقبال، وغيرهم من أعيان الطائفة ورؤساء الملّة، وعلماء المذهب الجعفري ـ قدّس الله أسرارهم ـ في مؤلّفاتهم ومصنفاتهم، بأن في يوم القيامة يوجّه الخطاب الإلهي من الذات الأحديّة ـ

جلّت قدرته ـ إلى شفيعة المحشر جدّتي الزهراء المرضيّة ـ سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها ـ قائلاً: «أدخلي الجنة».

فتقول: «إلهي لا أدخلها حتّى أرى ما صنع بولدي الحسين عليه السلام».

فيأتيها النداء : «يا فاطمة، انظري إلى قلب المحشر، فتظهر أمامها جميع أحداث الطفّ وتشابيهه، وتتجلى لها في قلب المحشر»[1].

---

(١) انظر: ثواب الأعمال وعقاب الأعمال للصدوق: ٢١٧.

[قصة السلطان قيس]

ومن هذا القبيل أيضاً قصّة السلطان قيس، التي وقعت له في يوم عاشوراء، كما يرويها جمع من أساطين المنبر ـ مرسلةً ـ عن علماء الهند[1]، والقصّة هي:

أنّ في سنة واحد وستين في ناحية من نواحي الهند، كان هناك سلطان يدعى قيس، وكان وثنياً عابداً للصنم، ولكنه عادلاً في حكمه وسياسته، وكانت حكومته ودولته تتمتع بكمال النظام لعدالته، كما أنّه كان يمتاز على سائر الحكام والسلاطين المعاصرين له.

---

(١) هذه القصّة وردت في كتاب جواهر الأخبار ـ فارسي ـ في المواعظ والأخلاق للآخوند المولى محمّد حسين بن عبد الله بن فصيح الخوانساري، وفي الباب الرابع والعشرين ذكر حكاية سلطان قيس الهندي.

انظر: الذريعة لآقا بزرك الطهراني ٢٦: ٢٦١ برقم ١٣١٣.

(ملاحظة: هذه القصّة أيضاً وردت في طوفان البكاء للجوهري، ومجالس المتقين لمحمّد تقي البرغاني، ومرقاة الإيقان للگنجوي. انظر: موقع انديشه قم).

والملاك في استحكام قوّة السلطة والرقي في الحكومة والأمّة إنّما هو العدالة ليس إلّا، ولذا قال المولى أمير المؤمنين عليه السلام: «العالم بستان سياحة الدولة، والدولة سلطان تحيى به السنّة، والسنّة سياسة يسوس بها الملك، والملك نظام يعضده الجُند، والجُند عوان يكفلهم المال، والمال رزق يجمعه الرعية، والرعية عبيد يكتفهم العدل، والعدل معروف وبه نظام العالم»[1].

كلّ مُلكٍ فيه للظلم لواء طلّق أيّامه قصاراً قلّلا

قال عليه السلام: «الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم»[2].

---

(١) هذه الكلمات تنسب تارة إلى أرسطو طاليس، انظر: الآداب الشرعية لابن مفلح المقدسي (ت٧٦٣) ١: ٢٠١ (الشاملة)، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس لابن الحداد (ت٦٧٣هـ) ١: ١٢٤ (الشاملة).

أو أنّها لموبذان وآنوشروان، نقلها أرسطو في كتابه المنسوب إليه في السياسة، انظر: تاريخ ابن خلدون ١: ٣٩.

أو أنّ كسرى آنوشروان طلب من بزرگمهر أن يبني له قبة ويكتب عليها كلمات ينتفع بها، فبناها وكتب هذا في طرازها. انظر: المنهج المسلوك في سياسة الملوك لعبد الرحمن الشيزري (ت٥٨٩هـ) ١: ٢٤٨ (الشاملة).

ولم أجد من نسبها إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

(٢) اختلف في نسبة هذا القول: فنسب تارة إلى النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله، كما يظهر ذلك من معارج اليقين في أصول الدين للشيخ محمّد السبزواري: ٣٢٧، الفصل ٧٥، الحديث ٥، تسلسل ٩٢٠.

وفي تفسير الرازي ١٨: ٧٦، قال: وفي الأثر.

⇦

فكان هذا الحاكم عادلاً على كفره، وكان بعض ملازميه مسلمين فلا ينالهم بسوء، وبالخصوص أحد خدمه المقرّبين الذي كان مسموع الرأي، وأمين السرّ لديه ولم يفارقه في سفر ولا حضر، بل كان حاضراً عنده دائماً.

وبما أنّ حكومة هذا السلطان كانت تتمتع بكمال النظام، لذا كان شديد الحرص عليها، ومن جهة أُخرى كان يفكّر لمن تكون من بعده ومن يتسلمها خلافه، وليس له ولد ذكر حتّى يجعله ولياً للعهد، حتّى رزقه الله تعالى من بعد سنوات ولداً ذكراً فاعتنى بشأنه كثيراً، وزيّن البلدة لقدومه، وكان الجميع فرحاً ومسروراً به، ثمّ جعل له عناية خاصّة في تربيته، وكان يُوصي به مكرّراً حتّى بلغ السنتين واستطاع أن يمشي وكان مدللاً ومحبوباً لأبويه.

فعزم السلطان ذات يوم أن يخرج للصيد وإذا بخشفةٍ[1] تلوح له، فأمر بصيدها وجلبها حيّة لطفله الصغير فأحاط بها الفرسان من جميع الجهات، وإذا بها تريد أن تعدو وتفرّ من بين أكتاف الفرسان، فأمر الملك أن يتنبّه الفرسان إليها، وكلّ فارس يسدّ عليها الطريق من جهته حتّى يأتي بها حيّة، وألّا فيصلب بأمر لازم الإذعان من السلطان، ولكن هذه الخشفة تمكّنت ـ بحكم القضاء ـ

⇨

وفي تفسير البيضاوي ٣: ١٥٢ لم ينسبه إلى قائل معيّن، وكذا في تفسير أبي السعود ٤: ٢٤٧، وتفسير الآلوسي ١٢: ١٦٣..

أمّا في ربيع الأبرار للزمخشري ٣: ٣١٢ نسبه إلى النجاشي، وكذا في التذكرة الحمدونية ١: ٣١٣، الحديث ٨٣٣.

(١) الخشفة: ولد الغزال، القاموس المحيط ٣: ١٣٣ «خشف».

أن تسحب نفسها من يبن يدي السلطان وخادمه المسلم وتعدوا أمامهما وتهرب، فأمر السلطان العسكر أن لا يتعّقبها منهم أحد، بل يكون هو الذي يلاحقها حتّى يمسكها بنفسه، فحمل بفرسه ساعة حتّى ابتعد عن العسكر فوصل إلى غابة، فلمّا تراءى له وادٍ من قصب أخفت الخشفة نفسها في الغابة وإذا به يسمع زئير أسدٍ من بين وادي القصب فتوقفت الخيل وبهتت عند سماعه

اسب داند رنگ وبوي شير را   كر چه حيوان است إلّا نادرا
بل عدوي خويش را هر جا نور   خودشنا سد از نشان وأز أثر[1]

[ترجمة: أنّ الفرس يعرف الأسد من لونه ورائحته، وصحيح أنّ الفرس حيوان لكنه نادر الوجود، بل أنّ كلّ حيوان يعرف عدوّه وعنده منه علامة وأثر].

فلمّا سمع السلطان زئير الأسد ارتهب وخاف كثيراً فوضع رجله على ركاب الفرس كي يهرب وينجّي نفسه من هذه الورطة، وإذا بالفرس لا يتحرّك، فدهش السلطان، والتفت إلى خادمه، قائلاً: سنهلك في هذا الوادي وليس لنا إلّا أن نتوسّل بآلهتنا، فشرع السلطان بذكر أصنامه، والتضرّع إليها، وإذا بالأسد يتوجه نحوهما، وكلّما زاد توسل السلطان بآلهته زاد اقتراب الأسد نحوه واشتد زئيره، حتّى أمسى السلطان شبحاً من شدّة الخوف.

---

(١) المثنوي المعنوي لجلال الدين الرومي: الدفتر الثالث، برقم ١٧٤ في المصدر (بانگ) بدل (رنگ)، و(بداند) بدل، (شناسد) بانگ بمعنى النداء.

فقال له خادمه المسلم: لماذا تتوسّل بأسماء ليست إلّا جماداً صرفاً لا تضرّ ولا تنفع أبداً، وما هي إلاّ تماثيل صنعناها بأيدينا ﴿**أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾(١)؟، الله تعالى واجب الوجود، ومجمع جميع الكمالات، وأسمى من كلّ وهم وخيال، والمنزّه عن مشاهدة العيان.

أزمّة الأمور طرّاً بيده   والكلّ مستمدّة من مدده(٢)

زهي خلاق جانبخشان   زهي رزّاق إنس وجان

خداوند خدا وندان   جهان بان جهان آرا(٣)

[ترجمته: تبارك الخلاّق الذي يعطي الروح، تبارك رزّاق الإنس والجان، إله الألهة، حارس العالم ومصوّره].

الذي أرسل رسولاً وهو في المدينة الطيّبة، وجعل بعد وفاته صلى الله عليه وآله أولاده أئمة للزمان وخلفاء للرحمن، وواسطة في فيض العالم والعالمين، وكلّ من يقع في شدّة وبليّة لابدّ أن يلتجأ إليهم ويطلب منهم العون.

فقال السلطان من شدّة خوفه واضطرابه: ما اسم هؤلاء؟ وأين هم؟

---

(١) الصافات (٣٧): ٩٥ ـ ٩٦.

(٢) من منظومة ملاّ هادي السبزواري، انظر: شرح المنظومة ٢: ٣٥، قسم الحكمة.

(٣) هذه الأبيات لفضل الله عبد النبي الشريفي الحسيني الشيرازي، والمعروف بالخاوري الشيرازي، له ديوان شعر باسم مهر خاوري، ومطلع قصائده هذا البيت:

زهي رزّاق أنس وجان   خهى خلاّق جان بخشا

خداوند خداوندان   جهان بان جهان آرا

انظر: موقع المكتبة الوطنية باسم كتابخانه واسناد رقمي.

فقال الخادم: إنّ من جملتهم إمام هذا العصر وهو الحسين بن علي عليهما السلام فهو في المدينة الطيّبة، ولم يعلم هذا المسكين أنّ الإمام عليه السلام قصد العراق، وهو فعلاً وحيداً فريداً في ميدان المحنة، وها هو نداء أنينه الغريب مرفوعاً بـ«هل من ناصر ينصرنا»[1].

فقال السلطان : وماذا أقول؟

قال الخادم: توجّه بوجهك نحو المدينة الطيّبة وناد : المستغاث بك يا خليفة الرحمن، ويا إمام الزمان، أدركني يا أبا عبد الله، ولا تهلكني يا حسين يا حسين يا حسين.

فلمّا قال السلطان هذه الكلمات بقلب خاشع، سمع بأذن قلبه الصوت الجذّاب من الإمام عليه السلام وهو يقول: لا تخف ولا تحزن فقد أتيتك».

وأنتم أيّها الشيعة يمكنكم ـ إذ وصلتم إلى درجة الخضوع والإخلاص ـ أن تنادوا الإمام المظلوم من صميم قلوبكم، وتقصدونه في مهماتكم الدنيويّة والأخرويّة؛ فإنّه كريم، هذا الحسين الذي أغاث السلطان قيس في الهند وأنجاه، من محنته في كربلاء، وفي وسط ميدان البلاء، وجسمه المقطّع إرباً إرباً.

---

(١) ورد في المصادر أنّ الحسين عليه السلام قال: «أما من مغيث يغيثنا لوجه الله؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله؟»

انظر: الفتوح لابن أعثم ٥: ١٠١، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٦١.

وفي كتاب المنتخب للطريحي ٣٧٩: «هل من راحم يرحم آل الرسول المختار؟ هل من ناصر ينصر الذريّة الأطهار؟ هل من مجير لأبناء البتول؟ هل من ذابّ يذّب عن حرم الرسول»؟

فرأى السلطان قيس فارساً كأنّه الشمس المشرقة في جماله قد تراءا له من جهة الصحراء، فلمّا لمح الأسد ذلك الفارس أعرض عن السلطان وأسرع بكلّ قوّته نحوه فخطر في بال السلطان قيس أنّ هذا الأسد سيصرع الفارس وينشغل به وينجو هو ومن معه منه، فسكن روعه، وبقي يشاهد ما يصنعه الأسد بالفارس، ولكن الأسد كلّما اقترب من الفارس ازداد خضوعاً وخشوعاً وتذللاً، حتّى وصل إليه ورمى بنفسه على حافر خيله، كالكلب الذي فارق صاحبه مدّة، فلمّا يراه كيف يتملّق، فظلّ يتملّق على هذا النحو ويمسح وجهه بالركاب.

فلما رأى السلطان ذلك اطمئن وبقي متفكّراً في أحوال هذا الفارس، وإذا به يشاهد بدنه مبضّعاً قطعاً قطعاً كخلية العنكبوت، وعليه ألف أو ألفان أو ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف ـ أو أكثر ـ جرحاً، لذا فإنّ علماء الحقيقة وحملة أسرار آل محمّد عليهم السلام حققوا أنّ عدد جروح بدن الإمام عليه السلام بعدد آيات القرآن ستة آلاف وستمائة وستة وستّين جرحاً[1].

---

(١) عدد الجروح التي أصيب بها الإمام الحسين عليه السلام مختلف في كتب التاريخ والسير ما بين ٦٣ إلى ١٢٠ أو ٣٢٠ إلى ١٩٠٠، وأوصل البعض الجرحات إلى ٤١٨٠ جرحاً.

روى الكافي بإسناده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قتل الحسين بن علي وعليه جبّة خزّ دكناء، فوجدوا فيها ثلاثة وستين من بين ضربة بالسيف، وطعنة بالرمح، أو رمية بالسهم». الكافي ٦: ٤٥٢، كتاب الزي والتجمل وإظهار النعمة، باب لبس الخزّ، الحديث٩.

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «وجد بالحسين ثلاثة وثلاثون طعنة، وأربع وأربعون ضربة، ووجد في جبّة خزّ دكناء كانت عليه مائة خرق وبضعة عشر خرقاً، وما بين طعنة وضربة ورمية» (وروي مائة وعشرين). دلائل الإمامة للطبري الشيعي: ١٧٨.

⇦

آيـة قـرآن كـه خـوب ودلكـش اسـت شش هـزار وشـش صـد وشصـت وشـش
يــك هــزار أمــر ويــك نهــي شــديد يكهــزارش وعــد ويكــديگر وعيــد
يـــك هـــزار أو قصـــاص واختبـــار يـــك هـــزار أو مثـــال واعتبـــار
پانصـــد بـــاب حـــلال اســـت وحـــرام صــد دعــا تســبيح وورد صــبح وشــام
شصـت وشـش منسـوخ وناسـخ در كتـاب ضـــبط كـــن والله عـــالم بالصـــواب(١)

[ترجمته: إنّ آيات القـرآن الجميلـة الجذّابـة سـتة آلاف وسـتمائة وسـتة وستين آية.

ألف آية منها في الأمر، وألـف فـي النهـي الشـديد، وألـف فـي الوعـد وألف في الوعيد.

⇦

وعن الباقر عليه السلام، قال: «أصيب الحسين بن علي عليهما السلام ووجد به ثلاثمائة وبضعة وعشرون طعنة برمح أو ضمرة بسيف أو رمية بسهم، فروي أنّها كانت كلّها في مقدّمه؛ لأنّه عليه السلام كـان لا يولّي» الأمالي للصدوق ٢٢٨، المجلسي ٣١، الحديث١، التسلسل ٢٤٠.

وقيل: ألف وستمائة جراحة، وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ. انظر : مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣: ٢٥٨.

وعن كتاب عيون الحياة: إنّ في رواية أصابه أربعة آلاف جراحات من السهام ومائة وثمـانون من السيوف والسنان. انظر: أكسير العبادات فـي أسـرار الشـهادات للفاضـل الدربنـدي ٣: ٢٤.

ولم أجد ما يشر إلى أنّ جراحاته عليه السلام بلغ ٦٦٠٠ جرحاً.

(١) يذكر النمازي الشاهرودي في مستدرك سفينة البحار ٨: ٤٨٩، هـذه الأبيـات ولـم ينسـبها إلى أحد، لكن في كتاب أصول اعتقادات شيعة لمحمّد تقي صوفي: ٣ ينسـبها إلـى عبـد الرحمن الجامي المتوفي سنة ٨٩٧هـ

وألف في القصاص والاعتبار، وألف في الأمثلة والاعتبار.

وخمسمائة باب في الحلال والحرام، ومائة في الدعا والتسبيح وأذكار الليل والنهار.

وست وستون آية في الناسخ والمنسوخ من الكتاب، فاحفظ ذلك والله عالم بالصواب].

فلمّا شاهد السلطان ذلك قال: سيّدي من أنت الذي نجيّتني من هذا المأزق الذي كنت فيه؟

قال: «أنا حجّة الله، الحسين بن علي بن أبي طالب إمام هذا العصر».

فقال: سيّدي لماذا أراك على هذه الحالة؟

فقال مجملاً: إنّ أمّة جدّي دعتني ضيفاً، فلمّا وصلت إليها اتفقت عليّ مع أعدائي وأحاطت بي غريباً، وقتلتْ أعواني وأنصاري، وأنا الآن وحيداً غريباً في ساحة المحنة مشغولاً بالمجادلة وإتمام الحجّة عليها، فلمّا سمعتك تستغيث أتيت إلى جزيرة الهند لنجاتك.

قال السلطان: سيّدي أتأذن لي أن أنظمّ مع هذا الخادم المضحّي والجيش الجرّار إليك، وأفخر بالانتساب إلى ركبك وأدمّر أعداءك؟

فقال: إعلم أني لستُ عاجزاً عن مقاومة أعدائي ـ لو أردتُ ذلك ـ فأهلكهم بكلمة (لا) واُلحقهم بدار الفناء، ولكنّي أعطيت عهداً في عالم الذرّ بأن أشفع للعصاة من أمّة جدّي، وأنا ملتزم بعهدي ووافٍ به.

وما حصل لي لهذا السبب، وإذا أردت خدمتنا نحن آل محمّد صلى الله عليه وآله أقم المآتم في كلّ سنة يوم عاشوراء عليّ ـ أنا المظلوم ـ واجعل لشيعتي تشابيه

وهيّيء لهم مثالاً لعرصة كربلاء؛ كي يشاهده شيعتنا ويبكون ويغفر لهم فإنّي قتيلُ العبرات.

قال السلطان: جعلتُ فداك، إنّي لا أعلم بكيفيّة المصائب التي جرت في الطف؟

فقال الإمام وقد رفع اصبعيه: انظر ما بينهن، فلمّا نظر تمثّل له من جهة وادٍ ملؤه الخوف والخطر وصحراء ملؤها البلاء، ويقابلها عسكر أكثر ممّا يتوقع، يقال إنّه : ألفان، أو ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف وعشرة آلاف كما يقال[1]، ولذا كان الإمامعليه السلام يرتجز كما هو المشهور قائلاً:

---

(١) اختلف المؤرّخون حول عدد الفئتين في معركة الطف، فعدد الفئة التي كانت مع الإمام الحسينعليه السلام حيث مرّت سلسلة من الظروف أثّرت على عددها زيادة ونقصاناً حتّى استقرّت نهائياً في العشر الأوائل من شهر محرم في كربلاء.

ذكر المسعودي: إنّ عدد أصحاب الحسينعليه السلام سبعة وثمانون، وعن الطبري في تاريخه أنّهم كانوا ٧٢ أو ٧٨ أو ١٠٠ رجلاً، أو ٤٥ فارساً و١٠٠ راجل على اختلاف في الأخبار.

انظر: مروج الذهب ٣: ٦١، تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، ٢٩٥ ٣٤٨، ٣٥١، أحداث سنة ٦١ للهجرة.

وأمّا الفئة الأخرى فقد روي ما بين ٢٠ أو ٣٠ ألفاً أو أكثر من ذلك، ذكر ابن الأعثم في فتوحه أنّهم كانوا ٢٠ أو ٢٢ ألفاً.

وروى الصدوق في أماليه أنّ الإمام الحسينعليه السلام دخل يوماً إلى الحسنعليه السلام فلمّا نظر إليه بكى، فقال له : «ما يبكيك يا أبا عبد الله؟

قال: أبكي لما يصنع بك.

فقال له الحسنعليه السلام: إنّ الذي يؤتى إليّ سمّ يدسّ إليّ فاقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل، يدعون أنّهم من أمّة جدّنا محمّدصلى الله عليه وآله...».

ذكر ابن شهرآشوب في مناقبه: أنّهم كانوا ٢٥ ألفاً وقيل غير ذلك.

⇦

وابـــن ســـعد قـــد رمـــاني عنـــوة بجنـــودٍ كوكـــوف الهـــاطلين[(١)]

يعني: إنّ جيش العدو قد أحاط من الكوفة والشام مثل نزول المطر.

ثمّ تمثّل للسلطان ـ من جهة أخرى ـ معسكر صغير وفيه قد بنيت خيام العصمة والطهارة، وسرادقات العزّة والجلالة، وكلّما حقّق النظر لم يجد فيه رجلاً، بل أخوات فاقدات الأخوة، وأمهات ثواكل قد قتل شبابهنّ، وأطفال صغار يرفعون أنين العطش.

بودند ديوودد همه سيراب وميمكند خـاتم زقحـط آب سـليمان كـربلا
زان تشنه گـان هنـوز بعيـوق ميرسـد فريـاد العطـش زبيابـان كـربلا[(٢)]

⇨

انظر: الفتوح لابن أعثم ٥: ٨٩، ج، الأمالي للصدوق: ١٧٧، المجلس ٣٤، الحديث٣، التسلسل١٧٩، وص٥٤٧، المجلس ٧٠، الحديث ١٠، التسلسل ٧٣١ مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٤٨.

(١) هذه الأبيات منسوبة إلى الإمام الحسين عليه السلام ومطلعها:

كفـر القـوم وقـدما رغبـوا عـن ثـواب الله ربّ الثقلـين

انظر: الفتوح لابن أعثم ٥: ١١٥، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٣، بحار الأنوار ٤٥: ٤٨.

وفي الفتوح (كوكود) بدل (كوكوف) دون بقية المصادر.

(٢) هذا البيت من قصيدة لمحتشم الكاشاني ومطلعها:

باز اين چه شورش است كه در خلق عالم است

باز اين چه نوحه وچه عزا وچه ماتم است

وهي أوّل قصيدة في ديوانه.

[ترجمته: كانوا كلّهم يتخيّلون الرواء فيمتصّوا من شدّة العطش خاتم سليمان كربلاء، وأنّ أنين عطاشى صحراء كربلاء يصل إلى نجمة عيوق].

ونظر السلطان من جهة وإذا بساحة واسعة، وفيها الورود المحمّديّة قد سقطت على الأرض كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف، وعليها شبّان بني هاشم قد تناثروا وتشطّروا أشطاراً، في جانب قد هوى بدن العبّاس كالجبل، وفي جانب آخر علي الأكبر كغصن البان، وفي جهة القاسم العريس، وفي أخرى مهد الطفل الرضيع علي الأصغر وقد ثبت في نحره سهم مثلّث، ومن جهة الجواد المخزيّ للإمام وسرجه ملويّاً وعرفه خضيباً بالدماء، وصياح النساء وأصواتهنّ «الظليمة الظليمة من أمّة قتلتْ ابن بنت نبيّها»(١).

«وأسرع فرسك إلى خيامك شارداً قاصداً مهمهماً باكياً، فلمّا رأين النساء جوادك مخزيّاً، وسرجه عليه ملويّا، برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذلّلات»(٢).

وشاهد لمّةً من النساء وقد أحطن بجواد الإمام عليه السلام وكلّ واحدة منهنّ تأنّ بلسان حالها وتسأل هذا الحيوان الساكت عن الحال المأساوي والغريب

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦، الباب ٣١، الحديث٢٣ وص٣٠٨ الباب ٣٦، ذيل الحديث١٩.

(٢) انظر: المزار للمشهدي: ٥٠٤، الباب ١٨، الزيارة التاسعة المعروفة بزيارة الناحية المقدّسة، باختلاف يسير.

للإمام عليه السلام فتقول كلّ واحدة: يا جناح[1] بالله عليك هل سُقي أبي[2].

وتقول الأخرى: يا جناح أين تركت أخي؟

أي فرس بر تو چه رخ داده که خود باخته ای

مگر این گونه که مائی توشه انداخته ئی

ای همایون فرس پادشه صدر مقام

که چرا گاه بهشت است توار جای خرام

نه رکابی زتو برجا است نه زین ونه لجام

مگرا اینگونه که ماتی بسر شاه إمام

چه بلا رفته که باخویش پرداخته ئی

* * *

تا صهیل تو همی امدی ای پیك أمید

برهمه اهل حرم بود صدای تو نوید

کین حکایت ز پی پرسش ماه شاه شهید

مگر این باز خداوند حرم را چه رسید

که جنین صیحه زنان بر حرمش تاخته ایی

---

(١) المعروف أنّ جواد الحسين عليه السلام كان يسمّى بـ(ذي الجناح).

(٢) ورد هذا القول في المواقع الإلكترونية عن كتاب مصائب المعصومين ٣: ٢٣٧، وذكرها أيضاً الشهيد مرتضى المطهري في كتبه من غير ذكر مصدر له.

انظر: الملحمة الحسينية ١: ٧٠، ج٢: ٢٠٠، وفيه: (يا جواد أبي هل سقي أبي أم قتل عطشاناً)؟

لسان حال أهل البيت عليهم السلام مع ذي الجناح الإمام المظلوم عليه السلام:

اگر اورده ای أی هدهد فرخنده سير

ز سليمان نگينش بر بلقيس خبر

ز چه آلوده بخون تاج تو خاكم برسد

كه زبهر خبر از تير پرى ساخته ای

* * *

اين شهنشه كه بأمرش فكند سايه سحاب

خواهد از آب شود خاك بعالم نا ياب

طعنه بر لجّه طيّار زند موج سراب

ديده ائى گشته مگر تشنه لب اندر لب آب

كه چنين ناله بر عيّوق برا فراشته ايى

* * *

تو كه غلطان زسر زين نگونش ديدى

درميان سپه دشمن دينش ديدى

اى فرس راست بمن كوى وخونش ديدى

تو بچشمان خود آغشته بخونش ديدى

يا قتيل ديگرى بود توشناخته ايى

بوى خون ايد از اين كاكل ويال وتن تو

شد مگرك كشته روبه شه شيراوژن تو

اين دل افسرده من آب شد از ديدن تو

راست كو برق كه اتش زده بر خرمن تو

كه چنين غلقله در بحر وبرّ انداختهِ[1]

[ترجمة القصيدة:

أيّها الجواد مالك معرضاً حاسراً؟

هل تلقي حملك علينا بهذه الصورة؟

يا أيّها الجواد الميمون والمقدّم مقامه

يا من مرعاك في الجنّة تمشي فيها متبختراً مدلّلاً

ولكنّك عدت إلينا بلا ركاب ولا سرج ولا لجام

حائراً مكدّراً ماذا جرى للسلطان الإمام؟

فتركته ولم تذبّ عنه وتصحبه معك

***

لمّا سمعنا صوت صهيلك يا رسول الأمل

---

(١) هذه القصيدة لحجّة الإسلام محمّد تقي بن ملا محمّد بن الحسين بن زين العابدين بن إبراهيم المامقاني التبريزي المعروف بالنيرّ التبريزي، ولد ١٢٤٨هـ وتوفي والده المشهور حجّة الإسلام في ١٢٦٩هـ وكان من تلاميذ الشيخ أحمد الأحسائي، فجلس مكانه أخوه إسماعيل نياز، فسافر نيّر إلى النجف وبعد وفاة أخيه جلس نيّر مكانه وتلقّب بـ (حجّة الإسلام).

انظر: الذريعة لاقا بزرك الطهراني: ٩ ق ٤: ١٢٤١ برقم ٧٩٥٦.

كان صوتك لأهل الحرم جميعاً بشرى تسرّهم

فأقبلوا يسألون عن الوجه المنير لسلطان الشهداء

ماذا سيجري على نساء الحرم من قضاء إلهي بعد هذا فأقبلت عليهن غائراً بصراخك وعويلك

***

أيّها الهدهد المسرور المرتوي

هل أتيت إلى بلقيس بخبر عن فصّ خاتم سليمان؟

لما تخضّب عرفك بالدم فصرنا أذلاء بعد عزّنا

هل هوى عرش سليمان وصار هباءً؟

فصنعت من هذا الخبر سهماً ألقيته علينا

وريشاً وضعته على رأسك

***

يا ملك الملوك الذي تضلّل السحاب بأمره

ياليت أن يتحوّل أجود تراب الدنيا إلى الماء

فتلوم أمواج السراب لجّةِ الطيّار

هل رأيت عطشاناً على ضفّة الماء

فتأن أنيناً يتصاعد صوته إلى نجم عيّوق

***

يا من رأيته خضيب الرأس هاوياً من السرج

يا من خذلته وتركته بين الأعداء يستوفون منه

إخبرني هل رأيته بعينيك غارقاً بدمه؟

أو كان الذي رأيته قتيلاً غيره فلم تعرفه؟

***

فشمّ رائحة الدم من ناصيتك وعرفك وبدنك

هل قتل (فارسك) الأسد المغوار وهوى عنك؟

قد ذاب قلبي المحزون لما رأيتك

قلّ لي حقّاً: أحُرق حصادك بصاعقة وبرق

حتّى تحدث هذه الضجّة والغوغاء في البرّ والبحر؟

بعد أن عرض عليه الإمامعليه السلام الإسلام ولقّنه أحكام الشريعة، قال له: يا سلطان قيس، إني ذاهب فقد اقترب أجل شهادتي، فأقم العزاء بعد استشهادي.

قال السلطان: فديتك، وما هي العلامة التي أعرف بها أنّك استشهدت؟

قال الإمامعليه السلام، وقد أخذ غصناً أخضر من البستان بيده: متى ما رأيت دماً قانياً يجري من هذا الغصن فاعلم أني قتلتُ غريباً ورفعوا رأسي على الرمح.

ثمّ غاب الإمامعليه السلام عن عين السلطان قيس، فذهب الخادم مسرعاً نحو العسكر ينقل إليه خبر سلامة السلطان ويعلم أهل المدينة بذلك، فاجتمع جميع الوزراء والوكلاء وأهل المدينة كي يستقبلوا السلطان، ويقدّموا القرابين الكثيرة بين يديه، فلمّا وصل أهل البلاط إلى السلطان قبلوا الأرض أمامه، فأمر السلطان

رئيس الوزراء أن يركب معه كي ينقل إليه القصّة بالتفصيل، فانشغل السلطان ببيان القصّة، قائلاً: لما ذهبنا لصيد الغزال عرض لنا أسد، فالتجأنا إلى أصنامنا وأربابنا فلم تنفعنا، وفجأةً حضر عندنا إمام العصر هذا وحجّة الله الحسين بن علي عليه السلام في طرفة عين، ونجّانا ممّا كنّا فيه، بينما السلطان يتحدّث وإذا به يرى الجو قد أظلم وتغيّر، ويحسّ دماً قانياً يجري من الغصن الأخضر، فنادى: وا حسيناه، ورمى بنفسه من فرسه، ثمّ حلّ حزامه، وصار يضرب على رأسه وصدره وتخضّب بالدم والتراب ولطم وصدم نفسه حتّى غشي عليه، فأخذ الوزير رأسه ووضعه في حجره، فلمّا أفاق قال له : ما الذي أصابك، فانقلب حالك هكذا؟

فقال السلطان : آه، وأنّ أنّة خفيّة من قلبه المتوجّع، وقال: يا أيّها الوزير، لا تهيّج ألم قلبي إنّ رأسي الآن على ركبتك، بينما رأس سيّدي الغريب رفع على الرمح، وبعد ذلك أحضر ولي العهد علماء الهند وحدّثهم بهذه المعجزة العظمى، وقام هؤلاء بوعظ الناس وإرشادهم فتشيّعوا جميعاً.

ثمّ أمر السلطان منذ تلك السنة بصنع الشبيه لعرصة كربلاء وإقامته بشكل تام؛ حتّى يصير في معرض المشاهدة لجميع الرعية، ومن هذه السنة خرجت مواكب العزاء والشبيه في نواحي الهند، وهي كذلك منذ سنوات عديدة، حتّى أنّهم كانوا يخرجون تشابيه المشاهد المشرّفة، والمقابر المنوّرة من كربلاء والكاظميّة ومشهد المقدّسة في يوم عاشوراء، ولم يوجد في نقطة من نقاط العالم من يسعى في عمل الشبيه والهيئات كما هو في الهند.

[قصة زعفر الجنّي]

وكذلك قصّة زعفر الجنّي[1] التي ينقلها أحد علماء الأسرار، قائلاً: «كنت منذ سنين في نزاع وغضب مع زعفر الجنّي، وقلت في نفسي: ما أسوأ

(١) روى الفاضل الدربندي في أكسير العبادات في أسرار الشهادات ٣: ١٤ «وعن بعض كتب المقاتل عن نور الأئمة عليهم السلام: أنّه لمّا أراد أن يحمل عليهم فإذا علا غبار وظهر منه شخص مهيب على مركب عجيب، وسلّم على الإمام عليه السلام وعلى جدّه وأبيه وأمّه، فردّ عليه السلام، وقال: من أنت وتسلّم عليّ وأنا في هذه الحالة المظلوم الغريب؟

فقال: يا ابن رسول الله، أنا زعفر الزاهد، سلطان الجنّ، وعسكري في البادية، ولقد أعطى أبوك حين غزا مع الجنّ في بئر العلم السلطنة لأبي، وبعد وفاته قد انتقلت إليّ، فأذن لنا أن نحارب مع أعدائك هؤلاء...

قال عليه السلام: لا، فإنكم ترونهم ولا يرونكم.

قال: فنحن نتصوّر بصورهم، إن قتلنا كنّا شهداء في سبيلك.

فقال: جزاك الله خيراً يا زعفر، فإنّي قد سئمت من الدنيا، ورأيت في الطيف أنّي ألقى الله في هذا اليوم شهيداً مجدّلاً، فارجع ولا تتعرّض لهؤلاء القوم، فرجع».

وفي البحار للعلامة المجلسي ٤٤: ٣٣٠، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب ٣٧: «وأتته أفواج مسلمي الجنّ فقالوا: يا سيّدنا، نحن شيعتك وأنصارك...» ولم يسمّهم بالزعفر، فلاحظ.

ولم أجد مصدراً لقصّة هذا الذي خطّأ زعفر الجني، وإنّما وجد مشابهاً لهذه القصّة حدثت له مع زعفر الجني في أصفهان، لاحظ إكسير العبادات في أسرار الشهادات للفاضل الدربندي ٢: ٧٩٠.

حظّه إنّه كان قد أدرك الإمامعليه السلام في عرصة كربلاء وشهد الطف ووقائعه وتضحيات صحبه الأطياب، ولكنّه يهب كأس الشهادة في النهاية، ويحرم من هذا الفيض العظيم.

وفي يوم من الأيّام كنت مسافراً في السفينة قاصداً بيت الله الحرام، فتوقفت السفينة أيّاماً في وسط البحر، ولم نرَ شيئاً إلّا الماء، وإذا بطوفان عاصف أخذ يرفع السفينة فيلاطمها بالجبال من جبل إلى آخر، وقد خرج عنانها من يد الملاّح، فأصبح الجميع حزيناً حيراناً.

شب تاريك وبيم موج وگردابى چنين هايل

كجا دانند حال ما سبك باران ساحلها[(١)]

[ترجمته: ظلمة الليل وخوف الأمواج ودوّامة البحر العظيمة، أنّى يعلم بحالنا من كان مستقراً مرتاح البال على الساحل].

وبالتالي حسبما نزل القضاء الإلهي المحتوم إصطدمت السفينة بجبل فتحطّمت، وصار أهلها كأهل القيامة، كلٌ يقول: وا نفساه، وشربوا كأس الردى بين الأمواج والزلازل، ولكن شملنا التوفيق والعطف الإلهي فسقطت على خشبة هناك، وصارت الأمواج تقذفني بعضها إلى بعض، وبعد يومين ألقتني إلى الشاطيء.

---

(١) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ١.

فشاهدت جزيرة نظرة تحمل كلّ أنواع النباتات والفاكهة، وفيها أنهر جارية ذات مياه صافية نقيّة، فأكلت كثيراً من فاكهتها حتّى استعدت قوّتي، وبقيت هناك أتجوّل فيها نهاراً، وأنام فوق شجرة ليلاً، خوفاً من الحيوانات، حتّى صعدت ذات يوم جبلاً فرأيت على سفحه شخصاً محترماً مهيباً وعلى وجهه آثار الحزن والغمّ، قد جلس على الأرض وخطّ بأصبعه عليها خريطة، ثمّ بكى كثيراً حتّى توارت تلك الخريطة فأتيت من خلفه بهدوء ونظرت إلى تلك الخريطة وإذا فيها مكتوب «يا حسين»، والشخص يبكي حتّى محي أثر الكتابة، فعلمت أنّه من الشيعة، فزال ما عندي من الخوف والرعب، فتقدّمت نحوه وسلّمت عليه ثمّ سألته: من أنت؟

قال: أنا زعفر ولي عهد الجنّ.

فقلت: يا زعفر، إنّي في نزاع منذ سنين طويلة معك في عالم الخيال، وقد وقع بيننا جدال مضمونه: أنك لماذا وهبت كأس الشهادة ولم تستشهد مع إمامك؟

فقال: يا رجل كم أنت ساذج، هل تتصوّر أنّ القاعدة الحسينية كغيرها، فيستطيع كلّ أحد أن ينتمي إليها ويكون من أعضائها، بل إنّ الأنبياء والأولياء كلّهم متعطشون إلى نيل هذه السعادة.

فيض أزل بزور وزار آمدى بدست

آب خضر نصيبه اسكندر آمدى[1]

---

(١) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ٤٣٩.

[ترجمته: أيّها الفيض الأزلي لم ينلك أحد إلّا بالقوّة والاستغاثة، ولم يُحظ بماء الخضر إلّا بقوّة اسكندريّة].

إنّ أبي كان سلطان الجنّ نصبّه بئر العلم أمير المؤمنين عليه السلام وتورّثت من بعده الكرسي والتاج، وكنتُ دائماً أتمنّى الشهادة في أرض كربلاء وأنتظر يومها، حتّى حلّ يوم عاشوراء وعلمت بواقعة الطف، فنهضتُ بجيشي الجرّار كأنّه البرق الخاطف نحو كربلاء، ولمّا صرنا على قرابة أربع فراسخ، وإذا بجموع أرواح الأنبياء والأولياء والملائكة الكروبيّين قد ملأت الطريق ووقفت صفوفاً متراصّة، فلم تدع مجالاً للعبور، وقفوا متأدبين بين يدي الحسين عليه السلام، ولهين بجماله وجلاله، رهن إشارته، ولكن الإمام الحسين عليه السلام كان غارقاً في تجلّي الحقّ فلا ينظر إلى ما سواه من الأنبياء والأولياء.

تجلاّى شوقم بوده يكجا سرا پا گشته ام غرق تجلّى

شدم خود عين استثناء آلا[1]

[ترجمته: إنّ تجلّي شوقي كان في موضع، وقد غرقت أنا في التجلّي من رأسي إلى قدمي وقد صرت أنا عين النعم المستثناة.

---

(١) هذه الأبيات للشاعر حجّة الإسلام محمّد تقي نيّر التبريزي.

ومطلع القصيده هكذا ورد في آتشگده:

شا پاى شوقم برده از جا سراپا گشته ام غرق تجلاّ

إثباتت ز نفى لا گذشتم شدم خود عين استثنا إلّا

فيأست من نفسي ولم تصل يدي إلى سيّدي.

جـــائى كـــه عقـــاب پرريـــذد أز پشـــه لا غـــرى چـــه خيـــزد[١]

[ترجمته: إنّ المكان الذي يصفّق فيه النسر أجنحته، كيف تقوى البقّة الضعيفة أن تنهض فيه وتقوم منه؟].

حتّى نظر سيّدي إلى قلبي المكسور بعين الرحمة ورمقني بطرف عينه طالباً أيّاي، فخرجت من بين العسكر وشققت الصفوف رويداً رويدا، فلمّا اقتربت رأيت الملائكة، والأنبياء والأولياء ينظرون إليّ بعين الغضب قائلين: يا زعفر تجاوزت حدّك.

أى مكـــس عرصـــه ســـيمرغ نـــه جـــولان گـــه تســـت[٢]

[ترجمته: مع وجود العنقاء لا مجال لتجوّل الذباب].

فأوصلت نفسي إلى سيّدي بأي نحو كان، ووضعت خدّي على ركابه، طالباً نصرته، فقال: يا زعفر، أنت جسم لطيف وإنهم لا يرونك، وليس من المرؤة أن آذن لك في الجهاد (فديتك من شهم وصاحب مروءة رحيماً حتّى على أعدائك، حاشاك أن تردّ صاحبك).

أى كريمـــى كـــه از خزانـــه غيـــب گبـــر وترســـا وظيفـــه خـــوردارى
دوســـتان را كجـــا كنـــى محـــروم تـــو كـــه بـــا دشـــمنان نظـــر دارى[٣]

---

(١) هذا من الأمثال في اللغة الفارسيّة المعروفة.

(٢) ديوان حافظ الشيرازي: غزل برقم ٤٤٩، وفي المصدر (حضرت) بدل (عرصه).

(٣) ديوان سعدي المعروف بگلستان سعدي: مقدّمة الديوان.

[ترجمته: أيّها الكريم الذي تُعطي عبّاد النار والنصارى من خزائن غيبك، كيف تحرم الأحبّاء وأنت رحيم بالأعداء؟

فقال زعفر: جعلت فداك، نحن أيضاً نصوّر بصور البشر ونحارب أعداءك.

قال الحكماء: إن الجنّ جسم لطيف ناريّ يتشكّل بأشكال مختلفة حتّى الكلب والخنزير.

حينئذٍ أخذ سيّدي بيدي وقرّبني من بدن عظيم كالجبل وهو بدن أخيه العبّاس عليه السلام، ثم أخذني عند قوام كغصن البان عند ولده علي الأكبر، ثمّ قال: لقد سئمت الحياة بعد موت هؤلاء الشبان والإخوان، وأريد اللحوق بهم سريعاً بلا تأخير.

يا زعفر: إنّني عاهدت ربّي تعالى مقابل شفاعة العصاة من أمّة جدّي، وأريد الآن أن أفي بعهدي.

فقال زعفر: أو مثلك يخيّب آمله؟!

فقال عليه السلام: إنّي لا أخيّب أملك، ولكن أرجّح لك أن تقوم بخدمَتين :

الأولى: أن تبقى في هذه الصحراء مع جيشك وبعد أن أستشهد غريباً ويأخذوا أهل بيتي اُسارى إلى الشام، تحرس أطفالي حتّى يرجعوا إلى مدينة جدّي المنوّرة.

والأخرى: أنك تقيم عزائي في كلّ سنة يوم عاشوراء وتصنع شبيه واقعة كربلاء ومصائبها، وعندما تقيم ذلك ينال أصحابنا من الجنّ الدرجات ويصلون إلى الفيض العظيم لحضورهم فيها.

يا فلان: غداً يوم عاشوراء، فإذا أردت أن تشاهد مأتم الجنّ اصعد على هذا المرتفع فتشاهد العجائب والغرائب.

قال أحد العلماء : نمت كعادتي القديمة ليلاً فوق الشجرة، وبعد طلوع الشمس نهضت مسرعاً إلى موضع معهود، فما كانت إلّا ساعة وإذا بي أشاهد مواكب اللطم والزنجير والتطبير وسائر أنواع العزاء تظهر من كلّ جهة، وفنون التشابيه والهيئات التي كانت تحمل جزئيات وكليّات واقعة كربلاء قد خرجت، فلم أرَ إنسيّاً واحداً من بين هذا الكمّ المؤلّف، فسقطت ثلاثٌ واربع مرات مغشيّاً عليّ، فلمّا أفقت وإذا بزعفر الجنّي جالساً عند رأسي يوقضني، وأمر عدّة من الجنّ أن يصحبوني حتّى أصل إلى مكان آمن.

[آيات الإنجيل في أحوال
خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وأمر أوصيائه عليهم السلام]

وأيضاً فقد جاءت آيات في إنجيل عيسى تشير إلى جواز إقامة العزاء من الهيئات والتشابيه في مأتم سيّد الشهداء أرواحنا فداه، وقد نقل بعض علماء الحقيقة بعضها من الإنجيل الأصلي، وهي:

(يه اسِوسِكه نكثري يبوغه باغي مالچشكه زمايه نورحو چدورناي يشله پنوط وسمدِست تِرلت أدين چلوك يو از ويت بودِش فارقيلا چوا اسكاتري إسماتري يواي زي دوناست حواريون پرواي تري أزويت يراوي ايليا افتري شنتيا تليقي مدمد إيليا بوديت دوة مالچشكه پرواي شبر افتري تري از ويت يرواي شبير افتري قتل را دفلتي حاسن).

وترجمة هذه العبارات هي: «أنّ عيسى عليه السلام يقول: أنا عيسى نبي الله، لا ابنه ولا شريكه، أرفع إلى السماء الرابعة، وبعد مدّة مديدة يأتي نبيّ من بعدي مثله كالشمس وباقي الأنبياء كالنجوم، وهو أفضل من جميع الأنبياء».

ونعم ما قال الشاعر:

محمّـــد ديـــدن وموســـى شـــنيدن   شـــنيدن كـــى بـــودماننـــد ديـــدن[١]

[ترجمته: إنّ محمّداً النظر وموسى السمع وأنّى يكون السمع كالنظر]

وقال الآخر:

عيســـــى گـــــردون نشـــــين   بـــــا علـــــى شـــــاه ديـــــن

چـــون بنشـــتند جميـــزان يقـــين   عيسـى بفلـك رفـت علـى مانـد زمـين

أو بسكه سبلك بود علي بسكه رزين[٢]

[ترجمته: إنّ عيسى مع علي أمير الدين، هما اللذان يـديران الفلـك، وقـد جلسا معاً بجوار ميزان الحقّ واليقين، ولكن عيسـى قـد رفـع لخفّتـه، بينمـا علـي بقي في الأرض لوقاره ورزانته].

وقال الآخر:

ايـزد بـه تـرازوى قـدر بـا خورشـيد   چـون جـنس نكـوئى علـى را سـنجيد

آن بســكه گــران بــود بجنبيــد زجــا   وآن بسكه سبك بود با فلاك رسيد

[ترجمته: إنّ الباريء لمّا وضع الشـمس وماهيـة علـي الطيبّـة فـي ميـزان القدرة، لم يقم علي، بل بقي في مكانه لوقاره وعلوّ قدره، وأمّا الشـمس ارتقـت حتّى وصلت إلى الأفلاك لخفّتها].

---

(١) لم أجد قائله، وهو مثل معروف، وذكره محمّد علي الأنصاري فـي شـرحه المنظوم علـى نهج البلاغة ٣: ١٥٩، من دون أن ينسبه إلى أحد، خطبة ١٣٠.

(٢) المصدر السابق

[ما هي الشريعة التي كان عليها النبيّ صلى الله عليه وآله قبل البعثة؟]

قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لو أدركني موسى بن عمران لما وسعه إلّا اتباعي»[1].

وقال صلى الله عليه وآله: «بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق»[2].

وعليه، فما أقبح وأفسد بعض أساطين المقلّدين حيث قالوا: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان قبل البعثة يعمل طبقاً لشريعة عيسى عليه السلام.

وبطلان هذا الأمر واضح كعلم عليه نار، بل كالشمس في رابعة النهار، وما أكثرها وضوحاً حيث كانت بعثته صلى الله عليه وآله متأخّرة زماناً، ونبوّته سابقة على جميع النبوات، ألم تسمع الحديث النبوّي الشريف:

«لكنتُ نبيّاً وآدم بين الماء والطين»[3].

---

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٣٨ عن جابر بن عبد الله، المصنّف لابن أبي شيبة ٦: ٢٢٨، كتاب الأدب، الباب ١٧٢، الحديث ١.

(٢) انظر: السنن الكبرى للبيهقي ١٠: ١٩٢، كنز العمّال ٣: ١٦ الحديث ٥٢١٧، ج ١١: ٤٢٠ الحديث ٣١٩٦٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٣، تحفة الأحوذي ١٠: ٥٦.

بل إنّ مجمع جميع الكمالات ومنبع تمام الجزئيّات هم محمّد وآل محمّدصَلَّىٰاللّٰهُعَلَيْهِوَآلِهِ، وكلّ ما عند الآخرين إنّما هو شعاع من وجوداتهم، وذرّة من جبال كمالاتهم، هذا النبيّ الذي انفرد بلقب الأمّي من بين جميع الأنبياء؛ لأنّه بعقله الكُلّي أمَّ العقول، وبنفسه الكليّة أمّ الكتاب، وببصيصة بدنه الشريف أمّ الصياصي، كما أنّ محلّه الشريف ومكانه المنيف أمّ القرى، لا يحتجب بالخلق عن الحقّ، كاحتجاب أهل الغفلة والقسوة، ولا بالحقّ عن الخلق كأهل الخزية.

وهو أيضاً نقص وجمع مكسّر، والكامل كلّ الكمال والمحمود في جمع الخصال، هو الجامع للجهتين والحائز للفضيلتين، لا يحتجب بالخلق عن الحقّ، ولا بالحقّ عن الخلق، بل ترى الوحدة، والكثرة في الوحدة، وله الفناء بعد البقاء، والبقاء بعد الفناء، يلاحظ وجهه من كلّ ما يُسمع ويرى، ويشاهد نوره من كلّ ما يظهر ويخفى، وهو الجمع السالم، بل جمع منتهى الجموع كما أشار إليه بقوله: «لي مع الله وقت لا يسبقني فيه ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل»[1].

نخستين خلقتى كآمد طفيلش عالم وآدمرا

نخستين گوهرى كامد مرا از آدم وحوّا

بود ذات شريفش شهريار خطه امكان

بود نور وجودش شهسوار عرصه لو لا

---

(1) انظر : بحار الأنوار ١٨: ٣٦، ج٧٩: ٢٤٣، ج٨٣: ٣٦٥، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة لملاّ علي القارئ: ٢٩١ الحديث٣٩٢، كشف الخفاء للعجلوني ٢: ١٧٣، الحديث ٢١٥٩.

محمّد زبده امكان حبيب حضرت نردان

كفيل رزق انس وجان وكيل خالق يكتا

[ترجمته: إنّ أوّل مخلوق خلق، أوجد لأجله البشر والعالم، وأصل هذا المخلوق إنّما كان من آدم وحواء.

وإنّ ذاته الشريف وارثة لعالم الإمكان، ونور وجوده، الفارس الذي ركب عرصة لولاك ما خلقت الأفلاك.

النبيّ محمّدﷺ خلاصة الخلق وعينته وحبيب الله تعالى، وإنّ الله يرزق الخلق جنّاً وإنساً، لأجله، وهو الممثل لله الواحد فيهم].

[إكمال ترجمة آيات الإنجيل]

وقال عيسى عليه السلام: «إنّ النبيّ الذي سيأتي أفضل الأنبياء والمرسلين، ودينه دين الحقّ، الدين الذي ينتشر، وله اثنا عشر وصيّاً، أوّلهم له ثلاثة أسماء، إيليا، وشنتيا، ومدمد.

ولإيليا ولدان: الأول يسمّى شبراً.

والثاني له ثلاثة أسماء: أولها شبير، ثانيها المقتول، وثالثها حاسن.

والمقتول هذا يستشهد وتبقى مصيبته حتّى قيام الساعة ويوم القيامة، فكما أنّ جدّه خاتم الأنبياء فكذلك مصيبته خاتمة المصائب، وفي كلّ سنة تُحيي أمة جدّه وشيعة أبيه ذكرى مصيبته، فيضعون تشابيه لمآسيه، فيجسّدونها لمحضر الناس ومشهد العالم، فينال الناس بذلك الأجر الجزيل».

[قصة العابد ربي پهناس]

وإنّ آيات وحي هذا الطفل دليل لامع وبرهان ساطع على جواز إقامة التشابيه والهيئات أيضاً، وتفسير ذلك:

إنّ عابداً كان قبل الميلاد بإثنين وتسعين عاماً وأسمه (ربّي پهناس) وهو من مؤمني اليهود الذين آمنوا بعيسى عليه السلام؛ لأنّ شريعة عيسى نسخت شريعة موسى عليه السلام، وكان الربّي پهناس مستجاب الدعوة، ولكنّه معتزلاً عن الناس ساكناً سفح الجبل، يأتي إليه أرباب الحوائج كلّ سنة من جميع الجهات كي يلتمسوا دعاءه، وما كان يدعو لأحدٍ من ذوي العاهات والآفات والحاجات إلّا واستجيب دعاؤه ولذا يقال: رفع الأصوات في صوامع العبادات يَحلّ ما عقدته السموات الدائرات.

وكانت للربّي پهناس زوجة تدعى راجيل ذات كمال وصفاء وبهاء ونيّةٍ خالصة، وكانت امرأة مؤمنة تُعين زوجها في الطاعات والعبادات، ولكنّها

كانت مغمومة لعدم وجود ولـد لهـا، وكانـت تتمنـى دائمـاً أن يرزقهـا الله ولـداً صالحاً.

وذات يوم قالت لزوجها بهناس: إنّك صاحب مقام ومرتبة عند الله تعـالى وكل دعائك مستجاب، وقد دعوت في حق الآخرين، وطلبت من الحقّ قضـاء حوائجهم، فلماذ لا تدعو لنـا كـي يرزقنـا الله تعـالى ولـداً صـالحاً فيكـون ثمـرة لقلوبنا، وقرّة عين لنا نأنس به، ونكون شركاءه في كلّ عمـل صـالح بعـد موتنـا، كما جاء في الرواية «من كان له ولـد صـالح أشـركه الله فـي كـلّ عمـل صـالح يعمله، وضاعف له ثوابه بفضله وكرمه ثلاثـة أضـعاف، واحـد لـه وواحـد لأبيـه وواحد لأمّه»[1].

لـذا جـاء مؤكّـداً فـي الشـريعة الغـرّاء فـي خصـوص النكـاح والـزواج قوله صلى الله عليه وآله: «تناكحوا تناسلوا تكثّروا فـإنّي أبـاهي بكـم الأمـم يـوم القيامـة ولـو

---

(١) وردت أخبار كثيرة في فضل الولد الصالح، انظر: الكافي ٦: ٢، كتاب العقيقة، باب فضـل الولد، وباب شبه الولـد وبـاب فضـل البنـات و ج٧: ٥٧، كتـاب الوصـايا، بـاب مـا يلحـق الميّت بعد موته، وفيه:

عن معاوية بن عمّار، قال، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يلحق الرجل بعد موته؟

فقال «سنّة سنّها يُعمل بها بعد موته، فيكون له مثل أجر من عمـل بهـا مـن غيـر أن يـنقص مـن أجورهم شيء، والصدقة الجارية تجـري مـن بعـده، والولـد الصـالح يـدعو لوالديـه بعـد موتهما، ويحجّ ويتصدّق عنهما، ويعتق ويصوم ويصلّي عنهما».

فقلت: أشركهما في حجّي؟

قال: نعم.

بالسقط يظل محنبطاً على باب الجنّة فيقول الله تعالى: ادخل، فيقول لا، حتّى يدخل أبواي، فيقول الله تعالى لملك من الملائكة: أتني بأبويه، فيأتي بهما ويأمر بهما إلى الجنّة»[١].

وذات مرة أصرّت راحيل على زوجها كثيراً؛ كي يدعو الله ويطلب منه أن يمنّ عليهما بولد صالح، ولكن الربّي پهناس كان يأبى ويمتنع عن ذلك، وقال لها : إنّي بحكم المساعد والمنقذ للناس، ولكن بالنسبة إلى نفسي ليس لي إلّا الخضوع، ولا أرضى إلّا بما يرضى به الله تعالى.

وبهجة بما قضى الله رضى ... وذو الرضى بما قضى ما اعترضا
أعظم باب الله في الرضى وعى ... وخازن الجنّة رضواناً دعى
فقراً على الغنا صبور ارتضى ... وذات سيّان لأرباب الرضى[٢]

وللرضى درجات البهجة والتسوية ثمّ الصبر، وليس دونه إلّا الكفر في الطريقة، والعابد يجهد أن يرضى الله عنه، والعارف يجهد أن يرضى هو عن الله وذلك مقام حزن ووعر.

تورا خواهم نخواهم رحمتت گر امتحان خواهی
در رحمت بِرَويم بند در های بلا بگشا[٣]

---

(١) الأخبار في هذا المجال كثيرة، انظر: الكافي ٥: ٣٣٣، كتاب النكاح، باب كراهية تزويج العاقر، وباب فضل الأبكار، تهذيب الأحكام للطوسي ٧: ٤٠٠، كتاب النكاح، باب اختيار الأزواج، الحديث ٧، التسلسل ١٥٩٨، المصنّف للصنعاني ٦: ١٧٣، كتاب النكاح، الحديث ١٠٣٩١.

(٢) هذه الأبيات لملاّ هادي السبزاواري في منظومته المعروفة ٥: ٤٠٧.

(٣) هذه الأبيات لمحمّد كاظم واله الأصفهاني المتوفي ١٢٢٩هـ كتبها على لوح قبره قبل وفاته.

[ترجمته: إريدك لا أريد رحمتك إن كنت تريد امتحاني، فاغلق باب رحمتك بوجهي وافتح أبواب البلاء].

وقد اختُص الأنبياء والأولياء بمرتبة عالية، ومع ذلك ﴿**وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾(١).

وذات مرّة حيث لم يدع الربّي پهناس لنفسه بخصوص طلب الولد، حتّى خرج يوماً خارج الصومعة لغرض السياحة والتفسّح، وكانت زوجته راحيل في الصومعة مشغولة بالعبادة والمناجات مع قاضي الحاجات، وهي تطلب الولد، وكان الربّي پهناس يؤمّن على دعائها خارج الصومعة لاستحباب قول آمين على دعاء المؤمنين، فاستجاب الله دعاء راحيل ببركة قوله آمين، ومَنَّ عليهما بولدٍ، ولد لهما على ستة أشهر من الحمل، وكثير من ولد لستة أشهر، وقد ثبت إمكانه عرفاً وطبّاً وشرعاً، وتدلّ عليه آيتان: ﴿**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ**﴾(٢).

و﴿**وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**﴾(٣).

وفيهما دلالة أصوليّة على أن أقلّ الحمل لدى الإنسان ستة أشهر.

وقال الشيخ الرئيس في الشفاء : كنت اتفحّص في مدّة الحمل الإنساني حتّى ولدت امرأة بعد مائة وثمانين يوماً وعاش ولدها.

---

(١) التكوير (٨١): ٢٩.

(٢) البقرة (٢): ٢٣٣.

(٣) الأحقاف (٤٦): ١٥.

وسجّل جالينوس نظير هذه الحكاية أيضاً[١]، ولذا فلا شك في مدّة أقلّ الحمل[٢].

ولكن قد وقع الاختلاف الشديد من العلماء بين العلماء الأعلام من الموالف والمخالف في مدّة أكثر الحمل بأنّه تسعة أشهر إلى سنتين وثلاث وأربع كما قالوا.

وقد ولدت دلة المحتالة ـ كما جاء في التوارخ المكتوبة ـ بعد أربع سنين، بعد أن نبتت جميع أسنانها[٣].

(١) انظر: تفسير الرازي ٢٨: ١٥، تفسير الآلوسي ٢٦: ١٨، وفيهما: (فرأيت امرأة ولدت لمائة وأربع وثمانين ليلة).

(٢) أقل مدّة الحمل ستة أشهر، انظر الفقه على مذاهب الخمسة لمحمّد جواد مغنية ٢: ٣٦٠، المجموع للنووي ١٨: ١٢٥، ١٣٠، ١٣٥، ١٣٩، كتاب العدد، أقلّ مدّة العدة بالاقراء.

(٣) لم أجد هذه الحكاية إنّما وجدت أنّ محمّد بن عجلان أحد أعلام أهل السنة مكث في بطن أمّه ثلاث سنين، فشق بطنها لمّا ماتت فاخرج وقد نبت أسنانه.

انظر: المجموع للنووي ١٨: ١٣٠، المعارف لابن قتيبة: ٥٩٥، تاريخ بغداد ١٢: ١٤١، سير أعلام النبلاء ٦: ٣١٨.

أو أنّ شيث ابن آدم مكث في بطن أمّه حتّى نبتت أسنانه. انظر: السيرة الحلبية ١: ٥٠.

[في ولادة محمّد بن إدريس الشافعي]

وقد عدّ سادات المخالفين هذا المطلب من جملة كرامات محمّد بن إدريس الشافعي، الذي ولد بعد سفر أبيه لطلب العلم بأربع سنين، كما ولد مالك بعد سفر أبيه بثلاث سنين[(١)]، ولكن المشهور بين الخاصّة أنّ أكثر مدّة الحمل تسعة أشهر، ويراد بالتسعة التقريبيّة، ولا يضرّ زيادة أو نقصان بضع أيّام على ذلك[(٢)].

---

(١) وهو محمّد بن إدريس الشافعي أحد الأئمة الأربعة وإمام الشافعية، ولد بغزة سنة ١٥٠هـ وقالوا: ولد يوم وفاة أبي حنيفة ومات أبوه شاباً، فتحولت به أمّه إلى مكّة فنشأ بها وأخذ عن مسلم بن خالد الزغبي وداود بن عبد الرحمن العطار ومحمّد بن علي بن شافع وعدّة، ثمّ ارتحل إلى المدينة واليمن وبغداد، ثمّ استقرّ آخر أمره في مصر ومات بها سنة ٢٠٤هـ

انظر: سير أعلام النبلاء ١٠: ٥، الكنى والألقاب للشيخ عبّاس القمي ٢: ٣٤٧.

وأمّا الإمام الآخر لمذهب المالكيّة الذي مكث في بطن أمّه سنتين أو ثلاث سنين هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك عامر بن الأصجي الحميري المدني، ولد سنة ٩٣هـ روى عن الإمام الصادق عليه السلام ونافع وابن المنكور، وروى عنه الإمام الشافعي وسفيان الثوري. والأوزاعي، له كتاب الموطأ في الحديث، مات في المدينة ١٧٩هـ ودفن بالبقيع.

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٤٩٨، معجم رجال الحديث للسيّد الخوئي ١٥: ١٦٥ برقم ٩٨١٧، تهذيب الكمال للمزي ٢٧: ٩١ برقم ٥٧٢٨.

(٢) أقصى مدّة الحمل عند الإمامية تسعة أشهر، وهناك من يذهب من الفقهاء إلى أنّها سنة.

⇦



قال السيّد المرتضى في الانتصار: «وممّا انفردت به الإمامية القول بأنّ أكثر مدّة الحمل سنة واحدة، وخالف باقي الفقهاء في ذلك».

وقال الشيخ الطوسي في الخلاف: «أقلّ الحمل ستة أشهر بلا خلاف، وأكثره عندنا تسعة أشهر، وقد روي في الأخبار سنة».

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام أنّه قال في المطلّقة يطلّقها زوجها فتقول : أنا حبلى. فتمكث سنة، قال: «إن جاءت به لأكثر من سنة لم تصدّق ولو ساعة واحدة في دعواها».

انظر: الانتصار للمرتضى: ٣٤٥، المسألة ١٩٣، الخلاف للطوسي ٥: ٨٨ كتاب العدة، المسألة ٥٢ الكافي ٦: ١٠١، كتاب الطلاق، باب المسترابة بالحبل، الحديث٣.

أمّا أقصى الحمل عند العامّة فهي على أقوال مختلفة ما بين ستة أشهر إلى سبعة سنين، أو لا وقت معيّن له.

قال ابن قدامة في المغني ٩: ١١٦ «ظاهر المذهب أنّ أقصى مدّة الحمل أربع سنين، به قال الشافعي وهو المشهور عن مالك.

وروي عن أحمد أنّ أقصى مدّته سنتان، وروي ذلك عن عائشة، وهو مذهب النوري وأبي حنيفة لما روت جميلة بنت سعد عن عائشة : لا تزيد المرأة على السنتين في الحمل، ولأنّ التقدير إنّما يعلم بتوقيف أو اتفاق، ولا توقيف ها هنا ولا اتفاق، إنّما هو على ما ذكر وقد وجد ذلك، فإنّ الضحّاك بن مزاحم وهرم بن حيّان حملت أمّ كلّ واحد منهما به سنتين.

وقال الليث : أقصاه ثلاث سنين، حملت مولاة لعمر بن عبد الله ثلاثة سنين.

وقال عباد بن العوام: خمس سنين.

وعن الزهري قال: قد تحمل المرأة ست سنين وسبع سنين.

وقال أبو عبد: ليس لأقصاه وقت يوقف عليه.

ولنا: أنّ ما لا نصّ فيه يرجع فيه إلى الوجود وقد وجد الحمل لأربع سنين، فروى الوليد بن مسلم قال: قلت لمالك بن أنس: حديث جميلة بنت سعد عن عائشة: لا تزيد المرأة على السنتين في الحمل.



أمّا مدّة أقلّ الحمل فلا اختلاف ولا اضطراب فيها على أنّه لو ولد الحمل قبل ستة أشهر لم يولد وهو تام الخلقة، ولا يعيش بعد ذلك، إمّا بعد

⇨

قال مالك: سبحان الله من يقول هذا؟ هذه جارتنا امرأة محمّد بن عجلان تحمل أربع سنين قبل أن تلد.

وقال الشافعي: بقي محمّد بن عجلان في بطن أمّه أربع سنين.

وقال أحمد : نساء بني عجلان يحملن أربع سنين.

وامرأة عجلان حملت ثلاثة بطون كلّ دفعة أربع سنين.

وبقي محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي في بطن أمّه أربع سنين.

وهكذا إبراهيم بن نجيح العقيلي، حكى ذلك أبو الخطاب.

وإذا تقرّر وجوده وجب أن يحكم به، ولا يزاد عليه؛ لأنّه ما وجد؛ ولأنّ عمر ضرب لامرأة المفقود أربع سنين، ولم يكن ذلك إلّا لأنّه غاية الحمل، وروي ذلك عن عثمان وعلي وغيرهما».

وفي بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ٢: ٢٩١: «واختلفوا في أطول زمان الحمل الذي يلحق به الوالد الولد، فقال مالك : خمس سنين، وقال بعض أصحابه : سبع، وقال الشافعي: أربع سنين، وقال الكوفيّون سنتين، وقال محمّد بن الحكم: سنة، وقال داود: ستة أشهر» وهذه المسألة مرجوع فيها العادة والتجربة، وحديث عائشة في ارواء الغليل بطريقين ويصحّح إحدهما:

يقول الألباني في إرواء الغليل ٧: ١٨٩، الحديث ٢١٩٧: «روى الوليد بن مسلم: قلت لمالك بن أنس : حديث عائشة : لا تزيد المرأة على السنتين في الحمل.

قال مالك: سبحانه الله من يقول هذا؟! هذه جارتنا امرأة محمّد بن عجلان تحمل أربع سنين).

أخرجه البيهقي (٤٤٣/ ٧) من طريق أبي العبّاس أحمد بن محمّد بن بكر بن خالد، حدثنا دواد بن رشيد قال: سمعت الوليد بن مسلم يقول:...).

قلت: وهذا إسناد صحيح إلى مالك، ورجالهم كلّهم ثقات، أبو العبّاس هذا، وثّقه الخطيب في (تاريخ بغداد ٤/ ٣٩٩)...

الستة أشهر فكثير ممّن ولد، وقد جاء في الروايات أنّه لم يبق طفل بعد ولادته لستة أشهر إلّا يحيى عليه السلام والحسين عليه السلام، أو عيسى عليه السلام والحسين عليه السلام، أو يحيى عليه السلام وعيسى عليه السلام والحسين[(١)].

وقد أوّل ذلك بانّه من مختصّات أولاد الأنبياء والأولياء، بمعنى أنّه لم يولد من أولاد الأنبياء والأولياء لستة أشهر إلّا هؤلاء الثلاثة.

والمعروف أنّه خاصّة ليحيى عليه السلام والحسين عليه السلام.

أمّا عيسى عليه السلام فالمعروف أنه ولد لتسع ساعات، وكانت كلّ ساعة مقابل شهر، أو لتسع دقائق[(٢)]، وكان ذلك حينما أرادوا تزويج مريم من رجل يدعى يوسف فأبت ذلك ورفضت أن تخرج من بيت المقدس، حينئذٍ ترآى

---

(١) الأخبار الدالة على أنّ حمل الإمام الحسين ويحيى عليهما السلام كان ستة أشهر، انظر: كمال الدين للصدوق: ٤٦١، الباب ٤٣، الحديث ٢١، دلائل الإمامة للطبري الشيعي: ٥١٤، معرفة وجود القائم عجّل الله فرجه الشريف الحديث ٩٦، التسلسل ٤٩٢، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٧٣، مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٣٧.

والأخبار الدالة على أنّ حمل الحسين كان ستة أشهر: أمالي الطوسي: ٦٦١، المجلس ٣٥، الحديث ١٤، التسلسل ١٣٧٠، الكافي ١: ٤٦٣، كتاب الحجّة، أبواب التاريخ، باب مولد الحسين عليه السلام، الحديث ٢.

والأخبار الدالّة على أنّ ولادة الحسين وعيسى عليهما السلام ستة أشهر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٠٩، علل الشرائع للصدوق: ٢٠٥ الباب ١٥٦، الحديث ٣، الكافي ١: ٤٦٥، كتاب الحجّة، أبواب التاريخ باب مولد الحسين عليه السلام، الحديث ٤، كامل الزيارات لابن قولويه: ١٢٤ الباب ١٦، الحديث ٦، التسلسل ١٣٧.

(٢) تفسير علي بن إبراهيم القمي ٢: ٤٩، تفسير سورة مريم (١٩): ٢١، قصص الأنبياء للراوندي: ٢٦٤، الحديث ٣٣٣، بحار الأنوار ١٤: ٢١٦، مرآة العقول للمجلسي ٦: ٥١.

لها جبرئيل الأمين بصورة إنسان ﴿ **فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾[١] ونفخ في كمّ ثوبها، فوجدت في رحمها قطرة من ماء مقابل منَيّ الأب، وكانت مشتملة على الحرارة والرطوبة، وقطرة أخرى مقابل نطفة الأم، وكانت مشتملة على البرودة والجفاف؛ لأنّ نطفة الإنسان تتكّون من فعل وانفعال هذه القوى الأربع، فالحرارة والبرودة فاعلتان لكن الحرارة كيفيّة فاعلة من شأنها تفريق المجتمعات، والبرودة كيفيّة فاعلة من شأنها جمع المختلفات، والبرودة والجفاف منفعلتان، بل انفعال الجفاف أكثر ـ يعني من حيث الثبات والدوام ـ والرطوبة أشد انفعالاً من حيث سهولة الشكل.

والمهم أنّ المعروف في الأخبار أنّ من ولد لستة أشهر هما السيّد يحيى عليه السلام والحسين عليه السلام بالخصوص من أولاد الأنبياء، وأمّا من سائر الناس فهم كثر ممّن ولده وعاش، ومن جملتهم ابن الربّي بهناس الذي ولد لستة أشهر وسمّي بالربّي نهمان حتوفا.

ونهمان حتوفا هو اسمه الحقيقي، أمّا الربّي فهو بمعنى الملاّ، أي: رجل الدين، فكما نقول نحن : الملاّ، فإنّ هؤلاء يقولون: الربّي، وكما نحن نقول: القاضي، فإنّهم يقولون : القسيس، وهو المعروف عندنا بالكشّيش، وكما نقول نحن: الزاهد التارك للدنيا فإنّهم يقولون: الرهبان.

وقد وقع الاختلاف بين الأدباء في المصدر الذي اشتقت منه كلمة الملاّ.

---

(١) مريم (١٩): ١٧.

فقال البعض: إنّها مشتقّة من الملىء، باعتبار أنّه مملوء من العلم.

ولكنّه وهم فجّ ورأيّ معوجّ؛ لأن كلمة الملاّ مضاعفة، والملىء مهموز، والآخر: لأنّه ليس وزناً من أوزان اللغة العربية، والثالث: أنّ كلمة الملّا فارسية وليست بعربية.

وإنّما الثابت بالتحقيق: إنّ أصل كلمة الملاّ هو: المولى، ولذا يعبّر العلماء الأخيار والأدباء من أولي الأبصار بالمولى عن الملاّ في كتاباتهم، مثل المولى الآديب الفلاني، كما أنّ أصل كلمة (المير) الأمير، وأصل كلمة (الميرزا) ابن الأمير.

[آيات دلائل وحي الطفل]

وقد ولد الربّي نهمان حتوفا لستّة أشهر، ولم يكن أبوه حاضراً، وعندما سقط على الأرض سجد، ولما رفع رأسه من السجود أشار إلى الدولاب الدوّار، قائلاً: يا أمّاه، هذا فلك نهطاس الذي تشاهدينه، وفوقه خمسة وأربعين فلكاً ناريّاً، وفوقهن كرسياً من نار، وفوقه أربعة من الملائكة الناريّين. فلما بلغ هذا الموضع من كلامه دخل الربّي پهناس وسمع من ولده إفشاء هذه الأسرار، وضع أصبعه على شفاه ولده وقال: يا ولدي إصمت.

عارفان كه جام حقّ نوشيداند سرّها داشته وپوشينده اند

هر كه أسرار حقّ آموختند مُهر كردند ودهانش دوختند[1]

[ترجمته: إنّ العرفاء الذين شربوا من كأس الحقّ لديهم أسرار ستروا عليها، فمن تعلّم أسرار الحقّ ختموا على فيه وأحاطوه].

---

(١) مثنوي المعنوي : الدفتر الخامس برقم ٨٨ باختلاف يسير... رازها دانسته وپوشيده اند هر كه أسرار كار آموختند...

الآيات الخمس لوحي الطفل

«الأسرار جند الأحرار».

فصمت الربّي نهمان حتوفا اثنتي عشرة سنه، فتأسّفت راحيل لهذه القصّة كثيراً، وأصابها الملل، بأنّها كانت تريد ولداً يؤنسها فما فائدة طفل لا يتكلّم، حتّى قالت لربّي پهناس يوماً: ادعوا لهذا الطفل أن يتكلم، أو اذن له في الكلام فقد فقدت طاقتي.

قال: إنّه لا فائدة في كلامه؛ لأنّ كلّ ما يقوله يكون من الأسرار، فلا يفهمه أحد.

فقالت: حسناً فإذن له في الكلام حتّى لو كان سرّاً ولغزاً.

فقال الربّي پهناس: أنطق يا ولدي، وما إن أذن للطفل أبوه حتّى قال: يا والدي العزيز، بما أنك أذنت لي في الكلام، فاعلم أنّي سأموت بعد أربعين يوماً وسأفارقكم، فأوصيك أوّلاً بأمي بالذات، سلّها بعد موتي ودارها لأنّ قلبها سينكسر بفقدان الشاب.

وما أشبه هذه الوصيّة بوصيّة علي الأكبر ابن الإمام الحسين عليه السلام: أنّ باب الجمال الحسيني، السيّده سكينة سلام الله عليها تروي: لما ركب أخي الشجاع فرسه (العقاب) نظر إليه أبي متحسّراً، ثم تلا هذه الآية الشريفة: ﴿**إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ * ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[1].

---

(١) آل عمران (٣): ٣٣ ـ ٣٤.

ثم نظر إلى السماء وقال: «الهم اشهد على هؤلاء القوم، لقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا إلى رسولك نظرنا إليه»[(١)].

ثم أذن لأخي الشجاع في القتال، فما مشى خطوات حتّى رجع فهمز في أذن أبي الجليل فأسرّ إليه شيئاً لم أفهمه، ولكن رأيت أن قد جرت دموع والدي على خدّيه، ثم مضى أخي إلى المعركة، فدنوت من أبي وقلت: يا أبتاه، ما الذي أسرّ إليك أخي؟

فقال: «أوصاني بأمّه ليلى»[(٢)].

---

(١) انظر: الفتوح لابن أعثم الكوفي ٥: ١١٤.

(٢) لم أجده في مصدر معتبر، نعم وجدته في مجمع مصائب أهل البيت عليهم السلام لمحمّد الهندواي: ٤٢٦.

[وصيّة الرِبّي پهناس لعلماء اليهود]

وذات مرّه قال الربّي نهمان حتوفا: يا أبي، إذا أنا متّ فادفني في المقبرة الفلانية التي دفن فيها العباد والزهاد، وفيها أربعون من أولياء الله، وغسّلني وكفنّي بيدك، واكتب ما أقوله إلى أربعين يوماً؛ لأنّه من الأسرار؛ لأنّها تفيد معشر اليهود وتصبح ـ بعد ذلك ـ معجزة باهرة يهتدون بها إلى طريق الحقّ والصراط المستقيم.

فكتب الربّي پهناس ما قاله وهو عبارة عن خمس إحاءات، في كلّ وحي ثمان وعشرون آية بعدد حروف الهجاء:

فالوحي الأول ـ حسب ترتيب حروف الهجاء ـ تبتدئ في أوّلها بالألف، والثانية بالباء، والثالثة بالجيم، وهكذا آخر آية أوّلها الغين.

والوحي الثاني: عكس الأوّل، فأوّل آية منه تبتدئ بالغين، والثانية بالظاء، وهكذا الايحاءات الأخرى كانت على هذا الترتيب، ولم يتسنّ من الإيحاءات ثلاثة وقد فقد اثنان منها، وكانت بأجمعها تحمل أسراراً لحوادث آخر الزمان، ومنها مبعث خاتم الأنبياءﷺ، وولادته ووفاته، وذكر الأئمة الاثني

عشرعليهم السلام، وتاريخ كلّ واحد منهم، وولادتهم ووفاتهم، ومناسباتهم ومجمل أحوالهم، واسم قتلتهم، وقد كتب هذا كلّه على نحو الرموز، فلا يستطيع أحد أن يفهم هذه المطالب إلّا بعد أن يشاهدها بالعيان.

وقد أودع الربّي پهناس هذه الإيحاءات عند العلماء بعد موته، وأوصاهم بحفظ هذه الأسرار وعدم إفشائها حتّى زمن النبيّ محمّدصلى الله عليه وآله فحينئذٍ يظهروها ويأمرون الناس باتباع هذا الدين الحنيف لهذا النبيّصلى الله عليه وآله.

ولكن اليهود لم يعملوا بهذه الوصية عناداً حتّى في عصر الرسولصلى الله عليه وآله وأولاده الطاهرين، وبقي وحي الطفل هذا مستوراً ومحفوظاً في خزائن اليهود، لم يظهروه، ولم يسمحوا للمسلمين أن يطلعوا عليه، حتّى اخترعت الطابعة قبل قرون قليلة، وشاع طبع الكتب القديمة والنفيسة، وكان لأحد متموّلي اليهود ـ الذي كان يقطن في قرى بيت المقدس ـ كتاباً مذهّباً نفيساً في خزانته وقد كتب فيه حول المذهب اليهودي، فأراد أن يطبعه؛ كي يكون من الباقيات الصالحات بعد موته، وينشره في أنحاء العالم كي يصبح موجباً لتقوية دين اليهودية، فأعطاه مع مبلغ وافر لصاحب المطبعة حتّى يطبعه، وكان في حاشيته وحي الطفل مكتوباً ومسطوراً، وبما أنّه كان عبارة عن رموز وأسرار فلا يعلم أحد نفعه أو ضرره على دين اليهود، فطبع غفلةً وانتشر في أنحاء العالم، وقد وقع بعض نسخ لهذا الكتاب المعتبر في أيادي بعض القساوسة الطيّبين فرأوا أنّه إخبار عن الحقائق، وإيحاء كامل يخبر عن أحقيّة الدين الإسلامي المبين، وقد ذكر فيه جميع أحوال وأسرار ووفيات وشهادات وولادات السلالة الجليلة

لخاتم الأنبياء محمّدصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه وآل محمّدعليهم السلام، ولذا فقد أسلم بعض علماء اليهود الذين خلوا من حبّ الدنيا والملك، وكان إسلامهم في عهد فتحعلي شاه، وقد ترجموا وحي الطفل هذا، فاعترض عليهم كثير من اليهود، وتأسف عليهم الخليفة الذي كان يهوديّاً، وأمر أن يجمع الكتاب أينما كان ويحرق ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾(١).

چراغــى كــه ايــزد بــر فــروزد هر آن كس پف كند ريشش بسوزد

[ترجمته: أنّ الضوء الذي أوقده الخالق لا يستطيع أحد أن يطفئه، وإذا نفخ فيه أحد تحترق لحيته].

فلهذا السبب آمن بعض القساوسة الذين سكنوا بإيران، واهتدوا وبدّلوا أسماءهم، ومنهم: الميرزا محمّد رضا(٢)، والآخر الميرزا محمّد إسماعيل(٣)

---

(١) الصف (٦١): ٨.

(٢) هو الميرزا محمّد رضا اليزدي المعروف بجديد الإسلام، كان من علماء اليهود فاعتنق الإسلام على يد المولى محمّد جعفر الأسترآبادي المعروف بشريعتمدار سنة ١٢٣٨هـ فألّف كتاب (إقامة الشهود) في الردّ على اليهود باسم السلطان فتح علي شاه القاجار، ثمّ في عصر ناصر الدين شاه القاجاري ترجم إلى الفارسية باسم (منقول رضائي) وتوفي سنة ١٢٦٦هـ.

انظر: الذريعة ٢: ٢٦٣ برقم ١٠٧٧، و٢٣: ١٥٢ برقم ٨٤٦١، و٢٥: ٥٩ برقم ٣٢٦، تراجم الرجال للسيّد أحمد الحسيني الأشكوري ٢: ٦٨٩.

(٣) محمّد إسماعيل جديد الإسلام كان من علماء اليهود ومن سلسلة بني إسرائيل أسلم في زمان فتح علي شاه القاجار.

انظر: مقدّمة رساله اى در ردّ يهوديّت (محضر الشهود في ردّ على اليهود) لحاج بابا قزويني يزدي ابن محمّد إسماعيل جديد الإسلام.

وقد سعوا في ترجمة هذه الآيات كثيراً، وما أتذكر من هذه الآيات هو : (ايتيا اومتّا يرينا عبدا حدّ متّا بيد بن أمتّا) [1] يعني ستأتي طائفة وأمّة صادقة فيثورون ويثيرون، ويُصلح كلّ فساد على يد ابن أمة، وهي إشارة لخاتم الأنبياء وسند الأصفياء محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله؛ لأنّه من أولاد إسماعيل، وأمّ إسماعيل هاجر كانت أمة عند سارة أم إسحاق وهو أب اليهود.

ولذا كانت اليهود تفخر على العرب فيقولون: نحن أبناء السيّدة وأنتم أبناء الأمة.

ولم ترزق سارة ولداً حتّى بلغا من الكبر عتيّاً، فقالت لإبراهيم إنّي أهب لك هذه الجارية فانكحها حتّى يُعلم أنّ المانع من الولد أنت ولستُ أنا، ولما واقع إبراهيم هاجر حملت منه، وانتقل النور المحمّدي إلى جبينه، وزاد على جماله وجلاله وبهائه أضعافاً مضاعفة، فندمت السيّدة سارة لهذا الأمر وتأسّفت كثيراً، وزادت الحلقة التي في أذن هاجر ـ وهي علامة الرّق ـ لجمالها جمالاً، فبلّغ النبيّ إبراهيم من جانب الله تعالى باستحباب تزيين المرأة أذنها بالقرط [2].

---

(١) لعلّه يشير إلى هذا المقطع من العهد القديم سفر التكوبن ٢١، ١٤ (وسأقيم من ابن الجارية أمّة أيضاً لأنّه من ذرّيتك).

(٢) انظر: سورة هود (١١): ٦٩ ـ ٧٥، سورة إبراهيم (١٤): ٣٩، سورة الحجر (١٥): ٥١ ـ ٥٦، وانظر تفسير الطبري ١٢: ٩٣.

العهد القديم سفر التكوين ١٦، الكافي ٦: ٣٥، باب التطهير، الحديث ٤، وانظر: الدر المنثور للسيوطي ٤: ٨٥.

[إحراق دار الأمير عليه السلام]

وكانت الصدّيقة الطاهرة عليها السلام ـ مع زهدها في الدنيا وما فيها ـ قد التزمت بهذا الأمر المستحب، وضعت من حبّات الجواهر السبعة التي ورثتها من أمّها الصدّيقة الكبرى عليها السلام[1] قرطين وضعت أربعة منها في أذنها اليمنى وثلاثة في اليسرى، فبقي هذا القرط في أذنها حتّى التفت الظالم الذي لا دين له إلى أبي بكر وقال: إنّ الناس قد بايعوك ما خلا هذا الرجل وأهل بيته فابعث إليهم.

فقال: يا قنفذ، انطلق إلى علي، وقل له: أجب خليفة رسول الله، فبعثا مراراً فلم يقبل أن يأتيهم، فغضب فلان وقام وأمر خالد بن الوليد وقنفذاً ليحملا حطباً وناراً، وجاء إلى دار علي عليه السلام، وفاطمة عليها السلام واقفة خلف الباب قد أعصبت رأسها ونحل جسمها بعد وفات أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله فقرع الباب وقال: يا علي، افتح الباب.

---

(١) أمالي الصدوق ٣٠٥، المجلس ٤١، الحديث ٧، التسلسل ٣٤٨، وانظر: الكافي ٦: ٣٤، كتاب العقيقة، باب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام عقّا عن الحسن والحسين عليهما السلام، الحديث ٦، وباب التطهير، الحديث ١، ٥، من لا يحضره الفقيه ٣: ٤٨٩، الحديث ٤٧٣٠.

فقالت فاطمة عليها السلام: «مالك ولنا لا تدعنا وما نحن فيه».

قال: يا فاطمة، افتحي الباب وإلّا أحرقنا الباب عليك.

فقالت فاطمة: «يا فلان، اتق الله عزّ وجلّ، أتدخل داري بغير إذني» فلم ينصرف، وأمر بالنار فأضرمت حتّى احترق الباب، فدفعه وفاطمة عليها السلام خلف الباب فعصرها بين الباب والحائط حتّى انبعث الدم من ثديها، ونبت المسمار في صدرها، فصاحت: «يا أبتاه يا رسول الله»، وبسط يده الميشومة ولطمها لطمة تناثر قرطاها [1].

---

(١) انظر: البحار ٣٠: ٢٩٤، باب ٢٠، الحديث ١٥١، ج٥٣: ١٩، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، باب ٢٨، وانظر: أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٨٦، الحديث ١١٨٤، الهداية الكبرى للخصيبي: ٤٠٨.

وللسيّد محمّد باقر الموسوي الهندي المتوفي ١٣٢٩ هـ قصيدة مطلعها:

كلّ غدر وقول إفك وزور ... هو فرع عن جحد نصّ الغدير

إلى أن يقول:

لست تدري ما صدر فاطم ما ... المسمار ما حال ضلعها المكسور

ما سقوط الجنين ماحمرة العين ... وما حال قرطها المنثور

دخول الدار وهي حسرى بمرأى ... من عليّ ذاك الأبي الغيور

ويصوّر هذه الحالة المحقق الأصفهاني المتوفي سنة ١٣٦١هـ في مقطوعاته الأدبية الفاطمية الرزية الكبرى:

لهفي لها لقد أضيع قدرها ... حتّى توارى بالحجاب بدرها

تجرّعت من غصص الزمان ... ما جاوز الحدّ من البيان

⇦



ومـــا أصـــابها مـــن المصـــاب   مفتـــاح بابـــه حـــديث البـــاب
إنّ حـــديث البـــاب ذو شـــجون   ممّـــا جنـــت بـــه يـــد الخـــؤن
أيهجم العدى على بيت الهدى   ومهبط الوحي ومنتدى الندى
أيضـــرم النـــار ببـــاب دارهـــا   وآيـــــة النـــــور منارهـــــا
وبابهـــا بـــاب نبـــيّ الرحمـــة   وبـــاب أبـــواب نجـــاة الأمّـــة
بـــل بابهـــا بـــاب العلـــي الأعلـــى   فـــثم وجـــه الله قـــد تجلّـــى
مـــا اكتســـبوا بالنـــار غيـــر العـــار   ومـــن ورائـــه عـــذاب النـــار
مـــا أجهـــل القـــوم فـــإنّ النـــار لا   تطفـــيء نـــور الله جـــلّ وعـــلا
لكـــن كســـر الضـــلع لـــيس ينجبـــر   إلّا بصمصـــام عزيـــز مقتـــدر
إذ رضّ تلـــك الأضـــلع الزكيـــة   رزيّـــــة لا مثلهـــــا رزيّـــــة
ومن نبوع الدم من ثدييها (جنبيها)   يعـرف عظـم مـا جـرى عليهـا
وجـــاوزوا الحـــدّ بلطـــم الخـــدّ   شـــلّت يـــد الطغيـــان والتعـــدي

[أحوال سارة والنبيّ إبراهيمعليه السلام]

ومجمل الكلام إنّ السيّدة سارة لم تجد حيلةً في أمرها، ولذا ساء خلقها مع النبيّ إبراهيمعليه السلام، حتّى شكى إبراهيم منها لله تعالى أكثر من مرّة، فجاءه الخطاب: إصبر يا إبراهيم؛ لأنّ مثل المرأة كالضلع الأعوج إن أقمته كسرته وأفسدته[1]. حتّى قالت سارة لإبراهيمعليه السلام ذات يوم : إنّي لا أستطيع أن أشاهد هاجر فأبعدها عن عيني، فكان إبراهيمعليه السلام يتهاون بهذا الأمر حتّى ولدت هاجر فلذة كبدها معتدل القامة وسيماً نورانياً يفوق نور جبينه نور الشمس، وله زلفاً عربية طويلة فتعلق به النبيّ إبراهيمعليه السلام كثيراً؛ لأنّه لم يرزق ولداً قبله.

فتضايقت السيّدة سارة لهذا الأمر كثيراً، وتفاقم الأمر على النبيّ إبراهيمعليه السلام، حتّى صدر الأمر بإخراج النبيّ إبراهيمعليه السلام وزوجه وابنه من بيت المقدس وسكناهم صحراء قاحلة لا ماء فيها ولا زرع[2].

---

(١) روت عائشة عن النبيّصلى الله عليه وآله، قال: «المرأة كالضلع، إن أقمتها كسرتها هي يستمتع بها على عوج». مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٧٩، وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ٦: ١٤٥.

(٢) انظر: المحاسن للبرقي ٢: ٣٣٨، كتاب العلل، الحديث ١٢٠، تفسير القمي ١: ٦٠، سورة البقرة (٢): ١٢٧.

فشكى النبيّ إبراهيمعليه السلام ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فهبط الأمين جبرئيل عليه، قائلاً: يا إبراهيم، ارض بذلك، وأحضر حينئذٍ براق ويعفور له، فركب النبيّ إبراهيمعليه السلام البراق، وأركب زوجه وابنه اليعفور، فتقدّمت سارة قائلةً : بما أنك أخرجتهم فلابدّ أن تسكنهم في وادٍ لا ماء فيه ولا زرع، وتتركهم ليلاً، بل لا تنزل معهم من مركبك وإنّما ترجع إلينا بسرعة.

فتوقف إبراهيمعليه السلام فقال له جبرئيل : إرضَ، ولما تحرّك إبراهيمعليه السلام خارجاً من بيت المقدس، كانت هاجر تودّ لو أنّها تقيم في أرض ذات زرع وهواء لطيف، لأنّها كانت ترى ذلك عند طريقهم، ولكن جبرئيل كان يمنعهم من ذلك حتّى وصلوا ـ بطيّ الأرض ـ إلى أرض مكّة، وكان في موضع الكعبة تل من الرمل الأحمر، وفي ذيل التلّ نخلتان صغيرتان قد اخضرّا لتوّهما.

فقال جبرئيل: انزلوا هنا، فنزلت هاجر ووضعت طفلها بين النخلتين، وجعلت من عباءتها ضلاً له، وسقاهم النبيّ إبراهيمعليه السلام مرّة واحدة شربة ماء ثمّ تركهم مودّعاً، فصاحت هاجر خلفه : هل صنع أحد من الأنبياء من قبلك بأهله كما صنعت بنا؟

لستُ إلّا امرأةً ضعيفة، فإلى من تودّعني في هذا الوادي؟

فقال: أودّعك من أمرني أن أحملكِ إلى هذا المكان.

فقالت هاجر: وهل أمرك الله بذلك؟

قال: بلى.

فقالت: إذن فاذهب فلا حاجة لي بك.

گر نگه دار من آن است را که من می دانم

شیشه را در بغل سنگ نگه می دارد[١]

[ترجمته أي: سيحفظني ويحرسني هذا الذي أعلمُ أنه يحفظ الزجاجة إلى جنب الحجارة].

(١) هذا البيت للشاعر الآذربايجاني الملاّ پناه واقف قره باغي (ت١٢١٢هـ).

[قصة هاجر]

فذهب إبراهيم وجلست هاجر مدّة حتّى ارتفعت الشمس، ولم يبق في القربة ـ التي أعطاها إبراهيم ـ ماء وصار العطش يغلب عليها وعلى ولدها شيئاً فشيئاً، حتّى ظهرت آثاره على شفتي طفلها، وجفّ ثديها من شدّة الحرّ، ومخافة الخطر، ووقعت هي وولدها في محنة عظيمة، وصارت تسعى إلى جبل الصفا سبع مرّات مناديةً: هل من أنيس؟!

فلم تسمع جواباً، فسعت مرّة أخرى إلى جبل المروة سبع مرّات وهي تنادي: هل بالوادي من أنيس؟ لكنّها أيضاً لم تسمع جواباً، ولهذا وجب السعي بين جبلي الصفا والمروة سبع أشواط ـ وهما جبلان في مكّة المعظّمة، والمسافة التي تفصل بينهما هي نفس المسافة والمقدار الفاصل بين حرم سيّد الشهداء عليه السلام وحرم أبي الفضل عليه السلام [1] ـ

---

(١) يقال: إنّ المسافة بين قبري الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العبّاس مطابقة بين جبل الصفا والمروة في مكّة حيث إنّ المسافة ٣٧٨ مترا.

فيجب البدء بالصفا متوجّهاً إلى المروة حتّى يصل إليها، فيحسب له شوط واحد، ثمّ يرجع من المروة إلى الصفا فيكون الشوط الثاني، حتّى يتمّ سبعة أشواط على هذا النحو.

ولمّا كانت السيّدة هاجر تسعى وقد غمرها الخوف والذعر، كانت ترجع صوب ولدها فتشاهده على هيئة المحتظر من شدّة الضمأ، فنفذت طاقتها وقالت: الأفضل أن أذهب حتّى لا أشاهد ولدي وهو ينازع الحياة.

فذهبت وابتعدت مسافة، ولكنّها لم تطق الابتعاد عن طفلها، فرجعت وضمّته إلى صدرها وشمّته، ثمّ وضعت خرقة على وجهه، ثمّ توجّهت نحو الصحراء حتّى لا تشاهد نزاع ولدها، فابتعدت مسافة طويلة يتيقّن معها أنّه لو قضى لطفلها أن يموت لمات في هذه المدّة قطعاً.

ولكنّها رجعت فنظرت إليه حيّاً، وقد حفر الأرض بكعب قدميه من شدّة العطش، فتفجّرت من هذه الحفرتين عينان من الماء، فانحنت وذاقت الماء فوجدته حلواً بارداً، ففرحت كثيراً وجمعت الماء قائلةً: زمزم(١): أي: قف،

---

(١) وهي البئر المعروفة بمكّة. قيل: سمّيت بها لكثرة مائها. وقيل: هو اسم علم لها. انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ٢: ٣١٣. (مادة زمزمَ).

وفي لسان العرب ١٢: ٢٧٥ عن التهذيب في النوادر: «وزَمْزَمته زَمْزَمة... إذا جمعه ورددت أطراف ما انتشر منه».

وذكر لها معاني أخرى، انظر: شرح مسلم للنووي ٨: ١٩٤.

فسمعت هاتفاً ينادي: لا تخافي فإنّ الماء كثير إشربي منه، وارتوي منه أنت وطفلك[(١)].

(١) انظر: تفسير القمي ١: ٦٠، سورة البقرة، الآية ١٢٧، المحاسن للبرقي ٢: ٣٣٧، كتاب العلل، الحديث١١٩، صحيح البخاري ٤: ١١٤، كتاب بدء الخلق، مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٢١، عن ابن عبّاس عن أبي بن كعب.

[استشهاد علي الأصغر]

فلتحترق قلوبنا على أم الرضيع التي رأت هلاك طفلها من العطش، فقدّمته إلى السيّدة زينب جدّتي وهي تقول: قولي لسيّدي يطلب له شربة ماء ويأخذه لميدان القتال لعلّ الظالمين يرحموه فيسقوه، فلمّا سمعت السيّدة عليها السلام طلبت ذلك من أخيها عليه السلام، فأخذه تحت عباءته قاصداً ميدان القتال.

قال الراوي: كان الإمام عليه السلام لا يأتي المعركة إلّا وهو متقلّداً سلاحه، حاملاً سيفه أو رمحه بيده ما خلا هذه المرّة، فقد أتى متجرّد السلاح، مرتدياً عباءته وقد وضع شيئاً تحتها، فتعجّب العسكر مادّين أعناقهم، محلّقين أحداقهم حتّى يروا ماذا يريد.

فوقف الإمام عليه السلام على مرتفع، وأدخل يده تحت عباءته وأخرج طفلاً مقمّطاً ملفوفاً لستة أشهر فرفعه على يديه وهو يقول:

فدعا في القوم يالله للخطب الفظيع

نبّئوني أأنا المذنب أم هذا الرضيع

لاحظوه فعليه شبه الهادي الشفيع

لا يكن شافعكم خصماً لكم في النشأتين[١].

فثار النزاع بين العسكر، يقول الراوي: كنت في جيش ابن سعد ومن رؤوس شجعانه الخبرة، وقد شاركت في حروب كثيرة بدور مشهود وفعال، ولم أزل مشغولاً في القتال والجدال ما دام أصحابي يقاتلون في المعركة، فلمّا وصلت النوبة إلى بني هاشم أدخلت سيفي في غمده ونزلتُ عن فرسي، ثمّ دخلت خيمتي، وقلت: لا ألطّخ يدي بدم آل عليّ أبداً؛ كي لا يكون غداً في القيامة رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي المرتضى وفاطمة الزهراء خصمائي.

وكلّما ثارت غارة وحلّ هجوم في ساحة الحرب، إنّما كان من براز علي الأكبر وأبي الفضل والقاسم، فلم أخرج من الخيمة أبداً، حتّى رأيت ضجّة عظيمة حدثت بين العسكر، فالراكب منهم يترجّل، والراجل منهم يركب، قلت: ما الخبر؟

فقالوا: إنّ الحسين أتى بطفله إلى ساحة الحرب يطلب له الماء، فخرجتُ بلا وعي وأسرعتُ نحو فرسي وارتقيت إلى مرتفع فشاهدت اختلافاً عظيماً قد

---

(١) من قصيدة للشيخ حسن الدمستاني البحراني (ت١١٨١هـ)، المعروفة بالمربعة، المشتملة على نظم مقتل سيّد الشهداء عليه السلام وتوجهه لكربلاء وما يجري فيها على أهله وأصحابه، ومطلعها:

أحرم الحجّاج عن لذاتهم بعض الشهور

وأنا المحرم عن لذاته كلّ الدهور

انظر: أعيان الشيعة ٥: ٢٦٠ ـ ٢٦١، ديوان نيل الأماني.

وقع بين العسكر : فمنهم من يقول : اسقوه، وآخر يقول: ما ذنب هذا الطفل، وثالث يقول: انظروا إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله كم بلغ به الأمر حتّى اضطرّ أن يأتي بطفله إلى ميدان القتال، فنظرت إلى ابن سعد وقد اُدهش وارتعب من الاختلاف الحاصل بين العسكر، ثمّ طلب حرملة وقال له: اقطع كلام القوم.

فقال: أرمي الولد أم الوالد؟

فقال ابن سعد: ألم تر جيد هذا الطفل في حجر أبيه، ورقبته تلمع مثل نجمة الزهرة، فرمى الظالم سهمه نحوه حتّى سمعتُ صوت وتره حينما خرج من قوسه، ولكنّي لا أعلم هل أصاب هدفه أو لا، فعدوت بفرسي بضع أقدام حتّى رأيت الطفل يرفرف كالطير المذبوح وقد ألوى يده على جيد أبيه[1].

چون بميدان برسد دست پدر	آيه كبراى حق شد جلوه گر
ابن سعد پيشواى أهل شر	از كمينكه با كمان آمد بدر
گفت بر من جمله باشيد أي سپاه	در حضور زاده سفيان گواه
گر كمان كفر دامن گير من	بر حسين اوّل رها شد تير من
جون شنيدند اين سخن تقليديان	از زبان آن لعين تيره جان
دل زحق يكبارگي برداشتند	وجه حق را تير باران ساختند
جان نمرود لعين كفنى هله	بود در جسم لعين حرملة
تيرا چون كفر أو بالا گرفت	در گلوى حق نژدى جا گرفت

(١) انظر: بحار الأنوار ٤٥: ٤٦، تاريخ الإمام الحسين عليه السلام، الباب٣٧، مثير الأحزان لابن نما الحلّي:٥٢، اللهوف في قتلى الطفوف لابن طاووس: ٦٩.

[ترجمته أي: لمّا تجلّت آية الحقّ الكبرى على يد الأب، خرج ابن سعد أمام أهل الشرّ من مكمنه مستلًّا قوسه، فقال: يا أيّها العسكر اشهدوا لي عند محضر ابن سفيان، بأنّي رميت سهم الكفر الذي سيصيبني، وأنّ سهمي أوّل سهم رمى به الحسينعليه السلام، فلمّا سمع أتباعه هذا الكلام، من لسان هذا اللعين المظلمة روحُه، انتزعوا الرحمة من قلوبهم تماماً، ورموا وجه الحقّ بسهام كالمطر، إنّما حلّت روح نمرود اللعين في جسم اللعين حرملة، وقد تصاعد سهمه كما ازداد كفره، ولما استلّ سهمه ركّز على نحر الحقّ فأصابه].

[الآية الثانية من آيات وحي الطفل]

الآية الثانية من الوحي الأوّل: (يعالَما ونشا وهل من يشايلب رها امشا وهل من يشا).

أي: إنّ ابن الجارية، هذا الذي نساه الناس بل الدنيا، وهو الذي أطلق أرواح الأسرى.

تشير الفقرة الأولى إلى علوّ مرتبته ـ أيّ النبيّ صلى الله عليه وآله ـ وهي مرتبة البقاء بعد الفناء ـ والفناء بعد البقاء، وعالم الواحدة في الكثرة ـ والكثرة في الوحدة، الذي قال فيه: يا أحمد، أنا وأنت وما سوى ذلك، خلقته لأجلك.

فقال: يا أحمد، أنت وأنا وما سوى ذلك تركته لأجلك[1].

---

(١) المعاريج الأربعة والأسفار الأربعة المعبّرة عنها بالمعراج أربعة بالاتفاق:

الأوّل: هو السير إلى الله من منازل النفس إلى الوصول إلى الآفق المبين، وهي نهاية مقام القلب ومبدأ التجلّيات الأسمائية.

⇦

مَـن همـان دم كـه وضـو سـاختم از چشـمهء عشـق

چـار تكبيـر زدم يكسـره بـر آنچـه كـه هسـت

[ترجمته أي: إني في لحظة وضوئي من عين العشق كبّرت أربع مرات، وصرفتُ النظر عنها].

قال ولده العزيز السيّد السجّاد قافلة العبّاد:

«مَن ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك فرام منك بدلاً، ومَن ذا الذي أنس بقربك فابتغى عنك حولا»(١).

إلهى حمال توراست باقى همه زشتند

وزاهدان مزدوران بهشتند(٢)

[ترجمته: إلهي الكلّ قبيح وجمالك هو الباقي والزهاد مستأجروا الجنّة].

⇨

الثاني: هو السير في الله بالاتصاف بصفاته والتحقيق بأسمائه إلى الأفق الأعلى ونهاية الوحدانية.

الثالث: هو الترّقي إلى عين الجمع والحضرة الأحدية، وهو مقام قاب قوسين، ما بقيت الإثنينيّة، فإذا ارتفعت فهو مقام أو أدنى وهو نهاية الولاية.

الرابع: هو السير بالله إلى الله للتكميل، وهو مقام البقاء بعد الفناء، والفرق بعد الجمع.

انظر تفسير المحيط الأعظم والبحر الخظم في تأويل كتاب الله العزيز الحكيم للسيّد حيدر الآملي ٤: ١٠٨.

(١) مفاتيح الجنان: ٢١٧، الفصل الثامن، المناجاة التاسعة (مناجاة المحبّين). بحار الأنوار ٩١: ١٤٨، الباب ٣٢.

(٢) مناجاة خواجة عبد الله الأنصاري (ت ٤٨١هـ) المعروف بآلهي نامه.

ويقول في موضع آخر: «أنت لا غيرك مرادي، ولك لا سواك سهري وسهادي، ولقاؤك قرّة عيني ووصلك منى نفسي»[١].

عاشقان در گذر از جنت نعيم

كه جزا وهر چه بخاطر كذرانى صمند

[ترجمته: إنّ عشاق الله يحوزون الجنان والنعيم؛ لأنّ شغلهم وهمّهم الوحيد هو الله تعالى، فلم يشغلهم سواه].

نسيت اليوم من عشقي صلاتي فما أدري غدائي من عشائي
وذكرك سيّدي أكلي وشربي ووجهك إن رأيت شفاء دائي[٢]

وقال المولى أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً لذلك»[٣]

عاشقان را شادمانى زغم اوست دست مزد واجرت وخدمت هم اوست
غير معشوق از تماشائى بود عشق نبود هرزه سودائى بود[٤]

[ترجمته: لو فكّرت ونظرت ترى أنّ هم العاشق فرحة له، لأنّه يعتبرها خدمة للمعشوق وبهاءً لخدمته.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٢١٧، الفصل الثامن، المناجاة الثامنة، مناجاة «المريدين»، بحار الأنوار ٩١: ١٤٨، الباب ٣٢.

(٢) هذا الشعر نسب إلى أحد أئمة الصوفية، وهو أبو بكر دلف بن جحدر الشلبي (ت ٣٣٤). انظر: طبقات الصوفية : ٣٣٧ ـ ٣٤٤، الطبقة الرابعة رقم ١.

(٣) عوالي اللئالي ١: ٤٠٤، الباب الأوّل، المسلك الثالث الحديث ٦٣، وج ٢: ١١، المسلك الرابع، الحديث ١٨، شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٨٠ وج ٥: ٣٦١.

(٤) المثنوي المعنوي لجلال الدين الرومي: الدفتر الخامس.

ولو أنّ العاشق شاهد غير معشوقه، فإنّه في الحقيقة لا عشق من الأصل، ولا فائدة فيه].

قال محبوب القلوب، ومعشوق الأرواح، نور الخراب وحياته، سرور المظلومين وسيّد العطاشى والعشاق، العاشق الحقيقي لربّ العالمين الحسين المظلوم عليه السلام:

تركتُ الخلق طراً في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فإن قطّعتني في الحبّ إرباً لما حنّ الفؤاد إلى سواكا[1]

قال هذا الكلام في وادي المصرع، حينما وضع رأسه على أرض الغربة، وهو بين حرارة الشمس وحرقة الجراح وصياح أهل بيت العصمة عليهم السلام ونياحهم.

وقد تحيّر ووله جميع الأنبياء والأولياء ودهشوا، حينما رأوا أنّ الحسين المظلوم عليه السلام اختلى بعشيقه الحقيقي وشغل به عمّا سواه، وهو يناجيه «الهي رضاً برضاك، وتسليماً بقضاك، ولا معبود سواك»[2].

---

(١) اختلف في نسبت هذه الأبيات: تارة نسبت إلى الإمام الحسين عليه السلام بلسان الحال أو المقال، أو إلى إبراهيم بن أدهم البلخي الزاهد بالشام، أو رابعة العدوية.

انظر: منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوئي ١٣: ٣٤٠، مرآة الجنان وعبرة اليقضان لعبد الله بن أسعد اليافعي ١: ٣٧١، أحداث سنة ١٦٢ للهجرة، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ١: ٢٥٦.

(٢) انظر الخصائص الحسينية: ٦٢.

[قصّة إبليس وكلامه مع الله تعالى]

وهنا يقول الدربندي: إنّ إبليس الأبالسة مرّ مع جنوده، فشاهد أنّ الحسين المظلوم عليه السلام صنع صنعاً تعجّب له جميع الأنبياء والأولياء والملائكة الكروبيّين: «ولقد عجبت من صبرك ملائكة السماء»[1] فقال ـ وذلك لكرهه الذاتي للحسين عليه السلام ـ: الهي؛ لو ارتفعت حرارة الشمس لانصرف الحسين عن مقام الرضا؟!!

فأثار هذا الكلام الغضب الإلهي، وأراد أن يظهر جلال وجمال ومقام العبوديّة والصبر والعشق الحسيني، فأمر قرني الشمس أن تلقي أشدّ حرارتها نحو المصرع، كي تظهر مراتب العشق الحسيني لجميع العالمين وتتضح لهم.

فارتفعت حرارة الشمس، فلم يطقها إبليس اللعين ولاذ بالفرار، وأمّا الحسين لمّا أحسّ بحرارة الشمس قد اشتدت طأطا رأسه ساجداً لله تعالى.

تركتُ الخلق طرّاً في هواكا وأيتمتُ العيال لكي أراكا

---

(١) بحار الأنوار ٩٨: ٣٢٢، الباب ٢٤، الزيارة الخارجة من الناحية المقّدسة برقم ٨.

لــئن قطّعتنـــي فـــي الحـــبّ اربـــاً لمـــا حـــن الفـــؤاد إلـــى ســـواكا

❊ ❊ ❊

أمـــا والـــذي لـــدمي جلّـــلا وخـــص ّ أهـــل الـــولاء بـــالبلا

لــئن ذقــتُ فيــه كــؤوس الحمــام لمـــا قـــال قلبـــي لســـاقيه لا

وقال الشاعر:

پارسی گوگرچه تـازی خوشـتر اسـت عشقرا خود صـد زبـان دیکـر اسـت

بـوی آن دلبـر چـه پـران میشـود ایـن زبانهـا جملـه حیـران میشـود

❊ ❊ ❊

إلهـی اکبـر از تـو اصـغر از تـو به خون آغشتگانم یک سر از تو

اگـر صـد بـار دیگـر بایـدم گشـت حسین از تو سـر از تـو خنجـر از تـو

قضای تو چه پر رونـق تقاضـا اسـت به رشت وخوب دادی آنچه خود خواست

إلهـی حنجـر از مـن خنجـر از شـمر نصیب خـود براداز تـو کـج راسـت

چنـان سـر مسـت صـحبای ألسـتم کـه سـر از پـا نـدانم بسـکه مسـتم

همـی دانـم کـه از بهـر نثـار یسـت بدست انگشتری مانده است دستم

بلائـی کـز تـوام آیـد أو رایـد مـرا از نکهـت جـان خوشـترآید

بمیـدان بـلا مـن بـی سـرایم بکویـت عاشـقان کربـا سـرانید

تماشـهاهای شـو قـم بـرده از جـا سـرا پـا کشـته ام غـرق تجـلاّ

در اثبـاتش ز نفـی لا گذشـتم شـدم خـو د عـین اسـتثنای الّا

برای قتـل مـن خصـم کـج انـدیش کشـیده لشـکر کـین أز پـس وپـیش

یکی سر میبُـرد از مـن یکـی دسـت من از ذوق تجـلاّ رفتـه از خـویش (١)

---

(١) هذه الأبيات للشاعر محمّد تقي نيّر التبريزي.

[مناجاة باللغة التركية]

کر گچسه مین یول باشم جدایه   بوتن بوتسلیم حکم قضایه

وقف اتمشم جان کویه بلایه   محبوبم الله لبیّک لبیّک

تاوار بوبا شده عشقن هواسی   تیغ جفادن یوخدو رهراسی

نوک سناند ورکوی مناسی   محبوبم الله لبیّک لبیّک

عهد الستی باشه تیوردوم   یتمش ایکی باش الده کتوردم

کوه وفایه قربان کتوردم   محبوبم الله لبیّک لبیّک

یا غدو رسه عشقون تا روز محشر   ابر بلادن تیغ ایله خنجر

بو حلق اصغر بو جسم اکبر   محبوبم الله لبیک لبیک

کور زینبوون امثل ایله اهون   پیرامونون ده دشمن سیاهون

عفوایت الها امّت کناهون   محبوبم الله لبیّک لبیّک

سن سن چه مقصود ای بی نیازم   گر اولسه دشمن قتلمه عازم

بو غازم میدان خنجره لازم   محبوبم الله لبیّک لبیّک

فجاء النداء: يا إبليس، رأيت مقام العبوديّة والصبر والتسليم من الحسين؟ ألا فاعلم أنّ الحسين قتيل امتحاني وأنا ديّته.

«من عرفني طلبني، ومن طلبني وجدني، ومن وجدني عشقني، ومن عشقني عشقته، ومن عشقته قتلته، ومن قتلته فعليّ ديّته، ومن عليّ ديّته فأنا ديّته»[1].

(١) انظر: تفسير روض الجنان وروح الجنان ١٠: ٤٧، تفسير سورة التوبة (٩) تفسر المحيط الأعظم والبحر الخظم للسيّد حيدر الآملي ٢: ٤٢٩، ج٤: ٢٢٠، مستدرك الوسائل ١٨: ٤١٩، الحديث٢٣١٢٧.

[الإشكال والحوار الدائر

بين الميرزا القمي والسيّد بحر العلوم]

ومن هنا يرتفع الإشكال القائم بين خاتم الحكماء والمجتهدين الميرزا القمّي قدس سره[1] وبين سيّد الفقهاء الراشدين، والركن الركين، والجوهر الثمين

---

(١) وهو الميرزا أبو القاسم ابن المولى محمّد حسن الجيلاني الشفتي، الدشتي أصلاً والجابلاقي مولداً ومنشأً، والقمّي جواراً ومدفناً، صاحب القوانين، والمعروف بالميرزا القمي.

ولد سنة (١١٥٠) أو (١١٥١) أو (١١٥٣هـ)، وتوفّي سنة (١٢٣١) أو (١٢٣٣هـ) بقم، وقبره مزار ويتبرك به.

كان مجتهداً محققاً مدققاً فقيهاً أصولياً، وكان من بحور العلم وأعلام الفقهاء المتبحّرين، طويل الباع كثير الاطلاع حسن الطريقة، وفي عباراته شيء من الإغلاق، وانفرد بعدّة أقوال في الأصول والفقه على المشهور كحجيّة الظنّ المطلق، واجتماع الأمر والنهي في شيء واحد شخصي، وجواز القضاء للمقلّد برأي المجتهد وغير ذلك.

قرأ على والده، والسيّد حسين الخوانساري، والوحيد البهبهاني وغيرهم.

⇦

سيّد المجتهدين السيّد مهدي بحر العلوم[١]، وكان كلّ منهما تلميذاً للسيّد البهبهاني[٢]، وقد تلمّذ على يديه أيضاً فحول العلماء، ومنهم السيّد مهدي

⇨

انظر: أعيان الشيعة ٢: ٤١١ ـ ٤١٣ وص٤١٧.

(١) وهو السيّد مهدي ابن السيّد مرتضى ابن السيّد محمّد الحسني البروجردي المعروف ببحر العلوم الطباطبائي. ولد بكربلاء سنة ١١٥٥هـ وتوفي بالنجف الأشرف ١٢١٢هـ ودفن قريباً من قبر الشيخ الطوسي.

رئيس الإماميّة، وشيخ مشايخهم في عصره، نادرة الدهر، الفقيه الأصولي الكلامي المفسّر المحدّث الرجالي، الماهر في المعقول والمنقول المتضلع بالأخبار والحديث والرجال، النقي الورع الأديب الشاعر الملقّب ببحر العلوم عن جدارة واستحقاق.

قرأ على والده، والشيخ يوسف البحراني، والوحيد البهبهاني، والشيخ مهدي الفتوني، والشيخ محمّد تقي الدورقي. وتتلمذ عليه الشيخ جعفر كشف الغطاء، والسيّد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة وغيرهم.

انظر: أعيان الشيعة ١٠: ١٥٨ ـ ١٦٠.

(٢) الآقا محمّد باقر ابن محمّد أكمل، المعروف بالوحيد البهبهاني.

ولد سنة ١١١٦هـ أو ١١١٧هـ وتوفّي سنة ١٢٠٥هـ في كربلاء، ودفن في رواق الشرقي مما يلي قبور الشهداء.

وهو العالم العامل العلاّمة الفاضل، الفهّامة المحقّق النحرير، والفقيه العديم النظير، بقية العلماء ونادرة الفضلاء، مجدّد ما اندرس من طريقة الفقهاء ومعيد ما انمحى من آثار القدماء، البحر الزاهر والإمام الباهر، ومجدّد المذهب في الرأس المائة الثانية عشرة.

انظر: أعيان الشيعة ٩: ١٨٢.

الشهرستاني[١]، والميرزا سيّد علي صاحب الرياض[٢]، والشيخ جعفر الكبير صاحب كشف الغطاء[٣]، والآخوند الملاّ مهدي النراقي[٤].

---

(١) الميرزا السيّد محمّد مهدي الموسوي الشهرستاني ابن الميرزا أبو القاسم، المنتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظمعليه السلام، ولد سنة ١١٣٠هـ في أصفهان، وتوفّي بكربلاء ١٢١٦هـ بجوار قبور الشهداء.

انتقل في عنفوان شبابه إلى مدينة كربلاء لتلقّي العلم فيها من فحول ذلك العصر، وعلى رأسهم الوحيد البهبهاني، وكان عالماً فاضلاً محقّقاً ومدقّقاً، ومتبحراً متكلماً فقيهاً، كان مشتهراً في درس التفسير والحديث والفقه واللغة تخرّج عليه كثير من العلماء، كالشيخ أحمد الأحسائي، والسيّد عبد الله شبر، والسيّد صدر الدين العاملي، والسيّد دلدار علي النقوي الهندي، والشيخ أسد الله التستري وغيرهم.

انظر: أعيان الشيعة ١٠: ١٦٣ ـ ١٦٦.

(٢) السيّد علي ابن السيّد محمّد علي ابن أبي المعالي الصغير ابن أبي المعالي الكبير، ولد في الكاظمية ١١٦١هـ وتوفّي في كربلاء سنة ١٢٣١هـ ودفن في الرواق الحسيني ممّا يلي قبور الشهداء.

هو المحقّق المؤسّس، الذي ملأ الدنيا ذكره، وعم العالم فضله، تخرّج عليه علماء أعلام وفقهاء عظام، صاروا من أكابر مراجع الإسلام، كصاحب المقابيس، وصاحب المطالع، وصاحب مفتاح الكرامة، وغيرهم.

انظر: أعيان الشيعة ٨: ٣١٤.

(٣) وهو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر ابن الشيخ يحيى الجناجي الفقيه المعروف صاحب كشف الغطاء. ولد في النجف سنة ١١٥٤هـ أو ١١٤٦هـ وتوفّي سنة ١٢٢٨هـ.

كان من أساتذه الفقه والكلام، وجهابذة المعرفة والأحكام، خرّيت التحقيق والتدقيق، مالك أزمّة الفضل بالنظر الدقيق، انتهت إليه رئاسة الإمامية.

قرأ المقدّمات على والده، وبعدها حضر عند أساطين عصره، منهم الشيخ مهدي الفتوني العاملي، والشيخ محمّد تقي الدورقي، والسيّد صادق الفحّام، والوحيد البهبهاني، والسيّد محمّد مهدي بحر العلوم، وغيرهم.

تخرّج عليه كثير من الفقهاء المشاهير: أولاده الشيخ موسى، والشيخ علي، والشيخ حسن، والشيخ محمّد آل كشف الغطاء. والشيخ أسد الله التستري صاحب المقابيس، والشيخ محمّد تقي الأصفهاني صاحب الحاشية على المعالم، والسيّد صدر الدين العاملي، وغيرهم.

انظر: أعيان الشيعة ٤: ٩٩.

(٤) وهو الشيخ مهدي ابن أبي ذرّ النراقي ولد ١١٢٨ هـ في نراق أحد قرى كاشان وتوفي في النجف سنة ١٢٠٩هـ

⇦

وكانت بين السيّد بحر العلوم والميرزا القمي علاقة حميمة، حتّى سافر الميرزا القمي نحو إيران إلى العجم وزيّن أريكة الشريعة في تلك البلاد بمطلعه المبارك، بينما وصل السيّد بحر العلوم إلى كرسيّ الرئاسة في عراق العرب.

ولما تشرّف الميرزا القمي لزيارة العتبات المقدّسة أنس أيّاماً بلقاء السيّد بحر العلوم في النجف الأشرف، وذات ليلة رأى الميرزا القمي السيّد بحر العلوم في الصحن الشريف فأخذ بيده، قائلاً: ما أسعدني أن أجلس معَك في جانب هادئ لمذاكرة بعض المسائل العلمية والبحث فيها.

فجلسا في جانب من الأيوان، فقال الميرزا القمي: لديّ إشكال على درسك، وأردت الحديث معك لعلّه يحل من لسانك.

وما إن جلسا في جانب من الأيوان حتّى قال الميرزا القميّ: إنّ هناك طنطنة عظيمة في الأخبار والآثار، فيما يتعلّق بإقامة العزاء على سيّد الأبرار أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وإنّي أرى أنّ العقل لا يقوى على قبولها ويتأمّل فيها:

ومنها قول الصادق عليه السلام: «من بكى على الحسين عليه السلام ولو مثل جناح البعوضة غفر الله ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحار وقطر الأمطار، وورق الأشجار»(١).

أحد أعلام المجتهدين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، تلمذ على المولى إسماعيل الخاجوئي ثلاثين سنة، والشيخ محمّد ابن الحكيم العالم محمّد زمان، والشيخ محمّد مهدي الهرندي، والشيخ يوسف البحراني، والشيخ مهدي الفتوني، والوحيد البهبهاني.
وكان من أركان العلماء وأعيان الفضلاء المتبحّرين، مصنفاً في أكثر فنون العلم.
انظر أعيان الشيعة ١٠: ١٤٣، مقدّمة جامع السعادات ١: ٥، حياة المؤلّف بقلم الشيخ محمّد رضا المظفّر.

(١) انظر كامل الزيارات: ٢٠٢ الباب ٣٢ الحديث ٣، ٩، الباب٣٣، الحديث١، ثواب الأعمال للصدوق: ٨٤.

والأخبار الواردة بهذا المضمون قد زادت على حدّ التواتر، بحيث إذا استقصيت أملَّ القلم وأعقب السقم.

فكيف يمكن أن تغفر كلّ هذه الذنوب بقطرة دمع، والحال أنّ فيها الكبيرة والصغيرة، وما هو من حقّ الله وحقّ الناس، كالغصب وأمثاله، والحقوق المشتركة كالسرقة، وما يقتضي حدّاً ويحتاج إلى دعوى، وإسقاط الحق لدى صاحبه لا فائدة فيه لو كان بعد الثبوت، ولذا لابدّ من إقامة الحدّ وإجرائه، وكيف يمكن أن تغفر الذنوب المتعلّقة بخصوص حقوق الناس بدمعة؟!

ولو خصصنا هذه الأخبار بالذنوب الصغائر فقط ـ كما يتوهّمه بعض الأعيان ـ أو بغير حقوق الناس ـ كما عن الآخرين ـ فإنّه ـ بيني وما بين الله خلاف الإنصاف؛ لأنّه لغة هذه الأخبار تأبى ذلك، كما لا يخفى على المتأمّل المنصف الخال عن العناد والتعسّف.

وأمّا تخصيص الأخبار بالصغائر، فإنّه بارد، بل مصداق لقول القائل: يا علي بن حمزة بن عمارة أنت والله ثلجة في خيارة[1].

لأن العفو عن الصغائر مشروط إلهي محتوم لقوله تعالى: ﴿**إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**﴾[2]، أي سيئاتكم الصغيرة.

وأمّا تخصيص الذنوب بالكبيرة، ما عدا حقوق الناس، فهو ترجيح بلا مرجّح، ولا دليل عليه.

---

(١) انظر: الايضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني: ١٠.

(٢) النساء (٤): ٣١.

ولو قلت: إنّ دليله عقليّ، وهو : أنّ إسقاط الحقّ ليس ظلماً ﴿ **وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾[1].

قلت: إنّ الله لا يعجزه شيء، فإنّ الله تعالى بإمكانه أن يرضى الناس ويعوّضهم عن حقوقهم، حتّى يرضوا فيعفوا عند ذلك عمّن أخذ الحقّ.

إذاً تبقى الأخبار على عموميّتها فتشمل كلّ الذنوب الصغائر والكبائر، وحقوق الناس وغير ذلك علاوة على أنّ الأخبار تأبى عن التخصيص.

---

(١) فصّلت (٤١): ٤٦.

[الحكايات والمنامات المنقولة عن الصلحاء والأخيار]

وقد حكي الكثير من القصص والمنامات، ونقل عن الصلحاء والأخيار من هذا المضمار:

وأوّلها: دليل العموم، فقد نقل عن سلطان المحدّثين وأفضل المتأخرين المجلسي (نوّر الله مرقده) مرسلاً: أنّه لمّا كنتُ مشغولاً بتأليف بحار الأنوار، وأنا في مكتبتي، وإذا بي أسمع طارقاً يطرق الباب من داخل البيت، وكانت على الباب امرأة عجوز، فلما فتح لها البوّاب الباب قالت له: إنّ جماعة من أهل السوق يخبروا بموت تيمور خان ويقولوا: هل لنا رخصة أن نجّهزه كما يجهّز المسلم؟

وكان تيمورخان المذكور يعدّ من جملة الأشرار والفسّاق في أصفهان، ولم تبق معصية إلّا ارتكبها، وليس من فاحشة إلّا عملها، ولم يقم شيئاً من الواجبات كالصلاة والصوم والخمس والزكاة، وكان معروفاً بفسقه وملعنته، حتّى خاف المجهّزون أن يجهّزوه على كيفية المسلم فيعاقبوا لذلك، ولذا طلبوا الرخصة واستفتوا في هذا الأمر.

يقول المجلسي: وكنت أنا أسمع تحاور البواب مع العجوز، فصرت أفكر في جوابها، وبما أنّ المسافة من باب الدار إلى محلي الموجود فيه طويلة، فشغلت بالتفكير في هذه القضية وأنا أشرب النركيلة قبل وصول العجوز إليّ.

وفي هذه الأثناء أخذني اغفاءة، وإذا بي أشاهد في عالم الرؤيا صحراء وسيعة، وأنا أجول فيها عطشاناً بشدّة وأطلب الماء الزلال، فلاح لي حقلٌ للدواجن من بعيد، فمشيت نحوه، فلمّا وصلت وإذا ببستان في غاية الجمال، كأنّه جنة أصلها من العنبر، فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفي حين أني كنت أعدو في وسط الشارع رأيت مسبحاً كبيراً، وقد نصب عليه كرسيّ عظيم، وعليه شخص جليل بزيّ الملوك والسلاطين والأمراء الإيرانيين، فسلّم عليّ وقال: هل أنت عطشان يا سيّدي؟ إشرب الماء بسم الله، ثمّ أعطاني كأساً من الماء أحلى من العسل وأبيض من الوفر وأبرد من الثلج، فلمّا شربت منه وزال عطشي قلت له، من أنت فأني رأيتك كثيراً ولكن لا أتذكرك.

فقال: ألست تعرفني؟! إنني تيمورخان، الذي استشكلوا في الصلاة عليه حين موته واستفتوا في ذلك من حضرتك.

قلت: عجباً!! وكيف يُغفر لتيمورخان بعد كلّ هذه المعاصي والشرور والذنوب؟

فحرّك رأسه قائلاً: إنّك لا تعلم ماذا يحلّ بالإنسان بعد موته، إنّهم أخذوا روحي إلى وادي برهوت، وبقيت هناك ثلاثمائة سنة، أذوق فيها ألواناً من العذاب، ثمّ أخذوني إلى واد آخر فبقيت فيه أيضاً ثلاثمائة سنة، أتجرّع العذاب كذلك.

وهذا الكلام مبنيّ على ما حقّقه بعض حملة الأسرار، وأولي الأيدي والأبصار بأنّه يمكن أن تطوى مسافات طويلة في زمن قصير، لمسألة طيّ الأرض، وكما تطوى الأرض يطوى الزمان أيضاً.

يقول تيمورخان في تتمة كلامه: وكان معي جماعة يُعذبون أيضاً، وإذا بالعذاب يخفف عني، فسألت عن سبب ذلك، فقيل لي: لقد مرّت من فوق رأسك الأنوار الطيبة البهيّة، وقد خفّف عنك العذاب احتراماً لها.

فلمّا سمعت أخذت أصيح واستغيث بهذه الأنوار الطيّبة، وما إن وصلت إلى اسم الحسين عليه السلام الجميل سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: لماذا لم تغث هذا الرجل وتنجيه يا حسين وله حق في ذمّتك؟

فقال الحسين عليه السلام: يا جداه، وما هو هذا الحقّ الذي في ذمّتي؟

قال صلى الله عليه وآله: لمّا كانت الهيئات والمواكب تمرّ في جهات السوق الأربع وكان له حجرة في السوق قد استأجرها للفسق واللهو واللعب، فمرّ عليه موكب ضخم وله ضجّة وضوضاء والناس ترفع الأصوات بالتكبير والنياح، فأخرج هذا الرجل رأسه من حجرته، فلمّا نظر إلى اللطم وضرب السلاسل والناس الذين أشرفوا على الهلاك لشدّة اللطم والضرب، انقلب حاله وسالت دموعه وبكى عليك، فلذا من حقّه عليك أن تخلّصه ممّا فيه.

يقول: فهبط عليّ الحسين عليه السلام سيّد الشهداء كالبرق الخاطف وأخذ بساعدي وأخرجني من النار، ثمّ أوصى رضوان خازن الجنان بي فأعدّ رضوان هذا المكان لي.

يقول العلاّمة المجلسي رحمه الله: وإلى هنا استيقضت من غفوتي، فرأيت العجوز قد دخلت المكتبة ثمّ، رفعت الستار، قائلة: هل حضرتك موجود فتصلّي على جنازة تيمورخان أم لا؟

فنهضت فوراً من مضجعي وصحتُ بحيث سمع الخدم صوتي وقلتُ: بلى بلى، جهزوه سريعاً.

ونظير هذه القصّة أيضاً ما يحكي بعض الأوتاد نقلاً عن حضرة آية الله الشيخ زين العابدين المازندراني(١) أنّه قال:

كان في مازندران شخص معروف بالفسق والفجور، وهتك الحرمات والمعاصي، ومشهوراً بذلك حتّى عند أهل الآفاق، وكنتُ أعرفه، فلمّا توفّي رأيته بعد مدّة في عالم الرؤيا وهو على هيئة أهل الجنة، فصافحتهُ وسألته عن أحواله، وقلت: أين حللت وكيف حالك؟

---

(١) ولعلّه الشيخ زين العابدين بن مسلم البا فروشي المازندراني المحتد والمولد، الحائري المسكن والمنشأ والمدفن ولد سنة ١٢٢٧هـ وتوفّي ١٣٠٩هـ ودفن في باب قاضي الحاجات.

فهو شيخ الفقهاء والمجتهدين، وأحد مراجع المسلمين، العابد الناسك، قرأ على السيّد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط، والشيخ محمّد حسين الأصفهاني صاحب الفصول، وصاحب الجواهر، والشيخ علي شيخ جعفر كاشف الغطاء وغيرهم.

أعيان الشيعة ٧: ١٦٧.

فقال: أنا لست هنا.

قلت: ولكن أين؟

قال : في كربلاء.

قلت: لقد دفنوك في المقبرة ولم يذهبوا بك لكربلاء.

قال: بلى قد سقط لي سنّ في وقت ما، وأعطيتُهُ لشخص كي يدفنه في كربلاء.

ولمّا توفّيت ودفنت في هذا المكان، أتى منكر ونكير لمسائلتي عند قبري، فقال: نكير لمنكر إسأله، فقال منكر، لا يمكن مسائلته لأنّ أعضاءه غير كاملة، وقد فقد سنّاً من أسنانه، ثمّ طلب ملكاً وأمره أن يبحث عن هذا السنّ أينما كان، وبعد فترة رجع هذا الملك مع جمع من الملائكة فقال: إنّي بحثت عن السنّ كثيراً فلم أجده، ثمّ أعلمت أنّه تضمّن التربة الحسينية، فلمّا دخلتُ التربة وأردتُ أخذ السن نهاني خزنة التربة المباركة، وقالت: ألست تدري أنك لا تستطيع إخراج ذرّة من التربة إلّا بعد الإذن والرخصة من أبي عبد الله عليه السلام؟

فقلت سيدي: إنّ فلاناً مات في أصفهان وقدّ أخّر منكر ونكير مساءلته؛ لعدم تماميّة أعضاء جسده، وهما ينتظراني كي آتي لهم بسنّه فيلحقوه بباقي بدنه.

فقال عليه السلام: وكيف آذن لك وقد التجأ إلى بيتي وأمّن عندي سنّه؛ لأمل عقده عليَّ.

لم يخب الآن من رجاك ومن حرّك من دون بابك الحلقة

أنـــت جـــواد وأنـــت معتمـــد   أبـوك قـد كـان قاتـل الفسـقة[1]

فأمر المولى عليه السلام جماعة من ملائكة الرحمة، وقال: اذهبوا مع ملك العذاب وابحثو عن بدن هذا المسكين ثمّ آتوا به إليّ وادفنوه في كربلاء.

قال ملك العذاب: ونحن الآن مأمورون بأخذ جنازته حتّى نلحقها بسنّه، فسألوا ما عندكم.

يقول الشخص صاحب القصّة: فلمّا أتوا بجنازتي وألحقوها بالسنّ ـ أتى منكر ونكير وسألوني، فغضب خزنة التربة المباركة ونهروهما وقالا لهم: ألم تعلما أن سؤال منكر ونكير يسقطان في حرم الحسين عليه السلام، ومجرد أن يُلتجأ إليه تغفر جميع الذنوب.

ونظير هذه القصّة ما نقله بعض الثقات مرسلاً عن الملاّ صالح المازندراني[2] صهر المرحوم المجلسي الأول (عليه الرحمة): أنّ المرحوم المجلسي، قال:

كان في زماننا في مازندران عالم يسمّى الملاّ طاهر، ينقل أنّه كان يرافقه في أيّام طفولته صبيّ عند الكتّاب، وكان أبوه حارساً في الجمارك، ولما كبرنا

---

(١) قدم أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدلّ على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد فوجده مصلّياً، فوقف بإزائه وأنشأ هذه الأبيات.

انظر: مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٢٢.

(٢) ورد أصفهان وسكن بها وتتلمذ لعلمائها الأعيان، منهم المولى عبد الله التستري، وولده المولى حسن علي، والمولى محمّد تقي المجلسي، وتزوّج بابنته الكبرى (آمنة بيگم) التي هي معروفة بالفضل والعلم والدين.

انظر: مقدّمة شرح أصول الكافي للمولى صالح المازندراني ١: ٥.

سلكت أنا سبيل العلم والأدب تأسّياً بوالدي، وسلك هو أيضاً طريق أبيه فصار رئيساً لأحد الجمارك، وحيث اتّخذ هذا العمل الميشوم مهنة له كان لا يعبأ بالقيام بأيّ نحو من الفساد والفسق، حتّى مات بعد مدّة وهو في عمر الشباب، فأتوا به إلى مقبرة بقرب منزلنا كي يدفنوه بها.

وبعد فترة رأيته في منامي بهيئة أهل الجنة، فتعجّبتُ من ذلك وأخذت بيده وقلت: يا فلان، كيف غُفر لك مع كلّ هذه المعاصي والفسق والفجور؟

فحرّك رأسه وقال: يا هذا، لا تعلم ماذا يحلّ بالإنسان من عذاب في هذا المكان، ولقد كنت أعذّب إلى ما قبل ثلاثة أيّام حينما أتوا بزوجة خداداد الحدّاد المشهدي، ودفنوها في هذا المكان، فأتى سيّد الشهداء عليه السلام أرواحنا فداه لزيارتها، واستغثت أنا وجماعة من المعذّبين معي فأغاثنا وخلّصنا جميعاً من العذاب لأجل هذه المرأة.

لا تعلم يا فلان حجم السعادة التي تعيشها هذه المرأة، فإنّها توفّيت لثلاثة أيّام والإمام سيّد الشهداء عليه السلام زارها ثلاث مرّات.

قال الراوي: ولمّا أصبحت ذهبتُ إلى مركز المدينة حتّى صرت إلى سوق الحدّادين، فسألت عن خداداد الحدّاد، فقيل لي: هل تقصد الذي توفّيت زوجته عن قريب؟

قلت: بلى.

قالوا لي: إنّه في الدكان الثالث، فذهبت صوب الدكان وإذا بي أشاهد شيخاً كبيراً قد جلس في قعر الدكان مشغولاً بعمله، وقد جلس تلاميذه في المقدّم، فسلّمتُ وقلت: هل أنت خداداد الحدّاد؟

قال: بلى، ماذا تريد؟

قلت: اقترب منّي من فضلك.

فقال: أنتم معشر الطلبة لا تتركونا حتّى في موت أعزائنا، إنّي أعطيت كلّ ما أملك وليس عندي شيء حتّى أعطيه لك.

يقول الرواي: فصبرت لكلامه وقلت: إنّ هذا المسكين يظن إنّي أتوقّع منه شيئاً، فأشاروا إليه أنّ الشخص حجّة الإسلام، فقام وصافحني واعتذر مني، فقلت: هل توفّيت زوجتك عن قريب؟

قال: بلى.

فقلت: وقبل كم يوم توفّيت؟

قال: قبل ثلاثة أيّام، واليوم هو الرابع.

فقلت: وهل ذهبت زوجتك إلى كربلاء هذه السنة؟

قال: لا.

قلت: وهل كانت تقيم العزاء؟

قال: لا.

قلت: هل كانت تخدم في مجالس العزاء؟

قال: لا.

قلت: إذاً ما هي علاقتها بسيّد الشهداء عليه السلام؟

قال: لماذا تسأل؟ فقصصت له رؤياي.

فقال: إنّي لا أعرف ما يوصلها إلى هذه المرتبة من الطاعات ما عدا أنّها كانت من عوام الناس، ولكنّها قبل وفاتها بثلاثة أيّام كانت تصعد على سطح الدار وتقرأ زيارة عاشوراء، وكلّما كنت أرجع إلى البيت أشاهدها على هذه الحالة.

إذاً فانظروا الآن إلى هذه القصّة الصريحة في غفران الذنوب الكبيرة وحقوق الناس.

وكذلك القصّة التي يذكرها أحد أجلاّء علماء طهران، الشيخ عبد الحسين الطهراني[1]، الذي جاور كربلاء المقدّسة في الآونة الأخيرة، يقول:

كنت يوماً في الحرم المقدّس، فرأيت السلطان فتح علي شاه مشغولاً بالزيارة، فتعجبت وقلتُ في نفسي: كيف دخل السلطان الحرم ولم يعلم به أحد، وأطلت النظر فتأكّدت من أنه السلطان لا غيره، ولمّا خرج من (الكشوانية) ـ مستودع الأحذية ـ سألت بهدوء من صاحبها: متى أتى السلطان؟

---

(١) لعلّه يريد به الشيخ عبد الحسين الطهراني الحائري، الملقّب بشيخ العراقيين، توفّي بالكاظمية سنة ١٢٨٦هـ ونُقل إلى كربلاء، ودفن بجانب الباب السلطاني للصحن الشريف.

وكان عالماً فقيهاً أصولياً رجالياً أديباً، أخذ عن الشيخ مشكور الحولاوي، والشيخ عيسى زاهد، وغيرهما، وفوّض إليه الشاه عمارة المشاهد في كربلاء والكاظمية وسامراء.

انظر: أعيان الشيعة ٧: ٤٣٨.

فتعجّب من سؤالي وحمله على السخرية أو السفه، فلم أقل له شيئاً، ثمّ ذهبت فأرّخت هذه الواقعة، وبعد أيّام وصل خبر وفاة السلطان، وظهر أنّه قد رحل في نفس الوقت الذي شاهدته في الحرم.

فصار لهذا الحدث خطر عظيم في قلبي، وكنت أحدّث نفسي أنّه كيف يمكن أن يتعامل مع هذا السلطان الجائر هكذا؟ ويكون مرتاحاً عند وفاته وفي ذمّته مظالم كثيرة ويأتي إلى الحائر الشريف الذي هو جنّة بعينها، إلى أن رأيته ليلة في منامي بعد سنوات، فسألته عن سرّ هذا المطلب فقال:

يا فلان، إنّ سبب نجاتي هو : أنّ في يوم من الأيّام أهدي إليَّ من مدينة رشت سمك مالح، وقد أكلت منه كثيراً، وكان ذلك اليوم قائضاً من أيّام الصيف، فنمت ساعةً، ثمّ استيقضت وقد كظني العطش، فنظرت إلى الخدم والحشم والحرم فرأيتهم نياماً، فأردت أن أنبههم لكن العطش استولى عليّ ولم يعطني مجالاً، وكان بيني وبين الماء عشرة أذرع تقريباً، فقمت وقد تركت وقار السلطنة ورفعت غطاءها الذهبي، ثمّ ملأت الكأس فرأيته مليئاً بالماء والثلج، فألقيته على راسي، فلمّا سكتت حرارة عطشي تذكرت ـ بلا اختيار ـ شفاه سيّدي المظلوم العطشان في كربلاء فقلت في نفسي: إنّي لم أعطش إلّا قبل قليل وقد خرجت عنان نفسي من يدي، فما بال سيّد المظلومين الذي لم يشرب الماء لثلاثة أيّام، وقد تواردت عليه كلّ تلك الصدمات والجروح وأمضّ به العطش حتّى قال الله تبارك وتعالى: «حتّى يحول العطش بينه وبين

السماء كالدخان»[١]، ثمّ جرت قطرتان من دموعي على خدّي، فصارت هذه الدموع سبباً لنجاتي.

وقد كان هذا السلطان ملوّثاً بالذنوب ـ صغائر وكبائر ـ وفي جملتها ما كان من حق الناس وغيره.

---

(١) هذا كلام جبرائيل عليه السلام حينما كان يحكي واقعة الطف لآدم عليه السلام.
انظر: بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٥، الباب ٣٠، الحديث ٤٤.

[عودة إلى قصة الميرزا القمّي والسيّد بحر العلوم]

ولهذا قال الفاضل القمّي للسيّد بحر العلوم: أنا متيقّن أنّ عمومات وإطلاقات هذه الأخبار لم تخصّص بالذنوب الكبيرة أو الصغيرة، أو ما فيه حقّ من حقوق الناس، بل حصل لي الظنّ الاطمئناني أنّه لو بكى يهودي أو نصراني أو أمثال ذلك على سيّد الشهداء، فسيكون ذلك سبباً لنجاتهم، بمعنى أنّهم لا يدخلون الجنّة، ولكنّهم يكونون في أمان من عذاب جهنم وهم فيها، ويتنعّمون بالنعيم الإلهي؛ لأنّ البكاء على سيّد الشهداء ـ أرواحنا فداه ـ لا يقل عن عدل أنوشروان[1] وكرم حاتم.[2]

---

(١) هو كسرى أنوشيروان بن قاذ بن بزجرد بن بهرام، ويقال عنه أنوشيران العادل (٥٠١ ـ ٥٧٩م) اعتلى العرش بعد أبيه، وضع الأسس لمدن وقصور، وبناء العديد من الجسور والسدود، وخلال عهده ازدهرت الفنون والعلوم في بلاد فارس، وملك ٤٧ أو ٤٨ سنة.

انظر: المعارف لابن قتيبة : ٦٦٣، تاريخ اليعقوبي ١: ١٦٤، تاريخ الطبري: ٥٢٥، مروج الذهب ومعادن الجوهر ١: ٢٩٠، المنتظم لابن الجوزي ٢: ١٠٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير ١: ٤٣٤.

وفي كتاب الفضائل لشاذان بن جبرئيل القمي، ونوادر المعجزات لمحمّد بن جرير الطبري الشيعي: عن أبي الأحوص، عن أبيه، عن عمّار الساباطي ـ في حديث ـ أنّ أمير المؤمنين لمّا قَدم المدائن ـ رأى جمجمة وكانت الجمجمة لكسرى أنوشيروان.

ونطقت الجمجمة، وممّا قالت: «إنّي كنت ملكاً عادلاً شفيقاً على الرعايا، لا أرضى بظلم، ولكن كنت على دين المجوس... فأنا محروم من الجنّة؛ لعدم إيماني به، ولكنّي مع هذا الكفر خلصني الله تعالى من عذاب النار ببركة عدلي وإنصافي بين الرعية...».

انظر: الفضائل: ٧٠، نوادر المعجزات: ٢١ الباب الأوّل، الحديث ٥.

(٢) وهو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن أمرئ القيس الطائي (ت٦٠٥م)، وأمّه : غنية بنت عفيف، من طي، ويكنّى أبا سفانة وهي ابنته، وأبا عدي، كان شاعراً جواداً يضرب به ⇦

هذا بموجب الروايات العديدة التي رويت عن النبيﷺ، وما شاهده في ليلة المعراج، وأنّهم كانوا في وسط جهنم منعّمين بقصر مرفه الحال، فسأل جبرائيل عنهما فقال: هما أنوشروان العادل وحاتم الكريم لم يدخلا الجنة لذنوبهما، ولكن تنعّما في جهنّم بكل نعمة؛ للعدالة والسخاء، «إنّ الله لا يعجزه شيء ﴿**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾[1].

بل قد استظهرت هذا الأمر من كثير من الأخبار، وقصّة بندار اليهودي ممّا يصدّق المقال ويشهد عليه وهي:

إنّ بعد فتح مكّة حيث كان النبيّﷺ ذات يوم في الأبطح مع أصحابه، فارتفعت زوبعة، أي عاصفة وجعلت تدنو حتّى وقفت قبال رسول اللهﷺ وقالت: السلام عليك يا أحمد، السلام عليك يا محمّد.

فقال النبيّﷺ: من أنت، أظهر لنا شخصك وأرنا ذاتك، فتمثل رجلاً طويل القامة عظيم الهامة له ظلف كظلف البقر، فقال: يا رسول اللهﷺ أنا عَرَفة بن شمراخ الجنّي[2].

⇦

المثل في الجود، إذا قاتل غلب، إذا غنم أنهب، وإذا سئل وهب، وإذا ضرب بالقداح سبق، وإذا أسرى أطلق، وإذا أثرى أنفق.

انظر: المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٨٥، الكنى والألقاب ١: ٨٥.

وروى الصدوق في فقه الرضا عليه السلام ٣٦٢ عن رسول اللهﷺ، قال لعدي بن حاتم: «رفع عن أبيك العذاب الشديد بسخاوة نفسه».

(١) نهج البلاغة: ٢٧٥ خطبة ١٨٦، سورة مريم: ١٢٠.

(٢) انظر: نوادر المعجزات للطبري الشيعي: ٥٢، الباب الأوّل، الحديث ٢١، عيون المعجزات: ٣٦، الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن شاذان: ١٨٩، الحديث ١٦٤، الفضائل لابن شاذان: ٦٠، وفي المصادر عطرفة أو غطرفة بن شمراخ.

وأنا أتعجّب من بعض المستحدثين العصريين الذين حينما يُذكر اسم الجن والملك[١] لهم يسخروا ويستهزؤا منه، فهم إذاً منكرون للقرآن، كفّار بالله المنّان[٢]، ومرتدون، وهم جماعة من السفهاء، فلا يصدّقون بغير المحسوسات والمرئيّات، ولذا لابدّ لهم حينئذٍ أن ينكروا نفوسهم وقواهم من المتخيّلة والمتوهمة والحافظة والمتذكّرة والعاقلة.

---

(١) الجنّ: جنس من المخلوقات، سمّوا بذلك لاجتنابها عن الأبصار، ولأنّهم استجنوا من الناس فلا يرون، ويقابله الإنس وهو جنس الإنسان، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**﴾ (الذاريات (٥١): ٥٦). انظر: معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٤٣.

(٢) انظر إلى الآيات التالية: الأنعام (٦): ١٠٠، ١٢٨، ١٣٠، الأعراف (٧): ٣٨، ١٧٩، الكهف (١٨): ٥٠، النمل (٢٧): ١٧، ٣٩، سبأ (٣٤): ١٢، ١٤، ٤١، فصّلت (٤١): ٢٥، ٢٩، الأحقاف (٤٦): ١٨، ٢٩، الذاريات (٥١): ٥٦، الرحمن (٥٥): ٣٣، سورة الجنّ (٧٢): ١، ٦.

[قصة الآخوند ملا رفيع]

ولم يكن ذكر الجنّ بعيداً عن المرويّات[1]، ممّا لا يمكن إنكاره، ألم تسمع ما حكي عن جناب الآخوند ملاّ رفيع المعروف[2]، والذي كان من

---

(١) انظر: بصائر الدرجات للصفّار: ١١٥، الجزء الثاني، الباب١٨، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٦٤، بحار الأنوار ٦٠: ٤٢، الباب٢، تفسير الميزان ٢٠: ٣٩، أحكام القرآن للجصاص ٣: ٤٢٤.

(٢) لعلّه يريد به السيّد مير رفيع ابن السيّد مير علي ابن السيّد مير عبد الباقي ابن السيّد مير محمّد صالح ابن السيّد مير محمّد زمان الطالقاني الأصل، القزويني المولد والمنشأ، ولد في قزوين حدود سنة ١٢٠٠هـ وتوفي بها سنة ١٢٧٢هـ

حكيم متأله، وطبيب حاذق، وأصولي محقّق، وفقيه متبحّر. أخذ المقدّمات وفنون الأدب على أفاضل رجال أسرته، ثمّ أكمل السطوح على علماء قزوين، ومنها هاجر إلى أصفهان، وأخذ الحكمة والفلسفة على الآخوند ملاّ علي النوري المتوفي سنة ١٢٤٦هـ ثمّ توجه إلى العراق قاصداً الحوزة العلمية الكبرى، فحضر في النجف الأشرف على الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفي ١٢٢٨هـ وبعد مدّة استقرّ في كربلاء، وتخرّج في الفقه والأصول على السيّد علي الطباطبائي صاحب الرياض المتوفي ١٢٣١هـ ونجله السيّد محمّد المجاهد المتوفي ١٢٤٢هـ وأجيز من مشايخه.

ثمّ رجع إلى موطنه قزوين، واشتهر في الطبّ، وكان من أكابر الأطباء الحاذقين، وشغل كرسي التدريس للعلوم العقلية والفلسفة العالية لاسيّما الطبّ في المدرسة الصالحية.

انظر: أعيان الشيعة ٧: ٣٣، ج٩: ٣٣٦ ج١٠: ٥٥. مستدركات أعيان الشيعة ٦: ١٦٩، الأسماء المشابهة.

علماء القرن الثالث عشر الهجري، فلمّا عزم على زيارة المشهد بخراسان، استقبله الشيعة في كلّ منزل ينزل فيه، وأظهروا له الاحترام، فكان يقول:

كلّما كنت انتقل في المنازل، وإذا بشابّ أراه يركب معي ويسرع في خدمتي، ولو نزلتُ لم أره، فقلتُ لوكيلي يوماً: إنّ لهذا الشاب علينا فضلاً كثيراً، فلو صار وقت الغداء والعشاء احذر أن يكون في مكان آخر غير مكاننا.

فقال الناس: لقد رأيناه نحن أيضاً في الماضي، ولكننا لما نصل إلى المنزل نفقده، فنبحث عنه لم نجده ولا نرى له أثراً، والأفضل أن تمنع أنت بنفسك خروجه كي يبقى معنا في هذا المنزل.

فلمّا ركبتُ شاهدتُه، فقلتُ له: يا فلان، لماذا تبتعد عنّا ولم تحلّ في مكاننا الذي حللنا فيه، مع أنّ وجودك وعدمه لا يؤثر على ما جهّزناه، وأنت من اليوم معنا تتغدّى وتتعشى معنا في كلّ منزل ننزل فيه، وتكون مع أصحابنا.

فقال: إنّني لا آكل من طعامكم، بل لي طعام غير هذا.

فقلت: ومن أنت إذاً؟

فقال: إننيّ رئيس طائفة من الجنّ، وقد نذرت لله تعالى لو أعطاني مرادي أن أكون في ركاب أحد علماء الشيعة الذين يتشرفون بزيارة الديار المقدّسة ولذا لازمت ركابك.

قلتُ: وما هو غذاؤكم إذاً؟

فقال: نحن في بعض الأحيان إذا شاهدنا إنساناً جميلاً سميناً أبيضاً، ولم يمنعنا عنه مانع إلهيّ نضمّه ونشمّه فنلتذ بذلك لذة عظيمة، وندع ذلك الشخص مصروعاً ومخبّطاً، كما قال الله تعالى: ﴿ يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾[(١)].

فقلت: وما هو علاج ذلك الشخص المصروع؟

فقال: إنّ الله تعالى قد جعل «لكلّ داء دواءً»[(٢)]، بل في الرواية: انّه «قد جعل لكلّ داء سبعين نوعاً من الدواء، وجعل لكلّ شيء خاصيّة»[(٣)].

قال بعض حملةُ العلم بالأسرار: ما من رسم يُرسَمُ في الوجود إلّا وله خاصيّة عند أرباب الكشف والشهود، حتّى الحيّة إذا مشت في التراب، والماء إذا انعقد عليه شكل الحباب[(٤)].

وقال آخر: «إنّ لله خواصّاً في الأزمنة والأمكنة والأشخاص»[(٥)].

---

(١) البقرة (٢): ٢٧٥.

(٢) انظر فقه الرضا عليه السلام للصدوق: ٢٠، ٣٤٥، ثواب الأعمال: ١٦٤، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٣٥، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، صحيح مسلم ٧: ٢١ سنن أبي داود ٢: ٢٢٣، المستدرك على الصحيحين ٤: ٢٠٠، ٤٠١.

(٣) لم أجد مصدراً لهذا الحديث.

(٤) هذا القول للشيخ شعيب بن الحسن المغربي المتوفي بتلمسان ٥٩٤ أو ٥٩٠هـ ينسب إليه أنّه كان يختم القرآن كلّ يوم سبعين ألف ختمة!!

انظر: ينابيع المودة للقندوزي ٣: ٢٣، هدية العارفين ١: ٤١٧، الغدير للأميني ٥: ٤١، الذريعة لآغا بزرك الطهراني ج٩ القسم الثالث: ١٠٨١ الوافي بالوفيات للصفدي ١٦: ٩٥.

(٥) انظر: تفسير روح المعاني للآلوسي ١٣: ١٧٨، ج١٩: ١٤٤، ج٢٠: ٨٠، ج٢٣: ١١٣.

ودواء المصروع هو: أنّ يؤخذ التيزاب ويحلّ في الخلّ المعتّق ـ ويقطّر في أنف المصروع، فإنّه يفيق فوراً، ويهلك الشيطان الذي مسّه.

يقول العالم المذكور: فلمّا اقتربنا من نيشابور[1]، وكان حاكمها من محبّينا ومقلدينا فجاء إلى استقبالنا، وألحّ علينا أن نقيم عنده، وجدّ كثيراً في احترامنا.

وذات يوم رأيت ذلك الجنّي أقبل نحوي وقال: يا فلان: إنّ في بيت هذا الحاكم ديكاً أبيض أفرقا، وهو غاية في السمن، وله لحم لذيذ فإن شئت أمرت بذبحه لك؛ لأنّ في ذلك الفضل.

قال العالم المذكور: ولما احضرت مائدة العشاء رأيت في طبيخ الأرز قطعاً من لحم الجمل، فقال لي الحاكم المذكور: إنّ لحم الجمل من ألذّ اللحوم حقّاً.

فقلت مازحاً: ولا يعلم أنه أقل لذة من لحم الديك الأبيض الأفرق.

فقال العالم بعد أن بهت وتفكّر قليلاً في كلامي: لا يُستبعد أنكم تخبرون عن أمر غيبّي، وأنكم مطّلعون عمّا في داخل الدار، وأنّي أخلص لله واعتقد بكم ما هو أكثر من ذلك.

---

(١) نيسابور، أو نيشابور بالفارسية، مدينة في مقاطعة خراسان شمالي شرق إيران تعدّ من أشهر مراكز العلم والثقافة والتجارة والعمران.

وفي الغد عندما اجتمعنا في مقربة الغداء، سمعنا نياحة من داخل الدار، حتّى أدّى ذلك إلى قلق الحاكم واضطرابه، فقام ودخل البيت، وبعد ساعة رجع إلينا مذعوراً، وأمر بإحضار الأطبّاء، فقلت: ما الخبر؟

قال: إنني لم أرزق إلّا بنتاً واحدة، ولم أزوّجها لكثرة تعلّقي بها، وهي في غاية الكمال والجمال، ولمّا أشرت إلى العبد بذبحه صُرعت ابنتي فوراً.

فقلت: لا عليك، ولسنا بحاجة إلى طبيب لأني بنفسي أعالجها.

فذهبتُ إلى داخل البيت، وأغليتُ التيزاب والخل، وقطّرت ذلك في أنفها، فأقامت في الحال، وأنّت بصوت ضعيف وقد سمعتها وهي تقول : إنّي أبحتُ بسرّي وأهلكت نفسي.

ولذا نهت الأخبار عن ذبح الدّيك الأبيض الأفرق، وأكّدت الروايات أنّ العلّة في ذلك هي دفع شياطين الجنّ.

ولو سمع المحدّثون والعصريون أمثال هذه القصص والحكايات لاستهزؤا بها وسخروا منها وأنكروها؛ لجهلهم وعدم اطّلاعهم بسير التواريخ.

[إقرار الأوربيين بوجود الجنّ]

ونظير هذه القصص والحكايات ما حصل كثيراً في أوربا في عصر الحكيم دلا والحكيم رمثين، اللذين كانا أوّل من قسّم دائرة نصف إلى أربعين مليون قسم، وسمّى كلّ قسم منها متراً.

وقد أظهر الله قدرته بحكمته البالغة، وأرغم بها المعاندين في كلّ عصر، ومن ذلك ما حدث في فرنسا لأحدى الفتيات التي كانت معروفة بالجمال والحسب واللتي مسّها الشيطان.

فقد ذكرت جريدة العراق في عمودها الأوّل من الصفحة الأولى، من العدد ألفين وسبعة، قصّتها، ونحن ننقل العبارة نصّاً:

حبيبة الشيطان:

إنّ المازموزيل الرومانية الحسناء الساكنة مع والديها (پاريس) مسكونة، وقد جلبت انتباه أطبّاء عديدين، وعلماء كثيرين من فرنسيّين وانكليزيين وألمان؛ وذلك لأنّ الشيطان الذي يسكنها لا يتعب ولا يمل في عذابها، وهو قاس وظالم ومخيف، ويترك في جسمها يوميّاً آثار من قسوته وظلمه، فهنا

عضّة أدمتها، وهناك ضربة رضتها، وفي العنقِ جُرحٌ أوجعها، وفي النهد خدش ألّمها.

ويمتاز هذا الشيطان أنّه يبتغي من جسم الفتاة أجمل وألطف المواضع، ففي الخدّ والشفة والعنق والنهد والذراع، يجرح ويعض ويمتصّ.

واسم هذه الفتاة التي عشقها الجنّ لوريسا وفوريسكا لقبها، وهي رومانية الأصل، ورومانيا بلد أوربي يقع في جنوب روسيا، وتقطن هذه الفتاة مع والديها مدينة باريس عاصمة فرنسا الواقعة في غرب أوربا، وهي أجمل مدن فرنسا كما أن أجمل مدن بريطانيا عاصمتها لندن، وهي أكبر مدنها.

وبالجملة فقد كانت هذه الفتاة المليحة موضوعاً لبحث العلماء ومناقشة ومراقبة الأطبّاء، وقد عجّت بأمرها مجالس العلماء والأدباء، وملئت به حيث يرون الآثار على بدنها ولا يجدوا من فعل ذلك.

إذاً لابدّ أن يُصدّقوا بالقرآن المجيد، رغماً على أنوفهم، وبما جاء به النبي الخاتمﷺ وبكلّ ما شرّعه خاتم الأنبياءﷺ من الأمور الشرعيّة والنواميس الإلهية فحينئذٍ يجدون الحسن والقبح قد بان، وهو أظهر من الشمس، وأبين من الاسم، وكأنّه علم على رأسه نار، بل كالشمس في رابعة النهار، وقد صار ضرورياً وبديهياً مجمع عليه بين العقلاء كتحريم المسكرات، وتشريع الطلاق، وتعدّد الزوجات، وتشريع الختان، والحكم بنجاسة الخنازير والكلاب، وغير ذلك ممّا لا تحصى كثيرة ولا تستقصى عدّةً.

ومن له اطّلاع على سير العالم وأخبار الدول إجمالاً يعلم ما أقول (العاقل يكفيه الإشارة والجاهل لا تكفيه عبارة) وليس لأحد كلام بعد ذكر الآيات

المثبتة للجن والشيطان، وأخبار العالم والدول، ولا طريق له إلّا التصديق بحسن وقبح الواجبات والمحرّمات المذكورة، وما ذكر ليس إلّا المختصر ولو أردنا التفصيل لبلغ وزن رقه طنّاً.

[العودة إلى حديث عرفة بن شمراخ]

والآن نعود إلى حديث عرفة بن شمراخ، الذي يتضمّن معجزة عظيمة:

قال عرفة: يا رسول الله، كنّا جماعة نسترق السمع، ولمّا زيّن وجودك المبارك العالم الناسوتي، مُنعنا من الصعود إلى السماء، وعرفنا أحقيّتك وآمنا بك، ولكن بني عمومتنا ثبتوا على كفرهم وعنادهم، ولوجود الاختلاف بين مذهبنا ومذهبهم وقعت بيننا وبينهم المنازعات، وظهر العداء، فهم يعتدون على مراتعنا ومزارعنا، وقد أتيتُ حتّى اصطحبت معي أحد الأصحاب الكبار حتّى يحكم بيننا بالعدل، ووعدتُ أن أرجعه غداً عند الصباح سالماً إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

فالتفت النبيﷺ إلى ذلك الشيخ، فقال: قم يا أبا بكر، وامض مع عرفة لتقضي بينهم.

فقال: يا رسول الله، إلى أين أذهب؟ فقال :إلى ما تحت الأرض.

فقال: أرجوك أن تعفني من هذه الخدمة.

فقال صلى الله عليه وآله: إرجع إلى غيره، فطلب النبي صلى الله عليه وآله عمراً، وقال : أنت.

فقال: يا رسول الله، إنّي لو ذهبت إلى ما تحت سأختنق أولاً، والثانية إنّي أخاف من الجنّ بالخصوص.

فقال صلى الله عليه وآله وقد أدار وجهه عنهما: أين أخي وابن عمّي، وصاحب حوضي ولوائي، وقاضي ديني، وخليفتي على أهلي وأمّتي في حياتي وبعد وفاتي، أمره أمري، ونهيه نهيي.

فقال عليه السلام: لبيك لبيك يا رسول الله، ها أنا ذا بين يديك، فأمرني بأمرك فداك أبي وأمّي.

قال صلى الله عليه وآله: امض مع عرفة واحكم بينهم بالحقّ، فتقلّد سيفه ومضى.

قال سلمان: فتبعتهما إلى الصفا، فانشقت الأرض فدخل عرفة، ودخل أمير المؤمنين عليه السلام، فلحقني من الأسف والحزن ما لا يُحصى، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبلغ سلامي على رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال سلمان: فرجعت مهموماً محزوناً، فلمّا كان من الغد صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله بنا صلاة الفجر، ثمّ جلس ينتظر علياً فلم يظهر له أثر، ولا عرف له خبر، ففرح المنافقون، واغتمّ المؤمنون، وقال بعض المنافقين، لقد احتال به الجنّي.

ثمّ صلّى بنا رسول الله عليه السلام الظهر وجعل ينتظر علياً فلم تظهر له علامة، فاغتمّ المؤمنون غمّاً شديداً، وظهرت الشماتة في وجوه المنافقين، إلى أن صلّى بنا رسول الله صلى الله عليه وآله صلاة العصر ثمّ جلس ينتظر علياً، فلم يعرف له خبر

ولا ظهر له أثر، فقال المنافقون: ذهب فخره بـابن عمّـه، فسـمع رسـول الله صلى الله عليه وآله ذلك فقال: «من يأتني بخبره فله ما شاء».

يقول سلمان: فـذهبت نحـو الصـفا ووقفـت منتظـراً، فلمّـا اقتـرب مغـرب الشمس انشقّت الأرض وأشرق جمال العـالم النيّـر بـأمير المـؤمنين عليه السلام وسـيفه الذي يقطر دماً، وظهر عرفة وجمع من الجنّ فقبّلوا يده عليه السلام.

فقلت: يا مولاي تمهّل قليلاً حتّى أُبشّر النبيّ صلى الله عليه وآله بقـدومك، وبعـد ذلـك أقبـل النبـي المختـار صلى الله عليه وآله مع كبـار الصـحابة مسـتقبلين حيـدر الكـرار، فعانقـه النبيّ صلى الله عليه وآله وشمّه وقبّله وقال: «ما أبطأ بك يا علي»؟

فقال: «يا رسول الله، إنّك أرسلتني إلى خلق كثير من الجنّ، فخيّرتهم بـين خصال ثلاث: شهادة أن لا إله إلّا الله وإنـك رسـول الله فـأبوا، ثـمّ طلبـتُ مـنهم الجزية فأبوا، ثمّ طلبتُ مـنهم قسـمة المـاء والكـلاء بيـنهم وبـين المـؤمنين علـى السواء فأبوا، فوضعت فيهم السـيف، وقتلـتُ مـنهم زهـاء ثلاثمائـة ألـف نسـمة، فصاحوا بالأمان، فقلتُ: لا أمان إلّا بالإيمان فآمنوا، فأتيتُ إليك برؤسائهم».

فقال النبي صلى الله عليه وآله لسلمان: «ما تبغي»؟

فقال: إذا صار الغد أخبرتك يا رسول الله.

فأتى سلمان بعد ذلك إلى أميـر المـؤمنين عليه السلام لوحـده فقـال: يـا علـي إنّ بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وآله وعداً على أن يعطيني ما أريـد، وأردتُ أن أستشـيرك في ذلك، فماذا أطلب منه صلى الله عليه وآله؟

فقال عليه السلام: «إنّ الله تعالى قد أوحى إلى حبيبه ليلة المعراج اثنتي عشرة ألف كلمة، وأمره أن يبلغّها الناس، وأوحى إليه باثنتي عشرة ألف كلمة أُخرى وأمره أن لا يبلّغها إلّا أهل بيته، ولم يرخّص له في غيرهم، فاطلب أنت من النبي صلى الله عليه وآله كلمة واحدة من هذه الإثنتي عشرة ألفاً»[١].

وفي الغد لمّا تشرّف سلمان بلقاء النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّي أطلب من مقام النبوّة المقدّس أن يُعطيني كلمة واحدة من الكلمات والأسرار الاثنتي عشرة ألفاً.

فطأطأ النبي صلى الله عليه وآله رأسه وبقي متحيراً لما وعد سلمان من وعدٍ مطلق ـ من جهة ـ وما لم يؤذن به من قبل الله تعالى ـ من جهة أخرى ـ فحينئذٍ هبط الأمين جبرئيل فقال: يا رسول الله، قل: إنّ الحقّ تعالى يقول: «سلمان منكم أهل البيت»[٢]، وهو ما يصطلح عليه الأصوليون بالادخال الموضوعي، وهو عكس الإخراج الموضوعي الذي يُعرف عند أساطين الأصوليين بالتخصيص والورود[٣].

---

(١) انظر: نزهة المجالس ومنتخب النفائس ٢: ١٩٩، ١٢٠، ٣٧٥.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٧٠، الباب ٣١، الحديث ٢٨٢، وفيه: عن النبي صلى الله عليه وآله: «سلمان منّا أهل البيت».

وأيضاً انظر: المستدرك على الصحيحين ٣: ٥٩٨، مجمع الزوائد للهيثمي ٦: ١٣٠، المعجم الكبير للطبراني ٦: ٢١٣، الدرر لابن عبد البر: ١٧٠.

(٣) انظر: المعجم الأصولي للصنقور ٢: ٥٩ برقم٣٠٩، وص٦٠٥ برقم ٦١٩.

وذات مرّة قال النبيّ صلى الله عليه وآله لسلمان : «صُمْ يوم الإثنين، ثمّ اذهب مقابر اليهود ليلاً، ولما يمضي من الليل شطره ويقلّ مرور الناس نادي بندار اليهودي واسأله عن ماضيه وحاضره».

قال سلمان: فلمّا امتثلت ما أمرني به النبي صلى الله عليه وآله وأتيت المقابر صحتُ: يا بندار يا بندار، فأجابني شخص : ما تقول يا أبا عبد الله؟

قلت: من أنت، وكيف كان ماضيك في هذه الدنيا؟

قال: ما عليك إلّا أن تعلم أنّي متّ على دين اليهوديّة، ولذا فلم أدخل الجنّة، ولكني كنت أحبّ النظر إلى وجه عليّ، ولمّا كان يمرّ عليّ أترك ما في يدي وانشغل بالنظر إلى جمال وجهه، ولذا فإنّ الله تعالى ترحّم عليّ بكمال قدرته بقصر ـ في جهنّم ـ من ياقوت أحمر وفيه من الطيبات، نظير ما أعطى الله تعالى لأهل الجنّة ورزقهم من اللذائد والنعم الإلهية وهو معنى الحديث المستفيض: «حبّ عليّ حسنة لا تضرّ معها سيئة، وبغض عليّ سيّئة لا تنفع معها حسنة»[1]. فمع حبّ عليّ ينجو من العذاب، بشرط أن يموت عليه.

---

(١) انظر: الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن شاذان: ٢٨، الحديث١٢، الفضائل لابن شاذان: ٩٦، ينابيع المودّة ١: ٢٧٠، الباب ٢٠، الحديث٣، وص٣٧٥، الباب ٤٢، الحديث٦، ج٢: ٧٥، الباب ٥٦، الحديث٥٤ وص٢٥٠، الحديث ٧٠٢ و٨٤١، المناقب للخوارزمي: ٧٥، الفصل٦، الحديث٥٦.

[شرح حديث حبّ عليّ حسنة...]

ولا يتصوّر أحد من أنّ أهل البدع والضالين المضلين الذي يصرّون على العصيان، أنّ محبّة محمّد وآل محمّد ستنفعهم؛ لأنّها ستُسلب منهم قبل الموت، كما جاء عن الإمام الباقرصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه في تفسير الآية الشريفة ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾[1].

وفي أخبار أخرى عنهعَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ المحبّة الصادقة لنا آل محمّد أن المحبّ لا يصرّ على المعاصي، وإلّا فهو كاذب فيما يدّعيه من محبتناعَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وفي رواية أُخرى يقولعَلَيْهِ السَّلَامُ: إنّ ادّعاء محبّتنا أصعب من اصطحاب فانوس من المشرق إلى المغرب في ليلة إعصار.

---

(١) سورة الأنعام (٦): الآية ٩٨.

وانظر: الكافي ٢: ٤١٨، كتاب الإيمان والكفر، باب المعارين، الحديث ٤، قرب الإسناد للحميري: ٣٤٧، الحديث ١٢٥٥، تفسير العيّاشي ١: ٣٧١، تفسير سورة الأنعام الحديث ٦٩ ـ ٧٥، تفسير القمي ١: ٢١٢.

وقد خطب النبيﷺ خطبته الأخيرة في حال مرضه وهو على منبره الشريف، قائلاً: «أيّها الناس، لا يدّعي مدّع، ولا يتمنّى متمنٍ، أما أنّه ليس بين الله وبين أحدٍ من خلقه شيء ينجّيه من عذابه إلّا العمل الصالح، ولو عصيت لهويت»[1].

وعليه، فإن ما يفعل الصوفيّة والكشفية، من تشجيع الناس على المعاصي؛ اعتماداً على حبّ آل محمّد (عليهم السلام)، وكما يقال: ما دام عندي حبّ علي فلا أغتمّ[2].

فهذا ادّعاء باطل وفارغ، وكلام قشري، وحديث سوفسطائي، وكما يصطلح عليه أهل العلم أنّه اشتباه ما بالعرض بما بالذات، وما هو معتبر من كاشفيّة حبّ آل محمّد ـ كما يعتقده العوام ـ إنّما هو كاشف عن حبّ النبيّﷺ وحبّ الله تعالى، الذي هو كفّة ثانية لكفّة العدل، والنصف الآخر لفلقته.

---

(١) لم أجد هذه الرواية بهذا النصّ، ولا السابقة عليها، لكن هناك روايات بهذا المضمون. انظر: وسائل الشيعة ١٥: ٢٣٣، كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، الباب١٨، أحاديث الباب.

(٢) انظر: الإرشاد للمفيد ١: ١٨٢، والتعجّب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة للكراجكي: ٩٤، الفصل ١١، وبحار الأنوار ٢٢: ٤٦٧.

[تحقيق في معنى العدالة]

وقد جاء في الكتب الفقهيّة في معنى العدالـة : أنّها ملكـة راسـخة تبعـث على ملازمة التقوى والمروّة[1].

ومع أنّ الفقهاء عرّفوا المراد من الملكة الراسخة، ومهما كـان معنـى هـذه الصفة، إلّا أنّ البعض من حملة عـرش الفقـه عرّفـوا ـ بعـد التحقيـق ـ أنّ المـراد منها: ملكة حبّ الله تعالى والخوف منه.

وعليه، فإنّ من يحرز حبّ الله لا يفعل خلاف ما يريد محبوبـه، وكـذلك كُلّ مَن خاف من أحدٍ لا يعمل ما يخالف قوله فقد قيل: (عجبـتُ مـن ضـعيفٍ يعصي قوياً)[2].

---

(١) انظر: إرشاد الأذهان للعلامة الحلّي ٢: ١٥٦، مختلف الشيعة ٨: ٤٨٤.

(٢) انظـر: تفسـير مقتنيـات الـدرر ١: ٣٢٢، ج٢: ٢٣١، طبقـات الصـوفية : ٤٨ الطبقـة الأولـى، برقم٥. وهذا القول نسب إلى السرّي السقطي، أحد الصوفيّة في بغداد المتوفي ٢٥١هـ

ولكن هناك تفاوت كبير بين مراتب الخوف والحبّ، ومثال ذلك : أنّ هناك شخصاً يحبّك، وهو مستعد أن يبذل لأجلك مالاً بمقدار عشر ليرات، ولو زاد عن ذلك لا يرضى به.

وشخص آخر يحبّك، وهو مستعد أن يبذل لأجلك أكثر من هذا المقدار.

وثالث يبذل في محبّتك أكثر من ذلك حتّى ألف ليرة، وهكذا حتّى يصل البذل إلى النفس والمال.

ومن هذا يتضح معنى الأعدل فالأعدل، فبعض يحبّ الله تعالى، ولكن نفسه الأمّارة تخدعه بالمعصية، فتبذل له مائة ليرة كي يتبع هواه، بينما نجد من يقول: «والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملة أسلُبها جلبَ شعيرة ما فعلته، وأنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعليّ ولنعيم يفنى ولذّة لا تبقى نعوذ بالله من سبات العقل، وقبح الزلل وبه نستعين»[١].

ويقول عليه السلام في موضع آخر: «والله لئن أبيتُ على حسك السعدان مسهّداً، أو أجرّ في الأغلال مصفّداً، أحبّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، أو غاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلى البلاء قفولها، ويطول في الثرى حلولها»[٢]؟!

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١٨، برقم ٢٢٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢١٨، برقم ٢٢٤.

وصاحب هذه المرتبة يكون أعدل العادلين، وأزهد الزاهدين.

إذاً فكلّ من عنده حظ من الخوف الإلهي فهو عادل، ومقتضى ذلك أن لا يعصي؛ لأنّه حصل على ملكة راسخة تبعث على ملازمة التقوى، وهذا لا يتنافى مع صدور المعاصي. إذاً لا تزول هذه الملكة بصدور الكبيرة أو الإصرار على الصغيرة، أو ما يكون مخالفاً للمروءة؛ لأنّ الملكة يتعذّر أو يتعسّر على التحقيق زوالها.

وما قاله الفقهاء الأعلام والآيات الكرام في كتبهم الفقهية من أنّها تزول بالكبيرة، والإصرار على الصغيرة، وبارتكاب خلاف المرؤة، فالمراد منه: زوال حكم العدالة، لا أصل الملكة.

بمعنى أنّك لو رأيت أحد العدول وأولياء الله والخائفين من سخطه، قد ارتكب كبيرة، ولا تحمل على أيّ معنىً صحيح وحسن، فلا تستطيع أن تقلّده بعد ذلك، أو تقتدي به في الصلاة، أو تقبل شهادته، إلى غير ذلك من الأحكام والآثار المرتبة على العدالة، هذا حتّى يتوب، فتعود هذه الأحكام، وتجري عليه كما كانت.

ومن هذا يتضّح عدم زوال الملكة؛ لأنّها لو زالت لما عادت إليه بهذه السرعة، ومن هذا يُعرف الفرق بين العصمة والعدالة، التي عجز عنها فحول العلماء من أن يدركوها، حتّى أنّ الدميري في حياة الحيوان يقول: إنّه ليس هناك بين العصمة والعدالة فرق فارق؛ لأننا لم نجد فرقاً بينهما.

ولكن حملة أسرار آل محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه من الطائفة الحقّة المحقّة الاثني عشرية، الأصولية رضوان الله عليهم، قالوا: إنّ الله تعالى أودع في الإنسان ثلاث قوى: المدركة، والشهويّة، والغضبيّة، وكلّ قوّة تشتمل على أطراف ثلاثة، وهي: الإفراط، والتفريط، والوسط.

وأمّا القوّة الغضبيّة، فإنّ الإفراط فيها يُدعى تهوّراً، وهو أن يغضب في غير موارده الشرعية لكلّ عدوّ وصديق.

[مدح صفة الغيرة]

وحدّ التفريط الموجب لسلب الغيرة: أن لا يتأثر لو تعرّض شخص لعرضه وناموسه، وهي صفة مذمومةٌ جدّاً.

فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا كان مشغولاً بدفن سعد ـ أحد أصحابه الكبار ـ ووضع خدّه على الأرض، ولكن النبيّ صلى الله عليه وآله أدار عنه وجهه الشريف، فسأل الحاضرون عن علّة ذلك، فقال صلى الله عليه وآله: «لأنّ وليّ الله هذا مات عطشاناً، وقد جاء نساؤه إليه بالماء وما أردتُ أن انظرَ إليهن، إنّ سعداً لغيور، وأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ منّا»[1]، ومن غيرته حرّم الفواحش كلها، ما ظهر منها وما بطن.

---

(١) انظر: صحيح البخاري ٦: ١٥٦، ح٨ صحيح مسلم ٤: ٢١١، مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٤٨، سنن الدارمي ٢: ١٤٩، المعجم الكبير للطبراني ٢٠: ٣٩٠، المعجم الأوسط ٣: ١٦٠، ح٨.

[غيرة الإمام الحسين عليه السلام على عياله]

ومظهر غيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، وغيرة أمير المؤمنين عليه السلام، وغيرة الحسن عليه السلام: هو الحسين بن علي عليه السلام، الذي يقول فيه الراوي: صحبت الإمام عليه السلام في سفره وخروجه من الحجاز، وكنت من ملازميه، فلم أجد أحداً أغير منه، فكان يحفظ عياله، وشبان بني هاشم يحوطون بكلّ خيمة فيها محارم لهم، ويركبون وكلّ واحدة في هودجها، وكلّما وصلنا منزلاً من المنازل تقدّم أبو الفضل عليه السلام مع جماعة من بني هاشم، فبنى الخيام ونصبها لهن، فتنزل كلّ فاطميّة في خيمتها.

وفي بعض الأيّام حيث كنّا في الطريق، وإذا بريح عاصف يهبّ فيرتفع طرف ستار الهودج، فظهرت بعض الهاشميات، فرأيت سيّدي أبا عبد الله وغيرة الله نظر إلى أخيه أبي الفضل مغضباً، فتقدّم أبو الفضل عليه السلام فوراً وأسرع نحو الهوادج مع ثمانية عشر من شبان بني هاشم، كما يسرع البرق، فأحاطوا بأحد الهوادج وثبتوا ستاره بأطراف الرماح حتّى لا يرفعه الريح.

فسألت : لمن هذا الهودج؟

قالوا: لبنت أمير المؤمنين عليه السلام الكبيرة والصدّيقة الصغرى زينب الكبرى سلام الله عليها.

فقلت: ﴿**اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء**﴾[1].

فقلت: من زميلتها؟

قالوا: السيّدة المكرّمة أمّ كلثوم الصغرى بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

وهما في الفضل عندي ممّن تجليتا وارتفعتا جدّاً، ولكن ما إن دار فلك الدهر حتّى رأيت هاتين السيّدتين الجليلتين يوم الحادي عشر من المحرم على حالة أبكت العدو، فاركبوا آل الله على النياق العارية، وقد مرّوا بهنّ على المصرع، وكانت عيون جميع العلويات الهاشميات متوجّهة نحو سيّدتي زينب عليها السلام، فلمّا وقعت عين سيّدتي زينب عليها السلام على الجسد المقطّع إرباً إرباً، ألقت بنفسها عليه، فلما رأين الهاشميات ذلك ترامين من النياق، وتساقطن كما تتساقط أوراق الخريف، وهوين على أجساد الشهداء، فكلّ واحدة منهنّ أخذت تنوح وتصيح عند جسد شهيدها.

چون گرفتند ره کوی شهادت در پیش

جمله خیل اسیران بهزاران تشویش

---

(١) آل عمران (٣): ٢٦.

هر یکی نعش شهیدی به براورده چه جان

کرد با محرم خود شرح پریشانی خویش

زان میان زینب دل سوخته با ناله وآه

از ستمکاری آن طایفه کافر کیش

روی بر پای برادر بنهاد از سر شوق

گفت کی سینه مجروح مرا مرهم ریش

به چه عضو تو زنم بوسه نداند چه کند

بر سر سفره سلطان چه نشیند درویش

[ترجمته: أنّهم لمّا سكلوا بهنّ طريق الشهداء ومرّوا بمصارعهم، وقد أخذوهن أسارى حيارى بأجمعهم، أخذت كلّ واحدة واحتضنت جسد شهيدها، وبدت تشكو لمحرمها الآمها ومصابها.

وكانت بينهنّ العقيلة زينب عليها السلام تشكو من تلك الطائفة الظالمة التابعة للكفّار وتبدي شكوتها بقلب محروق عند جسد الحسين عليه السلام، فأدلت برأسها عند رجل أخيها من شدة شوقها له وقالت وهي حيرى: يا أيّها الصدر المجروح من يداوي جروحي، أخي قد أتيت كي أُقبّلك، ولكن على أي عضو من جسدك أرسم قبلتي، وكيف يجلس الدرويش على مائدة السلطان].

يقول الراوي: نظرتُ فلم أجد السيّدة أمّ كلثوم في الجمع، فلمّا مررتُ على نهر العلقمي رأيت تلك المخدّرة جالسة عند مصرع شاب مهيب، وهي تنعاه وتنوح، فسألت لمن هذا الجسد؟

فقيل لي: هذا جسد قمر بني هاشم أبي الفضل العبّاس عليه السلام.

چـه كلثـوم بـر نعـش عبـاس شـد   پـر آشـوب ايـن پـرخ نـم طـاس شـد
نظـر كـرد بـر پيكـر كـوه وش   كـه افتـاده در عرصـه كشـمش

***

بـزد چـاك بـر سـينه كيسـو كشـاد   رخ خـويش بـر سـينه أو نهـاد
مينـاد گفتـا كسـى همچـه مـن   كـه ديـدم فتـاده تـن پيـل تـن
كـه ديـد اسـت البـرز بـا تيـغ كـورز   فتـد در شكسـته همـه يـال بـورد
تـو گـوئى نهنگـى زدريـا بـرون   فتـاده ولـى غوطـه خـورده بخـون
كـه ديداسـت شـاهى   كفـن پوشـد از پـر تـو آفتـاب
كـوه بيسـتان كـه بـر افتـد زحيـا   مقـدّر چنـين بـود كـار خـدا
اگـر رسـتم از رزم وى دم زدى   بـر أو زال زركـوش مـأتم زدى
بـر زمـش نهـادى اگـر سـام سـر   فريمـون بمـرگش شـده نوحـه گـر

[ترجمته: لما وصلت أم كلثوم إلى جسد العباس، اضطربت واضطرب نظام العالم لحزنها وبكائها.

نظرت إلى جسده كأنّه كالجبل العظيم طرح في الميدان شقّت جيبها ولطمت على صدرها، ونثرت شعرها ووضعت خدّها على صدره.

قالت: مَن مثلي نظرت إلى جسد طرح على الأرض، كأنّه جسد مثل الفيل في العظمة.

من رأى رجلاً طويل القامة شجاعاً، صُرع في الميدان وكسر درعه وقطعت يداه.

كأنّك تقول: حوت خرجت من البحر، وسقطت في بحر الدم.

من رأى ملكاً بهذا الشأن مكفّناً بشعاع الشمس.

كأنّ جبل ببستان انقلع من مكانه، وهذا قدر الله وفعله.

إذا كان رستم ادّعى أنه يستطيع مبارزته، أقام آل الكرار مأتماً عليه.

وإذا أراد سام أن يبارزه أيضاً، فإنّ فريمون سوف ينوح عليه.

[أم كلثوم بنت علي عليه السلام]

ولا يخفى أنّ أمّ كلثوم هذه لم تكن شقيقة السيّدة زينب عليها السلام، ولـم تكـن أمّها الزهراء عليها السلام، لكنها كانت بنت أمير المؤمنين عليه السلام.

وأمّا أمّ كلثوم التي هي شقيقة السيّدة زينب عليها السلام من أمّها وأبيها، فهي التـي توفيـت بالمدينـة فـي عهـد إمامـة الإمـام الحسـن عليه السلام وصـلّى عليهـا الإمـام الحسن عليه السلام، وهذا ما كشفته أسرار الأخبار.

والكلام يجرّ الكـلام فكيـف ينسـجم هـذا القـول مع الروايـة المعروفـة القائلة بأن فاطمة الزهراء عليها السلام ولدت الحسن والحسين عليهما السـلام مـن جنبهـا الأيمن، وزينب وأمّ كلثوم من جنبها الأيسر(١)؟

---

(١) انظر: الهداية الكبرى للخصيبي: ١٨٠، ٣٥٥، عيون المعجزات: ٥١، بحار الأنوار ٤٣: ٢٥٦، الباب ١١.

ويبدو على هامش حلّ الإشكال العظيم في قضية تزويج أمّ كلثوم من عمر بن الخطّاب ما يدلّ صراحة على هذا الأمر ـ(أي أنّ أمّ كلثوم بنت فاطمة الزهراء عليها السلام) ـ فكيف يزوّج أمير المؤمنين عليه السلام بنته مع جلالتها وعظمتها لعمر ابن الخطّاب، مع ما له من درجات الكفر والعناد الواضح لدى الشيعة؟

وقد نقلت في هذا الخصوص بعض الروايات من المخالف والمؤالف، ولكن ما علمناه من بعد التحقيق في أسرار آل محمّد صلى الله عليه وآله، أنّ ذلك الأمر كان صورياً وليس واقعياً، فإنّ الخليفة الثاني خطب أمّ كلثوم وأصرّ على ذلك، وقد امتنع أمير المؤمنين عليه السلام عن ذلك[1]، فارسل ـ عمر ـ ابن عبّاس إلى أمير المؤمنين عليه السلام، قائلاً: لو رفضني علي بن أبي طالب أرجعت الناس إلى الجاهلية مرة أُخرى، فلا يبقى للإسلام اسمٌ ولا رسم، وأمحوه من الوجود.

فلمّا شاهد أمير المؤمنين ذلك طلب امرأةً من جنّ نصيبين وأمرها أن تتلبّس بصورة أمّ كلثوم، ثمّ زوّجها عمر.

وأمّا أمّ كلثوم فقد غابت عن الأنظار حتّى هلك عمر، وأمّا الجنيّة فقد ورثت عمر، ثم أتت إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقالت: يا مولاي: إنّي لم أمكنه طيلة هذه المدّة من نفسي، وكلّما أراد ذلك تصورّت له بشكل مخوف فيفّر منّي، فأعُجب أمير المؤمنين عليه السلام من كلامها واستحسنه، ثمّ أذن لها في

---

(١) انظر: الكافي ٥: ٣٤٦.

الانصراف[١]، فظهرت بعد ذلك أمّ كلثوم للأنظار، وكان ذلك في عهد الإمام الحسن عليه السلام حتّى وفاته، فيتيقّن أنّ هذه المخدّرة لم تكن حاضرة في كربلاء.

ولا يقال: إنّ المجلسي رحمه الله ذكر في كتاب المزار من البحار أبياتاً من الشعر عن لسان السيّدة أمّ كلثوم حين ورودها المدينة ومن جملتها:

مدينــــة جـــــدّنا لا تقبلينــــــا   فبالحســــرات والأحــــزان جينـــا[٢]

فلا ينطبق هذا الخطاب مع أمّ كلثوم بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وليس رسول الله صلى الله عليه وآله جدّها، إلّا أن تكون هي نفس أمّ كلثوم شقيقة السيّدة زينب عليها السلام.

لأنا نقول: إنّ هذه الأبيات لأمّ كلثوم الأخرى، التي هي إحدى بنات سيّد الشهداء عليه السلام؛ ولأنّها تشير لذلك في موضع من قصيدتها فتقول: (وعمّي الحسن).

---

(١) انظر: الخرائج والجرائح للراوندي ٢: ٨٢٥، حديث ٣٩.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٩٧، باب ٣٩، ينابيع المودة للقندوزي ٣: ٩٤، الباب ٦١.

[بيان معنى العصمة]

والآن نرجع إلى بقيّة معنى العصمة التي قلنا : قد أودع في كلِّ إنسان ثلاث قوى: الغضبيّة، والشهوية، والمدركة. وكلّ واحدة لها حدود ثلاثة: الإفراط، والتفريط، والوسط.

أمّا الغضبيّة فالإفراط فيها يكون تهوّراً، والتفريط جبناً وهو الباعث على سلب الغيرة كما مرّ، والحدّ الوسط منها هو الشجاعة، وهي أن تستعمل القوة الغضبيّة في موارد ندب إليها الشرع، وينتهيه في موارد نهى عنها الشرع الشريف.

والقوة الشهويّة ذات حدود وأبعاد ثلاثة أيضاً، فحدّ الإفراط فيها يسمّى فجوراً، وهو عبارة عن استعمال القوة الشهوية في غير محلّها الشرعي، وحدّ التفريط العنن الأخلاقي لا الفقهي، فالفقهي قد عرّفه الفقهاء: بأنّه لا يتمكن من وطئها ووطئ غيرها، ولو دبراً.

والعنن الأخلاقي الذي نقصده فهو فتور في القوّة الشهوية إلى حدّ يكون فيها متساهلاً ومتهاوناً في الأمور الشرعية، والحدّ الوسط فيه يسمّى عفة: وهي أن يستعمل القوة الشهويّة في موارد ندب إليها الشارع، والكفّ عنها في موارد نهى الشارع عنها.

فلعلّ شخصاً له ألف زوجة ولكنّه عفيف، ولعل آخر ليس له زوجة ولكنّه فاجر، لا كما يتصوّر العوام من أنّ كثرة الأزواج تنافي العفّة، ألم تسمع أنّ سلمان عليه السلام كان له ألف زوجة[1]، وكان لداود عليه السلام تسعة وتسعون زوجة[2]، كما تشهد على ذلك الآية ﴿**إِنَّ هَـذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً**﴾[3].

وعلى رواية أنّ الإمام الحسن عليه السلام تزوج ثلاثمائة وستين امرأة، حتّى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام ارتقى منبر الكوفة يوماً فقال: «ابني الحسن عليه السلام مطلاق فلا تزوّجوه بناتكم»، فقالوا: لو تزوّج بناتنا ليلة واحدة لكفانا فضلاً وشرفاً وفخراً[4].

---

(١) ورد في العهد القديم في الإصحاح الحادي عشر من الملوك الأوّل : أنّ سليمان كانت له سبعمائة زوجة من السيّدات، وثلاثمائة من السراري، وانظر: تفسير مجمع البيان للطبرسي ٣: ١٠٨.

(٢) عن السدي: وكان داود قد قسّم الدهر ثلاثة أيّام: يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادته، ويوماً يخلو فيه لنسائه، وكان له تسع وتسعون امرأة.

انظر: المستدرك على الصحيحين ٢: ٥٨٦، عمدة القاري للعيني ٢٠: ٧٠، تفسير القمي ٢: ٢٣١، التبيان للطوسي ٣: ٢٢٨، ج٨: ٥٥٢، تاريخ الطبري ١: ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، تفسير الطبري ٢٣: ١٧٠ ـ ١٧٨.

(٣) سورة ص (٣٨): ٢٣.

(٤) انظر: محاسن البرقي ٢: ٦٠١، كتاب المنافع، باب الاستشارة الحديث ٢٠، والكافي ٦: ٥٦، كتاب الطلاق، باب تطليق المرأة غير الموافقة، الحديث ٤ و٥، ودعائم الإسلام ٢: ٢٥٧، ⇦

فالغرض إذاً في العفة، وملاكها أن تكون طبقاً وتبعاً للشرع.



كتاب الطلاق، الحديث ٩٨٠، ومناقب آل أبي طالب ٣: ١٩٢، ١٩٩، والمصنّف لابن أبي شيبة ٤: ١٧٢، كتاب الطلاق، الباب ٢٤٠، الحديث ٣.

[حكاية العالم والعابد في بني إسرائيل]

والقوة المدركة لها ثلاثة حدود أيضاً:

فحدّ الإفراط فيها شيطنة، وهي التي كانت عند معاوية وعمرو بن العاص، وهي الموجبة للغفلة عن الآخرة، وبذل الجهد لتحصيل الدنيا.

وحدّة التفريط فيها: الغباوة، يعني الخرافة والسفاهة، كما جاء في رواية الكافي : أنّ عابداً من بني إسرائيل كان يجتهد كثيراً في عبادته، وآخر عالماً اقتصر على الواجبات، وكانت المستحبات تفوته غالباً لانشغاله بالعلم، فلمّا مرّ ملك على دير هذا العابد تعجّب من عبادته، فقال: الهي أرني مقام ومرتبة هذا العابد عندك.

فلما كشف له الحجاب، رأى أنّ درجة العالم في الجنة أرفع بكثير من درجة العابد، ودرجة العابد أدنى من درجة العالم، فقال: يا رب، كيف يكون هذا؟

فجاءه الخطاب: «المعروف بقدر المعرفة»، اذهب وتحدّث معهما لتعرف السرّ في ذلك.

فأتى الملك على هئية راهب، وصحب العابد مدّة، وبقي معه مدّة في الدير مشغولاً بالعبادة، وذات يوم خرج من الصومعة لغرض السياحة ووقف على قمة الجبل، فنظر إلى سفحه وإذا بالصحاري الخضراء كالزمرّد والورود والرياحين قد دهشت عقله، وأسكرته بأريجها، فاندفع بالتعريف، قائلاً: يا فلان، ما أجمل المكان الذي تقع عليه هذه الصومعة، فإنّ الخضراء النظرة تحيط بها من كلّ جانب والورود والرياحين قد طوّقتها.

فقال العابد: ولكنّي مغتمّ على كلّ هذه الرياحين والورود أنّها ذبلت وتلفت وصارت الخضراء هباءً منثوراً، ألم يكن عند الله تعالى حمارةً يرسلها على هذا الزرع فترعاه كي لا يتلف دون فائدة[1]؟

فلمّا سمع الملك ذلك منه التفت لغبائه فأعرض عنه، ثمّ توجّه نحو العالم فاتفق أنّه قد سافر إلى حجّ بيت الله الحرام، فصحبه الملك في حجّه، وإذا بالعالم يبتلى بحمّة شديدة، وبما أنّها تسبب العطش لصاحبها، فأخذ يطلب من الجمّال ماءً، وكان الجمال ـ كما هو المعلوم ـ يريد هلاك الحاجّ حتّى يستولي على أمواله ويسرقها، فتركه الجمّال بحجّة أن يأتي إليه بالماء، ولكنّه حلّ القربة المعلّقة على الجمل، وحملها وتقدّم على الجمل، وترك هذا العالِم الحيران

---

(١) إلى هنا ورد بهذا المضمون في الكافي ١: ١١، حديث١٨ كتاب العقل والجهل، وأمالي الصدوق: ٥٠٤، حديث٦٩٣.

مريضاً وحيداً بلا معين، فتأخّر العالِم عن القافلة وسقط من الجمل على الأرض، حتّى أدّى ذلك المرض والعطش وحرّ الصحراء وهجيرها إلى إشرافه على الموت، فاحتضر ينازع الحياة، وإذا بالملك يرى الشيطان اللعين اغتنم هذه الفرصة وتمثّل له بصورة شاب بهيّ المنظر، حاملاً بيده كأس ماء في منتهى البرودة والحلاوة، فاقترب من العالم وقال: إنّ اللات والعزّى قد بعثا إليك بهذا الماء وقالوا: مع أنّك لم تطع أمرنا وتعصينا لحدّ الآن، ولكننا رحمةً لعبادنا ولعلمنا بعطشك نرسل إليك هذا القدح من الماء كي تهنأ به، بشرط أن تسجد لنا، ويكون سجودك هذا سبباً لغفران ذنوبك، فلمّا سمع العالم ذلك التفت إلى ذلك الشاب، قائلاً: إمّا أن تأخذ بي إلى آلهتك، وإمّا أن تحضر هنا اللات والعزّى كي أسجد لهم.

فقال الشاب : لا نحتاج إلى حضور اللات والعزّى؛ لأنّي أريق مقداراً من هذا الماء فاصنع وجه اللات والعزى فاسجد لهما.

فقال العالم: إنّي لم أؤدّ لحدّ الآن حقّ شكر معبودي بسجودي له، فلا أجد بأساً من سجودي الآن، ولكنني أخاف أن يراق بعض هذا الماء فلا يكفي باقيه لرفع عطشي؛ لأنني عطشان كثيراً كثيراً، وقد تبادرت إلى ذهني فكرة أفضل، وهي أن تتلطف عليّ بالقدح كي أرفع عطشي، فإذا ارتويت يكون ذلك موجباً لزيادة إدراري ـ وأنّي كثير الإدرار ـ فإذا ازداد إدراري تستطيع أن تصنع منه تمثالين لأربابك، حتّى أوفق من السجود لهما، مع كامل الاطمئنان والخضوع والخشوع.

فلمّا قام العالم ببيان هذه الفكرة أعطاه الشاب قدح الماء فشربه حتّى آخر قطرة منه، ثمّ بال كثيراً، فصنع الشيطان من ذلك البول طيناً على هيئة صنمين وقال: اسجد لهما.

فقال العالم: أنّي لم أتعبّد للات والعزى لحدّ الآن، ولا أعرف ماذا يقال لهما، فالأفضل أن تكون إماماً لي كي أتعلّم منك.

فلمّا سمع الشيطان ذلك سجد أمام الصنمين، قائلاً: السلام عليكما أيّتها اللات والعزّى وأيتها المناة الثالثة الأخرى، سجدتُ لكنَّ تعبّداً ورقّاً ولا مستنكفاً ولا مستكبراً، بل عبداً ذليلاً خاضعاً خاشعاً.

فلمّا سمع العالم ذلك صفّق بيديه، ثمّ شرع مقهقهاً، فلمّا سمع الشيطان صوت ضحكه رفع رأسه من السجود وسأل العالِم عن سبب ضحكه، فقال العالِم:

أيّها اللعين، أتذكر يوم خلق الله تعالى أبانا آدم، وجعل في جبينه نور محمّد صلى الله عليه وآله، ثمّ أمر جميع الملائكة بالسجود، فلم تسجد أنت، وقلت: إنّه لعار عليّ أن أسجدَ لمخلوق من تراب وأنا قد خلقتُ من النار، مع وجود النور الحقيقي في جبين آدم، أفليس عار عليك أن تسجد الآن لبولي، وأنا أقلّ من أقرّ بالعبوديّة من أولاد آدم، فهل تستطيع أن تغويني؟! إخسأ يا لعين ـ بسم الله الرحمن الرحيم، وإذا بالشيطان يغيب فجأة، ثمّ حلّقت روح العالم على غصن التقديس، واتضّح معنى وسرّ «المعروف بقدر المعرفة».

والغباء بلاء عظيم وشديد، وهو موجب للجهل المركب، ويؤدي بالتالي إلى هلاك الإنسان.

ولذا قال النبيّ عيسى على نبيّنا و(عليه السلام): عالجت كلّ مرض، ولكني عجزتُ عن علاج الجهل المركّب؛ لأنّ صاحبه لا يقرّ به كي يتعلّم[1] ويقابل هذه الصفة الميشومة العلم المركّب، وهو أنّ صاحبه يعلم، ويعلم أنّه يعلم.

---

(١) انظر: البحر الرائق ٦: ٤٤٤، كتاب القضاء، فيض القدير شرح الجامع الصغير المناوي ١: ٦٧٨، الاختصاص للمفيد: ٢٢١، ربيع الأبرار للزمخشري ٢: ٣٩.

[مراتب العلم والجهل]

وبالجملة فهناك أربع مراتب: العلم المركّب، والعلم البسيط، والجهل المركّب، والجهل البسيط.

آنكس كه بداند وبداند كه بداند　　اسب خرد بر گنبد دوّار دواند

آنكس كه نداند ونداند كه نداند　　در جهل مركّب أبد الدهر بماند

آنكس كه نداند وبداند كه نداند　　ان هم خرك خويش بمنزل برساند

[ترجمته: إنّ كلّ من يعلم ويعلم أنّه يعلم، سيصل بعقله وعلمه إلى هدفه.

وأمّا الذي لا يعلم ولا يعلم أنّه لا يعلم، فسيبقى أبد الدهر في جهل مركّب.

والذي لا يعلم ويعلم أنّه لا يعلم، فهذا هو الآخر يستطيع أيضاً أن يوصل متاعه إلى منزله].

لأنّ العالم بجهل نفسه يكون بصدد علاجها «ومن طلب شيئاً وجدّ وجد»[(١)]، وبهذا يصبح عالماً.

ولذا قال منتهى العقل وخاتم الرسلصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «لا أدري، نصف العلم»[(٢)]؛ لأنّ سبب العلم اثنان : أحدها عدم العلم، وهو الجهل البسيط، ويدعى (لا أدري)، والثاني: الطلب، وبما أنّ العرب تطلق على السبب ـ أنّه ـ المسبّب مجازاً وهو ما يسمّى عند علماء البيان بالمجاز المرسل[(٣)] نحو: رعينا الغيث: أي المطر، والمقصود : رعينا النبات بالمطر، فالمطر سبب لإخراجه، ولذا يعبّرصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بالسبب ويريد المسبّب، وسببه ـ إن كنت تعلم ـ عبارة عن شيئين: أحدهما الطلب، والثاني الجهل البسيط، وهو ما يدعى (لا أدري).

فلا أدري نصف العلم بالجملة.

عودة:

قلنا: إنّ القوّة المدركة لها ثلاثة حدود: الإفراط، التفريط، الوسط. والوسط يسمّى عقلاً، وهو ما قيل فيه : (العقل ما عبد به الرحمن واكتسب به

---

(١) المثل بلفظ « من طلب شيئاً وجده» انظر: مجمع الأمثال للميداني ٢: ٣١٩، برقم ٤١٣٦.

أو ما ورد في المثل : «من طلب شيئاً وجدّ وجد، ومن قرع باباً ولجّ ولج» فانظر: شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ١: ٢٤، ج٥: ٤٣٥، وانظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ٣: ٦٦.

(٢) في عيون الحكم والمواعظ : عن الإمام أمير المؤمنينعَلَيْهِ السَّلَامُ: ٣٧٢، وفيه: (لا أعلم نصف العلم)، وفي سنن الدارمي ١: ٦٣ نسبه إلى الشعبي.

وانظر: الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ٣٦٤ برقم ٥٨١.

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني : ٢٧٧.

الجنات)[١] وهو عدم ترجيح الأمر الدنيوي على الأمر الأخروي أبداً، وعكس ذلك الشيطنة: التي هي ترجيح الأمر الدنيوي على الأخروي دائماً.

ولذا نقرأ في الزيارة الغديريّة «وكم من أمر صدّك عن إمضاء عزمك فيه التقى، واتبع غيرك في مثله الهوى، فظنّ الجاهلون أنّك عجزت عمّا إليه انتهى، ضلّ والله الظانّ لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل من ذلك كمن توهّمَ وامترى بقولك صلّى الله عليك: قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونها حاجز من تقوى الله فيدعها رأي العين، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»[٢].

وبما أنّك عرفت أنّ كلّ واحدة من القوى الثلاث لها ثلاثة حدود، فستعرف أنّ مصدر جميع الذنوب لدى المكلّفين إنّما هو الإفراط أو التفريط في هذه القوى، ولو كانت القوّة في حدّها الأوسط لصار المكلّف معصوماً، ولم يمل إلى المعصية يوماً.

هذا بخلاف العادل الذي لم تكن قواه في حدّها الأوسط، ولكن يحجزه خوف الله أو حبّه عن معصيته، ومن هنا يتضح الفرق بين العصمة والعدالة، ويظهر كظهور النور على الطور.

---

(١) المحاسن للبرقي ١: ١٩٥، الكافي ١: ١١، كتاب العقل، الحديث٣.

(٢) المزار للشهيد الأوّل: ٨١، مفاتيح الجنان: ٥٥٤.

ويجب أن تكون طينة الإمام عليه السلام من الوسط التي هي لا إفراط ولا تفريط، كما يقول الحقّ تعالى في القرآن المجيد ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا** ﴾[(١)].

مع أنّ المخالفين والخلفاء الغاصبين حرّفوا هذه الآية ﴿ **يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ** ﴾[(٢)] فقرؤا ﴿أمّة﴾ أئمة[(٣)]، وكما سمّي الإمام علي بن الحسين بزين العابدين عليه السلام بالأوسط؛ لأنّه إمام، لا لكونه أصغر سنّاً ووسطاً بين علي الأكبر وعلي الأصغر، كما توهّمه بعض من لا تحصيل له.

---

(١) سورة البقرة (٢): ١٤٣.

(٢) سورة النساء (٤): ٤٦، سورة المائدة (٥): ١٣.

(٣) ورد في أخبار عديدة تفسّر الأمة بالأئمة عليهم السلام. انظر: بصائر الدرجات للصفّار: ١٠٢، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٤٦٤، الحديث ٨٠، بحار الأنوار ٢٣: ٣٤٣، تفسير القمي ١: ٦٣، تفسير العيّاشي ١: ٦٣، الحديث ١١٢.

[الإمام السجاد بن الحسين عليه السلام]

بل إنّ الإمام زين العابدين عليه السلام كان أكبر أولاد أبيه عليه السلام، وقد ولد سنة ثمان وثلاثين، من شاه زنان المعروفة بشهربانوا، وقد توفّيت هذه السيّدة في نفاسها.

فأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بأنّه قد ولد للحسين عليه السلام ولد أشبه شيء بك، فأقبل عليه السلام وأخذ بقماطه فشمّه وقبّله، ثمّ قال: إنّي وهبت له إسمي.

وبما أنّ المرسوم تقديم هدية للوليد، فلذا قال الإمام عليه السلام: إنّي أهب غلامي الفلاني الذي وهبني إيّاه النبيّ صلى الله عليه وآله لهذا الطفل، ثم طلب الغلام وقال له : إني وهبتك لهذا الطفل ويجب عليك أن تخدمه، وبما أن انشغالاتي كثيرة ولا أستطيع أن آتي عند هذا الطفل دائماً فعليك أن تأتي كلّ يوم مرّة وتحمله إليّ كي أراه.

فكان الغلام يأتي به لأمير المؤمنين عليه السلام يوميّاً فيشمّه، ويقّبله، ثمّ يسلّمه للغلام، حتّى قارب عمره السنتين، فأتى به الغلام يحمله على كتفه، فدخل

المسجد، وكان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر، فاتّجه الغلام نحو المنبر كي يوصل الطفل إلى الإمام عليه السلام.

فلمّا نظر الإمام زين العابدين إلى الحضور وخاف حدوث ضوضاء فيه نزل من كتف الغلام وذهب نحو إسطوانة في أقصى المسجد، فوقف خلفها؛ كي لا يقع من الناس غفلة، فلم يتوجّهوا لخطبة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، فلمّا شاهد أمير المؤمنين عليه السلام كمال وفهم وعلم هذا الطفل الإستثنائي، نزل بلا اختيار من المنبر حتّى وصل إلى زين العابدين عليه السلام فأخذه وضمّه إلى صدره، ثمّ حمله معه إلى المنبر ثم أجلسه على رجله، وقال: «أيّها الناس، هذا ابني وهو ابن ولدي الحسين عليه السلام، وقد وهبته اسمي، وإنّي لأحبّه كثيراً، وأحبّ من يحبّه».

فصاح الناس من كلّ طرف : كلّنا نحبّه يا أمير المؤمنين، ونفديه بآبائنا وأمهاتنا وأموالنا.

فلمّا سمع أمير المؤمنين عليه السلام ذلك جرت عينه كالقربة التي أُريق ماؤها، وقال: «هيهات! كأني أراه عن قريب تحملونه على جمل عار كأسراء الروم والافرنج، تطوفون به شوارع هذه الكوفة، وهو على بعير أعجف أدبر، مكبّل بالأصفاد، ورجلاه مقيّدان من تحت بطن الناقة، وهو يستغيث ولا يغاث، ويستنصر ولا يُنصر».

فضجّ أهل المسجد بالبكاء، وصار بعضهم لبعض يقول: كيف يكون ذلك، لو توجّه إليه خطر فسنحميه وندافع عنه بأرواحنا وأموالنا ونخلّصهُ من عدوّه.

[دخول أهل البيت عليهم السلام الكوفة]

يقول الراوي: فبقيت عبارات أمير المؤمنين تدوّي في أذني حتّى سنة إحدى وستّين للهجرة، وأنا جالس عند صاحبي في دكّان من دكاكين الكوفة، وأنا متحيّر في نفسي لمّا أرى من فساد الكون، واختلاف الليل والنهار، وهبوب الرياح العاصفة، وتناثر النجوم، وكسوف الشمس، وكأنّ حيطان الكوفة مطليّة بعبيط، وما يستقبل إليَّ أحد من أهل الكوفة إلّا وكان وجهه ويديه مصبوغة بالدّم، فبقيتُ متحيراً، يا ترى ما هذه العلامات ﴿**وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا**﴾[1].

بينا أنا جالس مشغول في حيرتي ووحشتي، وإذا بي أسمع أصوات الطبول والمزامير من جهة الباب الكبير، وأحياناً صوت البكاء، فقمتُ لأنظر ماذا حدث، ونهضتُ عاجلاً حتّى مررتُ على العسكر الذي دخل الباب لتوّه، وكانوا يدخلون أهل البيت عليهم السلام، فشاهدت وفد، الأسراء على الجمال

(١) سورة الجن (٧٢): ١٠.

مكشفات الرؤوس على أعتاب من غير غطاء ولا وطاء، وهنّ يصحن: وا محمّداه، وشاهدت فيهنّ عدداً من البنات الصغار وجوههنّ كالقناديل، مكشّفات الوجوه، منكّسات الرؤوس من الخجل والحياء، ورأيت علياً على بعير أعجف أدبر يضلع ورجلاه مقيّدان من تحت بطن الناقة وفخذاه يشخبان دماً، وبعد لم ينزل إلّا منزلاً واحداً، فكيف به لو نزل أربعين منزلاً في الشام.

ورأيت أيضاً رؤوس الشهداء مشرقةً كالشمس والقمر، مرفوعة على الرماح الطوال، ورأيت رجلاً قصير القامة عظيم الهامة، بيده رمح طويل، على رأسه رأس أزهري قمري، وهو يطارد بفرسه بين المحامل وينادي بصوت عال: أنا صاحب السيف الصقيل، والرمح الطويل، أنا قاتل ذي الدين الأصيل، وإذا بسيّدة أخرجت رأسها من المحمل ووجهها يشرق كالشمس وصاحت:

أتفتخر وتقول: أنا قاتل من ناغاه جبرئيل، وخدمه ميكائيل، ومن عتقائهِ صلصائيل ودردائيل، الذي اهتزّ لقتله عرش الجليل، يالعين قل: أنا قاتل محمّد المصطفى، أنا قاتل علي المرتضى، أنا قاتل فاطمة الزهراء، أنا قاتل الحسن المجتبى، أنا قاتل جميع الأنبياء والأولياء.

فلمّا سمعت هذه الكلمات من تلك السيّدة، تقدّمت نحوها كي أسألها لمن هذا الرأس ولمن هذا السبي والأسارى، فأدخلت رأسي قليلاً في الهودج دون تحرّجٍ وقلت: من أنتم؟ ولمن هذا الرأس؟

فصاحت عليٌّ غضباً: أيا رجل! أما تستحي أن تنظر إلى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله؟

فتخيّلت أن قد أصابتني برقة في فؤادي فخررتُ مغشيّاً عليّ، ولمّا أفقت رأيت أنّ المحامل قد جازت، فنهضت مسرعاً حتّى أوصلت نفسي إلى محمل تلك المخدّرة، فتبعته باكياً والمخدرة تبكي أيضاً داخل المحمل حتّى قالت: ما تريد؟

فقلت: سيّدتي أريد أن أعلم من أنتم؟ ولمن هذا الرأس؟

فاختنقت بعبرتها وقالت: أيّها الرجل، اعلم أنّني زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا رأس الحسين المظلوم ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلمّا سمعت ذلك تخيّلت أنّ السماء قد أطبقت على الأرض، والجبال قد تدكدكت على السهل؛ فلطمت خدي، وضربت على رأسي، ووقفت أمام المحمل أنادي: السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة، ألتمسكم العفو والمعذرة، إنّي لم أنظر إليكم بعين خائنة، وإنّما أنا من شيعتكم ومحبّيكم.

فتأوّهت السيّدة من صميم قلبها المألوم وقالت : لو كنت صادقاً أيّها الرجل إنّك من شيعتنا فلم لم تأتي لنصرة أخي الغريب؟

[الإمام السجاد أكبر أولاد الإمام الحسين عليه السلام]

وبالجملة، فإنّ الإمام السجاد عليه السلام كان أكبر أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وتدل على ذلك البراهين السالفة والأدلة القاطعة، وأوّلها : إنّ علي الأكبر عليه السلام لم يكن متزوّجاً حين واقعة الطف، وهذا ثابت باتفاق المؤرخين، بينما الإمام السجّاد عليه السلام كان متزوّجاً وصاحب أولاد، ويقدّر عمر ولده عليه السلام بالخمس سنين.

وكان الإمام السجّاد عليه السلام قد ولد ـ كما أشرنا ـ سنة ثمان وثلاثين في الخامس عشر من جمادى الأولى أو جمادى الآخرة، أو الحادي عشر من رجب، أو الخامس من شعبان، أو الثامن من ربيع الأوّل، بعد فاطمة الكبرى.

ولكن ما يذكره أهل المنبر هو عكس ذلك، فيسمّونها فاطمة الصغرى، وفاطمة الكبرى هذه أشبه الناس بالصدّيقة الطاهرة عليها السلام، وهي أمّ الطباطبائيّة، وزوجة الحسن المثنى، وهي فاطمة العليلة التي بقيت بالمدينة، ولم تحضر في كربلاء.

ولم يكن السرّ في عدم حضورها مرضها، كما هو المشهور؛ لأنّ ركب سيّد الشهداءعليه السلام حين سفره إلى العراق كان عظيماً، فكيف يصعب عليه أن يصطحب مريضاً معه؟ وما حمله في سفره لم يتسنّ لأكثر ملوك الأرض، ويكفي أنّ في هذا الركب سبعين جملاً كانت تحمل العطور فقط، وفيه الأسلحة والآلات والوسائل التي يندر وجودها عند أكثر ملوك الأرض.

ويروى أنّ أحد أصحاب الإمامعليه السلام أخبر ليلة عاشوراء أنّ ولده أُسر في ثغر من ثغور المسلمين، فلمّا اطّلع الإمامعليه السلام على حزنه وبكائه، أرسل نحوه وقال: أنت في حل من بيعتي، اذهب واسع في فكّ ولدك.

فعلى بكاؤه وقال: سيّدي إنّي لا أدعك أبداً، وأقدّمك على الدنيا كلّها، ولكنّي لما سمعت بأمر ولدي بكيت فدعى الإمامعليه السلام أحد أولاده وأمر له بخمس ثياب، قيمة كلّ واحد منها خمسة آلاف سكّة ذهبيّة، وقال: إنّي آمرك أن تبيع هذه وتفكّ أخاك من الأسر[1].

وكذلك التكّة الثمينة المكلّلة بالجواهر الغالية، التي صارت لغلائها سبباً في إيقاع الجمّال ـ ابن الحرام ـ في الطمع ففعل ما فعل.

وكذلك ما كان يلبسه الإمامعليه السلام من الملابس الثمينة في يوم عاشوراء حينما يريد أن يبرز إلى ساحة القتال، والعمامة البهيّة التي كان يعتمّ بها، وفي آخر مرّة برز فيها للمعركة لبس قباءً أحمر ثميناً جدّاً، فأتى ووقف مقابل العسكر، فجذب ببهاء ثيابه أنظار رؤساء العسكر، ثمّ أخذ يرتجز ويقول:

---

(١) انظر : تاريخ دمشق ١٤: ١٨٢، تهذيب الكمال ٦: ٤٠٧، بغية الطلب في تاريخ حلب ٦: ٢٥٩٢، مثير الأحزان: ٣٩، اللهوف: ٥٧، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٤.

كفـــر القـــوم وقـــدماً رغبـــوا   عـــن ثـــواب الله ربّ الثقلـــين
قتـــل القـــوم عليـــاً وابنـــه   حســـن الخيـــر كـــريم الوالـــدين
حنقـــاً مـــنهم وقـــالوا أجمعـــوا   واُحشـروا النـاس إلـى حـرب الحسـين
يـــالقوم مـــن أنـــاسٍ رذل   جمعـــوا الجمـــع لأهـــل الحـــرمين
ثـــمّ جـــاؤوا تواصـــلوا كلّهـــم   بقتـــالي لرضـــاء الملحـــدين
لـــم يـــراع الله فـــي ســـفك دمـــي   لعبيـــد الله نجـــل الكـــافرين
وابـــن ســـعد قـــد رمـــاني عنـــوةً   بجنـــود كوكـــوف الهـــاطلين
لا لأمـــر كـــان منّـــي ســـابقاً   غيـــر فخـــري بضـــياء النيّـــرين
بعلـــي الخيـــر مـــن بعـــد النبـــيّ   ونبـــيّ قرشـــيّ الوالـــدين
خيـــرة الله مـــن الخلـــق أبـــي   ثـــمّ أمّـــي فأنـــا ابـــن الخيـــرتين
فضّـــة قـــد خلقـــت مـــن ذهـــب   وأنـــا الفضّـــة وابـــن الـــذهبين
مـن لـه جـدّ كجـدّي فـي الـورى   أو كشـــيخي وأنـــا ابـــن العلمـــين
فـــاطم الزهـــراء أمّـــي وأبـــي   قاتـــل الكفـــر ببـــدر وحنـــين
عَبَـــدَ الله غلامـــاً يافعـــاً   وقـــريش يعبـــدون الـــوثنين
يعبـــدون الـــلات والعـــزّى معـــاً   وعلـــيّ كـــان صـــلّى القبلتـــين
وأبـــي شـــمس وأمـــي قمـــر   وأنـــا الكوكـــب وابـــن القمـــرين(١)

---

(١) انظر ـ بتفاوت يسير ـ: الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٥، مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٢: ٢٣٣، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٥: ١١٥، مطالب السؤول في مناقب آل الرسول صلى الله عليه وآله لابن طلحة الشافعي : ٣٨٩، الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ٢: ٧٧٢.

[آخر حملات الإمام المظلوم عليه السلام]

فنادى ابن الحرام الشمر: يا حسين عليه السلام، قد لبستَ البيضاء والخضراء والحمراء، فما تنفعك هذه الملابس الفاخرة، ولم يبق من عمرك إلّا ساعة فحسب.

فقال عليه السلام: «ويلك! أبالقتل تهدّدني، أما تدري أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا من الله الشهادة، أتهدّدني بخيلك ورجالك، أتريد أن أريك من الغالب ومن المغلوب»؟ ثمّ حرّك شفتيه مشيراً إلى الميمنة، وإذا بالفرسان يسقط منهم عدد إلى الأرض، وتهوي أرواحهم الخبيثة في جهنم، ثمّ نظر إلى الميسرة كذلك، فأخذت رجفة قلوب العسكر، فقالوا: كنّا نظنّ أنّ الحرب معه بالسهام والسيوف والرماح، لا ببسالة الولاية وبطولتها، وإلّا فيفنى الجميع ويهلك بصيحة «موتوا».

فأظهر الإمام عليه السلام لهم بذلك المعجزة الباهرة لمقام الإمامة والولاية، وأثبت لهم قوّته الجسديّة، فاقتحم قسطل الغبار، مجالداً بذي الفقار، كانّه عليّ

المختار، فلما فلّ حدود العسكر وهزم جمعه نادى منادي أهل الكوفة: ويلك يا بن سعد، لا نجاة لنا من الحسين عليه السلام.

يقول الراوي: رأيت ابن سعد واقفاً في جانب من الميدان وقد طأطأ رأسه، مستولياً عليه الخوف، وأخبار الهزيمة تتوالى إليه، فانكسرت ميمنته، وتلاشت وتفرّقت ميسرته، وأصيب القلب والجناح، فصار يرتعد كشجرة الصفصاف من خوفه، وقد ضاق الخناق عليه وبقي متحيّراً، وإذا بفارس يقبل من بعيد وهو يصيح : البشارة البشارة يا أمير، فقد هوى الحسين عليه السلام من فرسه إلى الأرض.

(فهويتَ إلى الأرض جريحاً، تطؤك الخيول بحوافرها، وتعلوك الطغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والانبساط شمالك ويمينك).

يقول الراوي: فعاد ابن سعد إلى نفسه لحظة، ولكنّه لم يصدّق بعد، وفجأة رأيت فارساً آخر قد أقبل منادياً: يا أمير، هلاّ شمر قد ذبح حسيناً!! وإذا بالعسكر يكبّر دفعةً واحدة، وقد أخذهم التعجّب لذلك الخبر، فنظرتُ وكأنّي برأس الإمام عليه السلام على الرمح!!

وبالجملة، فإنّ الركب الحسيني كان عظيماً، بوسعه أن يصطحب معه أكثر من مريض، إذاً لم يكن سبب عدم حضورها المرض، بل كان لسببين:

أحدها: أنّه أودع عند هذه المخدّرة بعض ودائع وآثار النبوّة، كي تردّها بعد ذلك إلى حجّة العصر الإمام زين العابدين عليه السلام.

والثاني: أنّ زوجها الحسن المثنى، صاحب الجلالة والقدر، الذي يروى فيه أنّه كان المتولّي على الصدقات في عهد خلافة أمير المؤمنين عليه السلام.

وبالجملة، فإنّه ـ أيّ الحسن المثنّى ـ أتى إلى عمّه قائلاً: يا عم، أنّي أخبرت وأعلمت من قبل آبائي وأجدادي أنّ هذا السفر سفر الشهادة والأسر لآل محمّد صلى الله عليه وآله ولا أرضى أن تؤسر عيالي، فإن أذنت لي تركتُ عيالي في المدينة واُلازمك بنفسي كي أخدمك؟

[حديث أبي حمزة الثمالي]

وكيف لا يرضى الأسر! وكان الإمام زين العابدين يأنّ من ألمه في المدينة أربعين سنة ولم يسل عنه، ولذا يقول أبو حمزة الثمالي، صاحب الدعاء المشهور، والذي كان من كبار أصحاب الإمام السجادعليه السلام:

قلت: يا بن رسول الله، لماذا أهلكت نفسك بالبكاء؟ والقتل لكم عادة وكرامتكم من الله الشهادة، ألم يستشهد جدك النبيّصلى الله عليه وآله مسموماً؟ ألم ترحل أمّك الزهراء المرضيّةعليها السلام وهي شهيدة؟ ألم يستشهد أمير المؤمنين وعمك الحسن المجتبىعليهما السلام وحمزة سيّد الشهداء وجعفر الطيّار؟

فعلى بكاؤهعليه السلام وقال: «يا أبا حمزة، صدقت في أنّ الشهادة إرث لنا، ولكن هل رأت عيناك أو سمعت أذناك امرأة منّا تسبى، والله إنّي كلمّا نظرت إلى عماتي وأخواتي ذكرت فرارهنّ من خيمة إلى خيمة ومن خباء إلى خباء».

والخلاصة: أنّ فاطمة الكبرى بقيت في المدينة، والحسن المثنى لازم ركاب الحسينعليه السلام وفي يوم عاشوراء والحرب القاهرة، وسقط مغشيّاً عليه

مثخناً بجراحه، بقي بين القتلى حتّى اليوم الحادي عشر، فلمّا قسمّت الرؤوس بين القبائل والطوائف ورأوا أنّ به رمقاً من الحياة، أتت قبيلة أمّه واستنقذته، وكان من هذه القبيلة ورئيسها أبو حسان، أحد قادة الجيش، فقال: لا أدعكم تقطعون رأس ابن أختي، بل أريد أن استوهبه من ابن سعد أمير الجيش عوضاً عن الرأس الذي تحمله قبيلتنا، فلمّا سمع ابن سعد أبى مخالفته وقال: دعوا لأبي حسان ابن أخته فقد وهبته، فأتوا بالحسن المثنى إلى الكوفة ولم يبق في الأسر.

وبعد أن بريء رجع إلى المدينة الطيبة والحق بزوجته فاطمة الكبرى، ومن هذا الوجود المبارك نشأت السلالة الطباطبائيّة، وهي أفضل طوائف السادات.

[اختلاف مراتب السادات]

وقد تعرّض الفقهاء الكرام لهذه المسألة في باب صلاة الجماعة، عند بحث تشاح الأئمة، كما ورد في الجواهر وغيره، وقال الشهيد في اللمعة: ويقدّم الأقرأ فالأفقه فالأقدم هجرة فالأسنّ فالأصبح. فرضي الجميع بهذا الترتيب.

ثمّ أختاروا ترتيباً آخر وهو: تقديم النائب الخاصّ على المجتهد الجامع للشرائط، ثمّ الهاشمي على غير الهاشمي، والعلوي على غير العلوي إذا تساووا في الهاشمية، والفاطمي على غير الفاطمي إذا تساووا في العلوية، والحسنيّ على غير الحسني إذا تساووا في الفاطمية، والطباطبائي على غير الطباطبائي إذا تساووا في الحسنيّة، ثمّ بين الحسنيّين يقدّم من تناقل وجوده في أصلاب الأئمّة عليهم السلام أكثر، ولذا يقدّم الموسوي؛ لأنّه أفضل[1].

---

(١) جواهر الكلام ١٣: ٣٤٨، اللمعة الدمشقية، كتاب الصلاة: ٤٠.

وبالجملة، فإنّ فاطمة بنت الحسين عليها السلام أكبر سنّاً من الإمام السجاد عليه السلام، وقد ولد بعدها الإمام السجاد عليه السلام سنة ثمانية وثلاثين.

وفي سنة أربعة وتسعين أو خمسة وتسعين، وإحدى عشرة أو اثنتي عشرة أو ثمانية عشر أو خمسة وعشرين من محرّم ـ على اختلاف الروايات ـ كانت وفاته عليه السلام.

وفي سنة سبعة وخمسين ولد الإمام الباقر عليه السلام، وهو أوّل علوي ولد من علويين، فأمّه فاطمة بنت الحسن عليه السلام، كما أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو أوّل هاشميّ من هاشميين.

وكان عمر الإمام الباقر عليه السلام في كربلاء أربع سنوات تخميناً، وقد نقلت عنه كثير من الآثار فيما يتعلق بأحداث الأسر ومسير السبايا، وخصوصاً ما حدث في الشام، بعد أن افتضح يزيد وعرف الناس أنّ هؤلاء الأسرى ليسوا من الخوارج، بل من بيت الخاتميّة الوارثة لمحمّد صلى الله عليه وآله.

[قصّة الإمام الباقر عليه السلام مع ولد يزيد]

وأخذ يزيد يتظاهر ـ لأمر دنيوي ـ باحترام أهل البيت والتحنن على أطفالهم، وكان يحضر الإمام السجاد عليه السلام في مجلسه ويأمر ابنه الصغير أن يلعب مع الإمام الباقر عليه السلام، وذات يوم قال يزيد للإمام الباقر عليه السلام تصارع مع ولدي حتّى نرى أيّكما أشجع وأقوى.

فقال الإمام الباقر عليه السلام: إنّ المصارعة ليست من شأننا، ولكن أعط لكلّ منا سيفاً حتّى يقاتل بعضنا بعضاً، فمن قتل صاحبه فهو الأشجع.

فقال يزيد: لا تلد الحيّة إلا الحيّة[1].

ولمّا غربت الشمس علا صوت الأبواق، فقال ابن يزيد للإمام الباقر عليه السلام: أتسمع هذا الصوت؟

قال عليه السلام : بلى.

فقال: إنّها أبّهة وعظمة سلطان أبي.

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٨٤، الاحتجاج للطبرسي ٢: ٣٩.

ولمّا حلّ وقت الغروب وارتقى المؤذّنون المآذن، وارتفع صوت الأذان من كلّ جهة، ووصلوا إلى : أشهد أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله، قال الإمام الباقر عليه السلام : وهذه أيضاً علامة سلطان أبي.

وبالجملة، إنّ كون الإمام السجّاد عليه السلام متزوّجاً وصاحب أولاد في واقعة الطف، وكون علي الأكبر غير متزوّج، يؤدّي إلى حصول الظنّ الاطمئناني بأنّه أكبر منّه سنّاً؛ لأنّ زواج الأصغر قبل الأكبر ـ إن لم يكن ناشئاً عن نقص ما، أو حاوياً على أحد الكمالات ـ خلاف المتعارف والعادة أوّلاً.

والآخر قول الرسول صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : «يا علي، الوصيّة للأكبر، إلّا أن يكون بعاهة»[1].

ولو كان علي الأكبر أكبر سنّاً، للزم أن يكون هو المرشّح للإمامة، وبما أنّه استشهد فصارت الإمامة نصيب الإمام السجاد عليه السلام، وخرجت القرعة باسمه، والحال أنّنا على يقين من اختصاص الإمامة به عليه السلام من أوّل الأمر، ولم يحصل بداء في ذلك.

وكذلك قول الإمام السجاد عليه السلام: لمّا أصبت يوم عاشوراء بالحمّى وسقطتُ منهّد الحال، تخيّلت أن شخصاً يمسح وجهه بقدمي، ففتحتُ عيني وإذا بأخي علي الأكبر، حيث كان عازماً على دخول المعركة، وقد أقبل لوداعي.

---

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «إنّ الأمر في الكبير مالم تكن فيه عاهة».
وعن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «للإمام علامات، منها: أن يكون أكبر ولد أبيه».
انظر: الكافي ١: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، كتاب الحجّة، باب الأمور التي توجب حجّة الإمام عليه السلام، حديث ١ و٦.

وهذه النقطة دليل على كبر سنّ الإمام السجاد عليه السلام عند أهل العلم والنظر، كما أنّها دليل على علوّ مراتبه الكماليّة ورفعة درجاته الإيمانيّة، ومعرفته ويقينه أنّ كمال الخضوع ومنتهى الخشوع والطاعة للإمام المعصوم وحجّة العصر.

[الرجوع إلى جواب ما أشكله الميرزا القميّ]

وقد خرج من يدي عنان الكلام، فأصل كلامنا في حديث الميرزا القمّي مع السيّد بحر العلوم قدس سرّهما، فإنّ الميرزا القميّ أشكل على غفران كلّ هذه الذنوب الكبيرة لأجل قطرة دمع مالحة، وأنّ الله تعالى أعطى هذا المقدار من الرحمة الواسعة فيما يتعلّق بأمر سيّد الشهداء عليه السلام، فما هو السبب والملاك في ذلك؟

وبعد البحث مدّة لم يحلّ الإشكال لديه، وأقبل الخدم لإغلاق أبواب الصحن الشريف فتفرّقا، ثم أوكلا البحث إلى الغد وكان يصادف يوم عرفة حينما يأتيا إلى الزيارة.

فلمّا اجتمعا قال السيّد المرحوم للميرزا: سيحلّ اليوم الإشكال إن شاء الله، وفي أثناء طريقهما ـ وكانا مشتغلين بالبحث ـ مرّ بهما رجل عربي وسيم، فسلّم، ثمّ قال: أتريدان رفيقاً في طريقكما؟ فردّا (عليه السلام)، وقالا: الرفيق ثمّ الطريق، ثمّ انشغلا في البحث، فقال الرجل العربي: لا حاجة إلى النزاع والجدال، فإنّي سأقصّ لكما قصّة يُحل فيها الإشكال، فقصّ عليهما القصّة وغاب عن الأنظار.

[قصّة ذهاب السلطان إلى الصيد]

وملخّص هذه القصة: أن في قديم الزمان كان سلطان مولعاً بالصيد، وذات يوم لاحت له غزال حسناء جميلة المنظر، فملأت عينه، فأمر الفرسان أن يأتوا بها إليه حيّة، فأحاط بها الفرسان وامتثلوا ما أمرهم السلطان، فأرادت أن تجد لها طريقاً للهروب من بينهم ومفرّاً تفلت منه إلّا من جانب السلطان، ففرّت وخلّصت نفسها من هذا الطريق.

فلحق بها السلطان لوحده، وبذل في مطاردة هذا الحيوان قصارى جهده، مانعاً أن يلحقه أحد، وبقي حتّى الغروب يُغير ويحمل حتّى ضعف فرسه عن العدو، فأخذ السلطان يركض لوحده، حتّى لاحت له خيمة سوداء من بعيد.

فلمّا اقترب منها نزل على صفة الضيف، فخرجت منها امرأة عجوز فقيرة مع ولدها، واستقبلوه ودعوه للاستضافة، واعتنوا بفرسه، وذبحوا له ماعزاً لم يكن لهم ملكاً من الدنيا غيرها، وصنعوا له منها شواءً ليتعشّى به، وفي الغد وصل حرّاس السلطان وملازموه، فانطلق معهم وحذّرهم أن يمنعوا هذا الولد من الدخول عليه لو مرّ بمدينتهم، وأمر الحجّاب والبوّابين والحرّاس بذلك، وقال: إن أتى هذا الولد وأراد أن يدخل عليّ فآتوني به.

وبعد مدّة أتى هذا الولد إلى ا لمدينة وقصد السلطان، فلما اطلع السلطان على مجيئه، استقبله وأمر أن يذهب به إلى الاستحمام، وتبدّل ثيابه بثياب فاخرة، ثمّ يحضر غداً في مجلسه مع جميع الوزراء والوكلاء.

فلمّا صار يوم غد، أبدى السلطان جلّ احترامه لهذا الولد وأجلسه إلى جنبه، وقصّ على رئيس الوزراء قصّة الصيد من البداية إلى النهاية، وكيف استضيف تلك الليلة، ثمّ أمر السلطان جزاءً لتلك الضيافة، وأخذ أراء البلاط في ذلك.

فقال البعض للسلطان: أعطه ألف سكةٍ ذهبيّة.

وقال آخرون: يُعطى ألف سكّة ذهبيّة مرتّباً.

وهكذا كلّ أدلى بدلّوه بقدر همّته.

فقال السلطان: لم يبد أحدكم برأي حقّ وعدل، وبما أنّ هذا الشاب أعطى كلّ ما في كيس استجدائه لنا، فجزاؤه أن أعطيه كلّ ما عندي من السطلنة والجلال، فإنّي قد وهبته سلطاني.

ولذا فإنّ سيّد الشهداءعليه السلام أعطى كلّ ما يملك ـ في عالم الإمكان ـ في سبيل الله تعالى، ولو أمكن أن تعطى الربوبيّة لأحدٍ لأعطيت للحسينعليه السلام، وبما أنّ الاتحاد محال، والانقلاب مستحيل، والواجب لا يصير ممكناً، والممكن لا يكون واجباً، وإلّا فيجب إعطاء مقام الربوبيّة للحسينعليه السلام.

ولذا قالواعليهم السلام: «نزهونا عن الربوبيّة، وارفعوا عنا حظوظ البشريّة»[1].

---

(١) عن الإمام الصادقعليه السلام أنّه قال: «لا ترفعوا البناء فوق طاقتنا فينهدم، اجعلونا عبيداً مخلوقين، وقولوا فينا ما شئتم».

⇦

و«لا يقاس بنا أحد من الناس»[1].

و«إنّا نحن الأسرار الإلهيّة المودعة في هياكل البشرية، والكلمات الناطقة في الأجساد الناسوتيّة، وقولوا ما شئتم، ولن تستطيعوا فإن البحر لا ينزف، وعظمات الله لا توصف»[2].

حينئذٍ قال السيّد للميرزا القميّ: فما يضرّ لو أنّ أحداً ارتكب ذنوباً كثيرة، فيها صغيرة وكبيرة، ومشتملة على حقّ الله وحقّ الناس، ولو كانت بقدر رمل الصحارى وحبّات المطر وقطرات البحار وأوراق الشجر، وشفع له سيّد الشهداء عليه السلام وتوسّط للعفو عنه، فإنّ الله تعالى إنّما يقبل الشفاعة ويعفو عنه لأجل سيّد الشهداء عليه السلام؛ لأنّه أعطى وجوده وكلّ ما يملك، وضحى بنفسه وماله وعياله حتّى طفله الرضيع في سبيل الله.

⇦

وفي حديث آخر ورد: «اجعلوا لنا ربّاً نؤوب إليه، وقولوا فينا ما شئتم».

انظر: بصائر الدرجات: ٣٦١، الخرائج والجرائح ٢: ٧٣٥، مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١٠١.

(١) عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: «نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد، فينا نزل القرآن، وفينا معدن الرسالة».

انظر : عيون أخبار الإمام الرضا عليه السلام ٢: ٧١ حديث ٢٩٧، معاني الأخبار: ١٧٩، الاختصاص للشيخ المفيد.

(٢) في مشارق أنوار اليقين للبرسي: ١٧٤ ـ ١٧٩، وعنه في بحار الأنوار ٢٥: ١٦٩ـ ١٧٤ عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: «إنّ الإمام كلمة الله، وحجّة الله، ووجه الله، ونور الله، وحجاب الله، وآية الله، يختاره الله، ويجعل فيه منه ما شاء، ويوجب له بذلك الطاعة والأمر على جميع خلقه... الأسرار الإلهيّة، المودعة في الهياكل البشريّة، الذريّة الزكية، والعترة الهاشمية».

وإنّما يكون العفو بمعنى أنّ الله تعالى يتنازل عن حقوقه، ويعوّض النـاس عن حقوقهم حتّى يرضى صاحب الحقّ ويعفو، وليس ذلك على الله بعيـد، بـل هو عليه سهل يسير.

[أدلّة جواز إقامة الشبيه والهيئات: آيات وحي الطفل]

والآن نعود مرّة أخرى لبيان أدلّة جواز إقامة الشبيه والهيئات، وقد قلنا: إنّ أحد الأدلّة على ذلك : وحي الطفل، وبما أنّ آياته المذكورة كثيرة وشرحها طويل:

گر بگويم شرح اين بى حد شود   مثنوى هفتاد من كاغذ شود[1]

[ترجمته: لو أردت شرحها فشرحها ليس له حد، وسيكون المثنوي سبعين منّاً من الورق].

ولذا أكتفي ببعض الآيات الهادية إلى سبيل النجاة، والتي هي أبلغ في بيان طريق الرشاد وأوضح وأنسبُ له، ومنها:

(ليش بي رِت ابايا وتميما ميبالا يهوى يه له اركادى يصمح مَلِكا).

أي: يابن الأمة هلمّ، كي تفتح باب الوحي السماوي الذي غلق أمام هذا السيّد، ولا يكن بينك وبينه حجاب أو حاجب.

---

(١) تفسير ونقد وتحليل مثنوي مولوي، لمحمّد تقي الجعفري ٩: ١٦١ رقم ٤٤٤١.

والفقرة الأولى إشارة لمقام نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، والثانية إشارة إلى صفاته وأخلاقه بأنّها ليس كأخلاق الملوك والسلاطين الجبابرة، بل نهجُه على الزهد والورع والتقوى والترافع.

ومنها: (محمّد صلى الله عليه وآله كعّبا أأبعيا ديصمح هَويا ويها كليليا).

أي: أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله عالي الشأن، يجعل المعدوم موجوداً، والموجود معدوماً. وهي إشارة إلى الإرهاصات والحوادث التي ظهرت عند ولادته، فأوجدت بعض المعدومات، وأعدمت بعض الموجودات، كسقوط أربعة عشر شرفة من إيوان كسرى، حتّى تفطّر أساسه بأكثر من مقدار شبر من أعلاه إلى أسفله، وأثره موجود ومشهود لحدّ الآن.

وغور بحر ساوة، وفيضان وادي السماوة حتّى صار بحراً، وإطفاء نار فارس التي لم تطفأ منذ ألف سنة، وهويّ عروش سلاطين الأرض جميعاً، حتّى أنّ الملوك أكمّت فلا تستطيع التكلّم يوماً كاملاً، وكان ذلك في السنة الثانية والأربعين من حكومة أنوشروان، الذي بقي من ملكه بعد ذلك سبعين سنة، وكما هو المعروف من قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «ولدتُ في زمن الملك العادل»[1].

ولمّا رأى أنوشروان هذه الأحداث وتعجّب وتحيّر منها، استدعى عبد المسيح ـ الذي كان أعلم علماء زمانه ـ واستفسره في سرّ ذلك، فقال: إنّ سطيح أعلم منّي، وهو الآن في الشام، فسأذهب إليه وأسأله.

---

(١) انظر: مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١: ١٤٩، بحار الأنوار ١٥: ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٧٦، تفسير الرازي ١: ٢٤٠، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٤٥.

ولمّا وصل إليه كان سطيح في حال الاحتضار، ولم يستطع أن يجيب إلّا بهذا المقدار، فقال: (إذا كثرت التلاوة، وبعث صاحب الهراوة، وغاصت بحيرة ساوة، وفاض وادي السماوة، وخمدت نار فارس، ولم تك بابل للفرس مقاماً، ولا الشام لسطيح شاماً، يملك منهم ملك وملكات بعد المشرفات، ثمّ تكون هنات وهنات، وكلّ ما هو آت آت)[1].

منها: (نَهَر كدمتّا وُلتومْتّ قَصْمتّا مِتعَبَداً قُطادا ويهوا خَسَف طينا داملنا).

وهو إشارة إلى ظهور التوحيد بهداية النبيّ صلى الله عليه وآله، هذه هي الفقرة الأولى، أمّا الفقرة الثانية فهي إشارة إلى خاتميّة نبوّته صلى الله عليه وآله، كما يقول صلى الله عليه وآله: «لا نبيّ بعدي»[2]، فإنّ شريعته مستمرة إلى يوم القيامة.

والفقرة الثالثة إشارة إلى كونه صلى الله عليه وآله مأموراً بالجهاد، بخلاف عيسى الذي لم يؤمر بإراقة الدماء.

والفقرة الرابعة إشارة إلى أنّه من أسرة عربيّة؛ لأنّ العرب حينئذٍ كانت أرقى القبائل والأسر، وبما أنّ قبائل العالم شبّهت بالمعادن كالذهب والفضة والنحاس والحديد، فشبّه العرب بالتراب والخزف.

ومنها: (ثغر پوها وتشياباها وزعل نفق تفتح پها بند درهان وتسستحارا وبيرون كند جان جبّاران).

---

(١) انظر: كمال الدين وتمام النعمة: ١٩١ حديث٣٨، الخرائج والجرائح ٢: ٥٠٩، مناقب آل أبي طالب ١: ٢٥، بحار الأنوار ١٥: ٢٦٣، فتح الباري ٦: ٤٢٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ٨، تاريخ الطبري ١: ٥٨٠، التذكرة الحمدونية ٨: ١٠، المنتظم لابن الجوزي ٢: ٢٥٠.

(٢) الكافي ٨: ٢٦ حديث ١٠٧، صحيح البخاري ٤: ١٤٤، صحيح مسلم ٦: ١٧. قال النبيّ صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: «أنت منيّ بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».

الفقرة الأولى تشير إلى أنّ شريعة النبيّ صلى الله عليه وآله ناسخة لسائر الشرائع، كما قال صلى الله عليه وآله: «لو أدركني موسى بن عمران لما وسعه إلّا اتباعي»[١].

والفقرة الثانية تشير إلى أنّ النبيّ سيف كما جاء في ترجمة الإنجيل: يابن الطهر البتول خلقتك من غير فحل آيةً للعالمين، فسر إلى أهل سوريا وصدّق النبيّ صاحب الجمل والسيف والدرع والتاج والبغل والهراوة، عرقُة في وجهه كاللؤلؤ، وبه ريح المسك، لم ير قبله ولا بعده مثله، نكّاح النساء، قليل النسل، وإنّما نسله من مباركة ميمونة، لها بيت في الجنّة من قصب، لا تعب فيه ولا نصب، ولها فرخان مستشهدان، كلامه القرآن، ودينه الإسلام، طوبى لمن أدرك زمانه وسمع كلامه[٢].

ومنها: (افاعُضا وَتِفلا غريرا وباطلا كوزا وديش شلطيط شميسا وكزا)، يضع الأصر، ويرفع الهم والصعب، ويسهّل الأمور، ويلائم طبع البشر أكثر من باقي الشرائع، كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «بُعثت على الشريعة السمحة السهلة»[٣].

---

(١) معاني الأخبار: ٢٨٢، المجموع للنووي ١٥: ٣٢٨، المغني لابن قدامة ٦: ٢٤٠، مسند أحمد ابن حنبل ٣: ٣٣٨، المصنّف لابن شيبة ٦: ٢٢٨، مسند أبي يعلى الموصلي ٤: ١٠٣.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٤٥ حديث١٠ مجلس٤٦، كمال الدين وتمام النعمة: ١٥٩، تأريخ دمشق ٤٧: ٣٨١، البداية والنهاية لابن كثير ٢: ٩٢.

(٣) في الكافي ٥: ٤٩٤، باب كراهيّة الرهبانية وترك الباه، الحديث١ «لم يرسلني الله تعالى بالرهبانية، ولكن بعثني بالحنيفيّة السهلة السمحة».

⇦

وقال ﷺ: «أتيتكم بالحنيفيّة البيضاء»(١).

والبياض كناية عن السهولة والسماح.

والفقرة الثانية إشارة للمعراج بالبدن العنصري، لا البدن الهُور قليائي(٢)، كما يعتقد الشيخيّة والكشفيّة.

واعتقد بعض أهل البدع والضلال أنّه عروج في عالم النوم، هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى(٣).

ومنها: (فخرادى هَوا ومَكِد لاين كدوا اوقى قولاغا ووهودَ كلكويوا).

أنّه ـ أي النبيّ ﷺ ـ من العرب، ونشأته عند الأعراب، وهو الذي أعطي القرآن نجوماً؛ لأنّ القرآن المجيد نزل على النبيّ ﷺ تدريجاً خلال ثلاثة

⇨

وفي مسند أحمد بن حنبل ٥: ٢٦٦ «إنّي لم أبعث باليهوديّة ولا النصرانيّة، ولكنّي بعثت بالحنيفيّة السمحة».

وفي المعجم الكبير للطبراني ٨: ١٧٠ «إنّما بعثت بالحنيفيّة السمحة، ولم أبعث بالرهبانية البدعة».

وانظر أيضاً: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي ١٥: ١٤٤، ومن لا يحضره الفقيه ١: ١٢.

(١) انظر: خزانة الأدب: ١٨٣، بحار الأنوار ٣٠: ٥٤٨.

(٢) وهو البدن البرزخي الذي يشبه البدن الذي يفعل به الإنسان الأفعال المختلفة في عالم النوم والرؤيا بكلّ نوع من أنواع النشاط.

انظر: سيّد المرسلين للشيخ السبحاني ١: ٥٤٩.

(٣) ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى** ﴾ (الإسراء (١٧): ١.

وعشرين سنة، وفي بعض الروايات أنّه نزل جملة واحدة في ليلة القدر، وألقي على القلب المحمّديصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ، ولكنّه لم يكن مأموراً بتبليغه، حتّى نزل مرةً أخرى تدريجاً وتنجيماً، كما تشير إليه الآية الوافية الهادية: ﴿ **وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ**﴾[1] فهي شاهدة الحال ومصدّقة على هذا المقال.

ومنها: (صَبهرا وشِيبا وِهاشاَ طاوِ مشا مِعاوِ عِرقبيها).

وهذه الفقرة تشير إلى هجرة النبيّصَلَّىٰاللهُعَلَيهِوَآلِهِ من محلّه الأصلي مكّة، وعودته إلى وطنه الأصلّي في عام الفتح، وغزوة حنين التي قال تعالى فيها: ﴿**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنَزلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[2].

وفي الزيارة الغديريّة يخاطب الإمامعَلَيهِالسَّلَامُ جدّه فيقول: «والمؤمنون أنت ومن يليك، وعمّك العبّاس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة، ويا أهل بيعة الشجرة، حتّى استجاب له قوم قد كفيتهم المؤنة، وتكفّلت دونهم المعونة، فعادوا آيسين من المثوبة، راجين وعد الله بالتوبة.. وأنت حائز درجة الصبر، فائز بعظيم الأجر»[3].

---

(١) طه (٢٠): ١١٤.

(٢) التوبة (٩): ٢٥ ـ ٢٦.

(٣) المزار للمشهدي: ٢٧٤، القسم الثالث، الباب ١٣، الزيارة ١٢.

ومنها: (قاما لاريَا كريدا ومِتندا كديرا ديسمح هويا ويها كليليا).

وهذه الفقرة تشير إلى غزوة خيبر، وحفر الخندق، وعبور الجيش، وهزيمة شخصين ـ أبي بكر وعمر ـ فقد قال في الزيارة الغديريّة: «ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين، والحمد لله ربّ العالمين ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْؤُولًا﴾[1].

وهذا من جملة الأدلّة الباهرة والبراهين المنيرة على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام؛ لأنّ الأوّل والثاني تخلّوا في ذلك اليوم عن الرجولة، واختاروا الفرار على القرار، وفيه يقول ابن أبي الحديد المعتزلي، الذي كان من جماعتهم ومريديهم واصفاً:

وما أنسَ لا أنسَ اللذين تقدّما وفرّهما والفرّ قد علما حوبُ

وللراية العظمى وقد ذهبا بها ملابسُ ذُلّ فوقَها وجلابيبُ

يشلُّهما من آل موسى شَمردك طويلُ نجادِ السّيف أجيدُ يعبوبُ

يَمجُّ منَونا سيفُه وسنانهُ ويلهب ناراً غمدُهُ والأنابيبُ

أحضْرهُما أم حَضُر أخرَجَ خاضيٌ وذان هما أم ناعُم الخدِّ مخصوبُ

عذرتكما إنّ الحِمامَ لمبَغضٌ وإنّ بقاء النفس للنفس محبوبُ

ويكره طعمَ الموتِ والموتُ طالبٌ فكيف يلَذّ الموتُ والموتُ مطلوبُ

---

(١) المزار للمشهدي: ٢٧٥، سورة الأحزاب (٣٣): ١٥.

دعـا قصـبَ العليـاءِ يملكهـا إمـروءٌ بغيـرِ أفاعيـلِ الـدّناءةِ مقضـوبُ[١].

ولذا قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتّى يفتح على يديه»[٢].

وهذه الرواية متفقّ عليها عند العامة والخاصة، وهذا ممّا أوقع المخالفين في حيص وبيص؛ لأنّها تدلّ على أنّ المتقدّمَين لم يكونا واجدين للصفات المؤهّلة للخلافة «يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله»، فإنهما خليّين من كلا الصفتين، ومن لم تكن له هاتين الصفتين فهو كافر مطلق؛ لأنّ الإيمان هو الحبّ، والكفر هو البغض، أيّ حبّ الله وبغضه.

وهذا ممّا أوقع ابن حجر العسقلاني وسائر النواصب وعلماء المخالفين في الحيرة، فاضطرّوا إلى توجيه ذلك توجيهاً ركيكاً، وقالوا: إنّ مجموع الصفات الأربعة في الحديث غير موجودة فيهما، والمركّب ينتفي بانتفاء أجزائه، ولذا يكفي أنهما غير فزارين.

---

(١) وردت الأبيات غير منظمة ولا مرتبة في النسخة المطبوعة التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الرسالة، وقد صحّحنا الأبيات ورتبناها كما وردت في كتاب «التنبيهات على معاني السبع العلويات» ص٣٣. شرح السيّد ابن أبي الرضا العلوي البغدادي، من أعلام القرن الثامن.

علماً بأنّ المؤلّف أورد في آخر هذه الأبيات بيتاً ختم القصيدة به، وهو مقدّم عليها، وهو:

وفـوْزُ علـيٍّ بـالعُلى فوزُهـا بـه فكـلٌّ إلـى كـلٍّ مضـافٌ ومنسـوبُ

(٢) انظر : صحيح البخاري ٤: ٥، ١٢، ٢٠، ٢٠٧، صحيح مسلم ٥: ١٩٥، سنن الترمذي ٣: ١٢٤، سنن ابن ماجة : ٤٤، منسد أحمد بن حنبل ١: ٩٩، ١٣٣، ١٨٥، المستدرك على الصحيحين ٣: ١١٦، ١٣٢.

وهو كما ترى، كلام مختلّ البيان، متزلزل الأركان، بل هو رأي فجّ، وقول معوج، إذ لو أريد ذلك لوجب أن يذكر من الصفات المشتركة المعلومة شيئاً لدفع الإيهام بأن يقول: رجلاً عربياً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، كرّار غير فرّار، ليتّضح بذلك المقام ويندفع الإيهام، وإلّا فتختل الفصاحة، ويخرج الكلام عن البلاغة، ولذا وجب الفصل في قولهم: «لا»، و«رحمك الله» مع انقطاع الجملتين بالخبريّة والإنشائيّة، وأتى بواو العاطفة لدفع الإيهام، وإلّا فذكر الكلام على وجه الإيهام ـ مع كون المقام مقام الحاجة والبيان ـ لا يليق بعربيّ فصيح فكيف بمن هو في أعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، كما أشار بقوله: «أنا أفصح مَن نطق بالضاد بيد أنّي من قريش واسترضعتُ من بني سعد»[1].

---

(١) الظاهر أنّ هذا الحديث لا أصل له، وإن كان مشهوراً، ومعناه صحيح قطعاً. انظر: فيض القدير شرح الجامع الصغير ٤: ٧٠٩، كشف الخفاء ١: ٢٠٠، تذكرة الموضوعات: ٨٧، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة: ١٣٦.

[قصّة محمّد بن أبي جمهور الأحسائي]

ويعجبني أن ألقم المخالفين بحجر يكسر أنيابهم، وبرهان نيّر يقطع أعذارهم، وهو البرهان العظيم والدليل التامّ الذي نفث به روح القدس على لسان الشيخ الجليل والعالم النبيل، صاحب الشرف والكمال، وحاوي ما قصر عنه همم الرجال، الشيخ السند والركن المعتمد، محمّد بن أبي الجمهور الأحسائي (قدّس الله لطفه وأجزل تشريفه) في مجلس السيّد الجليل الحسيب السيّد محسن النقيب بمشهد خراسان، وإجمال تلك الحكاية ذكرها بالفارسية:

يقول الشيخ المذكور: قصدت في إحدى السنين زيارة المشهد بخراسان، فهاجرت من وطني، وقطعتُ المنازل وطويتُ المراحل حتّى وصلت المشهد المقدّس، ونزلت في بيت السيّد محسن النقيب، وحللت ضيفاً في دار ضيافته، حيث كان السيّد محسن متولّياً على العتبة المباركة آنذاك، والرجل الأوّل في المشهد، وكان عنده ولدان فاضلان عالمان، أرسلهما إلى هراة لإكمال دراستهما على يد الفاضل الهروي.

وكانت الطلبة من الشيعة في مشهد المقدّس آنذاك لا تجد عالماً عليماً وبحراً خضمّاً واستاذاً قديراً من علماء الإمامية (رضوان الله عليهم) فتركن إليه لتحصيل العلوم، ولذا كانت تلجأ إلى الفاضل الهروي، أحد العلماء المعروفين من العامّة، فإنّ أغلب العلماء في مشهد المقدّس قد تلمّذوا على يديه.

فاستقبلني السيّد محسن النقيب استقبالاً حارّاً، وقال: يا شيخ، أرجو منك أن تبقى في مشهد المقدّس، وسأتحمّل عنك كلّ ما تحتاج من مصاريف، بشرط أن تشتغل بالتدريس والتعليم؛ كي لا يذهب طلاّب الشيعة نحو هذا الناصبيّ، وفي هذا انكسار لنا نحن الشيعة بأن لا يكون في مشهد المقدس عالم كامل منّا.

فلمّا سمعت السيّد يقول هذا، استخرت بذات الرقاع، فخرجت ثلاث رقاع كلّها : (افعل).

فاشتغلت بالتدريس، فحضر إليّ خلق كثير وجمّ غفير ـ في مدّة قصيرة ـ من طلاب العلوم الدينيّة وفضلاء الإماميّة، وشاع صيتي في الآفاق، حتّى ترك الطلاب الهجرة إلى هراة، بل حتّى أنّ الطلاّب الذين كانوا في هراة كانوا يأتون إلينا ويحضرون عندنا، فصار ذلك سبباً لإثارة حسد الفاضل الهروي المذكور، فجدّ واجتهد لاقتلاعنا وقمعنا.

وذات يوم رأيت أنّ الدكاكين مغلقة والمدارس معطّلة، وسمعت أنّ ولدي السيّد محسن النقيب سيرجعا من هراة بعد دراستهما للعلوم. فلمّا قدما والتقيت بهما أظهرا لي ودّاً، وقالا: إنّ صيت فضلك قد ملأ سمع الفاضل

الهروي حتّى أُزعج كثيراً واغتمّ، وبعد أيّام قليلة سيقدم الفاضل الهروي إلى مشهد، وظاهر مجيئه الزيارة، ولكن واقعه لأجل الإهانة، ونحن على يقين من أنّك ستهان إهانة عظيمة، وسيبذل جهده لتسقيطك، بل وإهلاكك.

دشمن طاووس آمد پرّ أو أى بسى شه راكه بكشته فرّاو[١]

[ترجمته: أي إنّ ريش الطاووس سبب لهلاكه، ولكن عظمته أحدثت ضجةً في البلد].

فقلت: حسبي الله، لا إله إلّا هو، عليه توكّلت، وهو ربّ العرش العظيم.

چراغى را كه ايزد برفروزد هر انكس پف كند ريشش نسوزد[٢]

[ترجمة: أي إنّ النور الذي يوقده الله تعالى لا يستطيع أحد أن يطفأه بنفخة أو يُحرق لحيته].

﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾[٣].

وإنّي أرجو أن أنتصر على هذا الناصبي، وأفضحهُ ببركة ولاية علي عليه السلام وآل علي.

---

(١) الأبيات لمولوي، انظر: المثنوي المعنوي، الدفتر الأوّل.

(٢) مثل في اللغة الفارسيّة، ولعلّه مقتبس من قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ الصفّ (٦١): ٨.

أو من قوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ التوبة (٩): ٣٢.

انظر: كتاب ضرب أمثال وكنايات لعبد الغني برزين مهر: ٩٧.

(٣) سورة الصف (٦١): ٨.

وبعد أيّام قلائل وصل الخبر أنّه تحرّك صوب مشهد، وسيدخلها يوم الجمعة.

يقول الشيخ محمّد بن أبي جمهور الأحسائي: وفي يوم الجمعة رأيت الضوضاء قد غلبت، وقد خرج جميع العلماء والأعيان والأشراف والعوام والخواصّ لاستقباله، وأغلقت الأسواق، وعطّلت المدارس، فلم يبق أحد لم يخرج للاستقبال غيري، فلمّا خرجت ظهراً للصلاة في المسجد لم أشاهد أحداً من الشرطة، وكنتُ أرى يوميّاً أكثر من ألف نفر، فعرفت أنّ الفاضل الهروي مع كونه سنيّاً، ولكن له وقع عظيم في قلوب أهل مشهد وكلامه نافذ، فمن أراد الهروي قدحه أو مدحه أمكنه ذلك، فاضطربت كثيراً وتوسّلت بالولاية المطلقة.

ولمّا رجعت من المسجد رأيت الناس جماعات جماعات، وقد رجعوا من الاستقبال، وكلّ يحدّث الآخر عن ورع وزهد وتقوى الفاضل الهروي، ويحكي عنه، فأتضح أنّ الفاضل الهروي دخل إلى مشهد البارحة سرّاً، ونزل في دار الضيافة العام وقد زاد هذا الأمر من عقيدة العوام به.

وكان السيّد محسن النقيب قد هيّأ بيوتاً فاخرة ووسيعة للاستضافة؛ لأنّه توقّع نزول الفاضل الهروي عنده، وكذا سائر الأعيان والأشراف كل منهم كان يتمنّى أن ينال الفخر باستضافته.

فذهب السيّد محسن النقيب بصحبة جماعة من الأعيان والأشراف والتجار والعوام، وبعد إصرار شديد جلبه إلى منزله، والعوام كأنعام مجتمعين

حوله كعرف الفرس، هذا يقبّل يده، وهذا يلثم وجهه، وذاك يفديه بأبيه وأمّه، حتّى أوردوه إلى الدار الكبيرة للسيّد محسن النقيب، ولا زال العلماء والأعيان والأشراف والتجّار والعوام ثلاثة أيّام يزدحمون للقائه، حتّى بالغوا في ذلك.

وفي اليوم الرابع صنع السيّد محسن النقيب مأدبة عظيمة على شرفه، وقد دعى إليها أغلب العلماء والتجار والأعيان والأشراف، ثمّ أتى السيّد محسن إليّ سرّاً، وقال: لقد دعونا الفاضل الهروي هذا المساء وقد بلّغنا الجميع، ولكن نعتذر من دعوتك لمصلحةٍ.

فقلت: وما هي هذه المصلحة؟

فقال: إنّك تعلم أنّ هدف هذا الرجل من هذه الزيارة ليس إلّا الإهانة لكم، وإهانتكم تعني إهانة كلّ الشيعة، فلو حضرتم المجلس سيسألكم قطعاً بعض الأسئلة العلميّة، ولمّا تعجزون عن جوابه سنفتضح جميعاً ونكسر ونهان، بل يهان المذهب الحقّ لا سامح الله.

فقلت: يا حضرة النقيب «الحقّ يعلو ولا يعلى عليه»[1]، إنّي لأرجو وبتأييدات إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه الشريف أن أبطل المذهب السنّي هذه الليلة، وأفضح هذا الناصبيّ، حتّى يفضّل الفرار على القرار، حتّى يخرج سرّاً كما قدم سرّاً.

---

(١) روى الشيخ الصدوق في الفقيه ٤: ٣٣٤ حديث ٥٧١٩ قول النبيّ صلّى الله عليه وآله: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه».

⇦

فتعجب السيّد من هذا الكلام، وسُرّ، كأنّ روحاً وحياة جديدة قد دبّت في بدنه، وقال: والله، إن كان كذا فستقدّم خدمة عظيمة للحوزة الاثني عشرية إلى الأبد، وسترسل إليك آيات الشكر والامتنان آلافاً.

ولكنّي لابدّ أن استشير في هذا الأمر رؤساء البلد، كي نكون شركاء في النفع والضرر، ولا نتحمّل هجوم العوام لوحدنا لو لم ينجح القصد.

خواهى نشوى رسوا   هم رنگ جماعت شو(١)

[ترجمته: أي إذا أردت عدم الفضيحة فاحشر نفسك مع الناس].

«يد الله مع الجماعة»(٢).

«من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون»(٣).

فقام السيّد النقيب فوراً، وذهب إلى ديوانه، وأحضر رؤساء البلد وشاورهم في خصوص هذا الأمر، ففرحوا بذلك، وأشاروا عليه مع كامل الامتنان، وأتى السيّد بعد ذلك عندي وحكى لي القصّة بالتفصيل، ثمّ دعاني إلى هذه المأدبة.

فقلت: سآتي إليك، ولكنّي أرجو منك أن لا تجعل فرقاً بيني وبين خصمي في الاحترام والتقدير؛ لأنّك إن قصّرت في احترامي في البدء ينكسر

⇦

ورواه البخاري في صحيحه ٢: ٩٦ بصيغة «الإسلام يعلو ولا يُعلى».

(١) هذا مثل في اللغة الفارسية، انظر : كتاب ضرب أمثال وكنايات لعبد الغني برزين مهر: ١١٧.

(٢) سنن الترمذي ٣: ٣١٦ حديث ٣٢٥٦، صحيح ابن حبّان ١٠: ٤٣٨، المعجم الكبير للطبراني ١٧: ١٤٤، نهج البلاغة ٢: ٨ الخطبة ١٢٧.

(٣) نهج البلاغة ٤: ١٠، من حكمه عليه السلام رقم ٣٥، تاريخ دمشق ٢٤: ٣٣٧.

خاطري وأُغلب في ميدان الجدال؛ لأنّ المولى قال في إحدى كلماته القصار: «الفقر يُخرس الفَطِن عن حجّته»[١].

فقال السيّد النقيب: سنحضر في مجلسنا صدرين ومسندين، فتجلس أنت في جانب، وخصمك في جانب آخر، وستكون احتراماتكم بالسويّة، ثمّ ودّعني السيّد النقيب، وأمّا أنا فقد استمددتُ العون من الولاية المطلقة ورعاية ولي العصر أرواحنا فداه، وكُلّي اطمئنان.

وبعد إتمام صلاة المغرب والعشاء توجّهت نحو المجلس المعهود، وجلست في الموضع المعدّ لي، مع تمام وكمال الاقتدار، وأتى المدعوّون شيئاً فشيئاً مثنى وثلاث ورباع، حتّى امتلأ المجلس وانتظم، وبقي أهل المجلس ينتظرون قدوم الفاضل الهروي، وفجأةً حدثت همهمة وضجّة في المجلس، فالتزم جميع أهل المجلس بمراتب الأدب وأظهروا الاحترام، حتّى أنّ بعض الأشخاص غيّروا مواضع جلوسهم؛ لما دخل على أهل المجلس من رعب وإرباك، ووقف الكلّ على قدميه، فدخل المشار إليه مع كامل الاحترام والوقار، ثمّ نظر إليّ وجلس في الجانب الآخر من المجلس، ثمّ شرع بإظهار التعارف مع الحضور حتّى وصل لي فقال: يا شيخ أظنّك غريباً، فمن أين أنت؟

فقلت: من الأحساء.

ثمّ قال: ما اسمك؟

فقلت: محمّد بن أبي الجمهور.

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٣، من حكمه عليه السلام رقم٣.

قال: ما مذهبك؟

قلت: سألتني عن الأصول أو الفروع؟ وأردت بذلك تشويشه وإرباكه، وبما أنّه كان جدليّاً محضاً، قال لي على الفور: سألتك عن كليهما، فعرفت أنّ خصمي فَطِن، فتوسّلت مرّة أُخرى بالولاية المطلقة، فاطمئَننتُ وقلت: أمّا الأصُول فما قادني إليه عقلي؛ لأنّ التقليد لا يجوز في أصول الدين.

ويُحرم التقليد ممّن اجتهد   وفي أصول الدين من كلّ أحد[1]

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشريعة أقوالي، والطريقة أفعالي، والحقيقة أحوالي، والمعرفة رأس مالي، والعقل أصل ديني»[2].

وأمّا في فروع الدين، فلي فقه منسوب إلى جعفر بن محمّد عليه السلام، يعني المذهب الجعفري.

فقال: إذاً أنت شيعي؟

قُلتُ: نعم، وبذلك افتخر.

گرمرا گوئى بر خيز كه بد دينى   مرمر ازين سخن بيهوده عارا آيد

من تولّى بعلى دارم كه از تيغش   بر مخالف شب بر شيعه نهار آيد

---

(١) هذه الأبيات منسوبة للسيّد محمّد مهدي بحر العلوم (ت١٢١٢هـ).

انظر: رسالة اجتهاد وتقليد للشيخ السبحاني: ٢٢.

(٢) انظر: مستدرك الوسائل ١١: ١٧٣، كتاب الجهاد، باب ٤ من أبواب جهاد النفس، الحديث٨، نقلاً عن عوالي اللآلي ٤: ١٢٤، الحديث٢١٢.

وفي كشف الخفاء للعجلوني ٢: ٤، الحديث ١٥٣٢: لم أر مَن ذكره، فضلاً عن بيان حاله. نعم ذكر بعضهم أنّه رآه في كتب بعض الصوفية.

[ترجمته: أي إن قلت لي: انهض يا سيء الدين والعقيدة، فإنّ الصخر ينفطر من كلامك هذا.

قلتُ: إنّي أوالي علياً الذي يجعل شعاعه ليل الشيعة نهاراً.

لـو كـان رفضـاً حـبّ آل محمّـد فليشـهد الـثقلان أنّـي رافضـي[1]

قال: الشيعة يعتقدون إنّ خليفة الله بلا فصل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله هو علي ابن أبي طالب؟

فما تقول في ذلك؟

قلتُ: وأنا أعتقد ذلك أيضاً.

ألا أنّ خيـر النـاس بعـد محمّـد علـيّ وهـذا بالـدلائل واضـح[2]

---

(١) ذكر ابن عبد البر في كتابه الانتفاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: ٩٠ عن حمزة بن محمّد الكتاني الجوهري، عن الربيع بن سليمان المؤذن، قال: حججت مع محمّد بن إدريس الشافعي إلى مكّة، فما يصعد شرفاً ولا يهبط وادياً إلّا أنشأ يقول:

يـا راكبـاً قـف بالمحصب مـن منـى واهتـف بسـاكن خيفهـا والنـاهض

سـحراً إذا فـاض الحجيج إلـى منـى فيضـاً كملـتطم الفـرات الفـائض

إن كـان رفضـاً حـبُّ آل محمّـد فليشـهد الـثقلان أنّـي رافضـي

وانظر: نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ١١١، تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦، تفسير الآلوسي ٢٥: ٣٢، تأريخ دمشق ٩: ٢٠، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٨، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ١: ٢٩٩، تأريخ الإسلام للذهبي ١٤: ٣٣٧، الوافي بالوفيات للصفدي ٢: ١٢٥.

(٢) في الفصول المختارة للمفيد: لما قتل عثمان قال الوليد بن عقبة في مدحه لعثمان ورثائه وتحريضه على أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: ألا أنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر.

⇦



فأجابه الفضل بن عتبة بن أبي لهب:

ألا أنّ خير الناس بعد محمّد مهيمنه التاليه في العرف والنكر
وخيرته في خيبر ورسوله بنبذ عهود الشرك فوق أبي بكر
وأول من صلّى صنو نبيّه وأول من أردى الغواة لدى بدر
فذاك عليّ الخير من ذا يفوقه أبو حسن حلف القرابة والصهر

وفي مناقب آل أبي طالب ١: ٣٠٣ و٢: ٢٦٨ عن بعض الأعراب، قال:

ألا أن خير الناس بعد محمّد عليّ وإن لام العذول وفنّدا
وأنّ عليّاً خير من وطأ الحصى سوى المصطفى أعني النبيّ محمّدا
هما أسلما قبل الأنام وصلّيا أغار العمريّ في البلاد وأنجدا

وقال غيره:

عليّ وصيّ المصطفى وابن عمّه وأوّل مَن صلّى ووحّد فاعلم

وفي تأريخ الطبري ٣: ٤٤٩: أنّ الوليد بن عقبة كان يحرّض عمارة بن عقبة ويقول:

ألا أنّ خير الناس بعد ثلاثة قتيل التجيبي الذي جاء من مصر
فإن يك ظنّي يابن أمّي صادقاً عمارة لا يطلب بذمل ولا وتر
يبيت وأوتار ابن عفان عنده مخيّمه بين الخورنق والقصر

فأجابه الفضل بن عباس:

أتطلبُ ثأراً لستَ منه ولا له وأين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمّها وتنسى أباها إذ تسامى أولي الفخر
ألا أنّ خير الناس بعد محمّد وصيّ النبيّ المصطفى عند ذي الذكر
وأوّل مَن صلّى وصنو نبيّه وأوّل من أردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر
كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله وأن يسلموه للأحابيش من مصر

فقال: أقم البرهان على مدّعاك.

فقلت: إنّي لا احتاج إلى بيّنة وبرهان؛ لأنّك أنت المدّعي، فلو لم تقبل قولي لابدّ أن تقيم البيّنة.

فلمّا سمع ذلك أخذ يقهقه ويصفّق، ثمّ أدار وجهه لمن حضر، وقال: كيف أتيتم بهذا الشيخ الأحسائي وجعلتموه رئيساً للحوزة العلمية؟ وهو لم يجهل فحسب، وإنّما لا يلتفت حتّى إلى الضروريات، فالقاعدة الفقهيّة المحكمة التي لم يختلف فيها اثنان، والتي هي نصّ ما قاله النبيّ ﷺ: «البيّنة على المدّعي واليمين على من أنكر»[1]، وهي مشهورة إلى حدّ أنّها غدت من ضروريّات الدين، وممّا أجمع عليه العامّة والخاصّة، بل أجمع عليها العقلاء، فيرثها الخلف عن السلف، والأصاغر عن الأكابر، بل هو أظهر من الشمس وأبين من الأمس.

وهذا المسكين لم يسمع بهذه القاعدة لحدّ الآن، ومع ذلك يدّعي أنّ علياً الخليفة بلا فصل، ولمّا أطالبه بالدليل يقول: لا حاجة لي به، فهات أنت دليلك على عدمه، فهل يليق بشخص عديم الحياء لا شعور له أن يجلس على أريكة العلم، وأنتم ترسلون أولادكم إليه كي يتعلمون منه؟ هذا بعيد عن كياستكم جدّاً يا أهل خراسان.

---

(١) انظر: الكافي ٧: ٣٦١، علل الشرائع ٢: ٥٤١، من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٢، التهذيب ٦: ٢٢٩، صحيح البخاري ٣: ١٤٦، سنن ابن ماجة ٢: ٧٧٨، سنن الترمذي ٢: ٣٩٨، السنن الكبرى للبيهقي ٦: ١٩٨ و٨: ١٢٦.

وبالجملة، ابتهج بمناقشته هذه، وأخذ في تشجيعه جمع غفير من الحضور، وهو ينصح أهل خراسان ويحرّضهم عليّ ويلومهم، ثمّ أنشد يصف نفسه بلسان الحال، قائلاً:

آه آه از دست صرّافان گوهر ناشناس   هر زمان خر مهره را بادرّ برابر ميكنند[١]

[ترجمته: آه من جماعة الصرّافين الذي لا يعرفون قدر وقيمة الجوهر المجهول، فيساوون بين الباب وبين ما يعلّق عليها من الخرز الكبار].

ثمّ سكن، فنظرت إلى وجوه الشيعة الحضّار في المجلس وقد طأطأوا رؤسهم من الخجل، مهمومين مغمومين، سرحوا في عالم التفكير. ويقابلهم أهل السنّة والجماعة فرحين، فاتحين أحداقهم، مادّي أعناقهم نحوي وهم يتبسّمون ساخرين بي.

فأخذت أنا أضحك بصوت عالٍ، بحيث غلبتُ بالقهقهة والضحك أحياناً على صوت الهروي، وأنا جاثٍ على ركبتيّ، رافعاً قوامي؛ كي يبيّن طولي، وأصفق بيدَيّ، فلمّا شاهدوا تصفيقي توجّهوا إليّ بالأنظار، فقلت:

يا الله: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»[٢]، كنتُ أتصوّر أن الفاضل أديب وكامل وحكيم فاضل، ولكن اتّضح لي الآن أنّه ليس بعاقل، فضلاً من

---

(١) في منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة للخوئي ١٦: ٢٨٥ نسب هذا البيت لحافظ الشيرازي.

(٢) هذا مثل روي على نحوين: «تسمع بالمعيدي لا أن تراه»، هكذا رواه الأصمعي، ورواه غيره «أن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه».

⇦

أن يكون فاضلاً، فالقاعدة المعروفة تقول: «البيّنة على المدعي واليمين على من أنكر»، وهي قاعدة مشهورة كعلم في رأسه نار، بل كالشمس في رابعة النهار، وقد قرأها ألف مرّةٍ ولم يعرف معناها، «ويل لمن لاكها بين لحييه ثمّ لم يتدبّرها»[1].

أنّه هو المدّعي وأنا المنكر، وهو يدّعي أنّه أنا المدّعي وهو المنكر عكساً.

فلمّا قلت كذا وسمع الفاضل الهروي، استشاط وقام من مكانه غضباناً، وهو يصيح: أيّها الناس، أنكم أنتم أيضاً من أهل الفضل والعلم، قولوا: كيف

⇨

والأصل في المثل: أنّ رجلاً من بني تميم كان يغير على ثغور النعمان بن المنذر، حتّى إذا عيل صبر النعمان، كتب إليه : أن أدخل في طاعتي ولك مائة من الإبل، فقبلها وأتاه، فلمّا نظر إليه ازدراه ـ وكان دميماً ـ فقال: «تسمع بالمعيدي لا أن تراه».

وفي التذكرة الحمدونية: «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه»، قاله النعمان بن المنذر للصقعب، هذا قول ابن الكلبي. وأمّا المفضّل فقال: إنّ المثل للمنذر بن ماء السماء، قاله لشقة بن ضمرة النهشلي، فقال له شقة : أبيت اللعن، إنّ الرجال ليسوا بجزر يراد منهم الأجسام، وإنّما المرأ بأصغريه: قلبه ولسانه، فذهبت مثلاً، وأعجب المنذر ممّا رأى من بيانه وعقله، فسمّاه باسم أبيه وقال: ضمرة بن ضمرة.

والمعيدي منسوب إلى معد بن عدنان، وقد نسبوه بعد أن صغّروه وخففوا الدال.

انظر: جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ١: ٢٦٦ رقم ٣٦٧، التذكرة الحمدونية ٧: ١٢٥ رقم ٦٠٢، وفيات الأعيان ٤: ٦٨.

(١) نسب هذا القول إلى النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله.

انظر: مجمع البحرين ٥: ٢٨٧، المحجّة البيضاء للفيض الكاشاني ٢: ٤٠٢.

أكون أنا المدّعي وهو المنكر؟ صدّقوني وأنصفوني بالله عليكم ولا تسلكوا بـي غير الطريق.

فلما سمع أهل المجلس استغاثته، التفت إلـيّ عـدّة مـن الفضـلاء، فقـالوا: وكيف رأيته هو المدّعي، والحال أنّك المدّعي بلا فصل؟

فقلت: إنّـه مـدّع مـن جهـة أنّ الميـزان فـي المـدّعي والمنكـر هـو الـذي يخالف قوله الأصل ويقابلُه المنكر، وبما أنّنا نقرّ معاً بخلافـة علـيعليه السلام إجمـالاً؛ لأنّه المجمع عليه عند الأمّة، فمن ادّعى أنّ علياً ليس بخليفة فقد كفر.

فلمّا وصل النقاش إلى هذه النقطة صاح الفاضل الهـروي : إنّـي لـم أنكـر خلافة علي، ولكنّه الرابع.

فقلتُ: يعني أنّك تقرّ بخلافة عليّ في الجملة، ولكن تدّعي الواسـطة فـي ذلك، وأنا أنفي تلك الواسطة وأنكرها، فأنا المنكر وأنت المدّعي يا شيخ.

وإذا بالفاضل المزبور فوجئ وتوحّل فـي الطـين وتحيّـر فـي المحـلّ، ثـمّ سكت وطأطأ رأسه خجلاً، كأنما ألقم حجراً، فعلى صوت الضـحك والتصـفيق من المجلس، وفرح المؤمنون وحزن المخالفون.

فقلت: يا شيخ، أقم الدليل على مدّعاك.

فقـال: قـد انتهـى الوقـت وطـال المجلـس ومـلّ الحضـور، والأيّـام بيننـا، والأمور مرهونة بأوقاتها، وسنزوركم في مجلس آخر ونتحدّث معاً.

فقلتُ: إنّ أهل المجلس جميعاً مشتاقون إلى سماع دليـل واحـد تقيمونـه كي يتمّ فصـل المطلـب، ولا نجـري المطالـب العلميّـة علـى ألسـنة المتملّقـين، فيظهروا لذلك خشوعاً وخضوعاً.

«تواضع كم كن بر مبلغ اخزى».

[ترجمته: إذا قلّلت من التواضع فزد من المبلغ].

إلا تأتي بدليل تريح به الجميع؟ فقال: أرجوك أن تقبل طلبي وتوكل الكلام إلى جلسة أخرى.

قلتُ: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «الفرصة تمرّ كما يمرّ السحاب»[1]، فإنّ جماعة من المسلمين وقعوا في الشبهة، ومتى تحصل فرصة أخرى يمكن فيها جمع الكلّ، كي يخرجوا من هذه الشبهة؟ ولو عجزتم عن إقامة الدليل فسأقيمه أنا، وإن كان يكفيني مجرّد الإنكار، وليس من واجبي ذلك، ولكن لإرشاد الناس إلى حقيقة الدين وإزالة الشكّ عنهم سأتكفّل بإقامة الدليل.

فما قلتُ ذلك حتّى اغتنم الفاضل المذكور هذه الفرصة؛ عسى ولعلّه يستطيع أن يشكل على مقدّمات استدلالي، ويوقع الناس في الشك، ويدع إتعابي هباءً، فقال: يا شيخ، كم دليل عندك على أنّ خلافة علي بن أبي طالب حقّ بلا فصل؟

فقلت: ألف، بل ألفان.

فقال: إنّ المجلس لا يسع ألف دليل، ولكن انتخب أقوى دليل لديك، على أن يكون بيانه باختصار، حينئذٍ لو تمّ المطلب فيها، وإلّا فستبطل جميع أدلّتك، فإنّه إذا بطل الأقوى بطل الأضعف.

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٦، من حكمه عليه السلام رقم٢١، وفيه: «قرنت الهيبة بالخيبة، والحياء بالحرمات، والفرصة تمرّ مرّ السحاب، فانتهزوا فرص الخير».

قلت: أشارطك على أن أذكر أضعف الأدلّة لديّ، فلو أبطلته صرفتُ النظر عن سائر الأدلّة.

قال: تفضّل بسم الله.

فقلت: ما تقول في سورة براءة؟ أي الصحابة أبلغها المشركين في مكّة؟

فقال: إن المفتريات الواردة في كتب الشيعة في هذا الباب كثيرة، وما ثبت بعد التحقيق والذي جاء في البخاري عن محمّد بن إسماعيل الجعفي، ومسلم بن الحجّاج النيشابوري صحيحه، وسليمان بن الأشعث السجستاني، وأبو عيسى محمّد بن عيسى الترمذي، فقد أوردوا هذا المقدار المحقّق فيه والثابت، وهو:

أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أعطى الآية في بادئ الأمر للصدّيق، وأمره تبليغها، ثمّ هبط جبرئيل قائلاً: إنّ الحقّ تعالى يقول لك: لا يبلّغ آياتي عني إلّا أنت أو رجل منك، ثمّ طلب علياً كرّم الله وجهه، وقال: اذهب نحو أبي بكر، فإن وجدته خذ منه الآيات وبلّغها عن الله تعالى، لأنّك مأمور بذلك، وهذا المقدار هو الثابت في كتبنا[1] ونحن نعتقد به.

أمّا ما ذكر في كتب الشيعة، فهو أنّ جبرئيل عليه السلام ذمّ الصدّيق ومدح علياً عليه السلام وأنشد شعراً في ذلك[2]، ونحن لا نقبله، ونعتقد أنّه افتراء وكذب محض.

---

(١) انظر: سنن الترمذي ٤: ٣٣٩ الحديث ٥٠٨٥، المستدرك على الصحيحين ٣: ٥١، مسند أبي يعلى ١: ١٠٠ الحديث ١٠٤، صحيح ابن حبّان ١٥: ١٧، فتح الباري ٨: ٦٦، عمدة القارئ ٤: ٨٧، تحفة الأحوذي ٨: ٣٨٥.

(٢) جمعها العلامة المجلسي في بحار الأنوار ٣٥: ٢٨٤ ـ ٣٠٩.

فقلت: نكتفي بهذا المقدار، فالذي اتّضح من هذا الحديث ودلّ عليه أنّ علياًعليه السلام من النبيّصلى الله عليه وآله وأبا بكر ليس من النبيّصلى الله عليه وآله، ولو ضممنا هذه المقدّمة إلى نصّ الآية الشريفة ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[1]، فإنّ عكس نقيضها ينتج لنا أنّ أبا بكر ليس بتابع للنبيّصلى الله عليه وآله.

ولو ضممنا هذه النتيجة إلى مقدّمة أخرى، وهو قول الله تعالى عن لسان النبيّصلى الله عليه وآله : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ﴾[2] فعكس النقيض ينتج أنّ أبا بكر لم يكن محبّاً لله ورسوله، يعني أنّ أبا بكر كان عدوّاً لله ولرسوله، فكيف يكون عدوّ الله وليّاً؟!

چشم باز گوش باز اين عمى حيرتم از چشم بندى خدا[3]

[ترجمته: أي له عين مفتوحة وأذان صاغية، لكنّه أعمى في حيرة].

فترتيب الصغرى والكبرى المذكورتين يكون على هذا النحو، وهو : أنّ أبا بكر ليس من النبيّصلى الله عليه وآله بطريقة الموجبة المعدولة المحمول، وكلّ من ليس

---

(١) إبراهيم (١٤): ٣٦.

(٢) آل عمران (٣): ٣١.

(٣) نسب هذا البيت إلى جلال الدين الرومي.

انظر: منهاج البلاغة للخوئي ١٧: ١٩٣، تفسير ونقد وتحليل مثنوي لمحمّد تقي الجعفري ٦: ٦٤١، رقم ١١٠٩.

من النبيّ صلى الله عليه وآله ليس بتابع للنبيّ صلى الله عليه وآله فالشكل الأوّل ينتج أنّ أبا بكر ليس بتابع للنبيّ صلى الله عليه وآله.

ثمّ نقيم قياساً من الشكل الثاني فنقول: إنّ أبا بكر ليس محبّاً للنبيّ صلى الله عليه وآله بطريقة الموجبة المعدولة المحمول، وكلّ مَن ليس بتابع للنبيّ ليس محبّاً لله وللنبيّ صلى الله عليه وآله، وأبو بكر ليس محبّاً لله وللنبيّ صلى الله عليه وآله.

وأحبّ كثيراً أن أذكر هنا برهاناً آخر، فيه نعمة سابقة وحجّة بالغة، وهو تامّ الدلالة، وهو قول الله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[1].

و«الظالمين» جمع محلّى باللام، وهو دالّ على العموم باتفاق الأصوليين، وللعموم صيغ وضعن له، كالجمع أن يضف واللام معه، ومفاد ذلك أن مطلق الظالم لا تنبغي له درجة الإمامة.

ولو فرضنا أنّ الجمع المحلّى باللام لا يفيد العموم، كما عليه من تحمّل عرش العلم بالأصول، فحينئذ سينتقض العموم الوضعي، أمّا العموم العقلي فسيثبت من الآية من باب الحكمة أو السرّ بلا إشكال.

وعلى كلّ تقدير فإنّ لفظ «الظالمين» يفيد العموم، ويشمل جميع الظالمين.

---

(١) البقرة (٢): ١٢٤.

ولو فرض أنّه لا يفيد العموم، لا وضعاً ولا عقلاً، فيكون مطلقاً ينصرف إلى الفرد الشائع، والفرد الشائع من الظلم الذي ليس فوقه ظلم إنّما هو الشرك ﴿**يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾[1].

وعليه فيكون معنى الآية حينئذٍ هكذا: يا إبراهيم مَن كان من ذريّتك كافراً أو مشركاً، فلا يكون خليفة، ﴿**لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾، فالخلافة لا تصلح للظالم، أي الكافر والمشرك.

ويحتمل فيه أمران:

الأوّل: أن يقصد بالكافر والمشرك الفعلي، فلا يكون خليفة وإماماً، ويكون كمن يريد من الله تعالى أن يجمع بين الضدّين أو النقيضين، وهذا لا يليق بإبراهيم، بل لا يليق بأيّ فاضل وعاقل.

الأمر الثاني: أنّه من كان من ذريّتك كافراً أو مشركاً في عمره ولو في طرفة عين، فليس لائقاً للخلافة والإمامة حتّى لو تاب وأسلم وصار متّقياً؛ لأنّه يكون بمنزلة الظرف المثلوم المرقّع، فليس شأنه شأن الصحيح، ولا قيمته كقيمته حتّى لو أصلح بعد ذلك.

ولذا قال الفقهاء : لو ارتكب أحد أئمة الجماعة ذنباً كبيراً، كشرب الخمر ـ والعياذ بالله ـ ثمّ تاب وأقيم عليه الحدّ، فإنّه يكره الائتمام به بعد ذلك.

وقد قال الشهيد عليه الرحمة في اللمعة : «ويكره أن يأتمّ كلّ من الحاضر والمسافر بصاحبه، بل بالمساوي، وأن يأتمّ الأجذم والأبرص

---

(١) لقمان (٣١): ١٣.

بالصحيح، والإعرابي بالمهاجر، والمتيمّم بالمطهّر بالماء، والمحدود بعد توبته»[١].

فيكون محصّل الآية عدم لياقة المشرك والكافر للإمامة حتّى لو كان كفره وشركه بمقدار طرفة عين ولو تاب بعد ذلك وأسلم.

والثابت أنّ الخلفاء الثلاثة الذين تقدّموا علياًعليه السلام كانوا على الشرك والكفر ما يقارب الأربعين عاماً، باتفاق الفريقين وإطباق المؤرّخين، والذي لم يشرك بالله طرفة عين هو مولانا أمير المؤمنينعليه السلام.

عبد الله غلاماً يافعاً	وقريش يعبدون الوثنين
يعبدون اللاّت والعزّى معاً	وعليّ كان صلّى القبلتين[٢]

(١) اللمعة الدمشقية: ٤٠ بتفاوت.

(٢) روى الفتّال النيسابوري في روضة الواعظين : ١٥٥ في قضية الملك فطرس الذي تمسّح بالحسينعليه السلام عند ولادته، فارتفع عنه كسر جناحيه، فأنشد للحسينعليه السلام:

خيرة الله من الخلق أبي	ثمّ أمّي فانا ابن الخيرتين
فضّة قد أخلصت من ذهب	فأنا الفضة وابن الذهبين
أمّي الزهراء حقّاً وأبي	وارث الرسل ومولى الثقلين
عبد الله غلاماً يافعاً	وقريش يعبدون الصنمين
يعبدون اللات والعزى معاً	وأبي قام فصلّى القبلتين

وانظر: الاحتجاج للطبرسي ٢: ٢٥، مناقب آل أبي طالب ٣: ٣٣٢، الفتوح لابن أعثم الكوفي ٥: ١١٥، الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي ٢: ٧٧٢، ينابيع المودّة ٣: ٧٩.

[الآيتان العاشرة والحادية عشرة من وحي الطفل]

(قَفيصا متعرما اليَدَ سعادِهِ كِسروَ فاتپروفا نتيسيا لحوپا).

يعني: أنّ محمّداً صاحب المقام السامي سميلك تاج الخاتميّة، وثوبه أبيض، كناية عن العصمة.

(شيتا شبقا وامشيتأ آوا وميقار ميقا ومى تنيقا).

يعني : أنّ ستّة أشخاص سيقعون في المحن، بعضها يتلوا البعض، وقد تبعوا بإمامهم، وهي إشارة إلى أخوة الحسين عليه السلام الستّة، وهم : العبّاس وجعفر وعون وعبد الله ـ وهم أولاد أمّ البنين ـ ومحمّد الأصغر وعبد الله الأصغر الذين كانا من غير أمّ البنين.

[الآية الثانية عشرة من وحي الطفل]

[رعسا ميترسا وحالسا ديسا).

يعني: إنّ أعضاء القتلى تتقطع، ويقوم العدو اللجوج بسلب ثيابهم.

والفقرة الأولى إشارة إلى رضّ أجساد الشهداء.

والفقرة الثانية: تشير إلى سلب الأبدان الطاهرة

[الآية الثالثة عشر من وحي الطفل]

(رامى لبيش تاكا ليرسيه كتا الكا مكبدّى شكاكا ومكنيس شيكاكا).

يعني: إنّ البلاء نـزل بقطـع الـرأس بـالخنجر، وتحـوّل العـرس إلـى عـزاء وصـار العـزاء دائميّاً، وتمثلـت المصـائب الحالـة علـى أهـل البيـت بالتشـبيهات المحرقة الخالدة.

والفقرة الأولى تشير إلى شهادة سيّد الشهداء عليه السلام.

والثانية تشير إلى وقوع عقد إحدى بنات الإمام عليه السلام علـى القاسـم، ومع أنّ الزفاف لم يتحقّق فإنّه يشكل وقوع العقد خالياً بدونه.

والفقرة الثالثة تشـير إلـى إقامـة العـزاء والشـبيه والهيئـآت التـي يقـوم بهـا أحبـاب الحسـين عليه السلام وشـيعة أميـر المـؤمنين عليه السلام كـلّ سـنة، ويجـدّدون مصـيبته عليه السلام، كمـا أخبـر النبـيّ صلى الله عليه وآله السـيّدة الزهـراء عليها السلام حـين ولادة سـيّد الشهداء عليه السلام، قائلاً:

يجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل.

[قصة النائب الهندي]

ويُحكى أنّ نائباً في الهند ميسور الحال كثيراً، وصاحب ثروة عظيمة، كان من محبّي الحسين عليه السلام وعشاقه، وكان عنده حسينية وسيعة جداً، بناها لإقامة العزاء الحسيني، حيث يجتمع فيها ألوفٌ من الناس، ويحضر إليهم أنواع الطعام والشراب، وقد جعل الدعوة فيها للجميع، يأكل من الموائد ويصحب معه، وفي يوم عاشوراء حينما يكون وقت المعركة يقام في تلك الحسينية الشبيه، وتمثّل الواقعة من الصباح إلى الغروب، وكان الناس يهلكون أنفسهم من شدّة البكاء.

وفي كلّ سنة في يوم عاشوراء في هذه الحسينية، كان عشرة أو عشرون من العاشورائيين يُغمى عليهم في هذه الحسينية، ويرتفع من هذه الحسينية ضجيج النياح والندب مدوّياً في جميع المدينة.

وفي إحدى السنوات كان والي المدينة المنصّب فيها ناصبيّاً، فلمّا سمع غوغاء العزاء يوم عاشوراء فزع منه، ثمّ سأل ماذا حصل؟

فقالوا: إنّ حسينية النائب فلان تقيم العزاء على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال: ولماذا يقام العزاء كلّ سنة على ولد نبيّ من الأنبياء؟ ثمّ أضاف سخافة أخرى، قائلاً: إنّ بعض المتجدّدين الذين لا دين لهم يقولون : إنّ الحسين عليه السلام ويزيد(لع) كانا ملكين تخاصما فيما بينهما وتقاتلا، فأحدهما غالب والآخر مغلوب، وكثير في الدنيا من شأنه كهذين، إذاً لا حاجة لكلّ هذا الاهتمام، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله ـ كما في حديث محمّد بن إسماعيل الجعفي البخاري، الذي جاء في صحيح البخاري، وصحّحه، وهو يقول فيهم ـ: «سيأتي أقوام حدثاء الأسنان، ضعفاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية، ويمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميّة، لا يتجاوز الإيمان حناجرهم، فاقتلوهم أينما ثقفتموهم، فإنّ في قتلهم أجراً يوم القيامة»[1].

وعليه، فقد أمر هذا الناصبي بإرسال جيش إلى الحسينيّة ومبنى النواب، ونهب جميع أمواله وممتلكاته، ولشدّة عشق النائب للحسين عليه السلام لم يعصّب أصلاً ولا تأثّر، ولكنّه لمّا قرب محرم السنة القادمة جلس حزيناً مهموماً واضعاً رأسه بين ركبتيه؛ لعدم تمكّنه من تهئية مصاريف العزاء، وأخذ يبكي بكاءً عالياً، فلمّا سمعت زوجته أقبلت إليه وقالت: أيها الرجل، إنّ أموالنا قد نهبت قبل سنة، وأنت تبكي عليها الآن؟

فقال: وهل بكيت لأجل أموالي التي نهبت؟ وإنّما أبكي لعدم تمكّني هذه السنة من إقامة العزاء، وليس عندي شيء من مال الدنيا كي أنصب به المأتم والشبيه.

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٧٩، و٦: ١١٥، و٨: ٥٢.

فجلست معه زوجته وشاركته في البكاء، ثمّ قال: إنّه ليس من فائدة في البكاء، لابدّ أن ندبّر أمراً في هذا الخصوص، وبعد التفكير وصلا لرأي، وقالا: إن لم يكن عندنا شيء من مال الدنيا، فعندنا ولد جميل نبيعه ونقيم بثمنه عزاء الحسين عليه السلام والشبيه، فاسترضيا ولدهما بأن يباع ويصرف ثمنه على ما ذكرا.

عاشق مسكين اگر قلب دلش كردى نثار
مكنش عيب كه بر نقد روان قادر نيست[1]

[ترجمته: العاشق المفلس إذا ضحّى بقلب نفسه، لا تعيب عليه لأنّه غير قادر أن ينتقد نفسه].

فالحبّ الذي يفصل بين الوالد والولد والأمّ والطفل، أنّى له من الانتباه إلى حرمة بيع الحرّ؟! فقد غرقا في المحبّة الحسينيّة وغفلا عن غير الحسين!!

نسيتُ اليوم من عشقي صلاتي ... فما أدري غدائي من عشائي
وذكرك سيّدي أكلي وشربي ... ووجهك إن لقيتُ شفاء دائي[2]

(١) البيت لحافظ الشيرازي، انظر: غزل: ٧٠.

(٢) نسبهما السلمي في طبقات الصوفيّة: ٣٣٧ ـ ٣٤٤ إلى أبي بكر الشلبي، ونسبا أيضاً إلى شمس التبريزي بتفاوت، كما موجود في ديوانه، القسم الرابع من غزليّاته.

[أحوال أهل الجنة]

وفي الرواية المعتبرة التي يرويها المجلسي في البحار: أنّ في يوم القيامة يأتي جماعة يُدعون بمحبي الحسين عليه السلام، وقد انتهى حسابهم منذ آلاف السنين، واستلموا صك النجاة والمرور على الصراط، لكنّهم لا يستطيعون فراق الحسين عليه السلام، حتّى تبعث إليهم زوجاتهم من الحور العين قائلات: نحن بانتظاركم منذ آلاف السنين، ولم نغفل عن التفكير بكم لحظة واحدة.

فرق است ميان آنكه يارش در بر   باآنكه دو چشم انتظارش بر در[1]

[ترجمته: هناك فرق بين من كان حبيبه إلى جنبه وبين من كانت عينيه على طريق حبيبه منتظراً له].

لماذا لا تأتون إلى مملكتكم ومقرّ سلطنتكم؟

فيجيب هؤلاء: إنّ لذّة اللقاء بجمال الحسين عليه السلام أحبّ إلينا من لذة الجنّة ونعيمها الطيّب وأسمى منه[2].

---

(١) گلستان سعدي.

(٢) وفي كامل الزيارات لابن قولويه: ١٦٨، الباب٢٦، الحديث٢١٩، عن أبي بصير، عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «وما من عبد يحشر إلّا وعيناه باكية، إلّا الباكين على جدّي الحسين عليه السلام؛ فإنّه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه، والسرور بيّن على وجهه، والخلق ⇦

[أحوال أهل الجنّة]

ومنه: أنّ ثلاثة أشياء في الجنة أفضل منها:

الأوّل: الخلود، ولذا ينادي المنادي : يا أهل الجنّة، خلود خلود بلا موت، هذا بعد أن ينظروا إلى الموت وكأنّه يأتيهم بصورة كبش أملح، يرعى

⇦

في الفزع وهم آمنون، والخلق يعرضون، وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش وفي ظلّ العرش، لا يخافون سوء الحساب، بل يقال لهم : ادخلوا الجنة، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه.

وأنّ الحور لترسل إليهم : إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين، فما يرفعون رؤوسهم إليهم؛ لما يرون في مجلسهم من السرور والكرامة، وأنّ أعداءهم من بين مسحوب بناصيته إلى النار، ومن قائل: ما لنا من شافعين ولا صديق صميم، وأنّهم ليرون منزلهم وما يقدرون أن يدنوا إليهم، ولا يصلون إليهم.

وأنّ الملائكة لتأتيهم بالرسالة من أزواجهم ومن خدّامهم على ما أعطوا من الكرامة، فيقولون: نأتيكم إن شاء الله، فيرجعون إلى أزواجهم بمقالاتهم، فيزدادون شوقاً إذا هم خبرّوهم بما فيه من الكرامة وقربهم من الحسين عليه السلام، فيقولون : الحمد لله الذي كفانا الفزع الأكبر وأهوال القيامة، ونجّانا ممّا كنّا نخاف.

ويؤتون بالمراكب والرحال على النجائب، فيستوون عليها وهم في الثناء على الله، والحمد لله والصلاة على محمّد وآله، حتّى ينتهوا إلى منازلهم».

ورواه المجلسي في البحار ٤٥: ٢٠٧، الباب ٤٠، الحديث ١٣.

ما بين الجنّة والنار، فلمّا سمع أهل الجنة هذا النداء فرحوا ونشطوا، ولو انتفى عنهم حكم الموت لماتوا من شدّة فرحهم وسرورهم[(١)].

الثاني: جوار محمّدصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ وآل محمّدصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ، فإنّ لذّته أعظم من الجنّة، وكيف لا يكون ذلك والجنة وما فيها أجمع إنّما خُلقت من نور الحسينعليه‌السلام، كما دلّت عليه الأخبار ونطقت بصحّته الآثار، وذلك لا يخفى على مَن جاس خلال تلك الديار، ونظر بعين التأمل والاعتبار[(٢)].

---

(١) ورد بهذا المضمون روايات كثيرة في مصادر الفريقين، انظر : تفسير التستري: ١٧٢، تفسير القمي ٢: ٥٠، بحار الأنوار ٥٨: ٣٠٧، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٩ ، صحيح البخاري ٥: ٢٣٦، صحيح مسلم ٨: ١٥٢، سنن الترمذي ٤: ٣٧٦ المستدرك على الصحيحين ١: ٨٣، منتخب مسند عبد بن حميد: ٢٨٦، السنن الكبرى للنسائي ٦: ٣٩٣ الحديث ١١٣١٦، ١١٣١٧، مسند أبي يعلى ٢: ٣٩٨، ج٥: ٢٨٧، صحيح ابن حبّان ١٦: ٥١٦، المعجم الأوسط ٤: ٨٣، المعجم الكبير ١٢: ٢٧٧، تفسير مقاتل بن سليمان ٢: ٣١٣، ٣٧١ تفسير الصنعاني ٣٢٢: ٣٠٤، تفسير الطبري ١٥: ١٢٤، الحديث ١٦٨٧٣، ح١٦٨٧٤ ج١٦: ١١٠، الحديث ١٧٨٨٦ إلى ١٧٨٨٩.

(٢) روى المجلسي في بحار الأنوار ٢٥: ١٦ الباب١، الحديث ٣٠ عن كتاب رياض الجنان لفضل الله بن محمود الفارسي عن أنس بن مالك، عن النبيصَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَآلِهِ في ذيل قوله تعالى: ﴿**أُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ**﴾ النساء (٤): ٦٩، قال: «فلمّا أراد الله بدء الصنعة فتق نوري فخلق منه العرش، فنور العرش من نوري، ونوري من نور الله، وأنا أفضل من العرش.

ثمّ فتق نور ابن أبي طالب فخلق منه الملائكة، فنور الملائكة من نور ابن أبي طالب، ونور ابن أبي طالب من نور الله، ونور ابن أبي طالب أفضل من الملائكة.

⇦

الثالث: رضوان الله ﴿**وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ**﴾[1]، وأعظم منه ما روي: أنّ أهل الجنّة يجتمعون بعد مدّة مديدة، فيأتيهم نداء غيبيّ: أن يا أهل الجنّة، من أراد أن ينظر إلى الله تعالى فليأتِ جبل النور[2]، وهو موضع في الجنّة، لا يوجد أفضل وأجمل منه.

⇦

وفتق نور ابنتي فاطمة منه، فخلق السموات والأرض، فنور السماوت والأرض من نور ابنتي فاطمة، ونور فاطمة من نور الله، وفاطمة أفضل من السماوات والأرض.

ثمّ فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من نور الشمس والقمر.

ثمّ فتق نور الحسين فخلق منه الجنّة والحور العين، فنور الجنّة والحور العين من نور الحسين، ونور الحسين من نور الله، والحسين أفضل من الجنة والحور العين».

وأيضاً نقله المجلسي في البحار ج١٥: ١٠ وج٣٧: ٨٢ وج٥٤: ١٩٢، عن تأويل الآيات الظاهرة في فضائل العترة الطاهرة ١: ١٣٧، سورة النساء، الحديث١٦.

(١) قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ التوبة (٩): ٧٢.

(٢) ورد في الأخبار ـ كما في المحاسن للبرقي ١: ٦٠ الباب ٧٨، الحديث١٠١ ـ عن الإمام الرضا عليه السلام، قال: «مَن سرّه أن ينظر إلى الله بغير حجاب، وينظر الله إليه بغير حجاب، فليتول آل محمّد، وليتبرّأ من عدوهم، وليأتمّ بإمام المؤمنين منهم، فإنّه إذا كان يوم القيامة نظر الله إليه بغير حجاب».

وقريب منه: قرب الإسناد للحميري ٣٥١، الحديث١٢٦٠.

وفي كامل الزيارات لابن قولويه: ٢٨٢ الباب ٦٠ الحديث٤٥١ قال: «من سرّه أن ينظر إلى الله يوم القيامة، وتهون عليه سكرة الموت، وهول المطلع، فليكثر من زيارة قبر الحسين عليه السلام؛ فإنّ زيارة الحسين عليه السلام زيارة رسول الله صلى الله عليه وآله».

فيسعى جميع المؤمنين إليه، بعض من ركب خيل الجنّة[١]، والآخر من اعتلى البراق[٢] والرفرف، وبعضهم على فرشهم التي يقول فيها : ﴿وَفُـــرُشٍ

(١) ورد في خيل الجنة روايات عند الفريقين، انظر: أمالي الصدوق: ٣٦٦، المجلس ٤٨ الحديث١٤ التسلسل ٤٥٧، روضة الواعظين: ٥٠٥، الغارات للثقفي ١: ٢٤٢، كتاب الزهد لابن سعيد الكوفي: ١٠١ الحديث٢٧٤، مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٥٢ عن سنن الترمذي ٤: ٨٧، مسند أبي داود الطيالسي: ١٠٩، المصعف للصنعاني ٣: ٥٦٤، المنصف لابن أبي شيبة ٨: ٧٢، المعجم الأوسط ٥: ١٨٥، المعجم الكبير ٤: ١٨٠.

(٢) روى الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٥، الباب٣١، الحديث٤٩، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «إنّ الله سخّر لي البراق، وهي دابة من دواب الجنّة، ليست بالقصير ولا بالطويل، فلو أنّ الله تعالى أذن لها لجالت الدنيا والآخرة في جرية واحدة، هي أحسن الدواب لوناً».

وفي حديث آخر ينقل الصدوق في أماليه: ٢٧٥، المجلس٣٧، الحديث (٧) التسلسل٣٠٦ عن رسول الله من أنّه قال: «لا يركب يوم القيامة غير أربعة: أنا وعلي وفاطمة وصالح نبيّ الله، فأمّا أنا فعلى البراق، وأمّا فاطمة ابنتي فعلى ناقتي العضباء، وأمّا صالح فعلى ناقة الله التي عقرت، وأمّا علي فعلى ناقة من نوق الجنة...».

وفي أمالي الصدوق أيضاً ٥٣٣، المجلس ٦٩، الحديث (١) التسلسل ٧١٩ عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا أسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس، حمله جبرئيل على البراق».

وفي روضة الواعظين: ٥٣: «ثمّ أتاه جبرئيل عليه السلام ليلاً وهو بالأبطح ومعه البراق، وهو أصغر من البغل، وأكبر من الحمار، فركبه رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمسك جبرئيل عليه السلام بركابه ومضى إلى بيت المقدس، ثمّ إلى السماء الدنيا، فتلقته الملائكة فسلّمت عليه وتطايرت بين يديه، حتّى انتهى إلى السماء السابعة».

وفي مسند أحمد بن حنبل ٥: ٣٨٧ عن حذيفة بن اليمان في وصفه : أنّه أبيض طويل.

وفي حديث البخاري ٤: ٧٧، ٢٤٨ عن مالك بن صعصعة، اقتصر على البياض، ولم يوصفه بالطويل.

وفي شرح صحيح مسلم للنووي ٢: ٢١٠ عن ابن دريد: اشتقاق البراق من البرق لسرعته، وقيل: لشدّة حفائه وتلألئه وبريقه، وقيل: لكونه أبيض.

مَّرْفُوعَةٍ﴾[١].

ومعنى ذلك : أنّ موجودات الجنّة ذات شعور وحقائق ناطقة، ومنها فُرش الجنّة، فلو أمرتها أن تنقلك إلى مكان ما، لنقلتك بلمحة عين.

وكذلك فاكهة الجنّة تأتي إليك بمجرّد أمرك، وتقف بمحاذاة فمك، ولذا قالوا: «تحنى من غير تكلّف، فتأتي على منية مجتنيها»[٢].

وذات مرّة حيث كان أهل الجنّة كلّ منهم حاضراً في جبل النور على نحو ما، وحسب مقامه ومرتبته، وقد جلسوا على أسرّة الجنّة وكراسيها المرصّعة، والخدم والحشم مشغولون بضيافتهم واستقبالهم بأنواع الأطعمة والأشربة، يحضرون لهم ما يشاؤون.

«يُطاف عليهم في أفنية قصورها بالأعسال المصفّقة والخمور المروقة، قوم لم تزل الكرامة تتمادى بهم حتّى حلّوا دار القرار وأمنوا نقلة الأسفار»[٣].

وكلّهم مستديم السرور، مستشعراً للحور حتّى قالوا: ألهذا إنا سمعنا منادياً ينادي ولبّينا النداء، وأتينا إلى هنا شوقاً للقاء جمالك، ولكن لم نر شيئاً لحدّ الآن.

فأتاهم الخطاب: لستُ جسماً، ولا أقاس بالأجسام، ولا أدَرك بالحواس، ولكن مَن أراد أن ينظر إليّ فلينظر إلى رأس الجبل، فيرى سريراً من ياقوت أحمر، قد جلس عليه أبو عبد الله الحسين عليه السلام، وإذا بالمنادي ينادي : يا أهل

---

(١) الواقعة (٥٦): ٣٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٧٦ الخطبة ١٦٥ في وصف الجنّة.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٧٦ الخطبة ١٦٥ في وصف الجنّة.

الجنّة، مَن رأى حسيناً فقد رآني، ومن زاره فقد زارني، ومن صافحه فقد صافحني.

[العودة إلى قصّة النائب الهندي]

وكيف كان، فقد اختار الأبوان بيع ابنهما، ولكنّهم على قلقٍ من موافقة ولدهم على ذلك، ولمّا حلّ وقت الغروب ورجع الابن من الكتّاب، ورأى أبويه حزينين، سألهم عن سبب ذلك، فحدّثوه بالقصّة، وسألوه عن موافقته على ما يريدون فعله قائلين: أترضى أن تكون عبداً لعلي الأكبر بن الحسين عليه السلام؟

فقال: إنّي أفدي له نفسي ألف مرّة.

ولمّا أصبح الصباح غسلت الأم ولدها ومشّطت شعره وكحّلت عينيه، وأقبلت به إلى والده، وقالت: إنّ أهل هذا البلد يعرفون أنّه ولدنا، فاخرج به إلى خارج البلد كي تجد أحداً يشتريه، فأخذ الأب بيده حتّى ابتعد فرسخاً تقريباً عن قلعة البلد، فلاح له في أفق الصحراء فارس منقّب، قائلاً له : أين تريد بهذا الولد؟

فقال: إنّه عبدي أريد بيعه.

فقال له الفارس: إذا كنت عازماً على بيعه فأنا اشتريه؛ لأنّي أعرف قدره.

[منزلة محبّي الحسين عليه السلام]

وهكـذا أصـحاب الحسـين عليه السلام، لا يعـرف قـدرهم إلّا هـو، ولا يعلـم قيمتهم سواه، وكيف لا يكون كذلك! وقطرة دمع منهم تطفي آباراً وآبـاراً مـن نار جهنم.

وجاء في الرواية أنّه يرد المحشر فـي عرصـة القيامـة شـخص قـد تجـاوز الحدّ في قبيح الأفعال ورذائل الصفات وخبث الـذات، وقـد أحاطـت بـه جبـال مـن المعاصـي ومظـالم العبـاد، فـذهب يلـتمس الشـفاعة مـن كـلّ نبـيّ ووجيـه وصاحب مقام، ولكن لم يقبل أحد شفاعته، والكلّ يقـول لـه: إنّـا لنسـتحي مـن الشفاعة لك مع كلّ هذه المعاصي.

فيظلّ متحيّـراً مـذعوراً لا يـرى لنفسـه مـأوىً إلّا جهـنّم، وهـو يـرى مـن جانب آخر زبانية جهنّم، وهم يضربون العصاة بسلسلة مـن نـار علـى رؤوسـهم، ويسحبونهم بكلّ قوّة وشدّة إلى جهنّم، كمـا قـال عليه السلام فـي وصـف أهـل النـار:

فسلسل جيده، وغلّت يده، وسيق بسحب وحدّة، فورد بنار جهنّم بكرب وشدّة، يعذّب في جهنّم، ويسقى من حميم، فيشوي وجهه ويسلخ جلده، ويضربه زبانيته بمقمعة عمود من حديد، فيعود جلده بعد نضج كجلد جديد، نعوذ بربّ قدير من شرّ كلّ مصير، ونسأله سؤال من رضي عنه، وتوبة من قبل منه.

ثمّ يفكّر في نفسه قائلاً: ليس لي مصير غير جهنّم، والأفضل لي أن أذهب إليها بنفسي قبل أن يأتي إليّ الزبانية فيضربون على رأسي بالمقامع الحديديّة فيكسرونه، ويهشّمون عظامي بأعمدة من نار، ثمّ سار نحو جهنّم، وإذا بمنادٍ ينادي: أين تذهب يا عبدي، إنّا لم نحكم عليك بعد.

فقال: إنّي علمت أنّ مصيري إلى جهنّم، فلماذا أنتظر حتّى يأتي زبانية غضبك وملائكة عذابك فيسحبوني إلى جهنّم بكامل الذلّ والمهانة، فقلت أذهب إليها بنفسي ولا أبقى منتظراً أمرك يا أرحم الراحمين.

فأتى النداء: أن يا عبدي، إنّ لك عندنا أمانة خذها، ثمّ توجّه حيث تريد، ثمّ يعطى إليه حقّة مرصّعة بالجواهر، وفيها درّة ثمينة، تضيء من بينها كأنّها حبر من نور، فاستضاءت من نورها عرصة المحشر.

ثمّ أتى النداء: يا عبدي، إنّي اشتري منك هذه الدرّة الثمينة، فادفعها إلى الأنبياء والأولياء كي يقيّموها، فما جعلوا لها من قيمة أنا أعطيها، فيأخذ الدّرة هذه إلى كبار الأنبياء، وزعماء الأولياء كآدم وإبراهيم وموسى وعيسى، فعجزوا عن تقييمها، وأخذوا يدفعونها كلٌّ إلى الآخر، والجميع يقول: لا نعرف

قيمتها، ولا نعلم جنسها وجوهرها، خذوها إلى خاتم الأنبياء وسند الأصفياء محمّد المصطفى صلى الله عليه وآله كي يقيّمها.

وحين تقع عين النبيّ صلى الله عليه وآله عليها يلتفت إلى الحسين المظلوم، قائلاً: يا نور عيني، إنّ أصل وما هيّة هذه الدرّة من قطرة دمع؛ لأنّ هذا الشخص (العاصي) كان حينما يسمع عزاء الحسين عليه السلام ويشاهد شبيه مصائبه تجري دموعه من عيون حمراء، فأقلّ جزائه وثمن هذه الدمعة أن يستحق آباؤه وأجداده وأمّهاته وجدّاته وأسلافه ومرضعاته إلى سبعين ظهراً الشفاعة.

[ثواب البكاء على العقيلة زينب عليها السلام]

إذاً، فانظر إلى قدر محبّي الحسين عليه السلام كم هو، بل إنّ البكاء على مصائب السيّدة زينب عليها السلام يكون سبباً لغفران الذنوب، فكيف بالبكاء على الإمام المظلوم عليه السلام.

فقد جاء في كتاب رياض المصائب عن السيّد مهدي القزويني[1]:

أنّ السيّدة زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام ولدت في شهر رمضان المبارك قبل رحيل الرسول صلى الله عليه وآله بأربع سنين.

فلمّا ولدت هذه المخدّرة، وتلقّى النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك الخبر، أتى منزل فاطمة فقال : يا زهراء يا نور عيني، هاتيلي مولودتك الزاهرة الطاهرة، فيأتى إليه بها مقمّطة، فيضمّها إلى صدره الشريف، وألصق وجهها إلى وجهه، وقد علا صوت بكائه ونحيبه، وجرت عيونه الشريفة حتّى اخضلّت محاسنه الشريفة.

---

(١) لعلّه إشارة إلى السيّد محمّد مهدي بن محمّد جعفر الموسوي التنكابني (ت بعد ١٢٦٩هـ) كان عالماً فقيهاً جامعاً للفنون، تتلمذ على علماء عصره، وخاض علوماً شتى، وصنّف كتباً ورسائل جمّة، منها: رياض المصائب.

انظر ترجمته: في موسوعة طبقات الفقهاء ١: ٦٣٤.

فقالت: الزهراء الطاهرة: «ممّا بكاؤك يا أبه؟ لا أبكى الله عينك».

فقالﷺ: «عزيزتي فاطمة يا نور عيني، إعلمي أنّها ستبتلى ببلايا، وترد عليها محن ومصائب كثيرة، فمن بكى على مصابها فكأنما بكى على مصائب أخويها، ثمّ سمّاها زينب».

[العودة إلى قصة النائب الهندي]

ولذا أعطى المولى قيمة غير محدودة ولا متوقّعة لهذا الولد، فأخذ النائب الهندي (الأب) النقود ثمّ رجع، فما مضى مسافة بحيث لا يرى ولده، رجع إليه الولد، فنظر إليه متحسّراً، ثمّ أرخى عبرته، فقال الرجل الذي اشتراه : لماذا تبكي؟

فقال الولد: إنّي أبكي لأنّ هذا الرجل قد أحسن إليّ كثيراً، ولذا فأنا حزين على فراقه.

فقال الذي اشتراه: إنّه أبوك الرؤوف وليس مولاك، فلمّا سمع الولد هذا الكلام أجاب فطناً وذكياً، وقال للذي اشتراه : سيّدي، ولكن أنتَ مَنْ بحيث تخبرنا بالخفايا؟!

فقال: ألم تكونوا ممّن ينصب العزاء سنوياً، وتقيموا شبيه المصيبة؟ إنّني الحسين الغريب الذي باعك لأجل محبّتي، والآن ارجع لقلب أمّك الحزين المضطرب، وأبلغ أبويك منّي السلام، وقل لهما: لا تقصّرا في إقامة مأتمي،

وسأذهب أنا إلى الوالي الناصبي وأرشده كي يرّد عليكم أموالكم ويعتذر منكم، ثمّ رجع الولد وغاب السيّد.

وما إن وصل النائب الهندي إلى بيته، واشتغل هو وزوجه يعدّ النقود، وإذا بالباب يفتح فيدخل الابن، فقالا له : هل فررت؟

قال: لا، ألم تعرفا ذلك الفارس؟ إنّه الإمام الحسين عليه السلام المظلوم.

ولما صار الغد أتى الوالي المذكور إلى منزل النائب الهندي وردّ عليه الأموال، ثمّ قال: إنّي أطلب منك ثلاثة أمور:

الأوّل: أن تعفو عنّي وتسامحني من صميم قلبك.

والثاني: إنّي لم أكن أعلم أنّ مولاك رحيم إلى هذه الدرجة.

والثالث: وأنّ الله تعالى جعل الحسين المظلوم عليه السلام «سفينة النجاة، من ركبها نجى ومن تخلّف عنها هلك»[1].

---

(١) روى الحاكم في مستدركه ٢: ٣٤٣ عن أبي ذرّ، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق».

قال الحاكم : هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وأيضاً رواه عن أبي ذرّ في مستدركه ٣: ١٥٠، والطبراني في المعجم الأوسط ٤: ١٠، ج٥: ٣٠٦، ٣٥٥، ج٦: ٨٥، وفي المعجم الصغير ١: ١٤٠، ج٢: ٢٢، وفي المعجم الكبير ٣: ٤٥، ٤٦، ج١٢: ٢٧.

[إخبار جبرئيل باستشهاد المظلوم عليه السلام]

وهكذا كما جاء في كثير من الروايات أنّ جبرئيل هبط على النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إنّ الله تعالى أعطى لفاطمة ولداً ستقتله أمّتك، فأخبرها بذلك، فلمّا سمعت السيّدة بذلك، قالت: يا أبة، إنّي لستُ بحاجة إلى هكذا ولد.

ثمّ عرج جبرئيل وهبط، فقال: إنّ الله تعالى يقول: إنّي جعلتُه سفينة النجاة للأمّة والرحمة الواسعة.

فقالت الزهراء عليها السلام حينئذٍ: يا أبة، الآن رضيت بذلك[1].

---

(١) روى الصدوق في كمال الدين: ٤١٥ الباب ٤٠، الحديث ٦ عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال: «لمّا ولدت فاطمة عليها السلام الحسين عليه السلام، أخبرها أبوها صلى الله عليه وآله: أنّ أمّته ستقتله من بعده.

قالت: ولا حاجة لي فيه.

فقال: إنّ الله عزّ وجلّ قد أخبرني أن يجعل الأئمة من ولده.

قالت: قد رضيت يا رسول الله.

وفي الكافي ١: ٤٦٤ عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ جبرئيل عليه السلام نزل على محمّد صلى الله عليه وآله فقال له: يا محمّد، إنّ الله يبشّرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمّتك من بعدك.

فقال: يا جبرئيل وعلى ربّي السلام، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة، تقتله أمّتي من بعدي.

⇦

[السرّ في قبول الزهراء باستشهاد الحسين عليه السلام]

وكثيراً ما يشكل البعض على هذا الخبر بما يلي:

أوّلاً: إنّ محمّداً وآله كانوا متولّعين بمصائب الله تعالى، وراضيين بكلّ شكل من الابتلاء في سبيله، فكيف لا يرضون باستشهاد سيّد الشهداء عليه السلام في البدء؟ والآخر أنّه ما هو السرّ الذي أدّى إلى إرضائهم؟

ويعتمد هذا الإشكال على مقدّمة، بل مقدّمتين:

⇨

فعرج ثمّ هبط عليه السلام فقال له مثل ذلك.

فقال: يا جبرئيل وعلى ربّي السلام، لا حاجة لي في مولود تقتله أمّتي من بعدي.

فعرج جبرئيل عليه السلام إلى السماء ثمّ هبط فقال: يا محمّد، إنّ ربّك يقرئك السلام ويبشّرك بأنّه جاعل في ذرّيته الإمامة والولاية والوصية.

فقال: قد رضيت.

ثمّ أرسل إلى فاطمة: أنّ الله يبشّرني بمولود يولد لك، تقتله أمّتي من بعدي، فأرسلت إليه: لا حاجة لي في مولود منّي، تقتله أمّتك من بعدك، فأرسل إليها أنّ الله قد جعل في ذرّيته الإمامة والولاية والوصية، فأرسلت إليه: أن قد رضيت ﴿ **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ** ﴾ الأحقاف (٤٦): ١٥.

والحديث رواه ابن قولويه في كامل الزيارات: ١٢٣ الباب١٦، الحديث٦، التسلسل١٣٧.

الأولى: بأنّ عادة الله تعالى ـ قبل زمان إبراهيم ـ قد جرت على أن يكون المؤمن فقيراً والكافر غنياً، وكان هذا الأمر علامة معروفة وميزة واضحة يتميّز بها المؤمن عن الكافر، حتّى أنّ المؤمنين أتوا إلى إبراهيم على نبيّنا وعليه السلام فقالوا: ادع ربّك لرفع هذه العلامة التي بيننا وبينهم؛ لأننا لا نقدر على التقية ما دامت هذه العلامة دائرة بيننا وبينهم، وأنّ المؤمن ليتأذى من قبل الكافر؛ لأنه معروف عنده، ونحن لا نشكو أذى الكفّار، بل نتحمّله لمئاةٍ وآلاف، ولكن الكفّار سيستحقّون العقاب والعذاب الأبدي بسببنا، ونحن لا نرضى أن يذهب خلق الله إلى جهنم بسببنا «ربنا لا تجعلنا فتنةً للذين كفروا».

وهذا غاية في الرحمة والمروءة بأن لا يرضى الإنسان بإضرار حتّى عدوّه[1].

ولمّا اتضحت هذه المقدّمة، فالمقدمة الثانية هي: أنّ الخير الكثير المتضمن الضرر القليل لا يترك بسبب وجود الضرر القليل، ولذا قالوا: «ترك الخير الكثير لضرر يسير شر كثير»[2].

أورد لكم مثالاً: بأن لو أصاب شخصاً الحمّى الشديدة، وانحصر علاجه بالضمد، كما يقول الشيخ ابن سينا في كتاب القانون والشفاء: الحمّى عرضيّة،

---

(١) روى الكليني في الكافي ٢: ٢٦٢ عن الصادق عليه السلام، قال: «ما كان من ولد آدم مؤمن إلّا فقيراً، ولا كافر إلّا غنيّاً، حتّى جاء إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿**رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة، وفي هؤلاء أموالاً وحاجة».

(٢) هذا قول الحكماء: ترك الخير الكثير لأجل الشرّ القليل شرّ كثير».

انظر: المواقف للأيجي ٣: ٢٥٣، ٢٦١، تفسير الرازي ١: ٢٣٤، ج٢: ٢١٠، ج٢٥: ١٧٩، الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة ٣: ٦٩.

تشتعل في القلب ولو بانتقالها إليه من عضو آخر، ثمّ تنتشر في البدن، إلاّ أن يمنعها مانع.

وهي إمّا طبيعيّة، كما في الأسد، فإنه لا يزال محموماً ولا علاج لها. وإما غير طبيعية، وتنقسم إلى : الروحيّة، والدّقية، والخلطيّة.

والروحيّة : هي التي تتعلّق بالأرواح، ولا تتجاوز ثلاثاً، وتعالج بشيء من التبريد.

والدقية: وهي التي تتعلّق بالأعضاء، أي الأخلاط الأربعة التي أثبتها الشيخ، وهي : الرطوبات السارية في العروق، والرطوبات السارية في العظام، والرطوبات المصاحبة للبدن من لدن خلقته من المني، والرطوبات التي بها تماسك جواهر العظام. ولا مبرءاً لها إن تمكّنت أو تعلّقت بالرئيسة، وهي الكبد والقلب، وهو الرئيس المطلق والدماغ، وقيل: هو الرئيس المطلق.

والخلطيّة : هي التي تعلّقت بالأخلاط الأربعة المعروفة: الدم، والبلغم، والصفراء، والسوداء. فإن تعلّقت بالدم سمّيت مطبقة، وعلاجه المبادرة إلى الفصد.

والحال أنّ الفصد غير ملائم للطبع؛ لأنّه جرح أحد الأجزاء، وإيلامه، ولكن نظراً لما يتعقّبه من صحّة وعافية، التي تعدّ من أعظم النعم الإلهية.

[كلام حكيم من بقراط الحكيم]

ولذا قال بقراط الحكيم: «لو كان في العالم نعمة فوق نعمة الحياة فهي الصحة والعافية، ولو كان في العالم نعمة مثل الحياة فهو الغناء والثروة، ولو كان في الدنيا نقمة فوق الموت فهو المرض المزمن، ولو كان نقمة مثل الموت فهو الفقر»[1].

فإنّ الإنسان يتحمّل الفصد مع كمال الأذى، كي يحصل بعد ذلك على الصحة، ولو ترك الفصد لكان سفيهاً عند العقلاء ويلام على ذلك[2].

---

(١) هذا القول منسوب إلى بزرجمهر: (إن كان شيء فوق الحياة فالصّحة، وإن كان شيء مثل الحياة فالغنى، وإن كان شيء فوق الموت فالمرض، وإن كان شيء مثل الموت فالفقر).

انظر: التذكرة الحمدونية ٤: ٣٣٨ برقم ٨٤٥، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشري ٣: ١٦٣، المنتظم لابن الجوزي ٢: ١٣٧.

(٢) انظر: كتاب القانون لابن سينا ١: ١٣، ٢٠٤، ج٣: ٢ ـ ٧، ٥٨، فتح الباري لابن حجر ١٠: ١٤٨، ٣٦٧، عمدة القاري للعيني ٢٢: ١٠٧، تحفة الأحوذي ٦: ٢٠٣.

[عودة إلى كلام الزهراء عليها السلام]

إذاً لمّا هبط جبرئيل وأخبر الزهراء عليها السلام، وهي العالمة غير المعلّمة باستشهاد سيّد الشهداء عليه السلام، كان هذا الأمر معلوم التحقّق، وكذلك استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بأنّه سيقتل بواسطة شخص، بل سيبتلى بآلاف المحن والبلايا.

وكانت الصدّيقة الطاهرة تظهر عدم الرضى بدخول جمع (خمسمائة) نسمة إلى جهنّم، واستحقاقهم العذاب الأبدي، وهذا بمنزلة الشرّ القليل؛ لأنّ الله تعالى أراهم أيّاه مقابل الخير الكثير.

والمعنى : أنّ الله تعالى قال لها: يا حبيبتي، وإن خُلّد في عذاب جهنّم جمع من الأشقياء بسبب قتلهم الحسين عليه السلام، ولكنّه بمنزلة الفصد الذي تتعقّبه النعمة والصحة، وسينجّى من نار جهنّم طوائف وطوائف من المؤمنين، وسيكون حُسينّك سفينة للنجاة.

فلمّا رأت هذه المخدرة هذا الخير الكثير، والحال بحسب القاعدة المذكورة «ترك الخير الكثير للضرر اليسير شرّ كثير»، واتضح لها السرّ

والحكمة الإلهيّة في استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام، حيث كان سؤالها والجواب وردّها والقبول من باب الإرشاد والتعليم والاستئناس، وإظهار اللطف والرحمة الإلهية.

وإلّا فإنّ تلك المخدّرة كانت واقفة على أسرار هذه الحكمة الإلهيّة، ولذا كانت تقول لأمير المؤمنين عليه السلام مكرّراً: يا علي، أتريد أن أخبرك بعلم ما كان وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة؟

وبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله كان جبرئيل الأمين يختلف وينزل عليها بدوام ليأنسها ويسليها، ويخبرها بعلم ما كان وما يكون، وهذا أيضاً من باب الاستيناس؛ لأنّ هذه المخدّرة كانت أعلم من جبرئيل، كما يروى في البحار، المجلد التاسع، بأنّ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: كانت فاطمة تسألني: كم بقي من عمر الدنيا؟ وأنا أسألها: كم ذهب من عمر الدنيا؟ وحيث كنت أعلم منها فأجبتها، وكذلك هي أجابتني[1].

إذاً، كان هذا السؤال والجواب من باب الاستئناس، أو باب اللطف والرحمة، وليس بينه وبين عالميّة السائل منافاة.

---

(١) وردت أخبار كثيرة في أنّ فاطمة الزهراء الصديقة الكبرى عليها السلام نزل عليها جبرئيل، وأنّها كانت محدّثة، ولها مصحف فاطمة.

انظر: الكافي ١: ٢٣٨، ٢٤١ كتاب الحجّة، باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام، بصائر الدرجات للصفّار: ١٧١ ـ ١٨١، ١٩٠، ٣٩٢، الخصال للصدوق ٥٢٨، أبواب الثلاثين الحديث١، علل الشرائع ١: ١٨٢، الباب ١٤٦، روضة الواعظين: ٢١١، الخرائج والجرائح للقطب الراوندي ٢: ٥٢٦، ٨٩٤، مناقب آل أبي طالب ٣: ١١٥، ١١٦، ٣٧٣، بحار الأنوار ٤٣: ٥٥، ٧٨ ـ ٨٠، ١٥٦، ١٩٥، ج٤٧: ٣٢، ٦٥، ٢٧١، ٢٧٢.

فإنّك حينما تلتقي بصديقك تسأل عن أحواله، وهو كذلك يسأل عن أحوالك مع أنّ كلاً منكما عالم بأحوال صديقه.

لاحظ الآية الشريفة التي يخاطب الحقّ تعالى بها موسى عليه السلام: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى**﴾[1].

وفي موضع آخر يقول لعيسى عليه السلام: ﴿**أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ**﴾[2].

ولم تكن هذه الأسئلة قد نشأت عن الجهل نعوذ بالله، بل لكلّ واحد منها سرّ ونكتة، كما ذكر في كتب التفسير.

وذات يوم بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، لمّا رأت تلك المخدّرة ـ من جهة ـ أنّ علياً عليه السلام جليس الدار، وغصب فدك من جهة أخرى، ومنعها إرثها، وإسقاط جنينها، وكسر ضلعها الشريف:

صبّت عليّ مصائب لو أنّها　　　صبّت على الأيّام صرن لياليا[3]

---

(١) طه (٢٠): ١٧.

(٢) المائدة (٥): ١١٦.

(٣) أبيات منسوبة لسيّدتنا ومولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام، قالتها بعد رحيل أبيها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله، ومطلعها ـ كما في روضة الواعظين: ٧٥:

حقيق على مَن شمّ تربة أحمد　　　أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا

وفي مناقب آل أبي طالب ١: ٢٠٨: إنّ مطلعها:

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى　　　إن كنت تسمع صرختي وندائيا

⇦

وكما تقرأ في زيارتها: «ذات الأحزان الطويلة في المدّة القليلة» حيث كان جبرئيل خادماً لهذه العتبة، ولن يدعها يوماً، فكلّما كانت تخلو بنفسها كان يهبط عليها ويؤنسها بالحديث.

⇨

وانظر أيضاً: تفسير الآلوسي ١٩: ١٤٩.

[مصحف فاطمة عليها السلام وعلوم الأئمّة عليهم السلام]

وبينا أمير المؤمنين عليه السلام، سمع يوماً وحضر في الأثناء، قال: يا ابنة الصفوة وبقيّة النبوة، مَن تكلّمين؟

فقالت عليها السلام: إنّه جبرئيل، شغلني بأخبار ما كان وما يكون، يقصّها ويعدّها لي.

فقال: أمير المؤمنين عليه السلام: إملي عليّ ما يقول لك جبرئيل كي أكتبه، ثمّ أملى صحيفة مشتملة على أربعين ورقة، وهو ما يسمّى بمصحف فاطمة.

وكما قال المعصوم عليه السلام: «علمنا غابر ومزبور، في كتاب مسطور، ورقّ منشور، ونكت في القلوب، وأسرار علم الغيوب، ونقر في الأسماع، لا تنفر منه الطباع، وعندنا الجفر الأبيض، والجفر الأحمر، والجفر الأكبر، والجفر الأصغر، وعندنا الجامعة، وكتاب علي عليه السلام، ومصحف فاطمة»[1].

---

(١) في الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٣٤ عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «علمنا غابر ومزبور، ونكت في القلوب، ونقر في الأسماع. وأنّ عندنا الجفر الأحمر، والجفر الأبيض، ومصحف فاطمة عليها السلام. وعندنا الجامعة، فيها جميع ما يحتاج إليه الناس...».

⇦

⇨

وقريب منه في الكافي ١: ٢٦٤، وروضة الواعظين: ٢١٠، ومناقب آل أبي طالب ٣: ٣٩٦.

ما هي حقيقة مُصحف فاطمةعليها السلام؟

جرى الحديث حول مُصحف فاطمةعليها السلام، و حاول أعداء أهل البيتعليهم السلام التشنيع على الشيعة من خلال اتهامهم بأن لهم قرآناً آخر يأخذون منه أحكام الدين غير القرآن الكريم، يُسمّونه مصحف فاطمة.

وهذه دعوى باطلة، تتضح جليّاً بعد مراجعة النصوص المأثورة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام.

وهذا الاتهام ليس جديداً، بل يصل تاريخه إلى زمان الأئمةعليهم السلام، كما يظهر ذلك من أسئلة الرّواة وأجوبة الأئمةعليهم السلام وتصريحاتهم النافية بشكل قاطع كون مصحف فاطمةعليها السلام قرآن آخر.

لأجل معرفة ما هو المقصود من مصحف فاطمةعليها السلام عند أهل البيتعليهم السلام وأتباعهم، لابدّ من ملاحظة المعنى اللغوي لكلمة المصحف، ثمّ بعد ذلك نلاحظ الروايات الواردة عن أئمة أهل البيتعليهم السلام.

المعنى اللغوي للمصحف :

في مجمع البحرين ٥ : ٧٧ : «والصحيفة : قطعة من جلد أو قرطاس كتب فيه، ومنه صحيفة فاطمة».

وفي لسان العرب (٩ : ١٨٦ «والمُصْحَفُ والمِصْحَفُ : الجامع للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْن كأنّه أُصْحِفَ، والكسر والفتح فيه لغة، قال أبو عبيد : تميم تكسرها وقيس تضمها، ولم يذكر من يفتحها ولا أنهّا تفتح، إنّما ذلك عن اللحياني عن الكسائي، قال الأَزهري : وإنّما سمّي المصحف مصحفاً؛ لأنه أُصحِف، أي جعل جامعاً للصحف المكتوبة بين الدفتين»

و قال أبو الهلال العسكري في الفروق اللغوية (٤٤٧ برقم ١٧٩٠) : «الفرق بين الكتاب والمصحف : أنّ الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلّا جماعة أوراق صُحّفت، أي جمع بعضها إلى بعض».

⇦

⇨

إذن يظهر من هذه المعاني أنّ المصحف ما جُمعت فيه الصحف، وليس كما يُدّعى أنّه قرآن غير هذا القرآن الموجود.

ما هو مُصْحَفُ فاطمة؟

مصحف فاطمة الزهراءعليها السلام هو كتاب أملاه ملك أو جبرئيل على سيّدة نساء العالمين فاطمة الزهراءعليها السلام بعد وفاة أبيها، وذلك تسكيناً لها على حزنها لفقد أبيهاصلى الله عليه وآله، وكان يكتبه أمير المؤمنين عليه السلام.

ففي بصائر الدرجات: ١٧٣، والكافي: ١ : ١٤٢: عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن مصحف فاطمةعليها السلام، قال : «إنّ فاطمة مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوماً، وقد كان دخلها حزن شديد على أبيها، و كان جبرئيل يأتيها فيحسن عزاها على أبيها، ويطيب نفسها ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها، وكان عليّ يكتب ذلك، فهذا مصحف فاطمة».

وفي البصائر: ١٧٢ : «إنّما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها».

و في عيون أخبار الرضاعليه السلام (١ : ١٩٣، الباب ١٩، الحديث ١) عدّ الإمام الرضاعليه السلام: «مصحف فاطمةعليها السلام من علامات الإمام المعصوم عليه السلام... و يكون عنده مصحف فاطمةعليها السلام».

ماذا يحتوي هذا المصحف؟

روايات أهل البيت عليهم السلام تنفي شيئين عن هذا المصحف، وتثبت عدّة أمور :

فالنفي عنه كونه قراناً، واشتماله لمسائل الحلال والحرام

روى الصفار في بصائر الدرجات (١٧٧، والكليني في الكافي ١ : ١٤٠ عن حمّاد بن عثمان، عن الصادق عليه السلام: «أمّا إنّه ليس فيه شيء من الحلال و الحرام».

وفي البصائر: ١٧٢، وفي الكافي ١ : ١٣٩ عن أبي بصير، قال : قال الإمام الصادق عليه السلام : «والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد».

وفي بصائر الدرجات: ١٧٦، ١٧٨، ١٨١ عن الصادق عليه السلام: «ما فيه آية من القران»، أو «أما والله ما فيه حرف من القران».

⇦

⇨

وأمّا ما تثبته الأخبار في محتوى صحيفة فاطمةعليها السلام ففيه : علم ما يكون من حادث، وأسماء الأنبياء والأوصياء، وأسماء كلّ من يملك وأبائهم إلى أن تقوم الساعة، وأخبار رسول الله صلى الله عليه وآله ومكانِه، ومستقبل ذرّيتها، وفيه وصيتهاعليها السلام.

روى الصفّار في بصائر الدرجات: ١٧٧، والكليني في الكافي ١ : ١٤٠ عن الصادقعليه السلام : «أما أنّه ليس فيه من الحلال والحرام، ولكن فيه علم ما يكون».

روى ابن شهرآشوب في مناقبه ٣ : ٣٧٤ عن الصادقعليه السلام : «ما من نبيّ ولا وصي ولا ملك إلّا هو في كتاب عندي - يعني مصحف فاطمة -».

وفي البصائر: ١٨٩، والصدوق في الإمامة والتبصرة: ٥٠، والعلل ١ : ٢٠٧، والكافي ١ : ١٤٢ عن الصادقعليه السلام : «كنت انظر في كتاب فاطمةعليها السلام، فليس ملك يملك إلّا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه...».

وروى المفيد في إرشاده ٢ : ١٨٦، والفتّال النيسابوري في روضة الواعظين: ٢١١، والقطب في الخرائج ٢ : ٨٩٤، والطبرسي في أعلام الورى ١ : ٥٣٦، والأربلي في كشف الغمة ٢ : ٣٨٤ عن الصادقعليه السلام، قال : «ففيه ما يكون من حادث وأسماء كلّ من يملك إلى أن تقوم الساعة».

و في البصائر: ١٧٤، والكافي ١ : ١٤١، ٤٥٨ عن الصادقعليه السلام: «وكان جبرئيل يأتيها فيُحسن عزاءَها على أبيها، و يُطيّب نفسها و يخبرها عن أبيها و مكانِه، و يخبرها بما يكون بعدها في ذرّيتها».

و في البصائر: ١٧٧، والكافي ١ : ١٤١ عن الصادقعليه السلام: «وليخرجوا مصحف فاطمة، فإنّ فيه وصية فاطمة».

وأما حجمه، فقد ورد في البصائر: ١٧٢، وفي الكافي ١ : ١٣٩ عن أبي بصير، عن الإمام الصادقعليه السلام : «قال : مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات».

فاطمةعليها السلام محدّثة

ثمّة هناك روايات أخرى تدلّ على أنّ الملائكة كانوا يُحدّثون الزهراءعليها السلام:

⇦

⇨
روى الصدوق في العلل ١ : ١٨٢ عن الصادق عليه السلام: أنّه قال: «إنّما سمّيت فاطمة عليها السلام محدثة؛ لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران فتقول : يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين، يا فاطمة، اقنتي لربّك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدثهم ويحدثونها».

و لا غرابة في ذلك؛ لأنّها ليست الوحيدة التي حدّثتها الملائكة، فقد كانت قبلها سارة زوجة إبراهيم عليه السلام أيضاً كانت محدّثة، فقد رأت الملائكة فبشروها بإسحاق و يعقوب، وكذا أوحى الله إلى أمّ موسى، وما جرى بين الملك ومريم بنت عمران عليهم السلام.

قال الله تعالى لسارة زوجة إبراهيم عليه السلام: ﴿ **وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ * وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ** ﴾ هود (١١):٦٩ ـ ٧١.

قال تعالى فيما أوحى إلى أمّ موسى : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ القصص (٢٨): ٧.

وقال الله تعالى في مريم بنت عمران : ﴿ **وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ** ﴾ آل عمران (٣): ٤٢.

وقال تعالى : ﴿ **إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** ﴾ آل عمران (٣): ٤٥.

وقال تعالى : ﴿ **فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا...** ﴾ مريم (١٩): ١٧ـ٢٦

فحديث الملائكة ليس من علامات النبوّة و خصائصها، فمن ذكرناهن لسن من جملة الأنبياء كما هو واضح.

و إلى هذا يشير محمّد بن أبي بكر كما رواه الصدوق في العلل (١ : ١٨٢) عن الصادق عليه السلام : «مريم لم تكن نبيّة و كانت مُحدّثة، و أمّ موسى بن عمران كانت محدّثة و لم تكن نبيّة،
⇦



و سارة امرأة إبراهيم قد عاينت الملائكة فبشروها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب ولم تكن نبيّة، و فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله كانت محدّثة و لم تكن نبيّة».

أمّا بالنسبة إلى مكان وجود هذا المصحف في الحال الحاضر، فهو اليوم موجود عند الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه، يقول صاحب الذريعة ٢١ : ١٢٦ برقم ٤٢٤٨ «من ودائع الإمامة عند مولانا وإمامنا صاحب الزمان عليه السلام، كما روي في عدة أحاديث من طرق الأئمة عليهم السلام، منها ما في بصائر الدرجات، وقد حكاه العلاّمة المجلسي في أول البحار».

الجفر

أطلق لفظ الجفر في اللغة على معاني أربعة :

المعنى الأوّل: بعض أولاد الشاة : ما جفر جنباه، أي اتسع. المصباح المنير ١ : ١٠٣.

أو ما بلغ أربعة أشهر وجفر جنباه وفصل عن أمه. الصحاح ٢ : ٦١٥.

أو من ولد المعز ما بلغ أربعة أشهر. المصباح المنير ١ : ١٠٣.

المعنى الثاني : البئر التي لم تطو. معجم مقاييس اللغة ١: ٤٦٦.

أو البئر الواسعة لم تطو. الصحاح ٢ : ٦١٥.

المعنى الثالث له هو : الصبيّ إذا انتفخ لحمه وأكل وصارت له كرش. لسان العرب ٤ : ١٤٢.

المعنى الرابع: الجَمَلُ الصغير. لسان العرب ٤ : ١٤٢.

وأمّا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام لم تفسّر الجفر بأيّ من المعاني المتقدّمة، بل فسّرته بالجلد، و نسبته إلى الشاة تارة، وإلى الثور أخرى، وإلى عكاظ ثالثة.

فقد ورد في بعض الروايات ـ كما في بصائر الدرجات: ١٧٥ عن الصادق عليه السلام ـ أنّ الجفر: «إنّما هو جلد شاة ليست بالصغيرة و لا بالكبيرة».

بينما أكدت روايات أخرى ـ كما في بصائر الدرجات: ١٧٤ عن الصادق عليه السلام ـ أنّ الجفر عبارة عن جلدين هما : «مسك ماعز ومسك ضأن ينطبق أحدهما بصاحبه».

وفي رواية أخرى ـ كما في الخصال: ٥٢٨ ـ الضأن الوارد هنا بأنّه كبش، إذ فسّرت الجفر بأنّه «أهاب ماعز وأهاب كبش».

فالكبش لغة: هو فحل الضأن في أيّ سن كان، فتكون هذه الرواية مفسّرة لسابقتها.



⇨
هذا في حين أنّ بعض الروايات فسّرت الجفر بأنّه ـ كما في الكافي ١ : ٢٤١ ـ « جلد ثور».
بينما بعضها الآخر أبعدته عن النسبة لحيوان بخصوصه لتنسبه إلى سوق عكاظ، ففسّرته بـ «أديم عكاضي » بصائر الدرجات: ١٨٠.
وبعد التأمّل الدقيق في الروايات المفسّرة للجفر يتبيّن أنّ الأئمة تحدّثوا عن جفار أربعة: أحدهما كتاب، والثلاثة الأخرى أوعية ومخازن لمحتويات ذات قيمة معنوية كبيرة، وهذه الجفار الأربعة هي: كتاب الجفر، والجفر الأبيض، والجفر الأحمر، وجلد الثور.
أمّا كتاب الجفر فهو الكتاب المشهور ذكره على ألسنة الناس وفي كتب الباحثين، وتدلّ على وجوده روايات متعدّدة، مثل ما ورد في بصائر الدرجات: ١٧٨ عن نعيم بن قابوس، قال : قال لي أبو الحسن، يعني الامام موسى الكاظم عليه السلام: « عليّ أكبر ابني، آخر ولدي، وأسمعهم لقولي، وأطوعهم لأمري، ينظر كتاب الجفر معي، وليس ينظر فيه الّا نبي أو وصيّ نبي».
وما ورد في كمال الدين: ٣٥٣، الباب٣٣، حديث ٥٠ عن سدير الصيرفي، عن الصادق عليه السلام أنّه قال:« إنّي نظرت في كتاب الجفر صبيحة هذا اليوم، و هو الكتاب المشتمل على علم البلايا والرزايا، وعلم ما كان وما يكون إلى يوم القيامة، الذي خصّ الله به محمّداً والأئمة من بعده عليهم السلام».
وأما الجفر الأبيض والجفر الأحمر، فيدلّ على وجودهما عدّة من الروايات منها:
ما ورد في الكافي١ : ٢٤٠ عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: « إنّ عندي الجفر الأبيض.
قال: قلت: فأيّ شيء فيه؟
قال عليه السلام: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، و صحف إبراهيم، و الحلال والحرام، ومصحف فاطمة، ما أزعم أنّ فيه قرآناً، و فيه ما يحتاج إلينا و لا نحتاج إلى أحد، حتّى فيه الجلدة و نصف الجلدة وربع الجلدة و أرش الخدش، و عندي الجفر الأحمر».
قال: قلت: و أيّ شيء في الجفر الأحمر؟
قال عليه السلام: السلاح، و ذلك إنّما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل».
⇦

ويحتوي مصحف فاطمة عليها السلام على أربعين ورقة، وكلّ ورقة على أربعين سطراً، بإملاء من فاطمة عليها السلام وخطّ أمير المؤمنين عليه السلام. ولما تمّ هذا الكتاب استدعت الصدّيقة عليها السلام سلمان وأعطت هذا الكتاب له، ثمّ قالت:

أخرج خارج المدينة، فإذا لاح أمامك تلّ أحمر، اصعد فوقه، فسترى رجلاً عجوزاً فسلّمه إيّاه، كي يسلّمه إلى ولدي المهدي من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

⇨

وأمّا المعنى الرابع للجفر: هو جلد الثور الذي فسّر بأنّه وعاء، ما ورد في بصائر الدرجات: ١٨٠ عن الإمام الصادق عليه السلام: «و أمّا قوله في الجفر، فإنّه جلد ثور مدبوغ كالجراب، فيه كتب وعلم، وما يحتاج الناس إليه الى يوم القيامة من حلال و حرام، إملاء رسول الله، بخطّ علي عليه السلام وفيه مصحف فاطمة، ما فيه آية من القرآن، و إنّ عندي لخاتم رسول الله و درعه و سيفه و لواه، و عندي الجفر على رغم أنف من زعم».

الجامعة

الجامعة التي هي إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ علي عليه السلام، وهي سبعون ذراعاً، فيها من كلّ حلال وحرام، وكلّ ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلّا وهي فيها حتّى أرش الخدش.

روى الكليني ١ : ٢٣٩ عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام، قال : «يا أبا محمّد، وإنّ عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة»؟

قال : قلت : جعلت فداك وما الجامعة؟

قال : «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله صلى الله عليه وآله، وإملائه من فلق فيه، وخطّ عليّ بيمينه، فيها كلّ حلال وحرام، وكلّ شيء يحتاج الناس إليه حتّى الأرش في الخدش، وضرب بيده إليّ، فقال : تأذن لي يا أبا محمّد»؟

قال : قلت : جعلت فداك، إنّما أنا لك فاصنع ما شئت.

قال : فغمزني بيده وقال : «حتّى أرش هذا - كأنّه مغضب -.

قال : قلت : هذا والله العلم.

قال: «إنّه لعلم وليس بذاك».

وردت في هذا المجال روايات كثير كما في بصائر الدرجات : ١٦٢ ـ ١٦٦، الكافي ١ : ٥٧، ٢٣٩.

فأطاع سلمان هذا الأمر، فلمّا أراد تسليم الكتاب، هبّت ريح شديدة حتّى خرّقت أوراق الكتاب؛ لأنّه لم يكن مشرّزاً، ولا كانت أوراقه ملتصقة بعضها ببعض، فاهتمّ واغتمّ سلمان كثيراً، ثمّ قال: إنّ السيّدة لم تطلب منّي في حياتها شيئاً إلّا هذا الأمر، ولم أستطع إنجازه تماماً.

وكان ذلك الرجل العجوز هو الخضر عليه السلام، فقال له: لا تحزن، سأبقى في هذا المكان إلى الليل، فلمّا يغرب قرص الشمس ويستر ضوؤها ويغطّي ظلام الليل الدنيا، يشعّ من هذه الأوراق ـ أين ما كانت ـ نور ساطع؛ لأنّها من خط وإملاء المعصوم، وسأجمع هذه الأوراق بدلالة هذا النور.

فلمّا دخل الليل وفرغ من صلاة العشاء، جمع الأوراق، فلمّا عدّها وجدها تسعة وثلاثين ورقة، ويقال: إنّ الورقة المفقودة قد نقلها الريح حتّى وصلت إلى يد الحكماء في أوربا، فاستنبطوا منها سبعة وعشرين سطراً بشقّ الأنفس، واستخرجوا من بركاتها علوماً جديدة، وبقي منها ثلاثة عشر سطراً في بوتقة الإجمال.

فثبت بعد التحقيق أنّه لو سأل سائل: ما هو حاصل التحقيقات السابقة؟

[سر استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام]

فجوابه: أنّ استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام له منافع كثيرة، والحكيم لا يترك الخير الكثير لضرر يسير.

وبتقرير أوضح وبيان أفصح: إنّ جملة الممكنات. تنقسم عقلاً إلى خمسة أقسام: الخير المحض، والشرّ المحض، وكثير الخير، وكثير الشرّ، وما يستوي فيه الأمران.

وإيجاد الشر المحض والكثير الشرّ يستحيل من الحكيم؛ لامتناع الترجيح للمرجوح والمساوي من قبل الحكيم؛ لقاعدة استمالة الترجيح بلا مرجّح لدى الحكيم[1].

(١) يقول العلامة الطباطبائي في بداية الحكمة: ١٩٨ - ٢٠٠ : «إنّ الواجب تعالى هو المبدأ المفيض لكلّ وجود، وكمال وجودي كلّ موجود غيره (تعالى) ممكن بالذات؛ لانحصار الوجوب بالذات فيه (تعالى)، وكلّ ممكن فإنّ له ماهية هي التي تستوي نسبتها إلى الوجود والعدم، وهي التي تحتاج في وجودها إلى علّة بها يجب وجودها فتوجد، والعلّة إن كانت واجبة بالذات فهو، وإن كانت واجبة بالغير انتهى ذلك إلى الواجب بالذات، فالواجب بالذات هو الذي يفيض عنه وجود كلّ ذي وجود من الماهيات.

⇦

⇨

ومن طريق آخر : ما سواه (تعالى) - من الوجودات الإمكانية - فقراء في أنفسها، متعلقات في حدود ذواتها، فهي وجودات رابطة، لا استقلال لها حدوثاً ولا بقاء، وإنّما تتقوم بغيرها، وينتهي ذلك إلى وجود مستقلّ في نفسه، غنيّ في ذاته، لا تعلّق له بشيء تعلّق الفقر والحاجة، وهو الواجب الوجود (تعالى وتقدّس).

فتبيّن أنّ الواجب الوجود (تعالى) هو المفيض لوجود ما سواه، وكما أنّه مفيض له مفيض لآثاره القائمة به والنسب والروابط التي بينه، فإنّ العلّة الموجبة للشيء المقوّمة لوجوده علّة موجبة لآثاره والنسب القائمة به ومقوّمة لها، فهو (تعالى) وحده المبدأ الموجد لما سواه، المالك له، المدبّر لأمره، فهو ربّ العالمين، لا ربّ سواه.

تتمّة : قالت الثنوية : «إنّ في الوجود خيراً وشرّاً، وهما متضادان، لا يستندان إلى مبدأ واحد، فهناك مبدءان : مبدأ الخيرات، ومبدأ الشرور».

وعن أفلاطون في دفعه : «أنّ الشرّ عدم والعدم لا يحتاج إلى علّة فياضة، بل علّته عدم الوجود».

وقد بيّن الصغرى بأمثلة جزئيّة، كالقتل الذي هو شرّ مثلاً، فإنّ الشرّ ليس هو قدرة القاتل عليه، فإنّه كمال له، ولا حدّة السيف - مثلاً - وصلاحيته للقطع، فإنّه كمال فيه، ولا انفعال رقبة المقتول من الضربة، فإنّه من كمال البدن، فلا يبقى للشر إلّا بطلان حياة المقتول بذلك، وهو أمر عدميّ، وعلى هذا القياس في سائر الموارد.

وعن أرسطو : «أنّ الأقسام خمسة : ما هو خير محض، وما خيره كثير وشرّه قليل، وما خيره وشرّه متساويان، وما شرّه كثير وخيره قليل، وما هو شرّ محض. وأوّل الأقسام موجود كالعقول المجرّدة التي ليس فيها إلّا الخير، وكذا القسم الثاني كسائر الموجودات الماديّة التي فيها خير كثير بالنظر إلى النظام العام، فإن في ترك إيجاده شرّاً كثيراً.

وأمّا الأقسام الثلاثة الباقية، فهي غير موجودة.

أمّا ما خيره وشرّه متساويان، فإنّ في إيجاده ترجيحاً بلا مرّجح.

وأمّا ما شرّه كثير وخيره قليل، فإنّ في إيجاده ترجيح المرجوح على الراجح.

وأمّا ما هو شرّ محض، فأمره واضح.

⇦

ثـــمّ الوجـــود أعلـــم بـــلا التبـــاس   خيـــراً هـــو النفســـي والقياســـي
والخيـــر كالشـــرِّ احتمـــالاً حويـــا   المحـــض والكثيـــر والمســـاويا
فـــالمحض كـــالعقول والـــذي كثـــر   خيراتـــه مثـــل المعاليـــل الأخـــر
تـــرجيح مرجـــوحٍ وماتمـــاثلا   شـــرّاً كثيـــراً مـــع مســـاوي بطـــلا[1]

❊ ❊ ❊

پـــس بـــد مطلـــق نباشـــد در جهـــان   بـد بـه نسبت باشـد ايـن راهـم بـدان[2]

[ترجمته: لا يوجد في الـدنيا شرّ مطلق، واعلـم أنّـه لا يوجـد فيهـا شـرّ كذلك؛ لأنّ الشرّ أمر نسبي].

آن بگويد زيد صدّيق سنّى است
وين بگويد زيد گبر كشتنى است[3]

[ترجمته: ذاك يقول: زيد صديق سنّي، والآخر قول: كافر يُقتل].

گر تو خـواهى كـاو تـورا باشـه شـكر   پـــس و را از چشـــم عشـــاقش نگـــر
آن يكى واعظ چـو بـر تخـت آمـدى   قاطعـــان راه را داعـــى شـــدى
مـرو را گفتنـد كـاين معهـود نسـت   دعـوت أهـل ضـلالت خـود نيسـت
گفـــت نيكـــولى از اينهـــا ديـــده أم   مـن دعاشـان ز ايـن سـبب بگزيـده ام
هـر كهـى كـه رو بـه دنيـا كـرد مـى   من از ايشان زخم وضربت خردمى[4]

⇨

وبالجملة لم يستند بالذات إلى العلّة إلّا الخير المحض والخير الكثير، وأمّا الشر القليل فقد استند إليها بعرض الخير الكثير الذي يلزمه».

(١) شرح المنظومة للسبزواري ٣ :٥٢٨.

(٢) المثنوي المعنوي للمولوي جلال الدين الرومي : الدفتر الربع.

(٣) المثنوي المعنوي للمولوي جلال الدين الرومي : الدفتر الربع.

(٤) المثنوي المعنوي للمولوي جلال الدين الرومي : الدفتر الربع.

⇦

[ترجمته: إذا تريد وجوده [زيد] لك حلو مثل السكّر، انظر إليه بمنظار العشّاق لك، الواعظ عندما كان يجلس على المنبر، كان يدعو لقطّاع الطرق [والفسّاق والضّلال].

قيل له : ليس من المعهود أن يدعى لأهل الضلال، قال الواعظ: كلّما أردت أن أميل إلى الدنيا كنت أُصيب منهم الجرح والضرب، وهؤلاء كانوا السبب في هدايتي، لذا كان من وظيفتي الدعاء لهم.

إذاً ما يظهر من تضارب وشرور في العالمين وإن كان في نفسه شرّ وبأس، ولكنّه في النظام الكلّي نافع وضروري.

ما ليس موزوناً لبعضٍ من نِعَم   ففي نظامِ الكلّ كلٌّ منتَظم(١)

***

جهان چون خط وخال وچشم وأبرو است

که هر چيزى بجاى خويش نيكو است(٢)

[ترجمته: العالم مثل الخطاط والخال والعين والحاجب [في التنظيم]، وقد أبدع خالقها حيث وضع كلّ شيء في مكانه جميل].

وأحسن في هذا النظام.

⇨

البيت الأوّل من قصيدة شعرية، وباقي الأبيات من قصيدة أخرى، وفي الوسط بعض الأبيات غير موجودة.

للمزيد انظر : تفسير ونقد وتحليل بر مثنوي معنوي لمحمّد تقي الجعفري ٩ : ٢٩٠ ـ ٣٢٤.

(١) شرح منظومة السبزواري ٢ : ٤٢٢.

(٢) هذه الأبيات لمحمود الشبستري في گلشن راز، وانظر : شرح نهج البلاغة لمحمّد تقي الجعفري ٢ : ٩٥.

فلو سأل سائل عمّا تحصّل من التحقيق السابق، فقد ثبت له أنّ سرّ استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام هو ترتّب الخيرات الكثيرة، ونجاة الأمّة، ولو لا استشهاده لما كانت تحصل هذه الخيرات الكثيرة، ولا أمكن نجاة الأمّة، ولذا جاء في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «تَرَفْرَفَ النصرُ على الحسين عليه السلام، فخيّر بين النصر واللقاء»[(١)].

والتخيير ظاهر في التساوي، أي أنّه سواء قُتل أم لم يُقتل فلا يؤثّر ذلك في مراتبه ومقاماته.

وفي رواية أخرى: أنّه نزلت صحيفة من السماء مكتوب فيها: يا حبيبي يا حسين، نحن لا نحتّم الشهادة عليك، ولو شئتَ لصرفنا عنك البلاء، ولا يؤدّي ذلك إلى دنوّ منزلتك[(٢)].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ٦١، وفيه: (فروي عن مولانا الصادق عليه السلام أنّه قال: «سمعت أبي يقول: لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد (لع)، وقامت الحرب، أنزل الله تعالى النصر حتّى رفرف على رأس الحسين عليه السلام، ثمّ خيّر بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله، فاختار لقاء الله»)، رواها أبو طاهر محمّد بن الحسين النرسي في كتاب معالم الدين.

(٢) في موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام عن معالي السبطين وأسرار الشهادة برقم ٥٨٢: « أنّه وقعت صحيفة قد نزلت من السماء في يده [أي الحسين عليه السلام] الشريفة، فلمّا فتحها ونظر فيها، إذا هي العهد المأخوذ عليه بالشهادة قبل خلق الخلق في هذه الدنيا، فلمّا نظر عليه السلام إلى ظهر تلك الصحيفة، فإذا هو مكتوب فيه بخطّ واضح جليّ:
يا حسين، نحن ما حتّمنا عليك الموت، وما ألزمنا عليك الشهادة، فلك الخيار، ولا ينقص حظّك عندنا، فإن شئت أن نصرف عنك هذه البليّة، فاعلم أنّا قد جعلنا السماوات والأرضين والملائكة والجنّ كلّهم في حكمك، فأمر فيهم بما تريد من إهلاك هؤلاء ⇦

إذاً فأيّ حاجة وسبب يدفع الحسين عليه السلام للشهادة بعد ذلك.

ويُجاب على هذا القول: إنّ هذه الأخبار تُعارض مجموعة أُخرى من الأخبار القائلة بأنّ استشهاد الحسين عليه السلام وسيلة لنجاة الأمّة، وسبباً لنيل الشفاعة يوم القيامة، ولولا شهادته لما تقرّرا(١).

ومن هذه الأخبار : الحديث القائل بأنّ الحسين عليه السلام لمّا أراد الخروج من المدينة زار قبر جدّه الرسول صلى الله عليه وآله مودّعاً، ثمّ علا بكاؤه ونحيبه حتّى أخذته إغفاءة على الرأس الشريف، فرأى النبيّ صلى الله عليه وآله وقد ضمّه إليه، ثمّ قال: «ولدي حسين أخرج إلى العراق، فإنّ الله شاء أن يراك قتيلاً، وإنّ لك درجات لن تنالها إلّا بالشهادة»(٢).

⇨

الكفرة الفجرة لعنهم الله. فإذا بالملائكة قد ملأوا بين السماوات والأرض، بأيديهم حراب من النار، ينتظرون لحكم الحسين عليه السلام، وأمره فيما يأمرهم به من إعدام هؤلاء الفسقة.

فلمّا عرف عليه السلام مضمون الكتاب، وما في تلك الصحيفة، رفعها إلى السماء ورمى بها إليها وقال : «إلهي وَسَيِّدي! وَدَدْتُ أَنْ أُقْتَلَ وَأُحْيى سَبْعينَ أَلْفَ مَرَّة في طاعَتِكَ وَمَحَبَّتِكَ، سِيَّما إذا كانَ في قَتْلي نُصْرَةُ دينِكَ، وَإحْياءُ أَمْرِكَ وَحِفْظُ نامُوس شَرْعِكَ، ثُمَّ إنّي قَدْ سَئِمْتُ الْحَياةَ بَعْدَ قَتْل الأحِبَّةِ وَقَتْل هؤُلاء الْفِتْيَةِ مِنْ آلِ مُحَمَّد صلى الله عليه وآله».

(١) ورد في زيارات الإمام الحسين عليه السلام كما في تهذيب الشيخ ٦ : ٦٠، الحديث ١٣١، والمزار للمفيد: ١١٠، والمزار للمشهدي: ٣٧٩: « وكن لي شفيعاً ».

وفي إقبال الأعمال ٣ : ١٠٢، والمزار للشهيد: ٤٣، ١٦٣ : « فكن لي شفيعاً إلى الله». وفي البحار ٩٨ : ٢٢٦، الباب ١٧، الحديث ٣٤ : « وَإنْ شَفَعْتَ شُفِّعْتَ».

أو ما ورد في زيارة عاشوراء، كما في كامل الزيارات: ٣٣٢، الباب ٧١، الحديث ٩، التسلسل ٥٥٦ : « اللهم ارزقني شفاعة الحسين يوم الورود».

(٢)انظر : اللهوف لابن طاووس : ٣٩ وفيه : عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : سار محمّد بن الحنفيّة إلى الحسين عليه السلام في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكّة، فقال : يا أخي إنّ

⇦

كما أنّه تقرأ في إحدى فقرات زيارة هذا الغريب ما مضمونه: «المعوّض عن شهادته بأنّ الأئمة من ذرّيته والشفاء في تربته، وإجابة الدعاء تحت قبّته، والفوز غداً في كرّته»[(١)].

⇨

أهل الكوفة مَن قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى، فإن رأيت أن تقيم فإنّك أعزّ من في الحرم وأمنعه.

فقال عليه السلام : «يا أَخي قَدْ خِفْتُ أَنْ يَغْتالَني يَزيدُ بْنُ مُعاوِيَةَ في الْحَرَمِ، فَأَكُونَ الَّذي يُسْتَباحُ بِهِ حُرْمَةُ هذَا الْبَيْتِ».

فقال له ابن الحنفيّة : فإن خفت ذلك فسر إلى اليمن، أو بعض نواحي البرّ، فإنّك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد.

فقال عليه السلام : «أَنْظُرُ فيما قُلْتَ».

فلمّا كان السحر، ارتحل الحسين عليه السلام، فبلغ ذلك ابن الحنفيّة، فأتاه فأخذ زمام ناقته التي ركبها فقال له : يا أخي ألم تعدني النظر فيما سألتك؟

قال عليه السلام : «بَلى».

قال : فما حداك على الخروج عاجلاً؟

فقال عليه السلام : «أتاني رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بَعْدَ ما فارَقْتُكَ، فَقالَ : يا حسين،! أخرج فإنّ الله، قد شاء أن يراك قتيلاً».

فقال له ابن الحنفيّة : إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك، وأنت تخرج على مثل هذه الحال؟!

فقال له : «قَدْ قالَ لي : إنّ الله قد شاء أن يراهنّ سباياً، وسلّم عليه ومضى ».

(١) روى الطوسي في أماليه:(٣١٧، المجلس ١١، الحديث٩١، التسلسل ٦٤٤) عن محمّد، ابن مسلم، قال : سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمّد عليهما السلام يقولان : « إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله، أن جعل الإمامة في ذرّيته، والشفاء في تربته، وإجابة الدعا عند قبره، ولا تعد أيّام زائريه جائياً وراجعاً من عمره».

⇦

وحاصل ذلك: أنّ الله تعالى قد عوّضه عن شهادته بكرامتين:

الأولى: أنّ جعل الأئمة من نسله، فإنّ عقيدتنا نحن الإماميّة والإثني عشرية قائمة على أنّ الإمام بعد الحسين عليه السلام يجب أن يكون حسينيّاً[1]، خلافاً

⇦

وفي كفاية الأثر للخزاز القمي: ١٧ عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: « يا ابن عبّاس، من زاره عارفاً بحقّه كتب له ثواب ألف حجّة وألف عمرة، ألا ومن زاره فكأنمّا زارني، ومن زارني فكأنمّا زار الله، وحقّ الزائر على الله أن لا يعذّبه بالنار. ألا وإن الإجابة تحت قبته، والشفاء في تربته، والأئمة من ولده ».

وانظر: مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٣٥، المزار للمشهدي : ٣٩٨.

(١) وأمّا اعتقاد الإمامية بأنّ الإمامة في نسل الحسين عليه السلام؛ لأنّ الإمامة منصب إلهي يجعلها فيمن يشاء، قال الله تعالى: ﴿ **اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ** ﴾ الأنعام (٦): ١٢٤، فالاختيار للأنبياء والأوصياء شأن تكفّل به المولى سبحانه ولا يخضع لأية اعتبارات يمكن أن نتصوّرها في هذا الشأن، سوى علمه وحكمته سبحانه.

فقد روى الصدوق في العلل ١ : ٢٠٨ أنّ الرضا عليه السلام سُئل: لأيّ علّة صارت الإمامة في ولد الحسين دون ولد الحسن عليهما السلام؟

قال: « لأنّ الله عزّ وجلّ جعلها في ولد الحسين ولم يجعلها في ولد الحسن، والله لا يسأل عما يفعل».

وأنّ أسماء الأئمّة عليهم السلام منصوص عليهم في خبر اللوح ـ وغيره ـ الذي نزل على فاطمة الزهراء عليها السلام، الذي يرويه جابر بن عبد الله الأنصاري، كما رواه الكليني في الكافي ١ : ٥٣١.

فعن أبي عبد الله عليه السلام – في الكافي ١ : ٢٨٦ – قال: « لا تعود الإمامة في أخوين بعد الحسن والحسين أبداً، إنّما جرت من علي بن الحسين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله** ﴾ الانفال(٨):٧٥ «فلا تكون بعد علي بن الحسين عليه السلام إلاّ في الأعقاب وأعقاب الأعقاب».

وورد في الكافي ١ : ٢٨٨ عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُوْلُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي**

⇦

للكشفيّة والشيخيّة، قالوا: يجوز أن يكون كرديّاً أو تركمانيّاً[١].

والثانية: أنّ جعل الشفاء في تربته، كما عنونه الفقهاء في كتاب الأطعمة والأشربة، بأنّ إحدى المحرّمات أكل الطين والتراب ما عدى تربة قبر الحسين عليه السلام: «ويحرم أكل الطين، إلّا طين قبر الحسين عليه السلام إلى قدر حمّصة، والأرمني بقدر الحاجة»[٢].

⇨

كِتَابِ اللَّهِ﴾ الأحزاب (٣٣) ٦. فيمن نزلت؟ فقال: نزلت في الإمرة، إنّ هذه الآية جرت في ولَد الحسين عليه السلام من بعده.

نعم، قد وردت بعض الروايات، ذكرها الشيخ الصدوق في علل الشرائع ١ : ٢٠٥ تشير إلى بعض المعاني التي جعلت الإمامة بسببها في ولد الحسين عليه السلام دون ولد الحسن عليه السلام:

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لما علقت فاطمة عليها السلام بالحسين صلوات الله عليه، قال لها رسول الله: يا فاطمة، إنّ الله قد وهب لك غلاماً اسمه الحسين تقتله أمّتي.

قالت: فلا حاجة لي فيه.

قال: إنّ الله عزّ وجّل قد وعدني فيه أن يجعل الأئمة من ولده، قالت: قد رضيت يا رسول الله.

(١) لم أجد مصدراً لهذا الادّعاء، وأستبعد أن يذهب الشيخية أو الكشفية إلى هذا القول الذي هو أشبه بأقوال أهل السنّة، حيت لا تعتبر النصّ في الإمامة، وإنّما هؤلاء يختلفون مع سائر الشيعة الإمامية في مقامات الأئمة، ووجود ركن رابع وكيفية المعاد، وأشباه ذلك، للمزيد يراجع فيه الكتب المؤلّفة في عقائدهم.

(٢) يحرم أكل الطين بالإجماع، وللأخبار، إلّا طين قبر الحسين عليه السلام.

انظر: النهاية للطوسي: ٥٩٠، السرائر للحلّي ١ : ٣١٨، و٣ : ١٢٤، ١٤١، ومختلف الشيعة للعلّامة الحلّي ٨ : ٣٣٥، واللمعة للشهيد : ٢٢٠، ومستند الشيعة للنراقي ١٥ : ١٥٩.

وفي وصيَّة الإمام موسى بن جعفرعليه السلام للمسيّب، قال: «إذا دفنتموني فارفعوا قبري أربع أصابع، ولا تأخذوا من تربتي تستشفعون بها، فإنّ كلّ تربة لنا محرّمة، إلّا طين قبر الحسينعليه السلام، فإنّ الله جعل فيها الشفاء لشيعتنا»[1].

ولا تعبأ بما يخطر لبعض أهل الأوهام الفاسدة والتخيّلات الكاسدة، أننا استشفينا مكرّراً بهذه التربة فلم نَرَ فائدةً وشفاءً فيها، أو دعونا بأدعية كثيرةٍ تحت القبّة الشريفة فلم تستجب.

وفي مقام الجواب نقول: إنّ التحقيق في هذا المقام والتوضيح لهذا المرام يستدعي بسط الكلام في هذا الإجمال فنقول:

أوّلاً: إنّ لدينا عدّة مواضيع لابدّ من التعرّف عليها، وهي: الحرم، والآخر: التربة، والحائر، وكذلك: تحت القبّة الشريفة، حيث تتفرّع على كلّ موضوع مسائل فقهيّة متعددة.

---

(١) روى الصدوق في عيون أخبار الرضاعليه السلام ١ : ٩٥، الباب ٨، الحديث ٦ عن الكاظمعليه السلام، قال للمسيّب : «يا مسيّب، إنّ هذا الرجس السندي ابن شاهك سيزعم أنّه يتولّى غسلي ودفني، هيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً! فإذا حملت إلى المقبرة المعروفة بمقابر قريش، فألحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربع أصابع مفرجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به؛ فإنّ كلّ تربه لنا محرّمة، إلّا تربة جدّي الحسين بن علي عليهما السلام، فإنّ الله تعالى جعلها شفاء لشيعتنا وأوليائنا».

[أحكام الحرم الحسيني]

أمّا الحرم الشريف، فمساحته أربعة فراسخ في أربعة[1]، ومبدأه من قبر

---

(١) قد اختلفت الأخبار في حرم أو حريم قبر الإمام الحسين عليه السلام بين أربعة أو خمسة فراسخ، أو خمسة وعشرين ذراعاً:

فقد روى ابن قولويه: في كامل الزيارات: ٤٥٦، الباب ٨٩، الحديث ٢، التسلسل ٦٩٢، والطوسي في التهذيب ٦ : ٧١ عن الصادق عليه السلام، قال : « حرمة قبر الحسين فرسخ في فرسخ من أربعة جوانبه».

وروي في كامل الزيارات: ٤٧٢، الباب ٩٣، الحديث ٩، التسلسل ٧٢١ أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « حريم قبر الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ في فرسخ في فرسخ ».

وفيه أيضاً ٤٥٦، الباب ٨٩، الحديث ٣، التسلسل ٦٩٣ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : «حريم قبر الحسين عليه السلام خمس فراسخ من أربعة جوانب القبر».

ورواه الصدوق في الفقيه ٢ : ٥٧٩، ٦٠٠، الحديث ٣١٦٧، ٣٢٠٦، والطوسي في التهذيب ٦ : ٧١.

وفي كامل الزيارات أيضاً: ٤٥٧، الباب ٨٩، الحديث ٤، التسلسل ٦٩٤ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « إنّ لموضع قبر الحسين بن علي عليهما السلام حرمة معلومة، من عرفها واستجار بها أجير».

قلت : فصف لي موضعها جعلت فداك؟

⇦

⇨

قال : « امسح من موضع قبره اليوم، فامسح خمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رجليه، وخمسة وعشرين ذراعاً ممّا يلي وجهه، وخمسة وعشرين ذراعاً من خلفه، وخمسة وعشرين ذراعاً من ناحية رأسه».

ورواه الصدوق في ثواب الأعمال: ٩٤، والطوسي في التهذيب ٦ : ٧١.

وروى المحدّث النوري في مستدركه على الوسائل ١٠ : ٣٢١، الحديث (١٢٠٩١) عن الشيخ البهائي في الكشكول، عن خطّ جدّه محمّد بن علي الجباعي، نقلاً من خطّ ابن طاووس، نقلاً من كتاب الزيارات لمحمّد بن أحمد بن داود القمي، عن الصادق عليه السلام أنّه قال : « إنّ حرم الحسين عليه السلام الذي اشتراه، أربعة أميال في أربعة أميال، فهو حلال لولده ومواليه، حرام على غيرهم ممّن خالفهم، وفيه البركة ».

وفي الكتاب المذكور ١٠ : ٣٢١، الحديث ١٢٠٩٢ : روي أنّ الحسين عليه السلام اشترى النواحي التي فيها قبره من أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدّق بها عليهم، وشرط أن يرشدوا إلى قبره، ويضيّفوا من زاره ثلاثة أيّام».

وأمّا الأخبار الدالّة على موضع القبر أنّه عشرون أو خمسة وعشرون ذراعاً:

روي في كامل الزيارات ٤٥٧، الباب ٨٩، الحديث ٥، التسلسل ٦٩٥ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « قبر الحسين عليه السلام عشرون ذراعاً في عشرين ذراعاً مكسراً ».

فالظاهر من هذه الرواية والسابقة عليها هو تحديد الحرم، وليس موضع القبر؛ إذ لا معنى أن يكون قبره الشريف عشرون أو خمسة وعشرون ذراعاً.

وأمّا الأخبار الدالّة على موضع أخذ التربة سبعين ذراعاً أو سبعين باعاً أو ميلاً واحداً أو عشرة أميال:

روى في كامل الزيارات: ٤٦٨، الباب ٩٣، الحديث ٢، التسلسل ٧١٤ أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على قدر سبعين ذراعاً».

ورواه الكليني في الكافي ٤ : ٥٨٨، والطوسي في التهذيب ٦ : ٧٤.

وروي في كامل الزيارات أيضاً (٤٧١، الباب ٩٣، الحديث ٦، التسلسل ٧١٨) أيضاً بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « يؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين باعاً في سبعين باعاً».

⇦

الحسين عليه السلام، مثل حرم مكّة شرّفها الله تعالى، فهي بريد في بريد من أصل الكعبة[(١)].

⇨

وفيه أيضاً : ٤٦٢، الباب ٩١، الحديث ٥، التسلسل ٧٠٣ بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : «طين قبر الحسين عليه السلام فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل».

وروى الطوسي في التهذيب ٦ : ٧٢.عن أبي عبد الله عليه السلام، قال : « التربة من قبر الحسين بن علي عليه السلام عشرة أميال».

وقال العلاّمة المجلسي في البحار ٥٧ : ١٥٩ ـ ١٦٠ : «المكان الذي يؤخذ منه التربة :

ففي بعض الأخبار: «طين القبر»، وهي تدلّ ظاهراً على أنّها التربة المأخوذة من المواضع القريبة ممّا جاور القبر.

وفي بعضها: «طين حائر الحسين عليه السلام»، فيدلّ على جواز أخذه من جميع الحائر، وعدم دخول ما خرج منه.

وفي بعضها: «عشرون ذراعاً مكسّرة» وهو أضيق.

وفي بعضها: «خمسة وعشرون ذراعاً من كلّ جانب من جوانب القبر».

وفي بعضها: «تؤخذ طين قبر الحسين عليه السلام من عند القبر على سبعين ذراعاً».

وفي بعضها: «فيه شفاء وإن أخذ على رأس ميل».

وفي بعضها: «البركة من قبره عليه السلام على عشرة أميال».

وفي بعضها: «حرم الحسين عليه السلام فرسخ في فرسخ من أربع جوانب القبر».

وفي بعضها: «حرمه عليه السلام خمس فراسخ في أربع جوانبه».

وجمع الشيخ رحمه الله ومن تأخّر عنه بينها بالحمل على اختلاف مراتب الفضل وتجويز الجميع، وهو حسن، والأحوط في الأكل أن لا يجاوز الميل بل السبعين، و كلّما كان أقرب كان أحوط وأفضل».

(١) أمّا حدّ الحرم المكّي فقد قال في معجم ألفاظ الفقه الجعفري: ١٥٨ : «ما أحاط بها من جوانبها، وطاف بها، وحدّدت مساحته بريداً في بريد، أي أنّ المسافة من المسجد الحرام أو من سور مكّة المكّرمة إلى حدّ الحرم اثنان وعشرون كيلومتراً تقريباً من كلّ جهة».

⇦

والبريد أربعة فراسخ[(١)].

ومن الأحكام الفرعيّة لهذا الموضوع: أنّه لو ارتكب شخص جرماً، أو جنى جنايةً تستوجب القصاص أو التعزير، ثمّ التجأ إلى الحرم الشريف ودخل البريد، فلا يجوز إخراجه من الحرم بالقوّة والعسر، كما لا يجوز إقامة الحدّ

⇨

يقول ابن برّاج في المهذّب في تحديد الحرم ١ : ٢٧٣ : «حدّ الحرم من جهة المدينة على ثلاثة أميال، ومن طريق اليمن على سبعة أميال، ومن طريق العراق على سبعة أميال، ومن طريق جدّه على عشرة أميال، ومن طريق الطائف على عرفة أحد عشر ميلاً من بطن نمرة.

وحدّ مكّة من عقبة المدنيين إلى عقبة ذي طوى.

وحدّ عرفة من بطن عرنة وثوية ونمرة إلى ذي المجاز.

وحدّ المشعر الحرام هو ما بين المأزمين إلى الحياض إلى وادي محسّر».

وروى الطوسي في التهذيب ٥ : ٣٨٢ : عن زرارة، قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : «حرّم الله حرمه، بريداً في بريد، أن يختلي خلاه ويعضد شجره إلاّ شجرة الإذخر، أو يصاد طيره.. ».

(١) قال الطريحي في مجمع البحرين : «والبريد ـ بالفتح على فعيل ـ أربعة فراسخ، اثنا عشر ميلاً، وروي فرسخين ستة أميال، والمشهور الذي عليه العمل خلافه.

وفي الحديث عن الصادق عليه السلام: «البريد: ما بين ظلّ عير إلى فيء وعير، ذرعته بنو أمية، ثمّ جزوه اثنى عشر ميلاً، فكان كلّ ميل ألفاً وخمسمائة ذراع، وهو أربعة فراسخ».

وفي الحديث: «حرم رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة بريد في بريد».

ومثله الحرم بريد في بريد، وحينئذٍ فيكون طول الحرم أربعة فراسخ، وعرضه كذلك، وهو من جانب مكّة الشرقي أكثر من الغربي؛ لأنّ إشراق نور الحجر كان أكثر إلى جانب المشرق.

عليه فيه[١]، ولذا فقد جرت العادة عرفاً على ذلك، وقالوا: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[٢].

والمؤمن العائذات الطير تمسحها ركبان مكّة بين الغيل والسعد[٣]

وفي الحرم يوجد حتّى مربط للحيوانات، وهو عبارة عن شجرة نصفها في الحلّ ونصفها في الحرم، فما كان من أغصانها في الحرم لا يجوز قطعه[٤]،

(١) ولو جنى في الحلّ والتجأ إلى الحرم، لم يقتصّ منه فيه، بل يضيّق عليه في المطعم والمشرب حتّى يخرج؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ﴾ آل عمران (٣) : ٩٧، و﴿ حَرَمًا آمِنًا ﴾ القصص (٢٨): ٥٧ العنكبوت (٢٩) : ٦٧.

وما رواه الصدوق في الفقيه ٤ : ١١٥، الحديث٥٢٢٩ عن ابن أبي عمير، عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام: في الرجل يجني في غير الحرم، ثمّ يلجأ إلى الحرم، قال : «لا يقام عليه الحدّ، ولا يطعم، ولا يسقى، ولا يكلّم، ولا يبايع؛ فإنّه إذا فعل ذلك به يوشك أن يخرج فيقام عليه الحدّ، وإن جنى في الحرم جناية أقيم عليه الحدّ في الحرم؛ فإنّه لم يرَ للحرم حرمة ».

ورواه الشيخ في التهذيب ١٠ : ٢١٦، ٥ : ١١٥.

انظر : الخلاف للطوسي ٥ : ٢٢٣، كشف اللثام ١٠ : ٤٦٥.

(٢) آل عمران (٣) : ٩٧.

(٣) بيت من قصيدة للنابغة الذبياني، يمدح فيها النعمان ملك الحيرة، ومطلعها:

يا دار ميّة بالعلياء فالسند أقْوَتْ وطال عليها سالف الأبد

انظر : ديوان النابغة الذبياني : ٣٧.

(٤) قال القاضي ابن البراج في المهذّب ١ : ٢٢٩ : « وإذا كان أصل شجرة في الحلّ وفرعها في الحرم، أو يكون أصلها في الحرم وفرعها في الحلّ، فلا يجوز قلعها، إلّا ما يكون الإنسان أنبته ».

⇦

ولهذا بدّل سيّد الشهداء حجّه بعمرة مفردة، ثمّ خرج من الحرم المكّي مع أهل بيت العصمة وصحبه وبني هاشم[١]، فتوجّه إلى نينوى، ثمّ قال: اتجهوا نحو الكوفة، وبعد أن طوى منازل عديدة التقى الحرّ به في الثعلبيّة[٢].

⇨

وروى الكليني في الكافي ٤ : ٢٣١: عن معاوية بن عمّار، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام: شجرة أصلها في الحلّ وفرعها في الحرم؟

فقال : «حرم أصلها لمكان فرعها ».

قلت : فإنّ أصلها في الحرم وفرعها في الحلّ.

فقال : « حرم فرعها لمكان أصلها ».

(١) خرج الحسين عليه السلام مع أهله وعياله يوم الثلاثاء، الثامن من ذي الحجّة يوم التروية، سنة ٦٠ للهجرة، متجهاً إلى الكوفة، وكان خروجه من مكّة إلى العراق، بعد أن طاف وسعى وأحلّ من إحرامه، وجعل حجّه عمرة مفردة؛ لأنّه لم يتمكّن من إتمام الحجّ مخافة أن يبطش به ويقع الفساد في الموسم وفي مكّة؛ لأنّ يزيد أرسل مع الحجاج ثلاثين رجلاً من شياطين بني أميّة وأمرهم بقتل الحسين على كلّ حال.

انظر : ينابيع المودّة ٣ : ٥٩، الإرشاد للمفيد ٢ : ١٣٠، تاريخ خليفة بن خيّاط : ١٧٦، الأخبار الطوال لابن قتيبة : ٢٢٩، ٢٤٤، تاريخ دمشق ١٤ : ٢٠٤، أنساب الأشراف ٣: ١٦١، تاريخ الطبري ٤ :٢٨٦ ـ ٢٨٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١ : ٣١٧ وما بعدها، بحار الأنوار ٤٥: ٩٩.

(٢) الثعلبية :- كما في معجم البلدان ٢ : ٧٨ - : «بفتح أوّله : من منازل طريق مكّة من الكوفة بعد الشقوق وقبل الخزيمية، وهي ثلثا الطريق، وأسفل منها ماء يقال له: الضويجعة على ميل منها مشرف، ثمّ تمضي فتقع في برك يقال لها: برك حمد السبيل، ثمّ تقع في رمل متصل بالخزيمية، وإنّما سمّيت بثعلبة بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء

⇦



السماء: لما تفرّقت أزد مأرب، لحق ثعلبة بهذا الموضع فأقام به فسمّي به، فلمّا كثر ولده وقوي أمره، رجع إلى نواحي يثرب فأجلى اليهود عنها، فولده هم الأنصار ».

وممّا جرى في هذا المكان أنّه ـ كما في الفتوح لأبن اعثم ٥ : ٧٠ ـ لمّا : « سار الحسين حتّى نزل الثعلبيّة وذلك في وقت الظهيرة، فنزل وترك أصحابه، ثمّ وضع الحسين عليه السلام رأسه ونام، ثمّ انتبه من نومه باكياً، فقال له ابنه : مالك تبكي يا أبت لا أبكى الله لك عينا؟

فقال الحسين عليه السلام : يا بني إنّها ساعة لا تكذب فيها الرؤيا، أعلمك أني رأيت فارساً على فرس حتّى وقف عليّ فقال : يا حسين، إنكم تسرعون المسير والمنايا بكم تسرع إلى الجنّة، فعلمت أنّ أنفسنا قد نُعيت إلينا.

فقال له ابنه : يا أبت، ألسنا على الحقّ؟

قال : بلى يا بني، والذي ترجع العباد إليه!

فقال علي عليه السلام : إذاً لا نبالي بالموت.

فقال الحسين عليه السلام : جزاك الله عنّي يا بني خيراً جزي به ولد عن والد».

وأيضاً أخبر الأسديان ـ وهما : عبد الله بن سليم والمنذر بن المشمعل ـ الإمام الحسين عليه السلام، وهو نازل في الثعلبية – كما في تاريخ الطبري وغيره ٤ : ٢٩٩ –، بقتل مسلم بن عقيل ، وهاني ابن عروة ، وأنّهما يجران بأرجلهما في الأسواق.

وأمّا لقاء الحسين عليه السلام بالحر بن يزيد فقد كان في منطقة ذي الحسم : موضع في طريق مكّة من الكوفة، بينه وبين عذيب الهجانات ثلاث وثلاثون ميلاً، وليس في الثعلبيّة، كما في تاريخ الطبري وغيره ٤ : ٣٠٢، كالإرشاد للمفيد ٢ : ٧٧ :

« فاستبقنا إلى ذي حسم فسبقناهم إليه، فنزل الحسين عليه السلام فأمر بأبنيته فضربت، وجاء القوم وهم ألف فارس مع الحرّ بن يزيد التميمي اليربوعي حتّى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين عليه السلام وأصحابه معتمّون متقلّدو أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه : اسْقُوا القَوْمَ، وَأَرْوُوهُمْ مِنَ الْماءِ، وَرَشِّفُوا الْخَيْلَ تَرْشيفاً.



[بيان بعض القرى]

ونينوى: بكسر النون في أوّله، وسكون الثاني: قرية بُنيت في زمن يونس ابن متّى، واقعة في الموصل، وكذلك هناك شعبة من شعب نهر الفرات تقع في غربه من طريق الكوفة تسمّى نينوى، ومنها تكون كربلاء(١).

وأمّا الغاضريّة: فهي نسبة إلى غاضر من بني أسد، وهي قرية تقع في نواحي الكوفة تبعد عنها بميلين(٢).

⇦

فقام فتيانه فرشفوا الخيل ترشيفاً، فقام فتية وسقوا القوم من الماء حتّى أرووهم، وأقبلوا يملأون القصاع والأتوار والطساس من الماء، ثمّ يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر، حتّى سقوا الخيل كلّها».

(١) في معجم البلدان ٥ : ٣٣٩ «نينوى، بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى : وهي قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل.

وبسواد الكوفة ناحية يقال لها : نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين، رضي الله عنه».

(٢) في معجم البلدان ٤ : ١٨٣ : «الغاضرية، بعد الألف ضاد معجمة، منسوبة إلى غاضرة من بني أسد : وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء».

وأمّا شفيّة : فهي قرية من قرى كربلاء، وكانت تُسمّى حينئذٍ بالشفاثة(١).

وأمّا عقر: فهو اسم لعدّة مواضع، منها عقر بابل، الذي يقع في الطرف الغربي من الكوفة، ويبعد عنها ثلاثة أميال من ذي الكفل صوب كربلاء(٢).

وأمّا شراف، فقد ذكر أبو عبيدة السكوني: أنّ شراف تبعد عن واقصة ميلين، وفيها عين معروفة باللوزة، وفي شراف ثلاثة عيون في منتهى الحلاوة والعذوبة(٣).

---

(١) شفية : قرية من قرى كربلاء، أهملها الحموي في معجم البلدان، وأشار إليها الطبري في تاريخه ٤ : ٣٠٩، قائلاً: «وأخذ الحرّ بن يزيد القوم بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا في قرية، فقالوا : دعنا ننزل في هذه القرية، يعنون : نينوى، أو هذه القرية، يعنون، الغاضرية أو هذه الأخرى، يعنون، شفية. فقال : لا والله، ما أستطيع ذلك».

وفي الأخبار الطوال لابن قتيبة الدينوري: ٢٥٢ سمّاها بالسقبة : «فقال الحسين عليه السلام تقدّم بنا قليلاً إلى هذه القرية التي هي منّا على غلوة، وهي الغاضرية، أو هذه الأخرى التي تسمّى السقبة، فنزل في إحداهما. قال الحرّ : إنّ الأمير كتب إليّ أن أحلك على غير ماء، ولابدّ من الانتهاء إلى أمره».

(٢) في معجم البلدان ٤ : ١٣٦ : «والعقر : عدّة مواضع، منها : عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة، وقد روي أنّ الحسين رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى العقر، فقيل له : اسمها العقر، فقال : نعوذ بالله من العقر! فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا : كربلاء، قال : أرض كرب وبلاء».

(٣) في معجم البلدان ٣ : ٣٣١ : «شراف، بفتح أوّله، وآخره فاء، وثانيه مخفف: فعال من الشرف، وهو العلو، قال نصر : ماء بنجد له ذكر كثير في آثار الصحابة ابن مسعود وغيره، قال الشماخ : مرت بنعفي شراف وهي عاصفة، وقال أبو عبيد السكوني : شراف بين ⇐

وامّا عذُيب: فهو تصغير (عَذِبْ) بمعنى الحلو، وهو واقع بين القادسيّة والمغيثة وكانت القادسية تُسمّى حينئذٍ بالرحبة[١]، ويقال: إنّ فيها مدفن القاسم ابن الحسن عليه السلام[٢].

⇨

واقصة والقرعاء على ثمانية أميال من الأحساء التي لبني وهب، ومن شراف إلى واقصة ميلان، وهناك بركة تعرف باللوزة، وفي شراف ثلاث آبار كبار رشاؤها أقلّ من عشرين قامة، وماؤها عذب كثير، وبها قلب كثيرة، طيّبة الماء، يدخلها ماء المطر، وقيل : شراف استنبطه رجل من العماليق اسمه شراف، فسمّي به».

(١) في معجم البلدان ٣ : ٣٣ : «رحبة، بضم أوّله، وسكون ثانيه، وباء موحدة : ماء لبني فرير بأجإ.

والرحبة أيضاً : قرية بحذاء القادسية، على مرحلة من الكوفة على يسار الحجّاج إذا أرادوا مكّة، وقد خربت الآن بكثرة طروق العرب؛ لأنّها في ضفة البر ليس بعدها عمارة.

قال السكوني : ومن أراد الغرب دون المغيثة، خرج على عيون طف الحجاز فأوّلها عين الرحبة، وهي من القادسية على ثلاثة أيّام، ثمّ عين خفية».

(٢) لم أجد من ذكر أنّ مدفنه كان في العذيب، بل الإمام الحسين عليه السلام كان يجمع الشهداء الذين كانوا يسقطون في ساحة المعركة إلى خيمة خاصّة لشهداء بني هاشم أو جميع الشهداء، ولعلّه لإمكان التعرّف عليهم؛ لأنّ الإمام عليه السلام كان يعلم أنّ رؤوس الشهداء سوف تقطع ممّا سيؤدّي إلى صعوبات في تمييز هويتهم، كما يذكر الطبري ٤ : ٣٤١ إذ يقول عند ذكره استشهاد علي بن الحسين الأكبر : «وأقبل الحسين إلى ابنه وأقبل فتيانه إليه فقال: احملوا أخاكم، فحملوه من مصرعه حتىّ وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه».

وما ذكره الطبري ٤ : ٣٤٢ في الحديث عن استشهاد القاسم ابن الإمام الحسن عليه السلام : «... ثمّ احتمله، فكأنّي أنظر إلى رجلي الغلام يخطّان في الأرض، وقد وضع الحسين صدره على صدره، قال: فقلت في نفسي: ما يصنع به، فجاء به حتّى ألقاه مع ابنه علي بن الحسين».

⇦

وتبعد القادسيّة عن المغيثة بأربعة أميال، وبين القادسيّة وكربلاء اثنان وثلاثون ميلاً. وهذه الفاصلة معروفة بوادي بني تميم، وهي أوّل منازل حجيج العراق والكوفة[1].

وأمّا التفصيل في دفن الجسد الشريف للقاسم عليه السلام فسيذكر في المجلّد الثاني، مع تفاصيل قضيّة حمل الرأس الشريف له عليه السلام، فقد نُقل إلى أرض الري ودفن في (الشميرانات) المسمّاة بشميرانات طهران، كما نقل عن الكتب النفيسة.

⇨

ومن ثمّة كي يسهل التعرف عليهم ودفنهم، قال المفيد في الإرشاد ٢ : ١١٤ : «وحفروا للشهداء من أهل بيته وأصحابه الذين صرعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام، وجمعوهم فدفنوهم جميعاً معاً...».

ويقول في موضع آخر ٢ :١٢٥ ـ ١٢٦ : «... والقاسم وأبو بكر و عبد الله بنو الحسن بن علي عليهم السلام... كلّهم مدفونون ممّا يلي رجلي الحسين عليه السلام في مشهده، حفر لهم حفيرة وألقوا فيها جميعاً وسوّي عليهم التراب... ».

ويقول المسعودي : في مروج الذهب ٣ : ٦٣: «ودفن أهل الغاضرية –وهم قوم من بني عامر، من بني أسد – الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم».

(١) في معجم البلدان ٤ : ٩٢: « العذيب : تصغير العذب: وهو الماء الطيب، وهو ماء بين القادسية والمغيثة، بينه وبين القادسية أربعة أميال، وإلى المغيثة اثنان وثلاثون ميلاً، وقيل : هو واد لبني تميم، وهو من منازل حاج الكوفة، وقيل : هو حدّ السواد، وقال أبو عبد الله السكوني : العذيب يخرج من قادسية الكوفة إليه، وكانت مسلحة للفرس، بينها وبين القادسية حائطان متصلان بينهما نخل، وهي ستة أميال، فإذا خرجت منه دخلت البادية ثمّ المغيثة ».

وأمّا القادسيّة: فهي طولاً تسعة وتسعون درجة، وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وفيها على مسافة أربعة أميال عين عذبة.

وسمّيت بالقادسية؛ لأنّ إبراهيم الخليل عليه السلام مرّ عليها وشرب من مائها وأعجبه مناخها، فقال: قدّست من أرض[1].

وأمّا قصر بني مقاتل: فيفصل بينه وبين السلام والقطقطانيّة ميل واحد، وقد نسبت هذه القرى إلى مقاتل بن حسّان، وكان متنزّهاً لكبراء القبائل العربيّة والكوفيّة[2].

---

(١) في معجم البلدان ٤ : ٢٩١ : «القادسية : قال أبو عمرو : القادس السفينة العظيمة، قال المنجمون : طول القادسية تسع وستون درجة، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثا درجة، ساعات النهار بها أربع عشرة ساعة وثلثان، وبينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العذيب أربعة أميال.

قيل : سمّيت القادسية بقادس هراة، وقال المدائني : كانت القادسية تسمّى قديساً، وروى ابن عيينة قال : مر إبراهيم بالقادسية فرأى زهرتها ووجد هناك عجوزاً، فغسلت رأسه، فقال : قدست من أرض، فسمّيت القادسية.

وبهذا الموضع كان يوم القادسية بين سعد ابن أبي وقاص والمسلمين والفرس في أيّام عمر ابن الخطّاب في سنة ١٦ من الهجرة، وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر ينظر إليهم، فنسب إلى الجبن».

(٢) في معجم البلدان ٤ : ٣٦٣ : «قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام، وقال السكوني : هو قرب القطقطانة وسلام ثمّ القريات، وهو منسوب إلى مقاتل بن حسّان بن ثعلبة بن أوس بن إبراهيم بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيد مناة بن تميم ».

وفي هذا المكان عندما نزل الإمام الحسين عليه السلام في قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب،

⇦

وأمّا بطن الرمّة: فهو اسم لوادي قفر، لا ماء فيه ولا زرع، وهو المنزل الثالث لحجيج أهل العراق، ويتصل بحدود نجد، وكانت تسمّى في ذلك العصر بلُصف، وتفصل عن القادسية بثلاثة منازل، وكان الحجّاج في مسيرهم يحملون معهم الماء[١].

وأمّا خَفّان: فهو موضع بقرب الكوفة، يمرّ منها الحجّاج بعض الأحيان[٢].

وأمّا مدينة الكوفة: فهي منطقة واسعة ومعروفة ببابل، ومن سواد العراق وكانوا أهل الغدر والنفاق.

⇨

ورمح منصوب، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذوده، فقال الحسين عليه السلام: لِمَنْ هذَا الْفُسْطاطُ؟

فقيل: لرجل يقال له عبيد الله بن الحرّ الجعفي، فطلب منه الإمام النصر فلم ينصره.

انظر: الأخبار الطوال: ٢٥٠، أنساب الأشراف ٣: ١٧٤، تاريخ الطبري ٤: ٣٠٧.

(١) في معجم البلدان ١: ٤٤٩، وانظر: ٣: ٧١: « بطن الرمّة، بضمّ الراء، وتشديد الميم، وقد يقال بالتخفيف، وقد ذكر في الرمة: وهو واد معروف بعالية نجد، وقال ابن دريد: الرمّة: قاع عظيم بنجد تنصب إليه أودية ».

(٢) في معجم البلدان ٢: ٣٧٩: « خفّان، بفتح أوّله، وتشديد ثانيه، وآخره نون: موضع قرب الكوفة يسلكه الحاج أحياناً، وهو مأسدة، قيل: هو فوق القادسية، قال أبو عبيدة السكوني: خفان من وراء النسوخ على ميلين أو ثلاثة، عين عليها قرية لولد عيسى بن موسى الهاشمي تعرف بخفان، وهما قريتان من قرى السواد من طفّ الحجاز، فمن خرج منها يريد واسطاً في الطفّ خرج إلى نجران، ثمّ إلى عبدينيا وجنبلاء، ثمّ قناطر بني دارا وتل فخار، ثمّ إلى واسط، وقال السكري: خفان وخفية أجمتان قريبتان من مسجد سعد بن أبي وقاص بالكوفة».

يقول أبو بكر محمّد بن قاسم: سمّيت الكوفة لأنّ العرب كانت تكثر من قول: رأيت كُوفاناً وكوفاناً، وهي كناية عن تكوّف الرمل تكوّفاً، أي اجتماعه عند هبوب الرياح الشديدة بحيث يكون كالتل.

وكانت الناس تجتمع فيها كاجتماع الرمل، وهي كناية عن الشر، ولذا قالوا: أخذت الكوفة من الكوفان، أي من الابتلاء بالشرّ.

وأمّا طول الكوفة فهو تسع وتسعون درجة ونصف، وعرضها واحد وثلاثون درجة وثلثان، وجاء في الإقليم الثالث: إنّ عبدة بن الطيّب سماها بكوفة الجند، وقال:

إنّ التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند غالت ودّها غول[1]

وأمّا تمصيرها فقد كانت في عهد عمر بن الخطّاب في سنة إعمار مدينة البصرة، وفي سنة سبع عشرة للهجرة.

ينقل علي بن الحسين بن صبيح البزاز: أنّه سمع بشر بن عبد الوهّاب القرشي، الذي ورد دمشق الشام، ثمّ شرح كيفيّة اتساع الكوفة فقال: إنّ مساحة مدينة الكوفة تبلغ ستة عشر ميلاً وثلثين، ويقطنها خمسون ألف بيت من قبيلتي ربيعة ومضر، وعشرون ألفاً من سائر العرب، وستة آلاف من أهل اليمن، وقد سمعت هذه الحكاية منه سنة ثلاثمائة وأربع وعشرين.

---

(١) أنشد أبو زيد في نوادره هذا البيت لعبدة بن الطيّب.
انظر: معجم البلدان ٤: ٤٩٠.

ولكن الشعبي يقول: عددّت نفوس أهل اليمن ذات يوم بأمرٍ من الخليفة فكانوا اثني عشر ألفاً، وكانوا شجعاناً، وكان منهم في الكوفة قبيلة نزار، وهي ثمان ألف نسمة.

[فضل مسجد الكوفة]

وأمّا المسجد الأعظم في الكوفة، فقد جاء في فضل هذه البقعة وشرفها كثير من الروايات، وما لا يحصى من الأخبار، من المخالف والمؤالف:

منها ما روى حبّة العرنيّ، فقال: كنت يوماً عند أمير المؤمنين عليه السلام أيّام خلافته، فدخل عليه شخص، ثمّ سلّم وقال: جعلتُ فداك، هذا زادي وهذه راحلتي، وأنّي قاصدٌ بيت المقدس.

فقال الإمام عليه السلام: «أنفق زادك وبع راحلتك وابق في هذا المسجد ـ أيّ مسجد الكوفة ـ؛ لأنّه الأعظم، وهو أحد المساجد الأربعة التي تعادل الركعة الواحدة فيها ألف ركعة». فتعجّب من قوله عليه السلام.

ثمّ قال عليه السلام: «في هذا الموضع فار التنور، وفي الاسطوانة الخامسة منه موضع صلّى فيه إبراهيم الخليل، وقد صلّى فيه ألف نبيّ وألف وصيّ، وأنا أحد هؤلاء الأوصياء، وصيّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وأحد عشر من أولادي كلّهم أوصياء، وفي هذا المسجد هلك يغوث ويعوق، والفاروق، وسر من هذا المسجد إلى الأهواز،، وهذا المسجد مصلّى نوح عليه السلام.

وسيُحشر من هذا المسجد يوم القيامة سبعون ألف نسمة، فيدخلون الجنّة بغير حساب. وهذا الموضع بقعة من الجنّة، ومنه تنبع ثلاثون عيناً تزيل النجاسة وتطهّر المؤمن. ولو يعلم خلق الله شرف وفضل هذه البقعة لقصدوها من شرق الأرض وغربها، واختاروها اشتياقاً وحبّاً لها[1].

(١) في معجم البلدان ٤ : ٤٩٠ ـ ٤٩٤ : «الكوفة، بالضم : المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، ويسمّيها قوم: خد العذراء، قال أبو بكر محمّد بن القاسم : سمّيت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب : رأيت كوفاناً وكوفانا، بضم الكاف وفتحها، للرميلة المستديرة، وقيل : سمّيت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قولهم : قد تكوف الرمل.

وطول الكوفة تسع وستون درجة ونصف، وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان، وهي في الأقليم الثالث، يتكوف تكوفا إذا ركب بعضه بعضاً.

ويقال : أخذت الكوفة من الكوفان، يقال : هم في كوفان، أي في بلاء وشر، وقيل : سمّيت كوفة؛ لأنّها قطعة من البلاد، من قول العرب : قد أعطيت فلاناً كيفة، أي قطعة.

ويقال : كفت أكيف كيفا: إذا قطعت، فالكوفة قطعة من هذا انقلبت الياء فيها واواً؛ لسكونها وانضمام ما قبلها.

وقال قطرب : يقال: القوم في كوفان في أمر يجمعهم.

قال أبو القاسم : قد ذهبت جماعة إلى أنّها سمّيت كوفة بموضعها من الأرض، وذلك أنّ كلّ رملة يخالطها حصباء تسمّى كوفة.

وقال آخرون : سمّيت كوفة؛ لأنّ جبل ساتيدما يحيط بها كالكفاف عليها.

وقال ابن الكلبي : سمّيت بجبل صغير في وسطها كان يقال له: كوفان، وعليه اختطت مهرة موضعها، وكان هذا الجبل مرتفعاً عليها فسمّيت به، فهذا في اشتقاقها كاف، وقد سمّاها عبدة بن الطبيب كوفة الجند فقال :

إن التي وضعت بيتا مهاجرة   بكوفة الجند غالت ودها غول

وأمّا تمصيرها وأوليته فكانت في أيّام عمر بن الخطاب، في السنة التي مصّرت فيها البصرة، وهي سنة ١٧، وقال قوم : إنّها مصّرت بعد البصرة بعامين في سنة ١٩، وقيل سنة ١٨...

⇦

⇨

وكتب عمر بن الخطّاب إلى سعد: أن اختط موضع المسجد الجامع على عدة مقاتلتكم، فخطّ على أربعين ألف إنسان، فلمّا قدم زياد زاد فيه عشرين ألف إنسان، وجاء بالآجر وجاء بأساطينه من الأهواز.

قال أبو الحسن محمّد بن علي بن عامر الكندي البندار: أنبأنا علي بن الحسن بن صبيح البزاز قال: سمعت بشر بن عبد الوهاب القرشي - مولى بني أمية، وكان صاحب خير وفضل، وكان ينزل دمشق - ذكر أنّه قدّر الكوفة فكانت ستة عشر ميلاً وثلثي ميل، وذكر أنّ فيها خمسين ألف دار للعرب من ربيعة ومضر، وأربعة وعشرين ألف دار لسائر العرب، وستة آلاف دار لليمن، وأخبرني بذلك سنة ٢٦٤.

وقال الشعبي: كنا نعدّ أهل اليمن اثني عشر ألفاً، وكانت نزار ثمانية آلاف، وولّى سعد بن أبي وقاص السائب بن الأقرع وأبا الهياج الأسدي خطط الكوفة، فقال ابن الأقرع لجميل ابن بصبهري دهقان الفلوجة: اختر لي مكاناً من القرية، قال: ما بين الماء إلى دار الإمارة، فاختط لثقيف في ذلك الموضع...

وأمّا مسجدها، فقد رويت فيه فضائل كثيرة، روى حبّة العرني، قال: كنت جالساً عند علي عليه السلام، فأتاه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، هذه راحلتي وزادي، أريد هذا البيت، أعني بيت المقدس.

فقال عليه السلام: كل زادك وبع راحلتك وعليك بهذا المسجد، يعني مسجد الكوفة، فإنّه أحد المساجد الاربعة، ركعتان فيه تعدلان عشراً فيما سواه من المساجد، والبركة منه إلى اثني عشر ميلاً من حيث ما أتيته، وهي نازلة من كذا ألف ذراع.

وفي زاويته فار التنور، وعند الأسطوانة الخامسة صلّى إبراهيم عليه السلام، وقد صلّى فيه ألف نبي وألف وصّي، وفيه عصا موسى وشجرة اليقطين، وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الفاروق، وفيه مسير لجبل الأهواز، وفيه مصلّى نوح عليه السلام، ويحشر منه يوم القيامة سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ووسطه على روضة من رياض الجنّة، وفيه ثلاث أعين من الجنة تذهب الرجس وتطهّر المؤمنين، لو علم الناس ما فيه من الفضل لأتوه حبواً...».

[رؤيا سادن الحرم الحسيني في فضل الحرم الحسينيّ]

عند لقاء الشاعر الفرزدق بالإمام الحسين عليه السلام في طريقه إلى كربلاء، سأل الإمام عليه السلام عن سبب خروجه، فقال عليه السلام: إنّ يزيد أرسل ثلاثيناً من شياطين بني أمّية، وأمرهم أن يحملوا السلاح تحت إحرامهم، ثمّ يقتلونني في الحرم الشريف غيلة، ويسفكون دمي وأنا غريب، وإنّما خشيت أن تهتك حرمة الحرم الشريف وبيت الله بقتلي[1].

---

(١) روى المجلسي في البحار ٤٥ : ٩٩ : « ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة: أنّ يزيد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص في عسكر عظيم، وولاّه أمر الموسم، وأمرّه على الحاج كلّهم، وكان قد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً، وإن لم يتمكّن منه يقتله غيلة، ثمّ إنّه دسّ مع الحاجّ في تلك السنة ثلاثين رجلاً من شياطين بني أميّة، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام على أيّ حال اتفق، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك، حلّ من إحرام الحجّ، وجعلها عمرة مفردة».

ورواه القندوزي في ينابيع المودة ٣ : ٥٩.

وقال المفيد في الإرشاد ٢ : ٦٧ : «فروي عن الفرزدق الشاعر أنّه قال : حججت بأمّي في سنة ستّين، فبينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين بن علي عليهما السلام خارجاً من مكّة معه أسيافه وتراسه، فقلت : لمن هذا القطار؟

فقيل : للحسين بن علي.

⇦

فانظر إلى هذه الدرجة من الإخلاص والعبودية الحسينيّة، وإلى الكرم والجود الإلهي، فإنّ الله عوّض هذا الحرم بأن جعله أفضل من الكعبة، فإنّ الركعة الواحدة في حرم الكعبة تعادل ألف ركعة في غيره، وفي الحرم الحسيني تعادل الركعة الواحدة ألف ألف ركعة في غيره[1].

⇨

فأتيته فسلّمت عليه، وقلت له: أعطاك الله سؤلك وأملك فيما تحبّ، بأبي أنت وأمي يا بن رسول الله، ما أعجلك عن الحجّ؟

فقال : «لو لم أعجل لأخذت» ثمّ قال لي : «من أنت؟»

قلت : امرؤ من العرب، فلا والله ما فتشني عن أكثر من ذلك، ثمّ قال لي : «أخبرني عن الناس خلفك»؟

فقلت : الخبير سألت، قلوب الناس معك وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال : «صدقت، لله الأمر، وكلّ يوم ربّنا هو في شأن، إن نزل القضاء بما نحبّ، فنحمد الله على نعمائه، وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحقّ نيته والتقوى سريرته».

فقلت له : أجل، بلغك الله ما تحبّ وكفاك ما تحذر، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك فأخبرني بها، وحرّك راحلته وقال : «السلام عليك» ثمّ افترقنا ».

وذكره ابن أعثم في الفتوح ٥ : ٧١، والخوارزمي في مقتله ١ : ٣١٩، والطبري في تاريخه ٤ : ٢٩٠، باختلاف يسير، ومختصراً في مناقب ابن شهرآشوب ٣ : ٢٤٥.

(١) كامل الزيارات: ٥٩، الباب ٤، الحديث ٢ و٤، التسلسل ٣٨ و٤٠ : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلاة في مسجدي تعدل ألف صلاة في غيره، وصلاة في المسجد الحرام تعدل ألف صلاة في مسجدي». وانظر الحديث١ و ٤ و ٥ من هذا الباب.

وبهذا المضمون روايات أخرى رواها الكليني في الكافي ٤ : ٥٥٥، باب المنبر والروضة ومقام النبّي صلّى الله عليه وآله، الحديث ٨ و١٠.

⇦

ولو أدخلت جنازة العاصي إلى الحرم الحسينيّ، فإنّ صاحبها آمن من العذاب الأخروي وجميع أخطاره.

وقد اتضح لي ممّا تتبّعتُ من الأخبار واكتشفتُ، أنّ كلّ واحد من حريم الأئمة الأطهار عليهم السلام وحضرة الرسول المختار صلى الله عليه وآله له خاصيّة تختصّ به، وقد استُجمعت هذه الخواص جميعاً في الحرم الحسيني(١).

ونقل أحد الثقات: أنّه لمّا كانت سدانة الروضة الحيدريّة بيد شخص من سلالة السادات العلويّة، وكان معروفاً بكثرة عبادته وزهده، رأى ليلةً في عالم الرؤيا أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول له: سيُؤتى غداً بجنازة بهذا الاسم والرسم، فاخرج إلى باب البلد وامنع من دخولها ودفنها في وادي السلام؛ لأنّ صاحبها كثير الذنوب، وفي ذمّته حقوق للعباد.

⇦

وروى الكليني في الكافي أيضاً ٤: ٥٢٦، باب فضل الصلاة في المسجد الحرام وأفضل بقعة فيه، الحديث ٥ و٦: عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: «الصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة».

وفيه أيضاً ٤: ٥٥٦، الحديث ١١و١٢: هارون بن خارجة قال: «الصلاة في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله تعدل عشرة آلاف صلاة».

وانظر: وسائل الشيعة ٥: ٢٧١ ـ ٢٧١، الأحاديث

وأمّا ما ورد في زيارة الإمام الحسين عليه السلام ففي كامل الزيارت ١٧٦، الباب ٢٧، الحديث ١٧، التسلسل ٢٣٧: «وكّلَ الله بقبر الحسين عليه السلام سبعين ألف ملكاً، شعثاً غبراً يبكونه إلى يوم القيامة يصلّون عنده، الصلاة الواحدة من صلاتهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب صلاتهم وأجر ذلك لمن زار قبره».

(١) وبهذا المضمون روايات أخرى: ص ٢٣٥، الباب ٤٢، الحديث ١و٢، التسلسل ٣٤٩، ٣٥٠.

فتوجّه السادن ممتثلاً الأمر، وخرج في الغد إلى خارج المدينة مصطحباً معه جماعة من الأخيار وكبار السنّ من الخَدَمة، حتّى أتوا على باب المدينة فلم يروا للجنازة أثراً.

وفي الليلة الثانية تكرّرت الرؤيا أيضاً، فرأى السيّد الجليل أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقول له: إذا صار الغد فأُخرج بهيئة ومظهر جليل، واصحب معك الصلحاء من الخدم واسعوا إلى تشييع الجنازة المعهودة بكمال الاحترام، ثمّ ادفنوها في الرواق.

فقال السيّد: جعلتُ فداك، إنّ صاحب هذه الجنازة كان مغضوباً عليه بالأمس، فكيف صار محبوباً اليوم؟

فقال المولى عليه السلام: إنّ حاملي هذه الجنازة قد أضلّوا الطريق بالأمس فمرّوا بها على كربلاء، فلمّا دخلوا حرم ولدي الحسين عليه السلام غفر الله لهذا العاصي ذنوبه ما كان منها راجعاً إلى حقّ الله، وأمّا ما كان من حقّ الناس فإنّ الله تعالى سيعوّض أهلها حتّى يرضَوا فيعفوا عنه.

ثمّ قال: لا تعجب يا ولدي، إنّ جدّك أمير المؤمنين عليه السلام عبد الله في ستة مواضع، وثواب كلّ موضع منها أفضل من عبادة الثقلين، لقد بتُّ على فراش النبيّ صلى الله عليه وآله ليلةً لو شئت لاشتريتُ جميع مظالم العباد بأجر نَفسٍ واحدٍ من أنفاسها.

[حديث في فضل الشيعة]

ويؤيّد هذا القول ما جاء في الحديث المعتبر: أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أتى منزل علي عليه السلام وهو متبّسماً، ثمّ قال: يا علي، الآن هبط عليَّ جبرئيل وبلّغني ـ من جانب الله تعالى ـ السلام عليك وقال: أخبر علياً أنّ شيعته جميعاً من أهل الجنة. فسجد أمير المؤمنين عليه السلام سجدة شكرٍ، ثمّ رفع رأسه وقال: يا رسول الله، اشهد لي أنّي قد وهبَت نصَف حسناتي إلى شيعتي.

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا علي، وأنا أيضاً قد وهبُت نصَف حسناتي لشيعتك.

ثمّ قالت الحوراء الأنسيّة، ثالثة الشمس والقمر، أمّ الأئمة الغرر: يا أبة، وأنا أيضاً وهبُت نصف حسناتي لشيعة ابن عمّي.

ثمّ قال الإمام الحسن والسيّد الممتحن عليه السلام: يا جدّاه، وأنا أيضاً وهبتُ نصف حسناتي لشيعة أبي.

ثمّ قال محبوب القلوب، ومعشوق الأرواح، والشمعة المضيئة التي تذهب نفسها وتنير الدرب للآخرين وتجذبهم إليها، فيحومون حولها، سيّد

المظلومين، إمام العطاشى، أبو عبد الله الحسينعليه السلام: يا جدّاه، وأنا أيضاً أهب نصف حسناتي لشيعة أبي.

ثمّ قال الأمين جبرئيل: يا رسول الله، إنّ علياً معلّمي، و(من علمني حرفاً فقد صيّرني عبداً) فله عليَّ حقّ التعليم، ولمّا خلقني الحقّ تعالى قال: من أنا ومن أنت؟

فقلت جهلاً: أنا أنا وأنت أنت، فاحترق أطول ريش في جناحي ببرق الحميّة، وبقيتُ ثمانين ألف سنة في وادي الهجران تائهاً وحيراناً، حتّى تجلّى لي أمير المؤمنينعليه السلام، فقال: قل أنت الربّ الجليل، واسمك جليل، وأنا العبدُ الذليل، واسمي جبرئيل.

ثمّ قلت ما قال لي، فرجعت إلى مقامي وعرجتُ إليه، وشكراً لحقّ تعليمه لي، فسأهب نصف عبادة عمري إلى شيعة عليعليه السلام.

فقال النبيّصلى الله عليه وآله: كم عمرك يا جبرئيل؟

فقال: يا رسول الله، لقد خرج عن حدّ الإحصاء، ولكن هناك في جانب العرش نجم يطلع في كلّ ثلاثة آلاف سنة مرّة واحدة، ولقد شاهدته ثلاثة آلاف مرّة.

فقال النبيصلى الله عليه وآله: أتعرف هذا النجم لو عُرض عليك؟

فقال: يا رسول الله، وكيف لا أعرفه، وقد رأيته ثلاثة آلاف مرّة.

فمدّ النبيّصلى الله عليه وآله يده إلى عمامة أمير المؤمنينعليه السلام ورفعها، وإذا بنور ذلك النجم يسطع ويلمع من جبينه الشريف مشرقاً.

[الفروع الفقهيّة في أحكام الحرم]

والخلاصة : إنّ الله قد حكم أن لا يُقتصّ من الجاني ولا يحدّ ولا يُعزّر في الحرم، إلّا أن تكون الجناية في الحرم، فيمكن إقامة الحدّ عليه فيها.

ولو كانت الجناية خارج الحرم، والتجأ الجاني إليه، فهو آمن، ولكن لا يعطى من القوت إلّا ما يُسدّ به الرمق حتّى لو كان المعطى من ماله حتّى يخرج من الحرم، فلو خرج منه أقيمت عليه الحدود الشرعية.

ويردُ هنا إشكال لم يتعرّض له أغلب الفقهاء، وسنجيب عليه ونحلّه؛ كي ينتفع به القارئ، وهو : أنّ أغلب الفقهاء (رضوان الله عليهم) لم يذكروا الحدّ والمقدار في سدّ الرمق، وما يظهر من الأخبار أنّه ربع قوت ما للإنسان، والأعاظم من الأطبّاء ما بين القابض والباسط في ذلك، أمثال ابن سينا، ومحمّد ابن زكريا، وجالينوس، فقد صرّحوا بهذا المقدار في كتبهم.

وحيث إنّ الكلام يجرّ الكلام في المقام، فلنذكر له أشباهاً ونظائر لا تخلو عن إشكال وإعذال، ولم يطّلع عليها إلّا واحد بعد واحد من فحول الرجال، فقد جاء في المثل السائر: الشيء بالشيء يُذكر.

قال الشاعر:

دهتني خُطوب أذهلتني عن الذي   تمنّيتها انسانُ عيني تنظرُ
فلمّا رأيتُ البدرَ في الأفقِ بازغاً   تذكّرتها والشيء بالشيء يُذكر

ولنذكر تلك المسائل المفصلة في ضمن عدة أسئلة:

السؤال الأوّل: قالوا: لو شكّ المصلّي في عدد الركعات فعليه أن يتروّى بمقدار، فلو حصل له الظنّ يعمل به، و إلّا فتجري عليه أحكام الشك، ولكن ما هو المقدار الكافي للتروّي؟ فلم يتطرّق الفقهاء لذلك، والجواب: أنّه بمقدار ذكر (سبحان الله ثلاث مرات).

السؤال الثاني: وجواب آخر، قال الفقهاء: لو تعدّى الغائط عن المخرج فلا يكفي في تطهيره المسح بالأحجار وشبهها، ومقدار التعدّي الفاحش هو: ما زاد عن الدرهم البغلي، والدرهم البغلي ما كان بقدر أنملة السبّابة.

السؤال الثالث: اشترط بعض الفقهاء في التذكية، واعتبروا استقرار الحياة في ما يراد تذكيته، ولكنّهم لم يذكروا المدّة في ذلك؟

والجواب: إنّ المدّة التي يُعتبر فيها استقرار الحياة، هي ثلاثة أيّام على الأقل.

والخلاصة: إنّك علمتَ حكمَ الله بالنسبة للحرم، فهل تُلحق المشاهد المشرّفة بالحرم الإلهي؟ ولو التجأ الجاني إلى أحدها، وكانت جنايته في خارجها، فهل يكون مؤموناً من العقاب فيها؟

الأقوى ذلك، بل استُفيد من الأخبار أنّ حرمة المشاهد المشرّفة أشدّ من حرمة الكعبة.

قال الشهيد في اللمعة ـ بعد ذكر حكم الحرم ـ: وألحق به بعض مشاهدهم ـ النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ـ بإطلاق الحرم عليها في بعض الأخبار، ويليق أن يقال: إنّه يجري على المشاهد حكم مسجد مكّة المكرّمة من حرمة دخول الجنب والحائض والنفساء ولو اجتيازاً، ومن هدر دم المحدث فيها كالمحدُث في الكعبة المحترمة، ثمّ أنهى مواضع هدر الدم إلى ثلاثين موضعاً.

[مواضع هدر الدم]

ويعجبني أن أذكرها مفصّلاً، إذ لم أرَ في كتب القوم من أنهاها إلى هذا المقدار، بل ولا إلى نصفه أو ثلثه، فلا يخلو من غرابة ونظارة ولطافة.

عُدَّ ثلاثون دماؤهم هدَر ... قاتلُ نفسهِ وحربيّ كَفَر
والولدُ المقتوُل لا وراث لهُ ... سوى الأب الذي خطأً قَتَله
كذاك كان في قصاصٍ أو بحدّ ... أو يُقتل الفِطريّ ما ارتدّ
وراكبُ منقلب عن مركبِ ... بلا إشارة المكاري الصاحبِ
أو غيره مقتولُ مجنونٍ إذا ... كان به عابثاً أيضاً هكذا
وواقعٌ في البئر أو في معدنِ ... وشاهرٍ بسيفهِ في المدنِ
ومُحدثٌ في الكعبة المحترمة ... وصادم مات إذا من صَدَمه
في الموضع المباح كان واقفاً ... ومن يعضُّ الكلبُ ليلاً أتلفا
أو يوماً إن بغير إذن دخلا ... كذاك سارقٌ دفاعاً قُتلا
وقتلُ مَن سبَّ النبيَّ الهادي(صلى الله عليه وآله) ... أو أحداً من ولدهِ الأمجادِ
كذاك مقتولُ دفاعاً إذ هجم ... يطلبُ نفساً أو متاعاً مُحترم
ومن على عوراتِ قومٍ يطّلعُ ... وجائر بغيره لا يندفع
ومسلمٌ بالمشركين اختلطا ... فالمسلمون قتلوه بالخطا

إن لـــم يكـــن بينهمـــا ميثـــاق　　فمالَـــه مـــن ديّـــةٍ تُســـاق
وهكـذا المقتـولُ فـي رِجْـلِ فَـرَس　　صـاحُبه يمشـي وذلـك قـد رَفَـس
مقتـــول فحـــل الإبـــل إن　　فـــي الابتـــداء صـــاحبه لـــم يعلـــم

هذا جملة ممّا ذكر من الأحكام المعنونة والأسئلة، إنّما الأعمال بالنيات.

[الاستشفاء بتربة الحسين عليه السلام]

وكون التربة الشريفة شفاءً تابع لجعل الجاعل، ولذا جاء في الروايات الكثيرة: أنّ لها حدوداً وقيوداً عند استعمالها. وقد ورد في كتب الأدعية والسنن: أن يكون الشخص الآخذ منها على طهارة، سواءٌ قبل أخذها أو حينه، وللأخذ منها صلاة مخصوصة.

ولابدّ أن يقبض من التربة ثلاث قبضات، وتكون كلّ قبضة بمقدار سبعة مثاقيل، لا أكثر ولا أقل، فلو كان كذلك كانت الكبريت الأحمر، الذي جعل الله تعالى فيه الشفاء.

ولابدّ أن توضع تلك التربة في قارورة ويُختم عليها بخاتم مخصوص، مكتوب عليه: (ما شاء الله، لا قوة إلّا بالله، استغفر الله).

ويُعطى منها عند الضرورة للمريض بمقدار حمصة، ولا تمسّ التربة بدون طهارة؛ لأنّها ستفقد خاصيّتها.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «ألا تنظر إلى الحجر الأسود، كان أبيض من الفضّة الصافية، ولكنّه لما مسّته يد المشركين تكدّر صفاؤه وصار أسوداً».

وكذلك التربة المقدّسة، لو مسّها مَن لم يكن على طهارة، فسوف يتكدّر صفاؤها الباطني.

قال أحد حملة الأسرار والعلماء الأبرار: تشرّفتُ أكثر من مرّة بالحضور عند حرم الحسين عليه السلام حين تعميره، وأخذت من التربة المقدّسة، مع مراعاة الآداب الشرعيّة لذلك، وحينما وزنت المقدار رأيته لم يكن سبعة مثاقيل بالدقّة، فغمرني اليأس.

حتّى حدث إعمار آخر في الحرم الشريف بعد سنوات، فأخذتُ من التربة مع كامل الدقّة ومراعاة الشرائط والآداب، وكانت ليلة الجمعة في منتصفها، فأخذتُ التربة ووضعتها في منديل، ثمّ ختمت عليه، فلمّا أصبح الصباح أتيت المكتبة وأعطيت التربة للوزّان، وإذا بها خمسة مثاقيل وست حمّصات، فتأسّفت وتأثّرت كثيراً.

ثمّ أطرقت أتفكّر، فأخذتني إغفاوة، فرأيت في عالم الرؤيا أنّي قد تشرّفت بزيارة شمس جمال الدنيا، والولاية المطلقة، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فتلطّف عليّ وقال: ممَ حزنك وانكسارك؟

فقلت: إنّي تشرّفت بحرم الحسين عليه السلام لاستخراج التربة الشريفة، وتحمّلت لذلك المشقّة الكثيرة، ولكنّي لم أجن من ذلك ثمرة، وخصوصاً في

هذه المرّة الأخيرة، فإنّي قد لاحظت الشروط وطبّقتها بكامل الدقّة والاحتياط، والتزمت بالآداب، ومع ذلك لم أحصل عل المقدار المعيّن للتربة.

فقال إمام الولاية المطلقة وهو مبتسم ومتعجّب: إنّ مقدارها تامّ في هذه المرّة.

فقلت: إنّ مقدارها الشرعيّ كما هو المذكور في الوسائل سبع مثاقيل، والتربة التي عندي وزنها خمس مثاقيل وست حمّصات، كما قال الوزّان.

قال: نعم يا ولدي، أنّك وزنتها صيرفيّاً وهو أزيد ولكن المراد من المثقال في الروايات هو المثقال الشرعي، وهو ثمانية عشر حمصة، والمثقال الصيرفي أربعة وعشرين حمّصة، ولمّا يصرّف خمس مثاقيل وستّ حمّصات صيرفيّة ويعادل بالشرعي، تكون النتيجة سبع مثاقيل، ولذا فمن أخذ من التربة مع مراعاة هذه الآداب والشروط وكان مريضاً فلابدّ أن يُشفى.

[التحقيق في معنى تحت القبّة]

وأمّا عنوان: «تحت القبّة» المطهّرة، الذي جاء في الخبر: «إجابة الدعاء تحت قبّته»، فلابدّ أوّلاً أن يعلم ما هو المراد من القبّة؟

والجواب: أنّ الظاهر من القبّة هو ما بُني في الآونة الأخيرة، ولكن المرويّ أنّ الله تعالى شيّد بقدرته الكاملة، وبعد استشهاد سيّد الشهداء عليه السلام فوق قبره الشريف قبةً من الياقوت الأحمر، وعبارة: «استجابة الدعاء تحت قبّته» تشير إلى هذه القبّة.

فلو قال أحد: طالما دعونا تحت القبّة الطاهرة فلم يستجب لنا؟

فنقول في مقام الجواب:

أولاً: إن الحكمة الإلهيّة لا تقتضي الاستجابة للدعاء وقضاء الحوائج في مكان وزمانٍ معيّن، وإلّا لزم من ذلك الإخلال في النظام، لاجتماع الضدّين، كما لا يخفى على ذوي العقول النيّرة، والأفهام المستنيرة، لا لذوي عقول اُلينت وأذهان عيهت.

وكذا لا تقتضي الحكمة الإلهيّة أن يكون شخص مستجاب الدعوة على الإطلاق، إلا أن يزكّي نفسه ويصل إلى مقام الولاية، ويكون من أولياء الله.

وبعبارة مختصرة وجملة واضحة: حتّى يصل إلى مقام ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[1]، وإلّا لزم اختلال النظام والهرج والمرج كما ذكرناه.

ولكن بما أنّ الظاهر عنوان الباطن والمجاز قنطرة الحقيقة، وكما أنّ سلاطين الدنيا يجعلون موضعاً خاصاً لردّ مظالم العباد وقضاء حوائج الرعيّة وحلّ مخاصماتهم، ويدعى هذا الموضع ديوان العدليّة، فمن كان له حاجة أو خصومة يرشده الناس إلى ديوان العدليّ، ويقال له: اطلب حاجتك كي تقظى.

وليس البناء أنّ كل حاجة تُقضى في هذا الديوان، بل تقضى الحوائج اللائقة بالقضاء والدعاوى التي تستحق الاستماع، فيصدر الحكم من الديوان بشأنها، وتقضى حاجة الشخص حينئذٍ، ويرفض الديوان النظر في بعض الأمور فبعض الدواوين تعطّل يوم الجمعة، وبعضها يوم السبت، والبعض الآخر يوم الأحد.

ويجعل للابتداء بالدوام ساعة محدّدة، فلا يشتغل أهل الديوان كلّ الوقت، بل هناك ساعات خاصّة في الصباح، وأُخرى في المساء.

وهكذا قد جعل الله العليّ الأعلى وملك الدنيا والعقبى، ديواناً للنظر في أمور العباد وقضاء حوائجهم، وهو عبارة عن: القبّة الحسينيّة، «وإجابة الدعاء

---

(١) التكوير (٨١): ٢٩.

تحت قبّته». والمقصود من الدعاء : هو ما كان لائقاً للاستجابة، واقتضت المشيئة الإلهيّة أن تصدر قرارها من تحت القبّة الحسينيّة.

فإذا أراد الداعي أن يدعو، فليدُع حيث كان، سواء في المشرق أو المغرب، فإنّ دعاءه لا يكون منحلاً بنظام الكون. وقد تعلّقت المشيئة بأنّ قرارها يدوّن من تحت القبّة الحسينيّة، ويختم بالختم الإلهيّ عليه، ولكن ليس في كلّ يوم وكلّ ليلة، بل في خصوص ليلة الجمعة، وليس في طوال الليل، بل في الثلث الأخير أو السدس الأخير منه.

[الحديث الوارد في فضل ليلة الجمعة]

وهذا معنى الحديث الشريف: «إنّ في ليلة الجمعة ساعة يستجاب فيها الدعاء»، أي كلّ دعاء تعلّقت باستجابته المشيئة الإلهيّة، وقد جعلت لصدور قرارها ساعة معيّنة.

ومن هنا يُحلّ الإشكال الذي أورده بعض العلماء: أنّه طالما صدر من الدعاء ليلة الجمعة، وإحياؤها من قبل الغروب حتّى طلوع الفجر الصادق، والدعاء والطلب مكرّراً من عتبة قاضي الحاجات لقضاء حاجة معيّنة، فلم نرَ أثراً للاستجابة.

وقد أُحسن جواباً: بأنّه لا محيص من معصٍ هذا العيوص إلّا أن يقال: إنّه لم تكن شرائط الإجابة موجودة.

ثمّ ردّه : بأنّ الشرائط لو كانت موجودة، لم يحتج إلى زمان مخصوص ولا مكان؛ إذ لا بخل في ساحته تعالى شأنه، فإذا كان المحلّ قابلاً، لم يتأخّر الفيض ساعة، وأنت بعد ما أحطتَ خبراً بما سطع لك من شمس الحقّ في أُفق

تحقيقاتنا، لم تحتج إلى هذه الأجوبة الباردة الكاسدة، التي ليست إلّا اختلاق، وما لها من خلاق، والله وليّ العلم والحكمة والطول والعصمة.

من در شعر نخواهم كه نويسم كه مگس

زحمتم ميدهد از بسكه سخن شيرين است[١]

[ترجمته: إنّي لا أكتب شعراً؛ لأنّ الذباب يزاحمني لشدّة حلاوة كلامي].

فإن قلت: فعلى هذا، فما الداعي إلى إتيان الحائر والدعاء تحت القبّة، مع أنّ كلّ دعاء يدعى به في المشرق والمغرب تكون استجابته من تحت القبّة، كما ذكرته؟

قلت: فرق كثير بين من بعث بعض الحال إلى المحكمة العدليّة، وبين من حظر بنفسه فيها وباشر الدّعوى بنفسه والاستدعاء بلسانه، فإنّه أقضى للحاجات وأمضى للملمّات.

---

(١) البيت للشاعر سعدي الشيرازي. انظر : غزليات سعدي، رقم٨٧.

[أحكام الحرم الحسينيّ وتحديد أبعاده]

وأمّا عنوان الحائر، فقد ذكر جماعة من أعاظم العلماء وفقهاء الإسلام (عليهم رضوان الله الملك العلّام): أنّه سمّي بالحائر؛ لأنّ المتوكل لمّا أراد تخريب القبر الحسيني الشريف، وفتح عليه الماء، حار الماء حول القبر.

ولكن وقع الاختلاف في تحديد مقدار الحائر، هل هو سبعة أذرع أو أقل أو أكثر؟ وعليه يترتّب حكم جواز الإتمام للمسافر.

فقد جاءت فتاوى العلماء الأخيار بموجب ما جاء في الأخبار، أنّ المسافر يتخيّر بين القصر والإتمام في أربعة مواضع: مسجدي مكّة والمدينة، ومسجد الكوفة، والحائر الحسيني على مشرّفه السلام.

ولكنّنا نتأمّل في وجه تسمية الحائر، وأنّ السبب ما ذكر؛ لأنّ كلمة الحائر مطلقة لا تقيّد بالأرض وإن كان حيران الماء عند القبر شيئاً ثابتاً.

أمّا الدليل على قولنا: إنّه ليس السبب الذي سمّي لأجله بالحائر، فإنّما هو ما جاء في الأخبار الكثيرة، التي تجوّز الإتمام في الحائر الشريف، فإنّها لم

تحدّد مسافة الحائر أصلاً، وعليه فيبقى مفهوم الحائر مجملاً، ويلزم البيان في ذلك، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، كما بيّن في الأصول.

وقد عدّ البعض المساجد الثلاثة من الحائر، فصار الحائر معيّناً ومبيّناً في مسجدي مكّة والمدينة والكوفة.

ولكن هذا التحديد لم يرد في الروايات، وبعد التحقيق ثبت أنّ الحائر مشتقّ من الحَوَر، بمعنى الأرض المنحدرة، كأنّها سفح التلال. ويُعلم منها أنها موضع استشهاد الحسين عليه السلام، وهي الحائر، وإذا لاحظت أطراف الحرم من داخل الصحن تجد من كلّ جهة سلّماً، وهكذا حتّى الحُجَر الموجودة في الصحن.

وعليه فيدخل جميع الصحن الشريف ـ بما فيه الحُجر ـ في الحائر، فيجوز فيه حينئذٍ الإتمام للمسافر، وليحتفظ وليتقبّل ولا يغفل، فإنّه محطّ التحقيق وعين التدقيق، والله وليّ العلم والحكمة والطول والعصمة.

وقد منع بعض العلماء الأعلام، أمثال أبي جعفر محمّد بن بابويه، من جواز الإتمام، وقال: إنّ الأخبار الآمرة بالإتمام في المواضع الأربعة المشرّفة ناظرة إلى قصد الإقامة فيها عشرة أيّام وأن لا يخرج منها قبل ذلك.

وقد أورد في الإقبال قولاً آخر لخاتم الحكماء والمجتهدين السيّد المرتضى وفخر المتقدّمين ابن الجنيد، إذ قالا به وهو:

إنّ التخيير بين القصر والتمام ثابت في جميع مشاهد الأئمّة عليهم السلام، والفضل فيها كفضل مكّة والمدينة، وقد ثبت التخيير فيها لمزيد من شرفها.

وفيه ما لا يخفى؛ لرجوعه إلى القياس، ودعوى الأولويّة القطعيّة أو تنقيح المناط دونه فرط القتاد، فلا يعلم أنّ علّة التخيير هو شرف المكان، مع تسليمنا بشرف المشاهد، فلو أهان شخص هذه المشاهد المشرّفة فإنّه يستعرّض لبلايا وإهانات دنيوية، بغضّ النظر عن العقوبة الأخروية.

[معجزة للإمام الرضا عليه السلام]

ألا تنظر إلى ملك الروس لمّا قصف القبّة الشريفة للإمام الرضا عليه السلام قبل سنوات، كيف تقطّع إرباً إرباً؟! وما طالت المدّة حتّى بدأت الحرب العامة عليه وقُتل بأسوأ قتلة، وسُلب الملك من أسرته، كما جاء على لسان العصمة، فوعد بحرب عامة وأُشير إلى هلاك الروس بهذه الحرب.

ففي طوالع الملوك، والرسالة الرمزيّة في الشجرة العثمانيّة ما هذا لفظه:

وفي سنة ألف وثلاثمائة وواحد وثلاثين يضيّق على الناس أحوالهم، ويختلف ملوكهم، وتُسفك الدماء، وتزهق النفوس، وتخرّب البيوت، ويتيتّم الأطفال، فالحذر الحذر من تلك الفتن والخلل، واختلاف الملوك والدّول.

أمّا الروس، فطالعها منحوس، وعسكرها منكوس، وملكها مأيوس، يصبها الندم بعد الاستيلاء على العجم، ويكون لها داهيتان :

احتلال بنواحي ملكه، بحيث يعجز عن مملكته.

وحروب متتابعات، تخسره أموالاً ونفوساً، ويطمع في ملكه الجرمن والنمسة، وتضرّه تركيا وقفقازيا.

وأمّا البلغار فيصاب بالفرار، والبعد عن الديار.

وأمّا إيران فيدوم احتلالها سنين، ثمّ تتّحد أركانها ويتمّ استقرارها.

[بيان مسألة عجيبة]

فإن قلت: رأيت بعض المستجدّين قد صنّف في هذه السنين تصنيفاً، ادّعى فيه أنّ البيت المنسوب إلى الرضاعليه السلام:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحّت على الأحشاء بالزفرات
علي بن موسى أرشد الله أمره وصلى عليه أفضل الصلوات(١)

إشارة إلى الحرب العموميّة، حيث إنّ مرجع قولهعليه السلام «يا لها»: ليس هو القبر؛ لتذكيره، فلابُدّ أن يكون المرجع هو أرض طوس، فيكون إشارة إلى المصائب والدواهي التي جرت في أرض طوس على أيدي جنود الروس.

قلت: هذا غلط واضح، ناشيء عن كثرة الإضاعة، وقلّة البضاعة في علم النحو، فإنّ ضمير «لها» ضمير قصّته لا مرجع له، وإنّما يفسّره ما بعده، أعني قوله: «من مصيبةٍ».

---

(١) من قصيدة لدعبل الخزاعي، قالها في الإمام الرضاعليه السلام، وتقدّم الحديث عنها مفصلاً. انظر: عيون أخبار الإمام الرضاعليه السلام ٢: ٢٩٤، الباب٦٦، الحديث٣٤.

قال الكاتبي في تلخيص المفتاح، في باب المسند إليه، بعد ذكر جملة من أحواله وعدّة من كيفيّاته: هذا كلّه مقتضى الحال، وقد يخرج الكلام على خلافه، فيوضع المضمر موضع المظهر، كقوله: «نعمَ رجلٍ» مكان: «نعم الرجل» في أحد القولين، أي في قول من يجعل المخصوص خبر مبتدأ محذوف، وقوله: «هو» أو «هي» زيد عالم، مكان الشأن أو القصّة، وذلك ليتمكّن ما يتعقّبه في ذهن السامع؛ لأنّه إذا لم يفهم منه معنى انتظره. انتهى.

[وصف العلماء]

وهذه الغلطة نظير الغلطات الصادرة عن كثيرين، وإلى أمثال هؤلاء أشار شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال: الرجال أربعة:

رجل يعلم، ويعلم أنّه يعلم، فهو عالم، فاتبعوه.

ورجل يعلم، ولا يعلم أنّه يعلم، فهو نائم، فأيقظوه.

ورجل لا يعلم، ويعلم أنّه لا يعلم، فهو جاهل، فعلّموه.

ورجل لا يعلم، ولا يعلم أنّه لا يعلم، فهو شيطان، فاجتنبوه.

انكس كه نداند ونداند كه نداند

در جهل مركّب ابد الدهر بماند[1]

[ترجمته: أي إنَّ الذي لا يعلم، ولا يعلم أنّه لا يعلم، فسوف يبقى أبد الدهر في الجهل المركّب].

---

(١) تقدّم هذا البيت سابقاً، وهو لفخر الدين محمود ابن الأمير يمين الدين المتوفي البيهقي (ت٧٤٥هـ).

انظر: ديوان ابن يمين، والكنى والألقاب ١: ٤٥٤، وإيضاح المكنون ١: ١٤٦.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

«إِنَّ أَبْغَضَ الخَلائِقِ إِلَى الله ۆ تعالى رَجُلانِ: رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ[١]، فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ[٢]، مَشْغُوفٌ[٣] بِكَلامِ بِدْعَةٍ[٤]، وَدُعَاءِ ضَلالَةٍ، فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ، ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ، مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ، رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ[٥].

وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً[٦]، مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الأُمَّةِ[٧]، غادر فِي أَغْبَاشِ[٨] الفِتْنَةِ، عِمٍ[٩] بِمَا فِي عَقْدِ الهُدْنَةِ[١٠]، قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ، مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ[١١]،

---

(١) وكله الله إلى نفسه: تركه ونفسَهُ.

(٢) جَائرٌ عن قصد السبيل ـ هنا ـ: عادل عن جادّتهِ.

(٣) المشغوف بشيء: المولع به حتى بلغ حبه شغاف قلبه، وهو غلافه.

(٤) كلام البِدْعة: ما اخترعته الأهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين.

(٥) رَهْنٌ بخطيئته: لا مخرج له منها.

(٦) قَمَشَ جهلاً: جمعه، وأصل القَمْش: جمع المتفرق.

(٧) مُوضِعٌ في جُهّالِ الأُمّة: مسرع فيها بالغش والتغرير، أوضع البعير: أسرع، وأوضعه راكبه فهو مُوضِعٌ به أي مسرع به.

(٨) أغباش: جمع غَبَش بالتحريك، وأغباش الليل: بقايا ظلمته.

(٩) عَم: وصف من العمى، والمراد: جاهل.

(١٠) عَقْدُ الهُدنة: الاتفاق على الصلح والمسالمة بين الناس.

(١١) الماءُ الآجِنُ: الفاسد المتغير اللون والطعم.

وَأَكْثَر مِن غَيْرِ طَائِل[١]، جَلَسَ بَيْنَ النَّاس قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيص[٢] مَا التَبَسَ عَلَى غيْرِهِ[٣]، فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى المُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً[٤] رَثّاً[٥] مِنْ رَأْيِهِ، ثُمَّ قَطَعَ بِهِ، فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْل نَسْجِ العَنْكَبُوتِ: لاَ يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ، إِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ.

جَاهِلٌ خَبَّاطُ[٦] جهلات، عَاش[٧] رَكَّابُ عَشَوَات[٨]، لَمْ يَعَضَّ عَلَى العِلْمِ بِضِرْس قَاطِع، يُذرِي الرِّوَايَاتِ إِذْراءَ الرِّيح الهَشِيمَ[٩]، لاَ مَلِيٌّ[١٠] ـ وَالله ـ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ، وَلاَ هُوَ أَهْلٌ لِما فُوّضَ إليه، لاَ يَحْسَبُ العِلْمَ فِي شَيْء مِمَّا أَنْكَرَهُ، وَلاَ يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاء مَا بَلَغَ منه مَذْهَباً لِغَيْرِهِ، وَإِنْ أَظْلَمَ عَلَيْهِ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ[١١] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ، تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ، وَتَعَجُّ مِنْهُ المَوَارِيثُ[١٢].

---

(١) غير طائل: دونٌ، خسيسٌ.

(٢) التخليص: التبيين.

(٣) التبسَ على غيره: اشتَبَهَ عليه.

(٤) الحَشْوُ: الزائد الذي لا فائدة فيه.

(٥) الرّثّ: الخَلَقُ البالي، ضد الجديد.

(٦) خَبّاط: صيغة المبالغة من خبط الليل إذا سار فيه على غير هدى.

(٧) عاش: خابط في الظلام.

(٨) العَشَوَات: جمع عَشوَة ـ مثلثة الأول ـ وهي ركوب الأمر على غير هدى.

(٩) الهَشِيمُ: ما يَبِسَ من النّبْتِ وتهشّمَ وتَفَتّتَ.

(١٠) المَلِيّ بالشيء: القَيّمُ به الذي يجيد القيام عليه.

(١١) اكتتم به: فوّض إليه: كتمه وستره لما يعلم من جهل نفسه.

(١٢) العَجّ: رفع الصوت، وعجّ المواريث هنا: تمثيل لحدّةِ الظلم وشدّة الجَوْر.

إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالاً، وَيَمُوتُونَ ضُلاَّلاً، لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ[1] مِنَ الكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلاَوَتِهِ، وَلاَ سِلْعَةٌ أَنْفَقُ[2] بَيْعاً وَلاَ أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ، وَلاَ عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ المَعْرُوفِ، وَلاَ أَعْرَفُ مِنَ المُنكَرِ»![3].

(زدستم رها شد عنان سخن).

[ترجمته: أي أنّ عنان الكلام خرج من يدي].

---

(١) أَبْوَرُ: من بَارَتِ السِّلْعة: كَسَدَتْ.

(٢) أَنْفَقُ: من النَّفاق ـ بالفتح ـ وهو الرّواج.

(٣) نهج البلاغة: ٥١ ـ ٥٣، خطبة رقم١٧.

[الجمع بين قسمين من الأخبار المتعارضة]

كان الكلام في أنّ الأخبار المذكورة على قسمين:

دلّ القسم الأوّل منها على أنّ سيّد الشهداءعليه السلام لم ينل هذه المراتب لولا استشهاده، ودلّ القسم الآخر على أنّهعليه السلام لو لم ينل الشهادة لم ينقص شيء من درجاته، وقد تمّ ذكر القسمين بالتفصيل.

ولكن كيف يتمّ التوفيق للجمع بين هذين القسمين من الروايات؟

فنقول في مقام الجواب: إنّ الثواب على قسمين:

الثواب الاختصاصي، والثواب الاستحقاقي.

والأخبار التي دلّت عل عدم نقصان شيء من درجاتهعليه السلام ناظرة إلى الثواب الاختصاصي، والقسم الآخر من الأخبار، الذي دلّ على عدم وصولهعليه السلام لهذه المراتب لولا استشهاده، محمول عل الثواب الاستحقاقي، والشاهد على هذا الجمع الفقرة التي قال فيها: المعوّض عن شهادته بأنّ الأئمّة من ذريّته.

وتفصيل هذا الإجمال: إنّ الثواب ثوابان: ثواب اختصاصيّ، وثواب استحقاقي. وإنّ الله أعطى الأنبياء والأولياء ثواب الدنيا اختصاصاً، ولمّا قاموا بحقّ الشكر أعطاهم حُسنَ ثواب الآخرة استحقاقاً.

وأعطيك لذلك مثالاً: لو أنّ سلطاناً عظيم الشان، أعطى لأحد جنوده منصب القائد الأعلى في الجيش، أو أمير اللواء، أو القائد، أو الأمير، وجعل له متاعاً يوميّاً، أو قرّر له حقوقاً، أو طعاماً، أو رتبة السلام العسكري، ويكون هذا بمنزلة السلام الاختصاصي له، سواء أقام هذا الأمير الحرب أم لم يقم، وسواء تحقّق له الفتح أم لم يتحقّق، فستبقى له هذه الخصوصيات.

فلو أقام هذا الأمير حرباً، وحقّق فتحاً لأحد البلدان، فيكون ـ مضافاً إلى ماله من الخصوصيات ـ مستحقاً للتكريم الخاص من جهة السلطان، بحيث يكون ذلك التكريم لائقاً وجديراً به، وهذا بمنزلة الثواب الاستحقاقي.

وسيّد الشهداء عليه السلام له ثواب اختصاصيّ أيضاً، كما أنّ الله تعالى خلقه معصوماً، وإبناً للنبيّ، وإماماً مفترض الطاعة، وجعله سيّد شباب أهل الجنّة، وعليه سواء استشهد أو لم يستشهد، لا تسلب شيء من مزاياه وخصائصه.

وهناك ثواب آخر، وهو الاستحقاقي، الذي صار مشروطاً بشهادته، كما جاء في فقرة من الزيارة : المعوّض عن شهادته بأنّ الأئمّة من ذريّته، فافهم واغتنم، فإنّه تحقيق نفيس جدير.

وقد أنكرت طائفة الشيخيّة والكشفيّة الثواب الاختصاصي، وحصروا الثواب بالاستحقاقي فقط، ولهذا الإنكار نتائج فاسدة بكثرة.

[حقيقة الكشفيّة والشيخية]

ولو قلت: الكلام يجرّ الكلام، فما هي حقيقة مذهب الكشفيّة والشيخيّة، وضّحوا لنا ذلك؟

فنقول في الجواب: إنّ الصوفية قالوا بوحدة الوجود، وسيريان ذاته تعالى في الذوات؛ لأنّه عين حقيقة الوجود، ونسبته إلى الأشياء ـ أي الأعيان الثابتة ـ كنسبة الروح إلى البدن والمتجلّي في المجالي، وأنّه عين تعيّن الأشياء وهويّتها.

وقد تظافر ردّهم في لسان العصمة بأنّ الله خلوّ من خلقه، وخلقه خلوّ منه، ومن زعم أنّ الله في شيءٍ أو من شيءٍ، أو على شيءٍ فقد كفر.

كذلك هذه الطائفة قالوا: بسريان الحقيقة المحمّدية والعلوية في الأشياء كلّها، ولهم في بيان ما يدّعونه ـ بعد الاستناد إلى الكشف ـ كلمات منظومة منثورة مضلّة، قال شاعرهم:

هـا علـيٌّ بشـر كيـف بشـر ربّـه فيـه تجلّـى وزهـر

جنسَ الأجناسَ عليّ وبنوه   نوع الأنواع إلى حادي عشر[١]

وقال آخر بالتركية:

أي كيز لنن حقايق اشياده يا علي   ور اشكار عكس مراياده يا علي

[ترجمته: أيّها السرّ المختفي في حقائق الموجودات، إذكرني بشكلٍ جليّ في خاطرك يا عليّ].

وهذه شبه كلمات إخوانهم الصوفيّة، من مثل الشبلي وسفيان الثوري.. ومحييّ الدين العربي والحسين بن منصور الحلاّج وأضرابهم.

فترى بعضهم يقول: سبحاني سبحاني ما أعظم شأني، وأجلّ قدري.

ويقول الآخر: ما في جبّتي سوى الله.

ويقول محيّ الدين في خطبته: سبحان الله الذي أوجد الأشياء وهو عينها.

وقال مولويّهم شعراً:

روا باشد أنا الحقّ از درختى   چرا نبود روا ازنيك بختى[٢]

[ترجمته: لماذا يصحّ قول الشجر أنا حق، ولا يصح من حسن الحظ].

---

(١) البيت للشاعر مهر علي الزنوزي الخوئي، وهو عالم فاضل أديب، شاعر باللغة العربيّة والفارسيّة والتركيّة، توفّي أواخر عصر السلطان محمّد شاه القاجاري، له ديوان شعر في مدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

انظر: الذريعة ٩/ ٣: ٨١٦.

(٢) البيت للشاعر الإيراني محمود الشبستري، گلشن راز.

إلى غير ذلك ممّا نمّقوها نظماً وشعراً، قال عزّ من قائل: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا**﴾[1].

وإنّي أعرض كلاماً بسيطاً في ردّ الصوفيّة والشيخيّة فأقول: إنّ أقرب شيء للقبول ما قاله المعلم الثالث الميرداماد قدس سره : إنّ أكثر الناس للتخيّل أطوع منه للتصديق، وإلى الخطأ أشوق منه إلى البرهان.

وهذا الكلام البسيط عبارة عن أنّه : لو فُرض أنّ شخصاً قال لأحد رؤساء الشيخيّة والصوفيّة: إنّ حضرة المرشد والسيّد والأساس هو عين نجاستي وفضلتي، وقاذورتي، فإنّ حضرة المرشد سيغضب ويخرج من وضعه الطبيعي، ولكن أيّها المرشد والأساس أما تستحي وتخجل من الله تعالى وهو منتهى القدس والكمال، بل عين الصفاء والبهاء، فتعتقد ـ نعوذ بالله نعوذ بالله ـ إنّه عين الأشياء الخسيسة.

عقل كه گويد خداي لم يزل　　عين مخلوق است از كور وكچل

[ترجمته: إذا قال العقل: إنّ الله الأزلي هو عين المخلوق من الأعمى والأقرع].

قال الداماد في التقديسات : هو كلّ الكمال والبهاء، وما سواه على الإطلاق لمعات نوره ورشحات وجوده وضلال ذاته، وإذ كل هويّته من نور هويّته فهو إله الحقّ المطلق، ولا هو على الإطلاق إلّا هو.

---

(١) الأنعام: ١١٢.

وكذلك نقول للسيّد الأساس : إنّ النبيّ والإمام مع أنّ لهما أشرف مراتب الممكنات، وكما يصف أمير المؤمنين عليه السلام قائلاً: «يا طارق، الإمام بشرٌ ملكيّ، وجسد سماويّ، وأمر إلهيّ، وروح قدسيّ، ومقام عليّ، ونور جَليّ، وسرٌّ خفيّ، ملكيّ الذات، إلهيّ الصفات، زائد الحسنات، عالم بالمغيّبات، خصّاً من الله ربّ العالمين، ونصّاً من الصادق الأمين، وهذا كله لآل محمّد عليهم السلام»[1].

پنجه دست تورا هيچ ندانی چرا

پنج انگشت عطا شد بوی از صنع خدا

ياد عهد يست كه اقرار نمودی ز أزل

كه نچسبی بجز از دامن اصحاب كسا

[ترجمته: هل تعلم لماذا أعطيت خمسة أصابع في كفّ يدك، وأنّه نفحة من صنع الله تعالى.

وهو تذكير بالعهد الذي أقررت به منذ الأزل، بأن لا تتعلق إلّا بثوب أصحاب الكساء].

وقال في موضع آخر: «يا طارق، الإمام هو السراج الوهّاج، والسبيل والمنهاج، والماء الثجّاج، والبحر العجّاج، المبرّأ من العيوب، والمطّلع على الغيوب، واحد دهره، وخليفة الله في أمره ونهيه، لا يوجد له مثيل، ولا يقول له بديل، ومن ذا الذي ينال معرفتنا، أو يعرف منزلتنا، أو يدرك رتبتنا، أو يشهد

---

(١) مشارق الأنوار: ١١٤.

درجتنا، حارت الألباب والعقول، وتاهت الأفهام فيما أقول، وتصاغرت العظماء، وتقاصرت العلماء، وكلّت الشعراء، وفسرت البلغاء، ولكنت الخطباء وتواضعت الأرض والسماء، عن وصف شأن الأولياء.

وهل يعلم أو يُفهم أو يوصَف أو يدرّك أو يملَك، من هو شعاع جلال الكبرياء وخليفة الله في الأرض والسماء، جلّ مقام آل محمّدﷺ عن وصف الواصفين ونعت الناعتين بأن يقاس بهم أحد من العالمين».

فيا حضرة الأساس، إنّ الإمام مع هذه العظمة والجلالة والعصمة هل تقيسه وتشبّهه، بل تجعله عين الأشياء الخسيسة والرذيلة التي أستحي أنّ أتفوّه بها (تبّاً لكم تبّاً تبّاً)؟!

[حقيقة مذهب البابيّة وردّه]

وليعلم أنّ هذه الشجرة الخبيثة أصل لعبادة الأوثان، ودعوى الربوبيّـة من حزب الشيطان، ولها فروع وأغصان، منها الفرقة الضالّة المضلّة المسمّاة البابيّـة، فقد استوى على بنيان تلك الكليّـة، وجود رئيس مفترض الطاعة في زمان وأوان، وذلك الرئيس لابدّ وأن يكون محمّداً صلى الله عليه وآله، وأحداً من الأئمة من عترته المعصومين عليهم السلام، لكنه ظهر ببدنٍ آخر وقالوا: بالتناسخ وأنكروا المعاد، وبطلان التناسخ بأقسامه الأربعة ـ: النسخ، والمسخ، والرّسخ، والفسخ ـ مبرهن في العقول.

لزوم اجتماع نفسين على صيصية تناسخاً قد أبطلا
ومع وصول الأنفس لغاية لا تقتضي تنازل العناية
نسخٌ ومسخٌ رسخ فسخ فسما إنساً وحيواناً جماداً ونما[1]

قال شاعرهم:

أي رفته وباز آمده باهم گشته نامت زميان نامها گم گشته

(١) أبيات من منظومة السبزواري، انظر: شرح المنظومة ٥: ١٨٩.

نـاخن همـه جمـع آمـده وسـم گشـته   وپشت زعقب برآمده دُم گشته[١]

[ترجمته: يا من ذهب ورجع معهم لقد ضاع اسمك بـين الأسـماء، ولقـد جمع كلُّ ظفرك فصار حاضراً لك، ولقد بانت لحيتك مـن خلفـك حتّـى غـدت ذيلاً لك].

تبّاً لعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسـدة، ونحـن لا نطيـل المقـال فـي هـذا المقام، إذ مقصودنا الإجمال والاقتصار على مـا فـي البـال، ولا أجـد فعـلاً علـى بطلان مذهبهم دليلاً أمتن وأبيَن وأجلى من ذكـر بعـض كلمـات رئيسـهم، فمـا تراها إلّا هذيان يُفضي إلى غشيان، ويكون لردّهم أجلى برهان وأتمّ بيان.

قال: إنّا جعلناك جمالاً جميلاً للجاملين، قلّ: إنا قد جعلنـاك وزرانـاً وزيـراً للوازرين، قل: إنا قد جعلناك قرباناً للقاربين، قـلّ: إنّـا قـد جعلنـاك بطشـاناً بطيشـاً للباطشين، قل : إنّا قد جعلنـاك جردانـاً جريـداً للجـاردين، قـل: إنّـا قـد جعلنـاك سُرجاناً سريجاً للسارجين، قل: إنّا قد جعلناك جهراناً جهيراً للجاهرين.

---

(١) من أبيات منسوبة إلى الشاعر الإيراني عمر الخيّام، التي يشير فيها إلى القـول بالتناسـخ، إذ أنّه مرَّ مع بعض تلامذته أمـام مدرسـة، وكـان العمّـال يجـدّدون بناءهـا، والعمـال ينقلـون وسائل البناء إليها على الحمير، فامتنع حمار من دخول المدرسة، فهمس عمر الخيـام فـي أذنه بكلام فدخل المدرسة، فسأله تلامذته: ماذا همـس فـي أذن الحمـار؟ فقـال: إنّ هـذا الحمار كان أحد تلامذة هذه المدرسة، فصار هكذا ـ إشارة إلى القـول بالتناسـخ ـ وكـان يخشى من دخول هذه المدرسة حتّى لا يعرفه أحد، فقرأت لـه هـذه الأبيـات، فعلـم أنّـي عرفته، فدخل المدرسة.

والحقّ أنّهم يستحقّون أي يقال لهم : إنّا جعلناك زرباناً زريباً للزاربين، إلى غير ذلك من هذيانه الكاشف كشفاً قطعيّاً عن جنونه وحمقه، ولعمري أنّها في قباحة الألفاظ ترقى حدّ الإعجاز.

[إبطال أدلّة عقائد الدهريّة والطبيعيّة]

وسأل واستدعى فاضل وقال: إنك قد بيّنت فساد مذهب الكشفيّة والبابيّة، كما أبطلت سابقاً مذهب أهل الخلاف، فهل لك أن تمنّ علينا بإبطال الدهريّة والطبيعيّة في الباب، ليتمّ بذلك الكتاب؟

ونحن أجبنا دعوته، وأنجحنا ببيان دليل أسدّ وأخصر في ردّ الطبيعيّين، وهو أنّ الطبيعي يسند أحوال العالم إلى الطبيعة ويقول: إنّ الطبيعة ناظمة لنظام العالم.

فإن عنى بالطبيعة شيئاً له علم وقدرة، فقد أقرّ بالصانع الحكيم المختار، ويرجع النزاع معهم لفظيّاً، حيث سمّوه بالطبيعة.

وإن أراد بالطبيعة أمراً لا شعور له، ولا علم ولا إرادة ولا قدرة، فضرورة العقل تحكم بأنّ الأفعال المحكمة المتقنة تحتاج إلى فاعل عالم حكيم ليضع كلّ شيء في موضعه، فلابدّ أن يكون فوق الطبيعة شيءٌ عليم حكيم، جبل الطبيعة على تلك الأفعال المتقنة، وإلّا فالطبيعة غير الشاعرة لا تقدر على الأفعال المتقنة المحكمة.

مثلاً إذا رأيت الساعة الزمانيّـة، التـي هـي آلـة لتحديـد الزمـان وتقسيمها على نظام متقن، ورأيت أنّ آلات الساعة ليس لها شعور وقدرة اختيـار، قطعـت قطعاً بتّاً ويقيناً صرفاً راسخاً ثابتاً لا يزول بتشـكيك مشـكّك، علـى أنّ هنـا صـانعاً شاعراً عالماً، رتّب تلك الأجزاء وجبّلها على تلك الحركات المنتظمة.

ونحن إذا نظرنا إلى نظـام العـالم والحكمـة المودعـة فـي خلـق الإنسـان، وصنوف الحيوان والنبات والمعادن، قطعنا قطعاً يقينـاً بـأنّ تلـك الأفعـال المتقنـة صادرة من صانع علـيم حكـيم بـلا واسـطة، أو بواسـطة مـا سـمّوه (طبيعـة) بـأن يكون ذاك الصانع الحكيم المختار قد جبـل تلـك الطبيعـة عـل هاتيـك الأفعـال المتقنة.

ونحن نذكر نبذاً قليلة من عجائب حكـم الله ومـتقن صـنائعه، فـي ضـمن خطبتين من كلام أمير المؤمنينعليه السلام، الذي كلامه فـوق كـلام المخلـوق ودون كلام الخالق، وهـو الـذي أحيـى رمـائم الآداب، ونشـز عظامهـا، وشـيّد أركـان الفصاحة، وطرّز أكمامها. فلم يبق لريح مهزّاً، ولا لشفرة مجزّاً، وكيف لا!! وهـو كلام الله الناطق، والكلمـة الإلهيّـة والبرهـان المنيـر، وهاتـان الخطبتـان نجعلهمـا خاتمة الكتاب؛ ليكون ختامه مسك وغنية للطالبين.

[الخطبة النمليّة]

الخطبة الأولى، وهي المعروفة بالنمليّة:

«ولو فكروا في عظيم القدرة، وجسيم النعمة، لرجعوا إلى الطريق، وخافوا عذاب الحريق، ولكن القلوب عليلة، والأبصار مدخولة!

ألا تنظرون إلى صغير ما خلق الله، كيف أحكم خلقه، وأتقن تركيبه، وفلق له السمع والبصر، وسوَّى له العظم والبشر! [1].

انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر، ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وصبت على رزقها، تنقل الحبّة إلى جحرها، وتعدّها في مستقرّها. تجمع في حرّها لبردها، وفي ورودها لصدرها[2]، مكفول برزقها، مرزوقة بوفقها[3]، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الدّيّان، ولو في الصفا[4] اليابس، والحجر الجامس[5].

---

(١) البشر: جمع بشرة، وهي ظاهر الجلد الإنساني.

(٢) الصدر ـ محرّكاً ـ: الرجوع بعد الورود.

(٣) بوفقها ـ بكسر الواو ـ أي بما يوافقها من الرزق ويلائم طبعها.

(٤) الصفا: الحجر الأملس لا شقوق فيه.

(٥) الجامس: الجامد.

ولو فكّرت في مجاري أكلها، وفي علوها وسفلها، وما في الجوف من شراسيف[١] بطنها، وما في الرأس من عينها وأذُنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها تعباً!

فتعالى الذي أقامها على قوائمها، وبناها على دعائمها! لم يشركه في فطرتها فاطرٌ، ولم يعنهُ على خلقها قادرٌ.

ولو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته، ما دلتك الدلالة إلّا على أنّ فاطر النملة هو فاطر النخلة[٢]، لدقيق تفصيل كل شيء، وغامض اختلاف كل حيّ، وما الجليل واللطيف، والثقيل والخفيف، والقويّ والضعيف، في خلقه إلّا سواء.

وكذلك السماء والهواء، والرياح والماء.

فانظر إلى الشمس والقمر، والنبات والشجر، والماء والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال[٣]، وتفرق هذه اللغات والألسن المختلفات.

فالويل لمن جحد المقدر، وأنكر المدبر! زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارعٌ، ولا لاختلاف صورهم صانع، ولم يلجأوا[٤]، إلى حجةٍ فيما ادعوا، ولا تحقيق لما أوعو[٥]، وهل يكون بناءٌ من غير بانٍ، أو جناية من غير جان؟

---

(١) الشراسيف: مقاط الأضلاع، وهي أطرافها التي تشرف على البطن.

(٢) في بعض النسخ: النحلة.

(٣) القلال ـ جمع قلة بالضم ـ: وهي رأس الجبل.

(٤) لم يلجأوا: لم يستندوا.

(٥) أوعاه ـ كوعاه ـ: بمعنى حفظه.

وإن شئت قلت في الجرادة، إذ خلق لها عينين حمراوين وأسرج لها حدقتين قمراوين[١]، وجعل لها السمع الخفي، وفت لها الفم السوي، وجعل لها الحس القوي، ونابين بهما تقرض، ومنجلين[٢]، بهما تقبض، يرهبها الزراع في زرعهم، ولا يستطيعون ذبها[٣]، ولو أجلبوا بجمعهم، حتّى ترد الحرث في نزواتها[٤]، وتقضي منه شهواتها، وخلقها كله لا يكون إصبعاً مستدقة.

فتبارك الله الذي ﴿ **وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا** ﴾، ويعفر له خداً ووجهاً، ويلقي بالطاعة إليه سلماً والنفس، وأرسى قوائمها على الندى[٥]، واليبس، قدر أقواتها، وأحصى أجناسها، فهذا غراب وهذا عقاب، وهذا حمام وهذا نعام، دعا كل طائر باسمه، وكفل له برزقه.

وأنشأ ﴿ **السَّحَابَ الثِّقَالَ** ﴾ فأهطل[٦]، ديمها[٧]، وعدد قسمها[٨]، فبل

---

(١) قمراوين، أي مضيئين، كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر.

(٢) المنجل ـ كمنبر ـ آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع، قالوا: أراد بهما ـ هنا ـ رجلي الجرادة، لاعوجاجهما وخشونتهما.

(٣) ذبها: دفعها.

(٤) نزواتها: وثباتها، نزا عليه: وثب.

(٥) الندى ـ هنا ـ مقابل اليبس ـ بالتحريك ـ

(٦) الهطل ـ بالفتح ـ: تتابع المطر والدمع.

(٧) الديم ـ كالهمم ـ جمع ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق.

(٨) تعديد القسم: إحصاء ما قدر منها لكل بقعة.

الأرض بعد جفوفها، وأخرج نبتها بعد جدوبها»[1].

---

(١) جدوب الأرض: يبسها لاحتجاب المطر عنها. نهج البلاغة: ٣٣٤.

[الخطبة الطاووسيّة]

الخطبة الثانية، المعروفة بالطاووسيّة:

«ابتدعهم خلقاً عجيباً من حيوانٍ ومواتٍ، وساكن وذي حركاتٍ، وأقام من شواهد البينات على لطيف صنعته، وعظيم قدرته، ما انقادت له العقول، معترفةً به، ومسلّمةً له، ونعقت[1] في أسماعنا دلائله على وحانيته، وما ذرأ[2] من مختلف صور الأطيار التي أسكنها أخاديد[3] الأرض، وخروق فجاجها[4]، ورواسي أعلامها[5]، من ذوات أجنحة مختلفة، وهيئاتٍ متباينةٍ، مصرّفة في

(١) نعقت من نعق بغنمه ـ كمنع ـ: صاح.

(٢) ذرأ: خلق.

(٣) الأخاديد ـ جمع أخدود ـ: الشق في الأرض.

(٤) الخروق ـ جمع خرق ـ: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح والفجاج ـ جمع فج ـ: الطريق الواسع.

(٥) الأعلام: جمع علم بالتحريك وهو الجبل.

زمـام التسـخير، ومرفوفـة[١] بأجنحتهـا فـي محـارق الجـو[٢] المنفسـح والفضـاء المنفرج.

كوّنها بعد إذ لم تكن في عجائب صـورٍ ظـاهرةٍ، وركبهـا فـي حقـاق[٣] مفاصل محتجبة[٤]، ومنع بعضها بعبالةِ[٥] خلقه أن يسـمو[٦] فـي الهـواء خفوفـاً[٧] وجعلهُ يدفّ دفيفا[٨]، ونسقها[٩] على اختلافها فـي الأصـابيغ[١٠] بلطيـف قدرتـه، ودقيق صنعته؛ فمنها مغموس في قالب[١١] لون لا يشوبه غير لون ما غمـس فيـه، ومنها مغموس في لون صبغ قد طوق[١٢] بخلاف ما صبغ به.

---

(١) مرفوقة: من رفوف الطائر: بسط جناحيه.

(٢) المحارق ـ جمع محرق ـ: الفلاة.

(٣) الحقاق ـ ككتاب ـ جمع حُق ـ بالضم ـ مجتمع المفصلين.

(٤) احتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد.

(٥)العَبالة: الضخامة وامتلاء الجسد.

(٦)يسمو: يرتفع.

(٧)خفوفاً: سرعة وخفة.

(٨) دفيف الطائر: مروره فويق الأرض.

(٩) نسقها: رتبها.

(١٠) الأصابيغ: جمع أصباغ ـ بفتح الهمزة ـ جمع صبغ ـ بالكسر ـ وهو اللون أوما يصبغ به.

(١١) القالب: مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ فـي قالب من اللون.

(١٢) طوق: أي أن جميع بدنه بلون واحد إلّا لون عنقه فإنـه يخـالف سـائر بدنـه، كأنـه طـوق صبغ لحليته.

ومن أعجبها خلقاً الطاووس، الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيدٍ[١] بجناح أشرج قصبه[٢]، وذنب أطال مسحبه.

إذا درج[٣] إلى الأنثى نشره من طيه، وسما به[٤] مطلاً على رأسه[٥] كأنه قلع[٦] داري[٧] عنجهُ نوتِيُّهُ[٨].

يختال[٩] بألوانه، ويميس بزيفانه[١٠]، يفضي[١١] كإفضاء الديكة، ويؤر بملاقحه[١٢] [أرّ الفحول المغتلمة[١٣] للضراب[١٤]].

---

(١) التنضيد : النظم والترتيب.

(٢) أشرج قصبه: أي داخل بين احاده ونظمها عل اختلافها في الطول والقصر.

(٣) درج إليه: مشى إليه.

(٤) سما به: أي ارتفع به، أي رفعه.

(٥) مطلاً على رأسه: مشرفاً عليه كأنه يظلّله.

(٦) القِلع ـ بكسر فسكون ـ: شراع السفينة.

(٧) الداري: جالب العطر من دارين.

(٨) عنجه: جذبه فرفعه، من عَنَجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه، النوتي: البحار.

(٩) يختال: يعجب.

(١٠) يميس: يتبختر بزيفان ذنبه، وأصل الزيفان التبختر أيضاً، ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يميناً وشمالاً.

(١١) يفضي: أي إلى أنثاه ويسفد كما تذهب الدّيكة ـ جمع ديك ـ

(١٢) يؤر: يسفد، وملاقحه: أدوات اللقاح وأعضاؤه وهي آلات التناسل.

(١٣) أرّ الفحول: أي أرّاً مثل أرّ الفحول. المغتلمة: ذات الغلمة والشهوة والسبق.

(١٤) الضراب: لقاح الفحل لأنثاه.

أحيلك من ذلك على معاينةٍ[١]، لا كمن يحيلُ على ضعيفٍ إسنادهُ، ولو كان كزعم من يزعم أنّه يلقح بدمعةٍ تسفحها[٢] مدامعهُ، فتقف في ضفتي جفونه[٣]، وأنّ أنثاه تطعم ذلك[٤]، ثمّ تبيض لا من لقاح فحلٍ[٥]، سوى الدمع المنبجس[٦]، لما كان ذلك بأعجب من مطاعمة الغراب[٧].

تخال قصبه[٨]، مداري[٩] من فضةٍ، وما أُنبت عليها من عجيب داراته[١٠]، وشموسه خالص العقيان[١١]، وفلذ[١٢]، الزبرجد. فإن شبهته بما أنبتت الأرض قلت: جني[١٣] جني من زهرة كلّ ربيع، وإن ضاهيته بالملابس فهو

---

(١) على معاينة: أي اذهب وعاين صدق ما أقول.

(٢) تسفحها: أي ترسلها أوعية الدمع.

(٣) ضفة الجفن ـ بفتح الضاد وتكسر ـ: استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه.

(٤) تطعم ذلك ـ كتعلم ـ أي تذوقه كأنها تترشفه.

(٥)لقاح الفحل: ماء التناسل يلقح به الأنثى.

(٦)المنبجس: النابع من العين.

(٧)مطاعمة الغراب: تلقيحه لأنثاه، وقالوا: إن مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره.

(٨) القصب ـ جمع قصبة ـ: هي عمود الريس.

(٩) المداري ـ جمع مدري بكسر الميم ـ قال ابن الأثير: المدبري والمدراة: مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له.

(١٠) الدارات: هالات القمر.

(١١) العقيان: الذهب الخالص أو ما ينمو منه في معدنه.

(١٢) فلذ ـ كعنب ـ: جمع فلذة بمعنى القطعة.

(١٣) جني: أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون.

كموشي[١] الحلل أو كمونق عصب اليمن[٢]، وإن شاكلته بالحلي فهو كفصوص ذات ألوان، قد نطقت باللجين المكلل[٣].

يمشي مشي المرح المختال[٤]، ويتصفح ذنبه وجناحهُ، فيقهقه ضاحكاً لجمال سرباله[٥]، وأصابيغ وشاحه[٦]، فإذا رمى ببصره إلى قوائمه زقا[٧] معولاً[٨] بصوت يكاد يبين عن استغاثته، ويشهد بصادق توجعه لأنّ قوائمه حمش[٩]كقوائم الديكة الخلاسية[١٠].

---

(١) الموشي: المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل.

(٢) العَصب ـ بالفتح ـ: ضرب من البرود منقوش.

(٣) جعل اللجين ـ وهو الفضة ـ منطقة لها، والمكلّل: المزين بالجواهر، فكمل تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها.

(٤) المَرح ـ ككتف ـ: المعجب. والمختال: الزاهي بحسنه.

(٥) السربال: اللباس مطلقاً أو هو الدرع خاصة.

(٦) الوشاح: نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتّى يكونا كدائرتين إحدهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف.

(٧) زقا يزقو: صاح.

(٨) معولاً: من أعول، رفع صوته بالبكاء.

(٩) حمش: جمع أحمش أي دقيق.

(١٠) الديك الخلاسي ـ بكسر الخاء ـ: هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسسية.

وقد نجمت[١] من ظنبوب ساقه[٢] صيصية[٣] خفية، وله في موضع العرف قنزعة[٤] خضراء موشاة[٥]، ومخرج عنقه كالابريق، ومغرزها[٦] إلى حيث بطنه كصبغ الوسمة[٧] اليمانية، أو كحريرة ملبسة مرآة ذات صقال[٨]، وكأنه متلفع بمعجرٍ أسحم[٩]، إلّا أنّه يخيل لكثرة مائه، وشدّة بريقه، أنّ الخضرة الناضرة ممتزجة به، ومع فتق سمعه خط كمستدق القلم في لون الأقحوان[١٠]، أبيض يقق[١١]، فهو ببياضه في سواد ما هنالك يأتلق[١٢].

---

(١) وقد نجمت : أي نبتت.

(٢) ظنبوب ساقه: حرف عظمه الأسفل.

(٣) صيصية: شوكة تكون في رجل الديك.

(٤) القنزعة ـ بضم القاف والزاي بينهما سكون ـ: الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي.

(٥) موشاة : منقوشة.

(٦) مغرزها: الموضع الذي غرز فيه العنق منتهاً إلى مكان الطن.

(٧) الوسمة : هي نبات يخضب به.

(٨) الصقال: الجلاء.

(٩) المعجر ـ كمنبر ـ: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها، ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتّى ترده إلى الطرف الأول، فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها، وهو معنى التلفع هاهنا والأسحم: الأسود.

(١٠) الأقحوان: البابونج.

(١١) اليقق ـ محركاً ـ: شديد البياض.

(١٢) يأتلق: يلمع.

وقل صبغ إلّا وقد أخذ منه بقسط[١]، وعلاه[٢] بكثرة صقاله وبريقه، وبصيص[٣] ديباجه ورونْقه[٤]، فهو كالأزاهير المبثوثة[٥]، لم تربها[٦]، أمطار ربيع، ولا شموس قيظ[٧]، وقد ينحسر[٨] من ريشه، ويعرى من لباسه، فيسقط تترى[٩]، وينبت تباعاً، فينحت[١٠] من قصبه انحتات أوراق الأغصان، ثمّ يتلاحق نامياً حتّى يعود كهيئته قبل سقوطه، لا يخالف سالف ألوانه، ولا يقع لون في غير مكانه!

وإذا تصفّحت شعرةً من شعرات قصبه أرتك حمرةً ورديّةً، وتارةً خضرةً زبرجديّةً، وأحياناً صفرةً عسجدية[١١].

فكيف تصل إلى صفة هذا عمائق[١] الفطن، أو تبلغه قرائح العقول، أو تستنظم وصفه أقوال الواصفين؟!

---

(١) قسط : نصيب.

(٢) علاه: أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلاته.

(٣) البصيص: اللمعان.

(٤) الرونق: الحسن.

(٥) الأزاهير: جمع أزهار جمع زهر. فهي جمع الجمع. والمبثوثة المنثورة.

(٦) لم تربها: فعل من التربية.

(٧) القيظ : الحر.

(٨) ينحسر: هو من «حسره» أي كشفه، أي: وقد ينكشف من ريشه فيسقط.

(٩) تترى: أي شيئاً بعد شيء وبينهما فترة.

(١٠) ينحت : يسقط وينقشر.

(١١) عسجدية : ذهبية.

وأقل أجزائه قد أعجز الأوهام أن تدركه، والألسنة أن تصفه! فسبحان الذي بهر العقول(٢) عن وصف خلق جلّاه(٣) للعيون، فأدركته محدوداً مكوناً، ومؤلّفاً ملوّناً، وأعجز الألسن عن تلخيص صفته، وقعد بها عن تأدية نعته.

فسبحان من أدمج قوائم(٤) الذرّة(٥) والهجمة(٦) إلى ما فوقها من خلق الحيتان والأفيلة! ووأى(٧) على نفسه ألّا يضطرب شبح ممّا أولج فيه الروح، ألّا وجعل الحِمام(٨) موعده، والفناء غايته»(٩).

⇨

(١) عمائق: جمع عميقة.

(٢) بهر العقول: قهرها فردها.

(٣) جَلاه ـ كجلاه ـ: كشفه.

(٤) أدمج قوائمها: أودع أرجلها فيها.

(٥) الذرة، واحدة الذرّ: صغار النمل.

(٦) الهجمة ـ محركة ـ واحدة الهجم: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم.

(٧) وأى: وعد.

(٨) الحمام: الموت.

(٩) نهج البلاغة: ٢٨٨.

[لا يحقّ للآخرين الاستهزاء بشعائرنا]

وأمّا عامّة فرق المسلمين، فليس لهم حقّ في الاستهزاء والسخرية؛ لأنّهم يعتبرون التمثيل من الأمور المقدّسة، ويرون أنّه موجب لتحصيل الثواب والقربى إلى الله.

ومن جملة ذلك : المحمل المصري، الذي يأتون به إلى مكّة المعظّمة ضمن مراسيم خاصة، فيها الغناء والموسيقى، بحضور الملأ العام، فيشبّهونه بمحمل عائشة، ويحترمونه جلّ الاحترام، ولم يعترض على ذلك أحد من فلاسفتهم وعلمائهم ومطّلعيهم، ولم يقل: إنّ الشبيه أمر لهويّ ولعبيّ.

وكذلك شبيه محمل الرسولﷺ، الذي يقدّسه أهل الشام أيّما تقديس، ويتبرّكون به، ويعلّقون عليه الحلي والحلل المرصّعة، ويدخلونه مكّة المعظّمة مع كامل التجليل والاحترام.

وكذلك فرق المسيح فليس لهم حقّ الاستهزاء والسخرية، كيف يستهزؤن!! وهم يقدّسون الصليب ويحترمونه أشدّ الاحترام، ويشبّهونه

بالصليب الذي صُلب عليه المسيح ـ حسب قولهم ـ ولهذا يحمل كلٌّ منهم صليباً؛ أحياءً لتضحيات المسيح، وما قام به من إصلاح ديني ودنيوي، وما تحمّله من مشاق في سبيل تثبيت مذهبه.

وأهمّ سبب عندهم في حمل الصليب، هو تذكّر مظلوميّته، التي سوف تبقى ولن تزول من ذاكرة المسيحيّين، حتّى ينتقموا أشدّ الانتقام من أعدائهم، ويصرفوهم عن مرادهم. وإنّهم يعتقدون أنّ صلب عيسى عليه السلام أمر حقيقي، ولذا يجعلوا تلك الذكرى يوم حزن وغمّ.

والحاصل: فإنّ استهزاء أعداء الدين بهذه الأعمال الحسنة والشعائر الدينيّة، لا يكن باعثاً نحو التقبيح والترك لدى عقلاء المسلمين، كما أنّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله صار هدفاً لاستهزاء وأذى الكفّار من قريش، أمثال أبي جهل وأبي لهب حينما نزلت الآية الوافية الهادية ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ**﴾[1].

أو لمّا أمر صلى الله عليه وآله بالرسالة فنزلت الآية: ﴿**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**﴾[2].

أو الخطاب الذي نزل عليه صلى الله عليه وآله يوم الغدير: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾[3]، فلم يتخلّ صلى الله عليه وآله ـ وهو العقل الكلّ ـ عن نبوّته، ولم يترك هذا العظيم نبوّته.

---

(١) المدثر (٧٤): ١ ـ ٢.

(٢) الحجر (١٥): ٩٤.

(٣) المائدة (٥): ٦٧.

گــر جملــه كائنــات كــافر گردنــد   بــر دامــن كبريــاش ننشــيند كــرد

[ترجمته: لو كفر كلّ الكون لما جلس الغبار على كبريائه].

ومناقــب شــهد العــدو بفضــلها   والفضــلُ مــا شــهدت بــه الأعــداء(١)

تصوّر وانظر كلام الحكيم والفيلسوف المسيحي الذي يدعى بـ(مسيوه ماربين) الألماني في كتابه: «السياسة الحسينيّة» حيث يقول:

إنّ أحد الجهالات لدينا نحن المسيحيّين، أننا نعتقد بسفاهة وجنون إحدى الفرق الإسلاميّة ـ الذين هم الشيعة ـ بإقامتهم العزاء، بل هو الخطأ المحض وعين الجهل. إننا لا نرى الرقيّ لسائر الملل والأديان كشيعة الحسين عليه السلام، وأحاسيسهم السياسيّة وتعصّبهم لمذهبهم، ولابدّ من النظر في آثار إقامتهم للعزاء.

والمتأمّل في ذلك جيّداً، يرى أنّ شيعة عليّ هم الذين يقيمون عزاء الحسين عليه السلام في كلّ حين، وقد جعلوه أعظم شعارٍ لهم، لنرى أنّهم كيف ترقّوا وتقدّموا بمدّة مائة سنة أو ثلاثة قرون، وما كان ترقّيهم إلّا ببركة هذه الشعيرة، فقد كان شيعة علي قبل مائة سنة لا يتجاوزون عدد الأصابع في الهند، واليوم قد وصلوا إلى المرتبة الثالثة من عدد الملل والمذاهب، وكذلك يزدادون يوماً بعد يوم، لو أردنا أن نقيس هؤلاء بسائر الفرق والملل الموجودة في جميع العالم ونقاط الأرض.

---

(١) بيت شعر من قصيدة للشاعر محمّد بن نباته القرشي الأموي، مطلعها:

أســفت لفقــدك جلــق الفيحــاء   وتباشــرت لقــدومك الشــهباء.

انظر: رحلة ابن بطوطة: ٦٨.

[فتاوى العلماء في المواكب العزائية]

ختامها مسك:

وأمّا فتوى حضرات العلماء وحجج الإسلام ـ أعلى الله مقامهم ـ بشأن المواكب العزائية، فنذكرها تبرّكاً وتيمّناً، كي تكون برهاناً قاطعاً للأخوان المؤمنين.

أمّا حضرة المستطاب آية الله العظمى المحقّق القمي أعلى الله مقامه، فقد قال في كتابه «جامع الشتات»: «إنّي لا أرى وجهاً للمنع من ذلك، ويدلّ عليه عمومات رجحان البكاء والإبكاء والتباكي على سيّد الشهداءعليه السلام، ولا شكّ أنّه من الإعانة على الله»[1].

وقال المرحوم، البحر الزّخار، آية الله الشيخ جعفر الكبير، صاحب كتاب كشف الغطاء ـ أعلى الله مقامه ـ في كتابه، بعد ذكره لبعض مراتب إقامة

---

(١) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

التعزيـة ووسـائلها، كالضـرب علـى الطبـل، والصـنج؛ لأجـل إخبـار الهيئـات الحسينيّة:

«وجميع ما ذكر وما يشابهه، إن قصـد بـه الخصوصـيّة كـان تشـريعاً، وإن لوحظ فيه الرجحانيّة من جهة العموم فلا بأس به»[١].

وقال حضـرة المسـتطاب المرحـوم الأقـا الشـيخ زيـن العابـدين الحـائري المازندرانيرحمه الله فـي كتابـه «ذخيـرة المعـاد»، مجيباً علـى سـؤال ورد عليـه فـي خصوص مسألة إقامة الشبيه، المشتمل على تشبّه الرجال بالنسـاء مـن أهـل بيـت العصمةعليهم السلام: «لابأس بذلك، بل هو من المرغوب فيه مالم يشـتمل علـى محـرّم خارجي كالغناء ونحوه»[٢].

واستفتي أيضاً في قضيّة ضرب الطبل والصنج، فقال: «لابأس بـه، بـل هـو من الأمور المطلوبة المحبوبة»[٣].

وقد احتوى هذا الكتاب على كثير من الأسئلة والأجوبة فـي هـذا البـاب، ممّا لا يسعنا ذكرها في هذا المختصر.

وتوجد كلمات للعلاّمة المشهور المحدّث الكبير الشيخ خضر بـن شـلال قدّس الله مثواه، في كتابه الموسوم بـ«أبواب الجنان وبشائر الرضـوان». فسـأنقلها وهي:

---

(١) كشف الغطاء ١: ٥٤ نهاية مبحث القواعد المشتركة بين المطالب الفقهيّة.

(٢) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٣) المصدر السابق.

«قد يستفاد من النصوص التي منها ما دلّ على جواز زيارته ولو مع الخوف على النفس، جواز اللطم عليه والجزع لمصابه بأيّ نحو كان لو علم أنّه يموت من حينه، فضلاً عمّا لا يخشى منه الضرر على النفس».

ولكن متى تيّقن الإنسان من حصول الضرر على نفسه، وها هي عادة أولئك الذين يتطبّرون ويلطمون، ولم يقطعوا في يوم من الأيّام بأنهم سيموتون، بل ولم يظنّوا بالموت يوماً.

تنبيه

من الواضح قطعاً أنّ أغلب البلايا والمصائب الحالّة بالإسلام، والإهانات المتوجّهة لمواكب العزاء، وهتك المشاهد المقدّسة، إنّما يحصل من تحريك أعداء الدين، ولكن آلاتهم القتّالة إنّما كانت من بعض المتظاهرين بالإسلام، كالمصائب المؤلمة التّي حلّت بالأرض المقدّسة، والنكبات الواقعة على قبّة الإمام ثامن الأئمّةعليهم السلام، ودخول العساكر الروسيّة إلى الصحن الشريف، وقتل المسلمين في داخل الحرم المطهّر، لم يكن بلا غرض وسبب، هل نُسي ذلك؟

وإنّما كان بأحقاد سبّبها بعض من تظاهر بالإسلام؛ لأنّ الأعداء لا يعلمون بالجزئيات والتفاصيل، وستبقى آثار الجرائم الكبرى لهؤلاء الكفّار ليومنا هذا، وقد كانت الحادثة في العاشر من شهر محرّم، وهو يوم مشهور ومعروف، فإنّ مجالس التعزية والتمثيل لكيفيّة تلك الواقعة تقام كلّ سنة حيث تظهر فيه آثار الحزن على المسلمين.

استفسروا من مسلمي الهند، حيث يعدّ عندهم هذا اليوم يوم حزن كسائر أيّام وفيات الأئمّة عليهم السلام، بل أكثر، ويستمر ثلاثة أيّام من اليوم العاشر إلى الثاني عشر، فتعطّل جميع الأسواق، وتتوقف عندهم الصناعات والتجارات.

إعلام وتبصرة واستعانة

إنّ أعظم مصيبة حلّت بالعالم الإسلامي هي مصيبة المدينة المنوّرة، ويمكن أن يقال بأنّ سيّد المرسلين خاتم الرسلﷺ وأئمة البقيع الأطهار عليهم السلام قد تعالت منهم أصوات: هل من ناصر ينصرنا، وهل من ذابّ يذبّ عنّا؟ وقد نزلت هذه الواقعة الفجيعة على قلوب المسلمين حقيقةً فأحرقتها، ولم تصاب بيع أو كنائس أو معابد لأضعف الملل المختلفة في قرية من القرى إلّا وتعالى منها صوت: وا ديناه وا شريعتاه في أرجاء العالم، فياليتهم يكتفوا بهذا المقدار والله المهلك المدرك.

فلو بقينا في نوم غفلتنا ـ والعياذ بالله ـ لمحى أعداء الإسلام جميع آثاره وشعائره، وسيجرّنا ذلك إلى ويلات أخرى فـ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته».

أرى تحــت الرمــاد ومــيض نــارٍ ... ويوشــك أن يكــون لهــا ضــرامُ
وإن لــم تُطفهــا عقــلاء قــوم ... يكــون وقودُهــا جُثــثٌ وهــام(١)

***

سـر چشـمه بتـوان گـرفتن بـه بيـل ... چـه پـر شـد نشـايد گـرفتن بـه پيـل

[ترجمته: يمكنك أن تسدّ عين الماء بالمسحاة وتملأها تراباً، ولكن إذا فاضت لا يستطيع حتّى الفيل أن يمنعها من الطغيان].

وقد كتب بيمناه الداثرة أحوج المفتاقين إلى ربّة الغني، مرتضى بن علي الداماد الرضوي الغروي، عامله الله بلطفه الخفيّ، ليلة الفطر، غرّة شهر شوال المكرّم، سنة الف وثلثمائة وخمس وأربعين هجرية، على مهاجرها ألف صلاة وسلام وتحيّة، حامداً لله تعالى تائباً، مصليّاً على نبيّه محمّد وآله الأئمّة الميامين الهادين، واللعنة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

وقد كمل بعون الله ما خطّ بيمين أحقر العباد كاظم عبد الجواد المحلاّتي النجفي:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمده وأشكره على هذا الفضل والأنعام، بإظهار كلمة الحقّ على الخلق، وإرشاد الخلق على الحقّ، ودحض حجّة الكاذبين، وإبطال كلمات

---

(١) بيتان من قصيدة لنصر بن سيّار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني (٤٦ ـ ١٣١هـ)، كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ، ثم ولي إمرة خراسان، مات بساوة.
انظر: مروج الذهب ٣: ٢٤٠، تأريخ اليعقوبي ٢: ٣٤١، طبقات الشافعية ٨: ٢٦٤، الأخبار الطوال: ٣٥٧.

المتفرجنين المتهوّرين، وقد أصفحنا في هذه الرسالة عن بيان العلم وإبراز العرفان بقلم سلس، وعبارات بسيطة؛ حتّى يستفيد منها العامّ والخاصّ، حيث إنّها مشتملة على تحقيق عظيم في شطر من صريح الإيمان لا يتمّ إلّا به، فللّه الحمد أوّلاً وآخراً، ويتلوها المجلد الثاني إن شاء الله تعالى، وأسأله أن يوفقنا لطبعه مع مؤلفاتنا الموسومة في الذيل، ويمنّ علينا بالصحة، ومغادرة تبريز إلى وطننا المحبوب.

الأحقر سيّد مرتضى الداماد الغروي نزيل تبريز في ١٢ شعبان ١٣٤٦.

كتاب صولة العلوية على جولة الأموية، في الردّ على أنيس زكريا النصولي.

ردّ كلمات دارون.

كتاب العواطف في الأخلاق.

كتاب الفلسفة والملاحم.

كتاب الهلاهل في تناقضات كلمات شبلي شميّل.

شرح تبصرة العلاّمة من الطهارة إلى الديات.

كتاب العصمة والعدالة.

كتاب الرحلة الدامادية في حرب بريطانيا والعراقية.

(١٣)

قطعة من كتاب
الفردوس الأعلى

تأليف
الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء
(١٢٩٤هـ - ١٣٧٣هـ)

السؤال الثاني

إلى سماحة الإمام حجّة الإسلام أدام الله ظلّكم العالي:

هل يوجد دليل على استحباب أو جواز لطم الصدور في عزاء أبي عبدالله الحسين أرواحنا فداه، أو لا؟ فإنّ بعض مَن ليسوا من أهل نحلتنا ينكرون الجواز، وبعض آخر يقولون: إنّا نستكشف الجواز من لطم الفاطميات، فتفضّلوا ببيان الجواب ولو على نحو الإجمال.

الجواب:

مسألة لطم الصدور ونحو ذلك من الكيفيّات المتداولة في هذه الأزمنة، كالضرب بالسلاسل والسيوف وأمثال ذلك، إن أردنا أن نتكلّم فيها على حسب ما تقتضيه القواعد الفقهيّة والصناعة المقرّرة لاستنباط الأحكام الشرعية، فلا تساعدنا إلّا على الحرمة، ولا يمكننا إلّا الفتوى بالمنع والتحريم؛ فإنه لا مخصّص للعمومات الأوليّة والقواعد الكلّية من حرمة

الإضرار وإيذاء النفس وإلقائها في التهلكة، ولا دليل لنا يخرجها عنها في المقام.

ولكن الذي ينبغي أن يُقال بالقول الصريح : إنّ من قطعيّات المذهب الإمامي، ومن مسلّمات هذه الفرقة الحقّة الاثني عشريّة، أنّ فاجعة الطفّ والواقعة الحسينيّة الكبرى واقعة عظيمة، ونهضة دينية عجيبة، والحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة، وباب نجاة الأُمّة، ووسيلة الوسائل، والشفيع الذي لا يردّ، وباب الرحمة الذي لا يسدّ[1].

---

(١) وقد خدم عليه السلام الدين بنهضته المقدّسة، وأحيى التوحيد في العالم بتلك التضحية العظيمة، ولولا شهادته لم تقم للإسلام قائمة؛ فإنّ الأحقاد القديمة من بني أميّة وتلك الضغائن الخبيثة من تلك الشجرة الملعونة، نهضت على محو الدين الإسلامي الذي ظهر من أسرة عريقة بالمجد والشرف، أعني البيت الهاشمي البازغ منهم شمس الرسالة والنبوّة.

فلو أرخينا عنان القلم نحو الوجهة التاريخية وما كان للأمويين من النيّات الممقوتة في هدم الإسلام، لخرجنا عن الغرض المقصود في هذه الرسالة، وهي ترجمة الكلمات المترشحة من قلم سماحة الإمام دام ظلّه.

ولكن أستطيع أن أقول أيها القارىء العزيز على الإجمال: إنّ بني أمية سلكوا في سياستهم الغاشمة في هدم الإسلام ونسفه المسلك والشرعة التي علّمها لهم رئيسهم ورئيس المنافقين والزنادقة أبو سفيان، في تلقينه لهم تعاليمه الجاهليّة ونزعاته الأمويّة، حين دخل على عثمان بعد أن ولي الخلافة وخاطبهم بكلامه المعلن بكفره ونفاقه وقال: «يا بني أميّة، تلقّفوها تلقّف الكرة، والذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة»..

⇦

وإنّي أقول : إنّ حقّ الأمر وحقيقة هذه المسألة إنّما هو عند الله جلّ وعلا، ولكن هذه الأعمال والأفعال إن صدرت من المكلّف بطريق العشق الحسيني والمحبّة والوله لأبي عبدالله عليه السلام نحو الحقيقة والطريقة المستقيمة، وانبعثت من احتراق الفؤاد واشتعال نيران الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، المصاب بتلك الرزيّة، بحيث تكون خالية ومبرّأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسانيّة، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون حينئذ من القربات وأجلّ العبادات.

وعلى هذا يُحمل ما صدر من الأعمال ونظائر هذه الأفعال من أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام، مثل ما نقل عن العقيلة الكبرى والصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها من «أنّها نطحت جبينها بمقدّم المحمل حتّى سال الدم من تحت قناعها»[1].

⇨

وقال لعثمان: «أدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أميّة، فإنّما هو الملك، ولا أدري ما جنّة ولا نار».

وأتى قبر حمزة سيّد الشهداء(رضي الله عنه) فركله برجله، ثم قال: «يا حمزة، إنّ الأمر الذي كنت تقاتلنا عليه بالأمس قد ملكناه اليوم، وكنّا أحق به من تيم وعدي».

(١) البحار، للعلامة المجلسي: ج ١٠ / ٢٢٠، طبع أمين الضرب باختلاف يسير في العبارة [بحار الأنوار ٤٥ : ١١٥ الباب التاسع والثلاثون] ويكفي في الاعتماد بهذا الخبر نقل المجلسي له عن بعض الكتب المعتبرة، ولهذا اعتمد سماحة شيخنا الإمام ـ دام ظلّه ـ عليه أيضاً في

⇦

⇨

المقام، فدع عنك ما يظهر من كلمات بعض من يدّعي التتبّع من المناقشة في هذا الخبر، فإنّها مناقشة واهية لا وجه لها سوى الاستبعاد المحض الذي لا يعبأ به بعد ما عرفت من كلام سماحة الإمام ـ دام ظلّه ـ الوجه في فعل الصديقة الصغرى زينب سلام الله عليها.

وزينب الكبرى هي عقيلة بني هاشم، وهي الصديقة الصغرى، عالمة أهل البيت عليهم السلام، وكريمة أميرالمؤمنين عليه السلام، وأمّها الصديقة الكبرى سيّدة نساء العالمين، وهي شريكة الحسين عليه السلام في إبادة كبرياء الظالمين وإطفاء نائرة سلطتهم الجائرة، ولولاها لانقرضت سلالة العترة الطاهرة، وهي وحيدة عصرها في الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى والعفاف، وفي الفصاحة كأنّها تفرغ عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام، وأوصى أخيه إليها بجملة من وصاياه، وأنابها السجاد عليه السلام، نيابة خاصة في بيان الأحكام، وكان ما يخرج عن علي بن الحسين عليه السلام من علم ينسب إلى زينب عليها السلام تستراً على الإمام السجاد عليه السلام.

وذكرها علماء الرجال من الفريقين في كتبهم، وأفرد بعضهم في حقّها مؤلّفاً خاصّاً ككتاب «السيّدة زينب» وكتاب «زينب الكبرى» للعلامة النقدي رحمه الله.

وكتاب «الطراز المذهب» بالفارسية لولد صاحب ناسخ التواريخ، وقد خلط مؤلّفه فيه الصحيح بالسقيم، ولا ينبغي الاعتماد عليه من غير تثبّت وتحقيق.

وصنّفت الدكتورة بنت الشاطىء كتاب «بطلة كربلاء زينب بنت الزهراء»، وهو عدد ١١ لسنة ١٣٧١ هـ من كتب الهلال التي هي سلسلة شهرية تصدر عن دار الهلال بالقاهرة.

وكتاب «زينب عقيلة بني هاشم».

وغير ذلك من المؤلّفات الخاصة في حقّ هذه العقيلة، التي هي في المُقدّمة بين الأتقياء المجاهدين والطيّبات والطيّبين من آل البيت النبوي الذين ضحّوا في سبيل الحقّ

⇦

⇨

والعدالة وإصلاح زيغ البشرية، واحتملوا من المآسي ما كان له أثره الخالد ووقعه العظيم في التاريخ الإسلامي.

وفي مدفنها وتأريخ وفاتها آراء وأقوال شتى لم أهتدِ إلى تحقيقها والتحرّي الدقيق فيها كي تطمئن النفس بإحداها؛ لقلّة المصادر؛ ولأسباب أخرى. قيل: إنّها ولدت في حياة النبي صلى الله عليه وآله من غير ذكر سنة الولادة كما في الإصابة وغيرها.

وقيل : ولدت في الخامس من جمادى الأُولى في السنة الخامسة للهجرة، وهو الراجح في نظري.

وقيل : في السنة السادسة.

وقيل: في الرابعة.

وتوفّيت نحو سنة ٦٥ هـ كما ذهب إليه الزركلي في الأعلام: ج ١ / ص ٣٥١، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء: ج ١ / ص ٥٠٨، وفي الأخير أنّها دفنت بمصر، وإليه ذهب جمع من علماء أهل السنة.

وذهب العلاّمة الشهرستاني في نهضة الحسين عليه السلام إلى أنها توفّيت في نصف رجب سنة٦٥.

وقيل: إنها لم تمكث بعد أخيها إلّا يسيراً، وتوفّيت بعد ورودها المدينة بثمانين يوماً، وأنّ قبرها بها، كما في تنقيح المقال: ج ٣ / فصل النساء ص ٨٠ .

واستظهر صاحب كتاب أعيان الشيعة: ج ٣٣ / ص ٢٠٧ ـ ٢١٠ ط بيروت أيضاً أن قبرها بالمدينة.

وقيل: إنّها توفّيت في النصف من رجب سنة ٦٢ هـ بمصر، كما ذهب إليه العبيدلي في رسالة «الزينبات» المنسوبة إليه.

وقيل : إنّها توفّيت في إحدى قرى الشام ودفنت بها، وهذا القول بعيد عن الصواب؛ فإنّ الألسن تلهج في سبب ذلك بحديث (حديث المجاعة ومجيء عبدالله بن جعفر مع زينب عليها السلام إلى الشام) لا أثر له في صفحات التاريخ والسير، وما ذكره العبيدلي من تاريخ

⇦

ومثل ما ورد في زيارة الناحية المقدّسة في وصف مخدّرات أهل البيت سلام الله عليهم: «للشعور ناشرات وللخدود لاطمات»[(١)].

ولكن المعنى الذي أشرنا إليه لا يتيسّر لكل أحد، وليس شرعة لكلّ وارد، ولا مطمع لكلّ طامع، ولا يحصل بمحض الادّعاء والتخيّل؛ فإنّه مرتبة عالية ومحلّ رفيع، ومقام شامخ منيع، وأغلب الأشخاص الذين يرتكبون هذه الأُمور والكيفيّات لا يأتون بها إلّا من باب التظاهر والمراءات والتحامل والمداجات.

مع أنّ هذا المعنى بغير القصد الصحيح والنيّة الصادقة لا يخلو من إشكال، بل حرام، وحرمته تتضاعف لبعض الجهات والعوارض الحالية والطوارىء المقامية.

وأحسن الأعمال وأنزهها في ذكرى الحسين السبط صلوات الله عليه هو النياحة والندبة والبكاء لريحانة الرسولﷺ، والمظلوم الموتور، والسلام عليه، والزيارة له، واللعن على أعدائه، والتبرّي من ظالميه المشاركين في دمه وقاتليه، والراضين بقتله، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين، وأولاده الميامين المنتجبين.

⇨

وفاتها ومدفنها بمصر بعيد أيضاً للقرائن التي لا يسعنا المجال ولا المقام لذكرها، والحقّ أنّ لهذه السيّدة شباهة تامّة بأمها الصديقة الطاهرةعليها السلام في اختفاء قبرها ومدفنها، سلام الله عليهما.

(١) المزار: ٥٠٥، زيارة أخرى في يوم عاشوراء خرج عن الناحية.

(١٤)

سيماء الصلحاء

تأليف

الشيخ عبدالحسين صادق العاملي

(١٢٧٩ـ ١٣٦١هـ)

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نسعين

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله الميامين وصحبه الأنجبين.

(الفائدة الثانية والسبعون) من كتابنا جامع الفوائد المندرجة منه تحت عنوان: «سيماء الصلحاء إقامة عزاء سيّد الشهداء الحسين(عليه السلام)» مسّت الحاجة إلى فصلها وطبعها على حدة، وهي:

أنّ ناشئة[1] عصريّة ولدها الدهرُ بعد حيال[2]، أو قاءها بعد جشأ[3]،

---

(١) النشأ: أحداث الناس الصغار. يقال للواحد: هو نشأ سوء، وهؤلاء نشأ سوء. والناشيء: الشاب. والناشئة: أوّل الليل. كتاب العين ٦: ٢٨٧، «نشأ».

(٢) الحول: سنة بأسرها. وناقة حائل: التي لم تحمل سنة أو أكثر، حالت تحول حيالاً وحؤولاً، والجميع: الحيال والحُولُ. كتاب العين ٣: ٢٩٧ - ٢٩٩، «حول».

والمراد به هنا أنّ الدهر والزمان أصيب بعدم الإنجاب لفترة طويلة، ثمّ أولد هذه الناشئة.

(٣) جشأ: جشأت نفسه تجشأ جشوءً: ارتفعت ونهضت إليه. وجشأت: ثارت للقيء. لسان العرب ١: ٤٨، «جشأ».

تنتحل دين الإسلام، وما هي منه بفتيل[١] أو نقير[٢]، ولا بعير أو نفير[٣]، وإن تقشّفت بلبسته، وادّهنت بصبغته، لقد أتته من وجهته، وتسلّقت إليه من سلّم ثنيّته[٤]، لتطعنه في ثغره ولبّته[٥]، وتقطع نياط وريديه: كتابه وسنّته.

تهمّ - وما أعظم ما تهمّ - تهمّ أن تطفئ نور الله بأفواهها ويأبى الله إلّا أن يتمّ نوره ولو كره «الشانئون»، تهمّ أن تمحو أسطر أعلام النبوّة، وتطمس آثار الرسالة من لوح عالم الوجود وقرطاس التذكار.

فطائفة منها ازدلفت إلى مشاهدهم المقدّسة ببقيع الغرقد[٦] بالمدينة المشرّفة، فهدمت تلك المعالم الشامخة، والأبنية المؤسسة على تقوى السلف

---

(١) الفتيل: السحاة (القشرة) في شقّ النواة. وقيل: هو ما يفتل بين الإصبعين من الوسخ. لسان العرب ١١: ٥١٤، «فتل».

(٢) النقير: النكتة التي في ظهر النواة. والنقير: أصل خشبة ينقر فينتبذ فيه فيشتدّ نبيذه، وهو الذي ورد النهي عنه. لسان العرب ٥: ٢٨٨، «نقر».

(٣) النفير: الجماعة من الناس، ويقال: فلان لا في العير ولا في النفير، قيل هذا المثل لقريش من بين العرب، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا هاجر إلى المدينة ونهض منها لتلقّي عير قريش سمع مشركو قريش بذلك، فنهضوا ولقوه ببدر ليأمن عيرهم المقبل من الشام مع أبي سفيان، فكان من أمرهم ما كان، ولم يكن تخلّف عن العير والقتال إلاّ زمن أو من لاخير فيه، فكانوا يقولون لمن لا يستصلحونه لمهمّ: فلان لا في العير ولا في النفير. لسان العرب ٥: ٢٢٥، «نفر».

(٤) الثنيّة: أعلى مَيل في رأس جبل يُرى من بعيد فيُعرف. كتاب العين ٨ : ٢٤٣، «ثني».

(٥) اللبّة: وسط الصدر والمنحر، والجمع لبّات ولباب. لسان العرب ١: ٧٧٣، «لبب».

(٦) البقيع من الأرض: المكان المتّسع، ولا يسمّى بقيعاً إلاّ وفيه شجر أو أصولها. وبقيع الغرقد: موضع بظاهر المدينة فيه قبور أهلها، كان به شجر الغرقد فذهب وبقي اسمه. النهاية في غريب الحديث ١: ١٤٦، «بقع».

الصالح من المسلمين، الذين يمتنع ديناً حمل عملهم على غير الوجه الشرعي السائغ الصحيح، بخدعة أنّها قبور مشرفة[١] مستوجبةُ الإطماس شرعاً، والله يعلم والعالمون جميعاً أنّها ليست بقبور، شتّان لغةً وعرفاً بين قبر مشرف ودار مشرفة[٢]في ضمنها رسم قبر لم يسم[٣] عن الأرض قيد شبر.

فما الحادي[٤] لها على هدم تلك البنية الضخمة - وهي ليست بمصداق لقبر، ولا بمغصوبة للأصل[٥] الذي لم يرد أو يحكم عليه دليل - سوى الكره الكمين في نفوسها لأهل بيت النبوّة، مهابط الوحي، ومعارج الذكر، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[٦]، وافترض طاعتهم ومودّتهم على المسلمين تأدية لأجر جدّهم[٧].

---

(١) مشرف: كلّ شيء طال فهو مشرف. كتاب العين ٦: ٢٥٣، «شرف».

(٢) إنّ حجّتهم في هدم القبور أنّها مشرفة ليست سوى تمويه وخدعة؛ لأنّ العالي ليس القبر نفسه، فالقبر لم يعل عن الأرض قيد شبر بل البناء.

(٣) السمو: الارتفاع والعلو. لسان العرب ١٤: ٣٩٧، «سما». لم يسم، أي: لم يرتفع.

(٤) الحدو: سوق الإبل، ويقال للشمال: هدواء؛ لأنّها تحدو السحاب، أي: تسوقه. الصحاح ٦: ٢٣٠٩، «حدا». فما الحادي لها، أي: فما السائق لها.

(٥) أي: الأصل الشرعي هو عدم الغصب وحليّة المال لأمارة اليد، حيث إنّ المسلم الذي بناه كانت يده على المال الذي أنفقه، وليست يده يد خيانة وغصب.

(٦) إشارة إلى الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

(٧) إشارة إلى الآية ٢٣ من سورة الشورى.

ولولا هذا الكره الكامن في صدورها الذي أظهرته القوّة، وقد كان يخفيه الضعف والرهبة من شوكة الخلافة الإسلاميّة، لما تهجّمت على مخالفة الصحابة بأسرهم.

أليس اتّفقت كلمتهم(١) على دفن نبيّهم في الحجرة التي توفّي فيها، وأبقت بناءها على حاله لم تحدث به هدماً؟!

أعمل الصحابة - وفيهم الصديق الأكبر والفاروق الأعظم وذو النورين وأبو السبطين الذي يدور معه الحقّ حيث دار(٢) - عملاً غير مشروع؟!

هل يفوه بهذا مسلم؟! كلاّ، كيف وإجماع الصحابة قولاً وعملاً هو حجّة كبرى وسلطان مبين عند كافة المسلمين.

وطائفة منهم قد تألّبت لإبطال إقامة العزاء للنبيّ وآله وعترته أيام وفياتهم المعلومة، لاسيّما يوم عاشوراء الذي استشهد فيه الإمام الثالث، خامس أهل الكساء، مولانا الحسين عليه السلام.

ولا ريب أنّ «هذه العصا من تلك العصيّة»(٣)، كلتا الطائفتين تمتحان(٤) غَرْباً(٥) طافحاً من قليب إحن(٦) وأضغان، وعداوة وشنئان لعترة النبيّ،

---

(١) أي: الصحابة.

(٢) إشارة إلى الحديث المروي عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «رحم الله علياً، اللّهم أدر الحقّ معه حيث دار». وصحح هذا الحديث جملة من الأعلام، منهم الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٤.

(٣) مثل في باب تشبيه الرجل بأبيه. لسان العرب ١٥: ٦٥.

(٤) المتح: وهو الاستقاء. معجم مقاييس اللغة ٥: ٢٩٣، «متح». تمتحان، أي: تسقيان.

(٥) الغرب: الدلو الكبير. لسان العرب ١: ٦٤٢، «غرب».

(٦) الإحنة: الحقد في الصدر. لسان العرب ١٣: ٨ ، «أحن».

لا بغية لها سوى إخماد وقاد[١] ذكر أهل البيت(عليهم السلام) حتّى يكونوا نسياً منسيّاً، لا قبور لهم معروفة فتزار، ولا مصائب لهم مكشوفة فتستبان، وهي لهم مناقب ولأعدائهم مثالب، حيث لم يمت منهم أحد حتف أنفه، بل مقتولاً شهيداً[٢] لأجل الدين إمّا بسمّ أو بسيف[٣]، حتّى أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) مات شهيداً بالسمّ لما ورد عنه أنّه قال: «ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتّى قطعت أبهري»[٤].

وأكلة خيبر هي إطعامه من ذلك الذراع المسموم[٥].

ومن المعلوم أنّ الشهادة لهم أعظم أكرومة ومنقبة، ولقاتليهم أكبر أحدوثة ومثلبة، وهذان الأمران المترتّبان[٦] على تأبينهم وذكر مصائبهم هما

---

(١) توقد الشيء: تلألأ، وكوكب وقّاد: مضيء. لسان العرب ٣: ٤٦٦، «وقد».

(٢) إشارة إلى المروي عن الرضا عليه السلام: «والله ما منّا إلّا مقتول شهيد». من لا يحضره الفقيه ٢: ٥٨٥، حديث ٣١٩٢.

(٣) إشارة إلى المروي عن الحسن المجتبى عليه السلام: «ما منّا إلّا مقتول أو مسموم». كفاية الأثر: ١٦٢، باب ما روي عن الحسن بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) مناقب آل أبي طالب ١: ٨١، فصل في نطق الجمادات.

الأبهر: عرق إذا انقطع مات صاحبه. لسان العرب ٤: ٨٣ ، «بهر».

(٥) بصائر الدرجات: ٥٢٣، حديث ٥ و٦، باب في الأئمّة أنّه كلّمهم غير الحيوانات.

(٦) أي: ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام ومثالب أعدائهم.

شوك قتاد[(١)]وحسك سعدان[(٢)] في أعين هاتين الطائفتين[(٣)] الناصبتين لهم العداوة والبغضاء.

ولما أشبعنا الكلام مع الأولى[(٤)] في الفائدة السابقة[(٥)] على هذه المسماة (تنبيه الغافلين على فظائع الوهّابيّين) انعطفنا لإشباع الكلام مع هذه الطائفة، ذاكرين كلّ ما يقال لها، ومجيبين عليه تحت عنوان (قالوا) و(أقول)، ومن الله نستمد الهداية ومن منّه نستميح العناية.

---

(١) القتاد: شجر له شوك. لسان العرب ٣: ٣٤٢، «قتد».

(٢) السعدان: نبت، ولهذا النبت شوك يقال له: حسك السعدان. الصحاح ٢: ٤٨٨، «سعد».

(٣) أي: التي هدّمت قبور الأئمّةعليهم السلام والتي تألّبت لإبطال إقامة العزاء لهم.

(٤) أي: التي هدّمت قبور الأئمّةعليهم السلام.

(٥) وهي الفائدة الواحدة والسبعين التي ضاعت مع سبعين فائدة أُخرى من أخواتها، وكان أسماها رحمه الله بالاسم المذكور (تنبيه الغافلين على فظائع الوهّابيّين).

البكاء على الحسين عليه السلام

قالوا: ترك البكاء على الحسين عليه السلام أجزل مثوبة وأجراً من فعله؛ لأنّ إطلاق السراح للحزين الكئيب ينفث الزفرة ويرسل العبرة كلّ مسيل ممّا يهوّن على الباكي الخطب، ويطفىء شعلته، ويخمد جمرته، فلا يبقى عنده رسيس[1] لوعة، وكامن روعة[2]، وتأثّرٌ قلبي، وانفعالٌ صميمي، بل يتلاشى ذلك ويضمحل بتساقط دمعته، وتَصَعُّد زفرته[3]، فيرتفع الثواب المترتّب على وجود الحزن، ولو حبس العبرة وسجن الأوهة لبقيت قواعد الحزن ثابتة في قلبه، وحرارة الثكل ثائرة في فراش صدره، فلا يزايله[4] الجوى[5] ولا يبارحه الأسى، وما دام كذلك فهو مأجور مثاب.

---

(١) الرسيس: الشيء الثابت الذي قد لزم مكانه. لسان العرب ٦: ٩٧، «رسس». أي: فلا يبقى لدى الباكي لوعة ثابتة ومستقرّة، وأنّ البكاء يبدد تلك اللوعة.

(٢) الروع: الفزع. لسان العرب ٨: ١٣٥، «روع».

(٣) الزفرة: التنفّس. لسان العرب ٤: ٣٢٤، «زفر».

(٤) المزايلة: المفارقة. لسان العرب ١١: ٣١٧، «زيل».

(٥) الجوى: الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن. لسان العرب ١٤: ١٥٧، «جوا».

أقول: من الأمور البديهيّة ملازمة الحزن الشديد لإرسال الدمعة من العين، وإطلاق النحبة من الصدر، إلّا أن تكون العينُ جموداً والصدر مؤوفاً[1] ولهذا قال الشاعر:

ألا إنّ عيناً لم تجد يومَ واسط   عليكَ بجاري دمعها لجَمود[2]

فكيف يتمكّن صحيح العين من القبض على دمعته مع تأجّج نار الثكل في مهجته، وهما أمران متلازمان يزول أحدهما بزوال الآخر؟! فالأجر والثواب محدقان زوالاً وبقاء بزوال البكاء وبقائه.

(١) مؤوف: أصابته آفة. لسان العرب ٩: ١٦، «أوف».

(٢) البيت لأبي العطاء السندي في رثاء يزيد بن هبيرة الفزاري، وذلك لمّا وجّه أبو العبّاس السفّاح أخاه أبا جعفر المنصور إلى واسط لحرب يزيد بن هبيرة سنة ١٣٢هـ
انظر: أمالي السيّد المرتضى ١: ١٦١، وتاريخ الطبري ٦: ١٠٩.

الحزن والبكاء
لا ينافيان الشجاعة والصبر

قالوا: إنّ العقل الفطري الخالي من شوائب الأوهام، المترفّع عن دنس التقاليد القوميّة والعصبيّة الذميمة، يحكم على من أصابته مصيبة - وإن جلّ رزؤها وعظم صرفها - إذا تنفّس منها صعداً، وتأوّه كمداً[1]، وفاضت عبرته، وتبعتها نحبته، وعلت صرخته، وقفتها[2] لطمته، أنّه غير شهم القلب، ولا واسع الصدر، ولا عالي الهمّة، ولا مريد الجلد[3]، ولا باسل النفس، بل فارغ الوطاب[4] من صفات الشجاعة، صفر الكفّ من نعوت البسالة، فهو مذموم عند العقلاء، ولا ذمّ إلّا على قبيح، وكلّ قبيح محرّم شرعاً؛ لقاعدة التلازم بين الحكمين العقلي والشرعي، كما هو مقرّر في محلّه.

---

(١) الكمد: الحزن المكتوم. الصحاح ٢: ٥٣١، «كمد».

(٢) يقال: قفت أثره إذا اتّبعته. لسان العرب ٩: ٢٩٣، «قوف».

(٣) الجلد: القوّة والصبر. لسان العرب ٣: ١٢٥، «جلد».

(٤) الوطب: هو جلد الجذع فما فوقه، وجمع الوطب في القلّة أوطب والكثير وطاب. الصحاح ١: ٢٣٣، «وطب». والمراد هنا الظرف.

أقول: إنّ فقد الأحبّة وموت الأعزّة باعث بالجبلّة والفطرة للنفوس حسرةً، وللعيون عبرةً، وللقلوب حرقةً، تلك سنّة الله في خلقه، وصبغته[١] في عباده، ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً**﴾[٢] هو يضحك ويبكي[٣]، ولكل محلّ يستوجبه، وسبب يستدعيه.

فداعي البكاء هو حلول المؤلم، شرّع الله آنئذ البكاء تخفيفاً وتسكيناً، وهذا لطف من الله يستوي به الضعيف والقوي، والشجاع والجبان، ولو كان البكاء لمصائب الأحبّة والأعزّة والسادة الكرام والأجلاّء العظام منافياً للبسالة والنجدة[٤] لما بكى شجاع لفقد عزيز وفراق حميم، مع أنّ البكاء والنحيب والتأوّه واقع ممّن لا ريب عند أحد في شجاعته وبطولته كمولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام، الذي لم يختلف في عظيم بسالته اثنان، ومقاماتُه في الحروب مشهورة تضرب فيها الأمثال، أصابه من الحزن والبكاء على ابن عمّه رسول الله ما أصابه حتّى قيل: إنّه أقعد من دهشة المصاب، وتأوّه وبكى لفراق الزهراء بكاءً شديداً، وبكى على عمّار وخزيمة والمرقال وابن التيهان وكثير من أعوانه وأنصاره[٥] ورثاهم بقوله:

---

(١) صبغة الله: دينه. لسان العرب ٨: ٤٣٨، «صبغ».

(٢) البقرة (٢): ١٣٨.

(٣) إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة النجم: (وأنّه أضحك وأبكى).

(٤) النجدة: الشجاعة. النهاية في غريب الحديث ٥: ١٨، «نجد».

(٥) نهج البلاغة ٢: ١٠٩، خطبة ١٨٢، وقال عليه السلام: أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحقّ؟ أين عمّار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم ⇦

ألا أيّها الموت الذي لست تاركي　　أرحني فقد أفنيت كلَّ خليل
أراك بصيراً بالذين أُحبّهم　　كأنّك تنحُو نحوهم بدليل[(١)]

فلو كان الحزن والبكاء والتأوّه والمناحة ضدّ النجدة والشجاعة، لما اجتمعا في أمير المؤمنين؛ لاستحالة اجتماع الضدّين في محلّ واحد.

ولما اجتمعا أيضاً في سدرة[(٢)] منتهى النجدة، والطرف الأعلى من البسالة، سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله الذي كان المسلمون المجاهدون بين يديه يلوذون به من بأس الأعداء كما نقل عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: «كنا إذا حميَ الوطيس لذنا برسول الله صلى الله عليه وآله»[(٣)].

ومن سبر سيرة النبيّ وتصفّح أحوال غزواته، علم أنّه كان للمسلمين علمهم المقدّم المشهور، وقطب رحى هيجائهم[(٤)]، وأوّلهم في الكرّة، وحامي

⇨

الذين تعاقدوا على المنيّة، وأُبْردَ برؤوسهم إلى الفجرة؟ قال: ثمّ ضرب عليه السلام بيده إلى لحيته فأطال البكاء.

(١) كفاية الأثر: ١٢٣، باب ما جاء عن عمّار بن ياسر عن النبيّ صلّى الله عليه وآله في النصوص على الأئمّة الاثني عشر صلوات الله عليهم، بحار الأنوار ٣٣: ١٩، حديث ٣٧٦، باب شهادة عمّار، مطالب السؤول: ٣٠٨.

(٢) السدر: شجرة النبق، واحدتها سدرة، وجمعها سدرات وسدر وسدور. لسان العرب ٤: ٣٥٤، «سدر».

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٧٩، القول في إسلام أبي بكر وعلي وخصائص كلّ منهما.

(٤) الهيجاء: الحرب. لسان العرب ٢: ٣٩٥، «هيج».

ظهورهم في الغرّة[١]، يدعوهم في أُخراهم للعودة إليه، رافعاً عقيرته[٢] بقوله:

أنـــا النبـــيّ لا كـــذب أنـــا ابـــنُ عبـــد المطّلـــب[٣].

فتفيّأ إليه المنهزمون عنه.

فهذا الحامية المهيب طالما بكى لفقد كثير من أُمّته، بكى لأُمّ المؤمنين خديجة[٤]، ولعمّيه أبي طالب[٥] وحمزة[٦]، وأحزنه وأقلقه أنين عمّه العبّاس وهو في أسره، فلم تهدأ نفسه وتسكن جوارحه حتّى أطلق العبّاس من وثاقه[٧]، وبكى لابني معاذ[٨] ومظعون[٩].

ولم تحص أعداد بكائه على أعزّائه، حتّى أنّه بكى على ولده الحسين عليه السلام قبل مصيبته، قال الشيخ ابن حجر - عمدة علماء الشافعية - في صواعقه ما هذا نصّه:

---

(١) الغَرّة: الغفلة. لسان العرب ٥: ١٦، «غرر».

(٢) العقيرة: منتهى الصوت. لسان العرب ٤: ٥٩٣، «عقر».

(٣) مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٤٦٦، حديث ٣٦٩، الإرشاد ١: ١٤٣.

(٤) كشف الغمّة ١: ٣٧، في ذكر تزويجه عليه السلام بفاطمة عليها السلام، بحار الأنوار ٤٣: ١٣١.

(٥) الطبقات الكبرى ١: ١٢٣، ذكر أبي طالب وضمّه رسول الله صلى الله عليه وآله وخروجه معه إلى الشام في المرّة الأولى.

(٦) المعجم الكبير ٣: ١٤٢، حديث ٢٩٣٢.

(٧) الطبقات الكبرى ٤: ١٢، العبّاس بن عبد المطّلب.

(٨) الطبقات الكبرى ٣: ٤٢٩، سعد بن معاذ، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٤٩٦، حديث ٢، غزوة الخندق.

أقول: لم يبك النبيّ صلى الله عليه وآله على سعد بن معاذ، بل أيّد بكاء أُمّه عليه.

(٩) سنن الترمذي ٢: ٢٢٩، حديث ٩٩٤، المستدرك على الصحيحين ١: ٣٦١، كتاب الجنائز.

«خرّج ابن سعد عن الشعبي، قال: مرّ علي كرم الله وجهه بكربلاء عند مسيره إلى صفين[١]، فبكى حتّى بلّ الأرض من دموعه، فقال: دخلت على رسول اللهﷺ وهو يبكي، فقلت: «يا رسول الله بأبي وأُمي، ما يبكيك»؟

قال: «كان عندي جبرائيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له: «كربلاء»، ثمّ قبض جبرائيل قبضة من ترابه وشمّمني إيّاها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا»[٢].

فهذا الحديث يدلّ بصراحته على أنّ البكاء جبلّي فطري عند فقد العزيز أو ذكر مصيبته، ولهذا لم يملك النبيّﷺ دموع عينيه عند سماعه من جبرائيل واقعة الطفّ.

---

(١) كذا، وفي المصدر: إلى صفين وحاذى نينوى - قرية على الفرات - وسأل عن اسم هذه الأرض فقيل: كربلاء، فبكى.

(٢) الصواعق المحرقة ٢: ٥٦٦، الباب ١١، الفصل٣، المصنّف لابن أبي شيبة ٨: ٦٣٢، حديث ٢٥٩، كتاب الفتن، من كره الخروج في الفتنة وتعوّذ عنها، مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٥، مسند علي بن أبي طالب.

البكاء على الحسين عليه السلام
قبل الأخذ بالثأر

قالوا: الشيعة الإماميّة الاثنا عشرية تعتقد أنّ الحسين عليه السلام هو ثأر الله وابن ثأره والوتر الموتور، وأنّ الذي يثأر لدمه ويطلب بذحله[1] هو إمامهم المهدي عليه السلام وصالح المؤمنين معه، فهي ترتقب ظهوره في كلّ آن؛ لأنّه عندهم غير مؤقت بوقت معلوم، فلم تزل مرتقبة ظهوره لتجاهد بين يديه، وتأخذ بثأر جدّه الحسين من محبّي أعمال قاتليه، فإنّهم شركاؤهم في العمل؛ لقوله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم»[2]، أو من القاتلين بذاتهم إن قلنا برجعتهم إلى الدنيا بعد مماتهم[3]، وما ذلكّ على الله بعزيز.

---

(١) يقال: طلب بذحله، أي: بثأره. الصحاح ٤: ١٧٠١، «ذخل».

(٢) بشارة المصطفى: ١٢٦، حديث ٧٢، قصّة ورود جابر بن عبد الله الأنصاري بكربلاء.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٣٣، سورة القصص، مختصر البصائر: ١٣٤، حديث ٤١، باب في الكرات وحالاتها وما جاء فيها.

ومن المعلوم أنّ الأُمّة العربية في جاهليّتها وإسلامها إذا قتل منها عظيم تكره أن يطل(١) دمُهُ ويذهب جباراً(٢)، وتحبّ أن تأخذ بثأره وتطلب بترته(٣)، لا تبكي عليه ولا تدع النساء يقمن مناحته ما دام الثأر باقياً، ذاهبة إلى أنّ البكاء على القتيل يثلج حرارة ثكله، ويخمد نار قتله، ويقعد العزم عن الأخذ بذحله، ويمسّها العار والشنار.

ولأجل هذا تواصت مشركو قريش بعد وقعة بدر الكبرى، وقتل من قُتل من ساداتهم بها، أن لا يُهرقوا عليهم دمعة، ولا يقيموا لهم مناحة، حتّى يأخذوا بتراتهم من رسول الله وحزبه، ولمّا انتصروا في وقعة أُحد وقتلوا من قتلوا من المهاجرين والأنصار أذنوا لنسائهم بإقامة مآتم قتلاهن.

هكذا كانت شنشنة(٤) العرب إذا ظفروا وانتصروا على عدوهم ساغ لهم وقتئذ البكاء، وحسن ندب النساء على قتلاهن الآنفين، وعلى هذه العادة العربية ورد قول الشاعر:

مـن كـان مسـروراً بمقتـل مالـك فليـأت نسـوتنا بوجـه نهـار
يجـد النسـاء حواسـراً يندبنـه بالليـل قبـل تـبلّج الأسـحار(٥)

يعني أنّ مالكاً أُخذ بثأره فساغ للنساء البكاء عليه والندب له، وقد كنّ محجوزات عن إقامة عزائه.

---

(١) الطَل: هدر الدم. لسان العرب ١١: ٤٠٥، «طل».
(٢) الجبار: الهدر، يقال: ذهب دمه جباراً. لسان العرب ٤: ١٦٦، «جبر».
(٣) الترة: النقص، وقيل: التبعة. النهاية في غريب الحديث ١: ١٨٩، «ترة». والمراد من «بترته»: بثأره.
(٤) الشنشنة: السجيّة والطبيعة. النهاية في غريب الحديث ٢: ٥٠٤، «شنشن».
(٥) أمالي المرتضى ١: ١٥١، المجلس ١٤. والشعر لربيع بن زياد العبسي في مالك بن زهير بن خزيمة العبسي، وفي المصدر: يضربن أوجههنّ بالأسحار.

ومن ثمّ لم يبك دريد بن الصمّة على أخيه حين أخبر بقتله، بل قال:

يقول: ألا تبكي أخاك وقد أرى ... مكان البكى، لكن بنينا على الصبر
فإنّا للحم[1] السيف غير نكيرة ... ونلحمه طوراً وليس بذي نُكر
يُغار علينا واترين فيُشتفى ... بنا إن أُصبنا، أو نُغير على وتر
بذاك قسمنا الدهر شطرين بيننا ... فما ينقضي إلّا ونحن على شطر[2]

ولم يبك إبراهيم بن عبد الله الحسني أخاه محمّداً حين بلغه قتله، بل تشجّع وأنشد:

سأبكيك بالبيض الرقاق[3] وبالقنا ... فإنّ بها منا يُدرك الطالب الوترا
وإنّا أُناس لا تفيض دموعنا ... على هالك منّا وإن قصم الظهرا
ولستُ كمن يبكي أخاه بعبرة ... يعصّرها من جفن مقلته[4] عصرا
ولكنّني أشفي فؤادي بغارة ... ألهبُ في قُطري[5] كتائبها جمرا[6]

فكلّ عربي خالص يرى البكاء على العظماء المقتولين قبل الأخذ بثأرهم سبّة عار ووصمة شنار، على ذلك درج السلف وقلّده الخلف، فما بال الشيعة

---

(١) ألحمت القوم: قتلتهم حتّى صاروا لحماً، واللحيم: القتيل. كتاب العين ٣: ٢٤٥، «لحم».

(٢) مقاتل الطالبيين: ١٩٩، ذكر من عرف ممّن خرج مع محمّد بن عبد الله بن الحسن من أهل العلم، و٢٤٨، تسمية من خرج مع إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن من أهل العلم، شرح نهج البلاغة ٣: ٣١٠، أباة الضيم وأخبارهم.

(٣) المراد بالبيض الرقاق: السيوف.

(٤) المقلة: شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. الصحاح ٥: ١٨٢٠، «مقل».

(٥) القطر – بالضم – : الناحية والجانب. لسان العرب ٥: ١٠٦، «قطر».

(٦) مقاتل الطالبيين: ٢٠٥، الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

خالفت هذه النزعة العربية ولازمت البكاء على الحسين(عليه السلام)، وهو أعظم العظماء، قبل الأخذ بثأره والانتقام من قاتله؟!

أقول: من خرافات الجاهلية وخيالاتها الفاسدة واعتقاداتها الوبيلة وترّهاتها الذميمة، حبسها العبرة وسجنها الزفرة عن قتلاها قبل الأخذ بثأرهم، خشية من الوهن والفشل والتقاعد والكسل عن طلب الوتر[١]، وهو خيال ساقط ورأي فائل[٢]، إذ الجبان لا يُحفّزه للحرب والطعن والضرب حبسُ دمعته، ولا إطلاقُها يقعد الشجاع عن مزاولة القتال ومصادمة الأبطال، بل هما[٣] خلقان متضادان أودعهما الله في الإنسان، كالبخل والسخاء، والبلادة والذكاء، والضعف والأيد[٤] والدمامة والملاحة، وما بالذات لا يزول عنها ولا ينفكّ منها.

فهذه العقيدة الخرقاء لها أشباه ونظائر كثيرة من خيالاتهم وأوهامهم ومذاهبهم السافلة، وعقائدهم الوبيلة، كاعتقادهم بأنّ الوليد إذا سقط له سن وأخذها بين السبابة والإبهام فاستقبل الشمس عند طلوعها ورمى بها نحوها

---

(١) الوتر: الذحل عامّة، أو الظلم فيه. تاج العروس ٧: ٥٧٩، «وتر».

والذحل: الثأر. تاج العروس ١٤: ٢٥١، «ذحل».

(٢) يقال: فال الرجل في رأيه وفيل: إذا لم يصب فيه. لسان العرب ١١: ٥٣٥، «فيل».

(٣) أي: الجبن والشجاعة.

(٤) الأيد: القوّة. كتاب العين ٨ : ٩٧، «أيد».

قائلاً: أبدليني بسن أحسن منها، وليجري في ظلمها شعاعك، فإنّ سنّه الجديدة تخرج بيضاء نقية من السواد، وإلى ذا أشار شاعرهم:

بدّلتــــه الشــــمس مــــن منبتــــه بــرداً[١] أبــيض مصــقول الأشــر[٢]

ومن خيالاتهم التافهة تعليقهم الأقذار على المجنون، زاعمين أنّهم بذلك يدفعون عنه ما ألمّ به من لمم الجنون، قال شاعرهم:

فلــو أنّ عنــدي حــاويين[٣] وراقيــاً[٤] وعلّــق أنجاســاً علــيّ المعلّــق[٥]

ومنها زعمهم أنّ البقر إذا علّقت بأذنابها حزم الحطب من السلع[٦] والعشر[٧]وغيرها وأُوقدت فيها النار وسيقت إلى الجبال تدر عليهم السماء وقتئذ، كما يستفاد هذا الخيال الفاسد من قولهم:

---

(١) البرد: حبّ الغمام. الصحاح ٢: ٤٤٦، «برد».

وحبّ الغمام: قطع الثلج.

(٢) الأشر: حدّة ورقّة في أطراف الأسنان. لسان العرب ٤: ٢١، «أشر».

والبيت في شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٩٨، نكت في مذاهب العرب وتخيّلاتها. والبيت من قصيدة لطرفة بن العبد من شعراء العصر الجاهلي.

(٣) الحويّة والحاوية والجميع الحوايا: الأمعاء. كتاب العين ٣: ٣١٨، «حوي». وفي المصدر بدل حاويين: جارتين.

(٤) رقى الراقي يرقي رُقية ورقياً: إذا عوّذ ونفث في عوذته. كتاب العين ٥: ٢١١، «رقي».

(٥) شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٩٩، نكت في مذاهب العرب وتخيّلاتها. والبيت للممزّق العبدي.

(٦) السَّلَع: نبات. كتاب العين ١: ٣٣٥، «سلع».

(٧) العُشَر: شجر له صمغ. يقال له: سُكّر العشر. كتاب العين ١: ٢٤٨، «عشر».

ويسوقون باقر[١] السهل للطو د مهازيل خشية أن تبورا
عاقدين النيران في ثكن[٢] الّا ذناب منها لكي تهيج البحورا
سلع ما ومثله عُشرٌ ما عائلٌ[٣] ما وعالت البيقورا[٤]

ومنها مذهبهم الذميم في البليّة، وهي الراحلة التي تكون للرجل الجليل منهم، إذا مات عمدوا إليها فأوثقوها ولووا عنقها إلى عجزها وألقوها في حفيرة بإزاء قبره حتّى تهلك، يزعمون أنّها تكون ركوبة له يوم حشره، يدلّك على هذا القول قائلهم:

أبُنيّ لا تنس البليّة إنّها لأبيك يوم نُشوره مركوب[٥]

ومنها تعليقهم التمائم[٦] لدفع البلايا والمنايا عن أولادهم، وغير ذلك من خزعبلاتهم وبسابس[٧] ترّهاتهم التي محا الدين الإسلامي بمحامده مذامّها، واستأصل بسيف حقّه جراثيم باطلها.

---

(١) الباقر: جمع البقر مع راعيها. كتاب العين ٥: ١٥٨، «بقر».
(٢) ثكن: تدلّ على مجتمع الشيء. معجم مقاييس اللغة ١: ٣٨٤، «ثكن».
(٣) عالني الشي، أي: غلبني وثقل عليّ. الصحاح ٥: ١٧٧٧، «عول».
(٤) البيقور: البقر. الصحاح ٢: ٥٩٤، «بقر».
والأبيات في شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٨٢، نكت في مذاهب العرب وتخيلاتها، وهي لأميّة بن أبي الصلت.
(٥) شرح نهج البلاغة ١٩: ٣٩٠، نكت في مذاهب العرب وتخيلاتها. والبيت لعويم النبهاني.
(٦) التمائم: جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلّقها على أولادهم يتّقون بها العين بزعمهم. النهاية في غريب الحديث ١: ١٩٧، «تمم».
(٧) البسابس: الكذب الذي ليس له أصل، وكذلك الترّهات. كتاب العين ٧: ٢٠٥، «بسس».

فأيّ مذمّة ومنقصة تلحق قوماً قُتل منهم الرئيس المعظّم والحبيب المكرّم، فقضوا حقّ البكاء عليه حتّى إذا أمكنت الفرصة من الأخذ بثأره هبّوا له هبّة الأسد للافتراس، وانقضوا انقضاض الأجادل[١] للاقتناص.

وما دام المهدي(عليه السلام) المنتظر لعموم المسلمين لم يأذن الله له بالظهور، ولم يبلغ الكتاب أجله، فلم تسنح الفرصة لإرجاع الحقّ لنصابه، ومجازاة كلّ ظالم بظلامته، فالشيعة بل عموم المسلمين ترتقب ذلك الإمام آناً فآناً، لتكون من أعوانه، ومقوّية سلطانه، الآخذين معه بثأر جدّه، لا يذهلهم عن ذلك الارتقاب ما هم فيه من سورة[٢] الحزن، وإقامة العزاء، بل هم في الوقت نفسه باكون على الحسين مرتقبون الثائر بدمه، ولعلّهم عند إقامة مأتمه وذكر مصيبته أشدّ منهم حرصاً وأنشط جناناً وأقوى دافعاً وحماساً على الأخذ بثأره، فهم يرون قتله الفظيع نصب أعينهم كلّما تليت أحاديث قتله على مسامعهم، وناهيك بذلك مهيّجاً لنجدتهم ومحرّكاً لعزمتهم.

---

(١) الأجدل: الصقر. الصحاح ٤: ١٦٥٣، «جدل».

(٢) السورة: الوثبة. لسان العرب ٤: ٣٨٥، «سور». سورة الحزن، أي: حدّتها.

البكاء على الحسين عليه السلام

مهما طال العهد

قالوا: لو أجزنا البكاء عند ارتجال الخطب[1]، وأوّل الصدمة، ومفاجأة المصيبة، فلا نجيزه بعدها بمدّة مستطيلة، فإنّ البكاء لمصيبة طال عهدها وانقرضت الأجيال بين الباكي ووقت حدوثها يعدّ مستهجناً عرفاً، مستقبحاً عقلاً، فيحرم شرعاً.

ألا ترى لو أنّ إنساناً أقام اليوم سوق العزاء والنوح لنوح(عليه السلام)، وهو أوّل أُولي العزم من الرسل، وصاحب الشأن والخطر العظيم عند الله، أو نصب العزاء لخليل الله إبراهيم(عليه السلام) أو لكليمه موسى(عليه السلام)، أليس تعدّه العقلاء من السفهاء؟! ألم يكن عرضة لألسنة الساخرين، ورمية لسهام أفواه المستهزئين؟!

---

(١) الخطب: الشأن أو الأمر، صغر أو عظم. لسان العرب ١: ٣٦٠، «خطب».

فكذلك الباكي على الحسين اليوم، وهو المصاب عام الستّين من الهجرة، وبين الزمنين تفانت قرون، واضمحلّت أُمم، وكرّت أحقاب[١]. فبكاؤه يعدّ مستهجناً مستطرفاً منافياً لطريقة العقلاء ولما عليه الناس قاطبة، إذ لم نجد أمّة من الأمم حذت حذو الشيعة ونسجت على منوالها، فاتّخذت البكاء لأعظم عظيم من زعمائها وكبرائها وساداتها وأمرائها وصلحائها وعلمائها سنّة قائمة، وسمة لازمة، ومحجّة لا تبغي عنها حولاً على كرّ الليالي والأيام.

هذه الأُمّة المسيحيّة على كثرتها وانتشارها في الكرة الأرضية وتعدّد أجيالها، لم يُنقل عن فرقة من فرقها أنّها تنصب العزاء وتعقد جلسات للبكاء على روح الله وكلمته، نور العالم المسيح بن مريم، كما تصنعه الشيعة على إمامها الحسين بن فاطمة الزهراء بنت رسول الله، مع أنّ اعتقاد النصارى بالمسيح فوق اعتقاد الشيعة بالسبط ريحانة رسول الله، تلك تعتقده ربّاً معبوداً وهذه تعتقده عبداً صالحاً، ومع اعتقادها بربوبيّته الناسوتية[٢] تعتقد أنّ اليهود صلبوه ومثّلوا به كلّ مثلة سيّئة منكرة، وأنّه رضي بهذه التهلكة تخليصاً لشعبه من شرّ الآخرة، فما الصادّ لها من البكاء عليه إلّا طول الأمد وبعد العهد.

أقول: إنّ هذه الحياة الدنيا لأبنائها سوق إفادة واستفادة ينتفع بعضهم من بعض، وهم فيها بين من ربحت تجارته ومن خسرت صفقته، وبالجبلة والطبيعة الرابح يفرح والخاسر يحزن، وبقدر الأرباح تكون الأفراح، كما أنّه بزنة

---

(١) الأحقاب: الدهور. الصحاح ١: ١١٤، «حقب».

(٢) الناسوت: الطبيعة الإنسانية وهو الناس.

الخسران تكون الأحزان، فبطء الحزن وسرعة زواله محدقان بالخسارة خطراً وحقارة، وهي عندهم المصيبة بقدر المصاب عظمة وهواناً، والمصاب بقدر فوائده غلاءً ورخصاً، إذ قيمة كلّ امرئ ما يحسنه.

والفوائد ضروب شتّى: منها خطيرة ومنها حقيرة ومنها عامّة ومنها خاصّة، منها كثيرة ومنها قليلة، منها حاصلة ومنها مرجوّة، وعلى محور الجميع تدور رحى المصائب خفّةً وثقلاً، وسعةً وضيقاً، فكلّ من لا فائدة به قطّ فأهون به عندهم هالكاً ومفقوداً، لا يعدّ فقده خسراناً ولا موته باعثاً للحزن والكآبة، إنّما موته راحة له واستراحة منه.

أمّا ذو الفائدة ولو كانت مرجوّة كالطفل الرضيع يعدّ فقده خسراناً موجباً للحزن، بيد أنّه طفيف؛ لأنّ المصيبة من اللمم[1]، ولهذا يقال: «إنّ صغار المصائب مصائب الصغار».

وما ذاك إلّا لعدم الجدوى الفعليّة منهم، فمصابهم أسرع زوالاً وأعجل اضمحلالاً، وليس الذكر منهم كالأنثى، هو أعظم منها مصيبة وأشدّ حزناً؛ لقوّة فوائد نوعه على فوائد نوعها، والصبيّ - اليافع النافع أهله فعلاً - موته أشدّ وطأة، وحزنه أفسح وقتاً وأبطأ تلاشياً من موت ذلك الرضيع، وما هذا إلّا لكونه أذاق أهله حلاوة نفعه ففقدوها بفقده.

وفوق موت هذا الصبيّ مصيبة وكآبة موت البالغ الحلم، النافع لأهله وعشيرته جدّاً، البار بوالديه، والواصل رحمهُ، والحامي عن قومه، والذائد كلّ

---

(١) اللمم: صغار الذنوب. النهاية في غريب الحديث ٤: ٢٧٢، «لمم». والمراد هنا المصيبة الصغيرة.

عادية عن حومة[١] عزّهم، وحوض شرفهم، فهم كلّما عنَّ[٢] لهم ذكره وفوات فوائده وسلب منافعه حنّوا له حنين الفصال[٣]، وناحوا نوح الحمام، وتهاطلت دموعهم عليه كصوب الغمام، وربّما استغرق حزنهم مدّة عمرهم كالخنساء[٤] على أخيها صخر، ونائلة بنت الفرافصة[٥] على بعلها عثمان.

والأعظم من الجميع مصيبة وطول حزن فقد العميد، العامّ المنافع العظام لعامّة الأنام، ولم يخلفه من يفيد فائدته أو يزيد عليها، فإنّ العالم بأسره مفتاق لفوائده[٦]، مضطرّ لمنافعه، فإذا أودى هذا المصلح العظيم لا إلى بدل يرهق العوالم خسرانٌ مبين، وبالطبيعة يكونون دائماً محزونين مكروبين على كرّ

---

(١) حومة كلّ شيء: معظمه. لسان العرب ١٢: ١٦٢، «حوم».

(٢) وعنّ لنا كذا يعنّ عنناً وعنوناً، أي: ظهر أمامنا. كتاب العين ١: ٩٠، «عن».

(٣) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أُمّه، والجمع فصلان وفصال. لسان العرب ١١: ٥٢٢، «فصل».

(٤) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، أشهر شواعر العرب، من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت، أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها صخر ومعاوية، وكانا قد قتلا في الجاهليّة، توفّيت سنة ٢٤هـ.
الأعلام للزركلي ٢: ٨٦.

(٥) هي نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبيّة، زوجة عثمان بن عفّان، كانت خطيبة، شاعرة، من ذوات الرأي والشجاعة، حُملت إلى عثمان من بادية السماوة فتزوّجها وأقامت معه في المدينة.
الأعلام للزركلي ٧: ٣٤٣.

(٦) أي: محتاج إلى فوائده.

الأعوام والسنين، فكيف يُستهجن حزنهم؟! أو يعدّ الحزين الكئيب من السفهاء عند العقلاء ويجعل عرضة للاستهزاء، ما هذا إلّا اختلاق؟!

وأمّا ما ضربوه مثلاً من استهجان البكاء على نوح عليه السلام ومن بعده من الأنبياء، فليس السرّ فيه طول الأمد وبعد العهد، كلاّ، بل لأنّ فقد أولئك الرجال العظام خفّ وهان؛ إذ قد تلافى خسائر منافعهم من هو خير منهم وأرفع درجات، وفوائده المنبثّة في أرجاء الكون كلّها أبكار لم يطمثها قبله أنس ولا جان، ذاك نبيّنا الهادي الأمين صلى الله عليه وآله الذي فوائد كلّ نبيّ قبله قبسة من نوره، وقطرة من بحوره، فالأُمم به رابحة أضعافاً مضاعفة، فأين الخسران المستوجب للأحزان على الأنبياء السالفين مع وجوده صلى الله عليه وآله بعدهم، وهو سيّدهم، بل سيّد من سلف وغبر[1] إلى يوم القيامة؟!

ولمّا كان لم يقم أحد مقامه ولم يفد فوائده كانت مصيبته أجلّ مصيبة في العالم، والحزن عليه لم يزل مؤبّداً، والشيعة لم تبرح متّخذة يوم وفاته – وهو عندها الثامن والعشرون من صفر – يوم حزن عظيم وكآبة كبرى، ومتّخذة أيام وفيات الأئمّة من أهل بيته أيام أحزان وعزاء؛ لأنّ فوائدهم العامّة – وهي هدايتهم للأنام – لم يخلفهم غيرهم فيها، فهي خسارة عظمى مستوجبة للحزن عليهم مؤبّداً.

وخصّ الحسين عليه السلام من بين الأئمّة الهداة بمزيد الحزن عليه لعظيم مصيبته، وجليل رزيّته.

---

(١) غبر الشيء يغبر، أي: بقي، والغابر: الباقي. لسان العرب ٥: ٣، «غبر».

وسرّ عظمة هذه المصيبة على مصائب أهل البيت عليهم السلام، هو ما ورد عن بعض أهل البيت عليهم السلام من أنّ الحسين عليه السلام لما كان بقية أصحاب الكساء وهم خيرة الله في خلقه كان فقده فقد الجميع(١). لبداهة أنّ الشيء ما دامت له بقية لا يعدّ كلّه مفقوداً، فارتفعت بركات وجود الخمسة بفقد الحسين عليه السلام، فلأجل هذا جلّت وعظمت مصيبته واستوجبت الحزن الدائم؛ لأنّ خسارة المسلمين خير ذوي الكساء وفيض بركات وجودهم، إنّما كان بفقد أبي عبد الله عليه السلام، ففقدهم الجزء الأخير من العلّة التامّة لفقدهم جميعاً.

ولهذا صحّ عن أخته الحوراء زينب الكبرى ندبها له بقولها: «اليوم مات جدّي محمّد المصطفى، وأبي علي المرتضى، وأمي فاطمة الزهراء، وأخي الحسن المجتبى»(٢).

وحقّ لها أن تقول ذلك عند قتله؛ لأنّه البقيةُ المفيدةُ فائدتهم.

ولم تتلاف الأئمّة بعده هذه الفائدة لعدم وجودها بهم، إذ ليس واحد منهم من أصحاب الكساء، فهذه الخسارة غير المتلافاة ما دام يراها الشيعي نصب عينيه لا محالة يكون مكروباً كئيباً، فلا يلام على حزنه وبكائه.

وللّوم والتأنيب مجال فسيح على «عبّاد المسيح» في عدم اتّخاذهم الحزن الأبدي والبكاء السرمدي على مخلّص شعبهم من النار بواسطة صلبه وقتله، أليس هو المحسن العظيم، وهل جزاء الإحسان إلّا الإحسان؟!

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٢٥، حديث ١، باب ١٦٢.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧٥، ينابيع المودّة ٣: ٦٤.

هذا إن لم نقل أنّ للنصارى جلسات حزن وأيام كآبة على سيّدنا المسيح، أمّا إذا قلنا بذلك - كما هو واضح جليّ - فلا موضوع للنقض لاشتراك الأُمّتين بالعمل المحبوب.

استحباب البكاء
على الحسين عليه السلام في كلّ آن

قالوا: اتّخاذ الشيعة البكاء على الحسين دأباً وديدناً لها حتّى في أيام الأعياد، وليالي الزفاف، وساعات الأفراح، وآنات الأتراح[1]، وفي الشدّة والرخاء، والعافية والبلاء، والسفر والحضر، وفي كلّ وقت، وعلى كلّ حال، ممّا يدلّ على غلوّها وإفراطها، وتفريغ نفسها للبكاء عليه بما لم تُفرّغ عشر معشار وقته لعبادة ربّها، وتلاوة ذكره، وترتيل مناجاته، والضراعة له سبحانه، ومن المعلوم شرعاً أنّ الغلو والإفراط من المهلكات.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: «يهلك فيّ اثنان: محبّ غال، ومبغضٌ قال»[2]، مُفرط ومفرّط.

---

(١) الترح: ضدّ الفرح. كتاب العين ٣: ١٩٠، «ترح».

(٢) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٢٠، رقم ٤٧٨، باب الكتب والرسائل، نهج البلاغة ٤: ٢٨، رقم ١١٧ و١٠٨، رقم ٤٦٩، والعبارة في النهج: هلك فيّ رجلان.

أقول: فرق بين وجود العمل واستحباب إيجاده، فالشيعة ترى استحباب البكاء على الحسين في كلّ آن، كما ترى استحباب ذكر الله والصلاة على رسوله كذلك، فهي لم توقّت تلك الأعمال بوقت، ولم تحيّثها بحيث، ولم تقدّرها بكم ولا كيف، بل هي محبوبة الإيجاد على كلّ حال، لا موجودة في جميع الأحوال كي يتّجه القول بالفرطة والمغالاة.

على أنّا لو سلّمنا استغراق التعزية لجميع آنات الشيعة إلّا ما خرج منها ضرورة، كأوقات النوم والأكل والاشتغال بعبادة واجبة مؤقتة، فأين الفرطة الدينيّة والغلو المحظور؟!

أليست التعزية نوعاً من أنواع الطاعة لله يتقرّب العبد بها لربّه كما يتقرّب له بمناسك الحجّ؟ فهي محبوبة مطلوبة لله كما ستعلم، فكيف يمقت الله محبوبه ويبغض مطلوبه؟! أيمقت الله عبداً إذا صام لله دهره وقام لله عمره؟! حاشا وكلاّ، فكذلك التعزية هي كالصوم والصلاة خير موضوع، فمن شاء استقل ومن شاء استكثر[(١)].

وليس الهالك في علي عليه السلام من هذا القبيل، بل من نحله الربوبيّة كالسبائيّة[(٢)] ووصمه بالكفر كالحروريّة[(٣)] الخوارج المكفّرين له، فهما من

---

(١) مستدرك الوسائل ٣: ٤٣، حديث ٢٩٧٢ و٤٧، حديث ٢٩٨٦.

(٢) السبائية: أصحاب عبد الله بن سبأ الذي قال لعلي كرّم الله وجهه: أنت أنت، يعني أنت الإله، فنفاه إلى المدائن.
الملل والنحل للشهرستاني ١: ١٧٤.

(٣) صارت الخوارج إلى قرية يقال لها حروراء، بينها وبين الكوفة نصف فرسخ، وبها سمّوا الحرورية، ورؤساؤها عبد الله بن وهب الراسبي، وابن الكوا، وشبث بن ربعي.
تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩١.

الغلاة المفرطين حبّاً وكرهاً، المخالفين أمر الله ونهيه المعلومين بالضرورة من الدين.

وأقول ثانياً: تقدّم في الجواب السابق أنّ طول الحزن وقصره منوطان بكثرة فوائد القتيل وقلّتها، وهوانها وخطرها، وعامّها وخاصّها، وأنّ الناس كلّهم ينحون هذا النحو، فمنهم من يبكي فقيده ساعة موته، ومنهم من يبكيه أسبوعاً، ومنهم شهراً، ومنهم حولاً كاملاً، ومنهم عمره كلّه، ومنهم من يورّث الحزن لعقبه، كلّ ذلك واقع، فهو قاعدة مطّردة بين عموم الناس، جارية على قانون شرعي محكم، هو وجوب إعطاء كلّ ذي حقّ حقّه، والإفراغ بكلّ قدر قدره، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**وَلاَ تَبْخَسُواْ النَّاسَ أَشْيَاءهُمْ**﴾[1].

ولمّا كان حقّ مولانا وسيّدنا الحسين عليه السلام على الأنام عامّة وعلى المسلمين خاصّة هو أعظم الحقوق الهامّة المستوجبة الأداء على العموم، المستغرق لحياتها بأسرها، فلا جرم نهضت الشيعة لتأدية هذا الواجب قيد وسعها، وقدر طاقتها، ومن أفرغ وسعه فقد أعذر، ولا معذرة لقاعد متكاسل عن أداء الفريضة وهو عليها قادر.

---

(١) الأعراف (٧): ٨٥، هود (١١): ٨٥، الشعراء (٢٦): ١٨٣.

بيان حقّ الحسين عليه السلام العمومي

إنّ الحسين عليه السلام هو الحامية الباسل العادم المبالاة بملاقاة حتفه لفكّ شعبه من أسر العبوديّة وإطلاقه من رباق[1] الاسترقاق، والآخذ بناصره من سلطة كلّ ظالم مستبد، وحاكم عات[2] ظلوم، لم تحجم نفسه عن إزهاقها في سبيل إحقاق الحقّ وإبطال الباطل، وإصلاح حال الرعيّة، وإلجاء الرعاة إلى انتهاج الطريقة المثلى التي بها ينتعش الضعيف، ويسمن الهازل، ويأفلُ الجهل، وينجم[3] العلم، ويسود الفضل، وينقطع دابر الفساد، وتصبح الأرض مخضرّة بخمائل الصلاح، ويخيّم العدل، والعدل أساس الملك، ويُقرض الجور، والجور هادم الدين والدنيا.

---

(١) الربق بالكسر: حبل فيه عدّة عرى، والجمع رباق. الصحاح ٤: ١٤٨٠، «ربق».

(٢) العتو: التجبّر والتكبّر، وقد عتا يعتو عتوّاً فهو عات. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٨١، «عتا».

(٣) نجم الشيء ينجم، بالضم، نجوماً: طلع وظهر. لسان العرب ١٢: ٥٦٨، «نجم».

فهو صديق المواساة، عدوّ الإثرة، ميزان القسط، صراط العدل، عيبة[(١)]العلم، سراج الفضل، عيلم[(٢)] البذل، القائل للسائل وقد أعطاه بدرة[(٣)] من المال تناهز مائتي دينار فصاعداً:

خـــذها وإنّـــي إليـــكَ معتـــذرٌ   واعلـــمْ بـــأنّي عليـــكَ ذُو شـــفقة
لـــو كـــانَ فـــي ســـيرنا الغـــداة عصـــا   أمسَـــت ســـمَانا عليـــكَ مُندفقـــه[(٤)]

وهو القائل أيضاً:

إنْ جـادَت الـدُنيا عليـكَ فجُـد بِهـا   علـى النـاسِ طُـرّاً قبـلَ أنْ تتفلّـت
فَـلا الجـوُد يَفْنيهـا إذا هِـيَ أقْبلـت   ولا البُخْـل يَحويهـا إذا هِـيَ ولّـت[(٥)]

وهو السّانُّ لمن بعده من أُباة الضيم كيف يختارون معانقة المنيّة على الركوس[(٦)] بالدنيّة، ويستهوون السلّة[(٧)] دون الذلّة، كآل باهلة والمهلّب والزبير وغيرهم، بدليل قول مصعب الزبيري حين انفضّ جمعه العراقي عنه وأسلمه

---

(١) العيبة بالفتح: مستودع الثياب أو مستودع أفضل الثياب، وعيبة العلم على الاستعارة. مجمع البحرين ٣: ٢٨٢، «عيب».

(٢) العيلم: البحر. كتاب العين ٢: ١٥٣، «علم».

(٣) البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف. كتاب العين ٨: ٣٤، «بدر».

(٤) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨٥، ١٥٦٦ الحسين بن علي بن أبي طالب. وفي المصدر بدل (أمست): كانت.

(٥) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢٢٢، فصل في مكارم أخلاقه عليه السلام، باب في إمامة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(٦) الركس: قلب الشيء على آخره، أو ردّ أوّله إلى آخره. كتاب العين ٥: ٣١٠، «ركس».

(٧) السلّة: استلال السيوف عند القتال. لسان العرب ١١: ٣٤٢، «سلل».

لعدوّه الشامي، وقف آنئذ مستقلاً مقتدياً بسيّدنا الحسين(عليه السلام) مترنّماً بقوله:

وإن الأُلى بالطف من آل هاشم   تأسّوا فسنّوا للكرام التأسّيا[١]

أمثل هكذا مفتاح فلاح، وباب إصلاح، وشارع[٢] خيرات ومبرّات، ومفيد عمومي، ومُفضّل إطلاقي[٣]، غير مقصورة سوابغُ نعمه وبيضُ أياديه وإصلاحاته الحرّة ومواهبُه السنيّة على أهل ملّته وأبناء جلدته، بل جائلة في العوالم كلّها، وعلى قطب الكون بأسره، جولان الرحى، سائرة سير الأمثال في مشارق الأرض ومغاربها، يتسنّى لأحد أن ينسى ذكره المجيد على مرور الأزمان وتعاقب الأعوام؟!

أليست مآثره الزاهرة، ومناقبه الثاقبة هي النعات[٤] له، الهاتفةُ بروع[٥] كلّ حسّاس، ومشاعر كلّ شاعر، وخلد[٦] كلّ متيقّظ، هتافاً تقشعر منه النفوس وتضطرب منه الأفئدة والقلوب عند سماعها تلك الصرخة الهائلة: (وا مصلحاه، وا حسيناه)؟!

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٦، سنة إحدى وسبعين.

(٢) الشارع: الطريق الأعظم. الصحاح ٣: ١٢٣٦، «شرع».

(٣) أي: مفيد للبشر على العموم ومفضّل بينهم على الإطلاق.

(٤) النعت: وصفك الشيء، تنعته بما فيه وتبالغ في وصفه. ورجل ناعت من قوم نعات، قال الشاعر: أنعتها إنّي من نعاتها. لسان العرب ٢: ٩٩، «نعت».

(٥) الروع بالضم: القلب والعقل. الصحاح ٣: ١٢٢٣، «روع».

(٦) الخلد بالتحريك: البال والقلب والنفس. لسان العرب ٣: ١٦٥، «خلد».

أيسمعها إنسان ولا تفيض عبرته وتصعد زفرته؟!

كلاّ، ولو كان كافراً ملحداً فإنّ عواطف البشرية وهواجس الإنسانية لتقوده للحزن على ذلك العاطف الجليل قود الجنيب[1].

(١) الجنيب: الأسير مشدود إلى جنب الدابّة. كتاب العين ٦: ١٤٩، «جنب».

بيان حقّ الحسين عليه السلام
الخصوصي على المسلمين كافّة

إنّ الحسين عليه السلام هو المسلم الوحيد بين الراجعة عن الدين الإسلامي القويم في ذلك العصر اليزيديّ المظلم، الذي استولى فيه الضلال على الهدى، والباطل على الحقّ، والغيّ على الرشاد، والفساد على الصلاح، ورقى فيه على عرش الخلافة الإسلاميّة المقدّسة ذلك الرجس الجهنمي الكافر القائل:

لَعبتْ هاشم بالمُلكِ فَلا خبرٌ جاءَ ولا وَحيٌ نزل[1]

استوى على كرسي النبوّة المحمّدية وهو خصمها الألد، وعدوّها المُبين، آخذاً بيده صولجان الملك يبث أحكامه في الرعية وكلّها سير على أهوائه، وجرى مع أغراضه، قابضاً على أموال الأُمّة التي يجمعها من غير حلّها ويصرفها

(١) تاريخ الطبري ٨ : ١٨٨، سنة أربع وثمانين ومائتين.

بغير محلّها، أخدانه[١] الفسقة الفجرة، وأعوانه الملاحدة الكفرة، كالمسرف[٢] المبيح لجنود أهل الشام أعراض أهل المدينة المنورة ثلاثة أيام.

وكالدعيّ[٣] ابن الدعيّ قاتل العترة الطاهرة آل خير الأنام.

يحارب دين الله ورسوله، مستعبداً ببيعته المسلمين، ومذلاً بطغيان سلطانه المؤمنين، مستفرغاً وسع قوّته وأيده في محو صحيفة الدين، وتقهقر الملّة الحنيفيّة إلى جاهلية أشياخه المشركين، الذين تمنّى مشاهدتهم رأس الحسين وهو بين يديه مستشهداً بقول ابن الزبعرى اللعين:

ليتَ أشياخي ببدر شَهدُوا ... جزعَ الخَزْرجِ من وقعِ الأسل[٤]

لأهلّوا واستَهلّواً فرَحاً ... ولقالوا يا يزيدَ لا تُشل

قَدْ قَتلنا القرمَ[٥] من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل

لستُ من خندف[٦] إن لَمْ أنتقم ... من بني أحمد ما كانَ فَعل

---

(١) الخدن والخدين: الصديق، والجمع أخدان وخدناء. لسان العرب ١٣: ١٣٩، «خدن».

(٢) اسمه مسلم بن عقبة، سمّي مسرفاً لإسرافه في إهراق دماء أهل المدينة في واقعة الحرّة في طاعة يزيد بن معاوية.

(٣) إشارة إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة، الذي ضمّ إليه يزيد ولاية الكوفة حين وصلته أنباء تمرّدها عليه؛ لما يعهد فيه من القسوة والفتك.

(٤) الأسل: الرماح. لسان العرب ١١: ١٥، «أسل».

(٥) القرم من الرجال: السيّد المعظّم. لسان العرب ١٢: ٤٧٣، «قرم».

(٦) الخندفة: مشية كالهرولة. كتاب العين ٤: ٣٣٥، «خندف». وخندف: من أجداد يزيد، وهو لقب ليلى زوجة إلياس بن مضر من أجداد النبيّ صلى الله عليه وآله، وإنّما لقّبت خندف لما قيل لها يوماً: أين تخندفين؟ فقالت: مازلت أخندف في أثركم.

لعبـــت هاشـــم بالمُلـــك فـــلا خبـــرٌ جـــاءَ ولا وحـــيٌ نـــزل[1]

لم يجد من المسلمين من وقفَ في وجه تيار كفره اللجب[2]، وقبالة سيل إلحاده العرم[3]، وقفةَ السدّ الحاجز، والصدف[4] الحائل بين ذلك الإلحاد الدافق والكفر الجارف وبين ثغر الإسلام، وثنيّة[5] الإيمان، وبيضة الدين، وحوزة الملّة الحنيفية، حفيظة[6] على الحقّ، ومحاماةً عن المسلمين المستضعفين، ونصرةً لله، غير هيّاب ولا وكل[7] على قلّة المعاون، وخذلان الناصر، إلّا الحسين عليه السلام مع ثلّة من آله وأصحابه، وقليلٌ ما هم، لم تبلغ المائة على ما روي، في قبالة ثلاثين ألفاً أو يزيدون، كما نقلته الرواة الثقات[8].

فقاتلوا فأثلجوا أفئدة الفخر بقتالهم، وأقرّوا عيون المجد بحملاتهم التي

(١) انظر: تاريخ الطبري ٨: ١٨٧، سنة أربع وثمانين ومائتين.

(٢) اللجب: الصوت والجلبة، وبحر ذو لجب إذا سمع اضطراب أمواجه. الصحاح ١: ٢١٨، «لجب».

(٣) العرم: السيل الذي لا يطاق. لسان العرب ١٢: ٣٩٦، «عرم».

(٤) الصدف: منقطع الجبل المرتفع. الصحاح ٤: ١٣٨٤، «صدف».

(٥) الثنية: أعلى ميل في رأس جبل يرى من بعيد فيعرف. كتاب العين ٨: ٢٤٣، «ثني».

(٦) الحفيظة: الغضب. لسان العرب ٧: ٤٤٢، «حفظ».

(٧) الوكل: الذي يكل أمره إلى غيره. لسان العرب ١١: ٧٣٤، «وكل».

(٨) مثير الأحزان: ٥٤.

أوقروا[١] بها الأجسام طعناً دراكاً[٢]، وضرباً أخدوداً[٣]، وأطاروا بها الرؤوس عن مواكرها[٤]، والأيدي عن كواهلها[٥] فكانوا في ذلك المأزم[٦] الحرج والموقف الزلق كما نقله شارح النهج العلاّمة ابن أبي الحديد المعتزلي:

«قيل لرجل شهد يوم الطفّ مع عمر بن سعد: ويحكم أقتلتم ذريّة رسول الله؟!

فقال: عُضضت بالجندل[٧]، إنّك لو شهدت ما شهدنا لفعلت ما فعلنا، ثارت علينا عصابة أيديها في مقابض سيوفها كالأسود الضارية، تحطّم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي أنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في المال، ولا يحول حائل بينها وبين الورود على حياض المنيّة، أو الاستيلاء على الملك،

---

(١) الوقر، بالكسر: الثقل يحمل على الظهر أو على الرأس، وأوقرت النخلة، أي: كثر حملها. لسان العرب ٥: ٢٨٩، «وقر».

(٢) طعناً دراكاً متداركاً، أي: تباعاً واحداً إثر واحد. كتاب العين ٥: ٣٢٨، «درك».

(٣) أخاديد السياط: آثارها، وضربة أخدود، أي خدّت في الجلد. لسان العرب ٣: ١٦١، «خدد».

(٤) الوكر: موضع الطائر يبيض فيه ويفرخ. كتاب العين ٥: ٤٠٢، «وكر». المعنى: فصلوا الرؤوس عن أجسادها.

(٥) الكاهل: مقدّم أعلى الظهر ممّا يلي العنق وهو الثلث الأعلى فيه. لسان العرب ١١: ٦٠١، «كهل».

(٦) المأزم: كلّ طريق ضيّق بين جبلين، وموضع الحرب أيضاً مأزم. الصحاح ٥: ١٨٦١، «أزم».

(٧) الجندل: الحجارة. لسان العرب ١١: ١٢٨، «جندل».

فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها، فما كنّا فاعلين لا أمّ لك»[١]؟!

نعم، كانت حال سيّدنا الحسين عليه السلام ومن على شاكلته من آله وصحبه كما ذكر، لا بغية لهم بتلك الوثبة الليثية إلّا إرجاع الحقّ لنصابه، وعود الملك لأهله، والخلافة الإسلاميّة لسيرتها الأولى، لا يتقمّصها سوى قرشي جامع لشرائطها، ضليع في العلم والحلم والورع والزهد والقضاء والحكم والشجاعة والبراعة، فائقاً أقوى المسلمين نهضة بأعباء الطاعة، وأثقال خالص العبادة، ونصرة الحقّ، وخذلان الباطل، يقول فصلاً، ويحكم قسطاً، ويقسم عدلاً، لم يسدُل بينه وبين الأُمّة حجاباً، ولم يُقم على أبوابه حُجّاباً، مواسياً أضعف المسلمين في خشونة الملبس وجشوبة المطعم، قد ثقّفته الحكمة الإلهية، وهذّبته السنّة النبوية، فلا تأخذه في الله لومة لائم، ولا تقعده عن قول الحقّ عذلة عاذل[٢]، كأبي السبطين، لا كيزيد الشهير بالفسق والفجور واللهو وشرب الخمور.

لهذا شقّ الحسين عصا طاعته، وأنكر كلّ الإنكار عقد بيعته، وثار عليه نصرة للدين، وغيرة على المسلمين، لا يستمال لمسالمته بقليل ولا كثير، لشدّ ما

---

(١) شرح نهج البلاغة ٣: ٢٦٣، أباة الضيم وأخبارهم.

(٢) العذل: الملامة. الصحاح ٥: ١٧٦٢، «عذل».

منّاه السلامة، وأغراه بالمشاركة معه بالرياسة حالاً، وبالإدلاء بها إليه مستقبلاً، وبإعطائه من فوق الرضا سلفاً، فلم يجد عنده في الدين من هوادة[1] أو لين عارضة[2]، أو خفض جناح أو نعومة ملمس.

كلاّ، بل وجده خشناً في ذات الله، مرّ[3] الحفاظ على الإسلام، صعب المراس[4]، قادماً على الموت، يائساً من الحياة، باذلاً نفسه الزكية، مضحّياً بها اتّجاه سلامة دين جدّه، معزّاً، عالماً بأنّه مقتول لا محالة ؛ ليستلفت بقتله أنظار المسلمين بعده، فتحبّذ عمله، وتأخذ بثأره، وتناوي يزيد وكلّ من هو على مبدئه ممّن يطلب الخلافة وليس من أهلها، ويستبين لهم أنّ قاتليه أئمّة كفر لا إيمان لهم، لو أحيا الله النبيّ فنازعهم في ملكهم العضوض لحاربوه كما حاربه آباؤهم من قبل، حذو النعل بالنعل.

فهذا المعنى الخبيء[5] في نفوس القوم، الكمين في جوانحهم، لولا قتلهم الحسين ما بدا لأحد من المسلمين، ولا عرفوا أنّهم على ضلالة، ولا رفض خلافتهم أهل الدين، غير المطّلعين على حقائق الأمور قبل هذه الواقعة الطفّيّة.

---

(١) الهوادة: السكون والرخصة والمحاباة. لسان العرب ٣: ٤٤٠، «هود».

(٢) العارضة: قوّة الكلام. لسان العرب ٧: ١٨١، «عرض».

(٣) المرّة: القوّة والشدّة. لسان العرب ٥: ١٦٨، «مرر».

(٤) رجل مرس: شديد الممارسة ذو جلد وقوّة. كتاب العين ٧: ٢٥٣، «مرس».

(٥) الخبء: كلّ شيء غائب مستور. لسان العرب ١: ٦٢، «خبأ».

فلله درّ الحسين ما أنفعه للمسلمين حيّاً وميّتاً، وما أعظم حقّه علينا، أيسمع مسلم ما يلده الدهر في آخر عمره بقتل هكذا محام عن دين الإسلام أشرّها قتلة: ضرباً بالسيوف، وطعناً بالرماح، ورشقاً بالنبال، ورمياً بالحجارة، وقرعاً بالسياط، مُحلّئاً[1] عن ورود الماء، ممثّلاً به بعد قتله أعظم مُثلة، مهتوك الخبا، مسبيّ النسا، مأسور الأطفال، معلّى الرأس على القنا، يُطاف به من ملأ إلى ملأ، ولا يحزن له ويبكي عليه، ويستفز القلب عن مستقرّه؟!

هيهات، بل تلتهب عليه جوانحُه ضرماً، وتكاد تخرج شظايا قلبه تأوّهاً، وتسقط أحداق عيونه دموعاً من قبل أن يعلم من هو الحسين حسباً ونسباً عند الناس، من هو الحسين منزلة وقدراً عند المسلمين، من هو الحسين حبّاً وشغفاً عند جدّه رسول الله، من هو الحسين عظمة وجلالة عند الله.

فكيف به لو علم ذلك كلّه وأحاط خُبراً بأنّ بيته أشرف بيت في قريش، وقومه أفضل قوم في العرب، وفصيلته أفضل فصيلة عدنانية، وآباءه أكرم آباء من مضر الحمراء[2] وهاشم البطحاء[3]، وجدّه سيّد العالمين وخاتم النبيين،

---

(١) حلأ الإبل والماشية عن الماء تحليئاً وتحلئة: طردها أو حبسها عن الورود ومنعها أن ترده. لسان العرب ١: ٥٩، «حلأ».

(٢) لمّا حضرت نزار الوفاة قسّم ميراثه على ولده الأربعة، فأعطى مضر وإياداً وربيعة وأنماراً ماله، فمضر وربيعة الصريحان من ولد إسماعيل، فأعطى مضر ناقته الحمراء وما أشبهها من الحمرة، فسمّي مضر الحمراء. تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٣.

(٣) البطحاء في اللغة: مسيل فيه دقاق الحصى... وقبائل بني كعب هم: عدي وجمح وتيم وسهم ومخزوم وأسد وزهرة وعبد مناف وأميّة وهاشم، كلّ هؤلاء قريش البطاح. معجم البلدان ١: ٤٤٤، باب الباء و الطاء وما يليهما.

وأباه خير الوصيين ويعسوب[١] المؤمنين، وأمّه الزهراء بضعة النبيّ سيّدة نساء العالمين، وجدّتيه: هذه خير أمّهات المؤمنين[٢]، وهذه خير هاشمية ولدت هاشميين[٣]، وأخوه الحسن وأبناءه أئمّة أهل البيت، أئمّة الهدى ومصابيح الدجى، وعيالم[٤]العلم، وأهل التقى.

وبان له[٥] أنّ عليّة الصحابة وكبارها كانت تفديه بأنفسها، تتبرك بتقبيله صبياً ويافعاً وكهلاً وشيخاً، وكان أفضل الصحابة - باتّفاق الجمهور - أبو بكر يأخذه وهو صغير رضيع ويرفعه إلى صدره وعاتقه احتراماً وإجلالاً له[٦].

وكان عمر زمن خلافته معظّماً له جدّاً، جاء يوماً إلى المسجد وعمر على منبر رسول الله يخطب، فانتهره قائلاً: انزل عن منبر جدّي[٧]، فنزل إليه وأخذه برفق وزاد في إكرامه واحترامه.

---

(١) اليعسوب: أمير النحل وذكرها، ثمّ كثر ذلك حتّى سمّوا كلّ رئيس يعسوباً. لسان العرب ١: ٥٩٩، «عسب».

(٢) خديجة بنت خويلد سلام الله عليها جدّته لأمّه الزهراء عليها السلام، وهذا إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله: أقدمي خير مقدم يا خديجة، أنت خير أمّهات المؤمنين وأفضلهنّ. مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٥٢، الفصل الثاني، حديث ١٤.

(٣) فاطمة بنت أسد بن هاشم سلام الله عليها جدّته لأبيه علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٤) العيلم: البحر. كتاب العين ٢: ١٥٣، «علم».

(٥) معطوف على (فكيف به لو علم ذلك كلّه).

(٦) الصحيح أنّ أبا بكر كان يحمل الحسن عليه السلام وليس الحسين عليه السلام، صحيح البخاري ٤: ١٦٤، باب صفة النبيّ صلّى الله عليه وسلم.

(٧) تاريخ المدينة المنوّرة ٣: ٧٩٨.

وكان كثير من الصحابة يتقرّبون إلى الله بخدمته ونيل مرضاته، ويتبرّكون بتقبيل مواضع قُبلة الرسول من جسده، يعلم ذلك كلّه من سبر سيرة الصحابة[١].

وظهر له[٢] أنّه كان ريحانة رسول الله[٣]، يرشف[٤] مبسمه، ويلثم وجهه[٥]، ويشمّ نكهته، ويرفعه إلى صدره[٦]، ويرحله ظهره[٧]، ويطيل سجوده في صلاته إذا علا متنه[٨]، قائلاً في حقّه: من أحبّني أحبّ حسيناً[٩]، حسين منّي وأنا من حسين، حسين سبط من الأسباط[١٠]، حسين ريحانتي من الدنيا[١١]، حسين وديعتي في صالح المؤمنين[١٢].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٧٤ - ١٧٩، ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، رقم١٥٦٦.

(٢) معطوف على (وبان له).

(٣) فضائل الصحابة: ٢٠، فضائل الحسن والحسين.

(٤) الرشف: المصّ. الصحاح ٤: ١٣٦٤، «رشف»، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٩، ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٥) مسند أحمد ٢: ٤٤٠، مسند أبي هريرة.

(٦) سنن الترمذي ٥: ٣٢٣، حديث ٣٨٦١.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٢، ترجمة الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٨) مسند أحمد ٣: ٤٩٣، حديث شداد بن الهاد.

(٩) مسند أحمد ٢: ٢٨٨، مسند أبي هريرة، وفيه: من أحبّهما فقد أحبّني.

(١٠) مسند أحمد ٤: ١٧٢، حديث يعلى بن مرّة الثقفي.

(١١) مسند أحمد ٢: ٨٥، مسند عبد الله بن عمر بن الخطاب.

(١٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥٨، فصل في المفردات من مناقبهما.

وانكشف له[١] أنّ الله تعالى جعله وأخاه سيّدي شباب أهل الجنّة[٢]، وجعله ممّن أذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً[٣]، وجعله ممّن افترض مودّتهم على المسلمين[٤]، وجعله من الثقل الأصغر الذي تركه رسول الله مع القرآن[٥]؛ لهداية أمّته واستنقاذها من الضلالة وحيرة الجهالة بالاستمساك بهما.

إلى غير ذلك من الفضائل التي خصّه الله تعالى بها وحباه فيها، نقلتها ثقات الرواة وأئمّة الحديث وعلماء الأُمّة غير المتّهمين بمبالغة ولا تشيّع، وأودعتها في كتبها مشاهير الفضلاء كابن حجر في صواعقه[٦]، ومسلم في صحيحه[٧]، والليث في جمع فوائده[٨]، والإمام أحمد في مسنده[٩] وابن الأثير في كامله[١٠]، وابني جرير[١١] وطلحة[١٢]، وغيرهم من أهل الرواية والدراية وأهل السنّة والجماعة.

---

(١) معطوف على (ظهر له).

(٢) مسند أحمد ٣: ٣، مسند أبي سعيد الخدري.

(٣) شواهد التنزيل ٢: ١٨ – ١٣٩.

(٤) المعجم الكبير ٣: ٤٧، حديث ٢٦٤١.

(٥) مسند أحمد ٣: ١٤، مسند أبي سعيد الخدري، فضائل الصحابة: ١٥، فضائل علي.

(٦) الصواعق المحرقة ٢: ٥٥٩ – ٥٨٢، الفصل الثالث، الحديث العاشر فما بعد.

(٧) صحيح مسلم ٧: ١٣٠، فضائل الحسن والحسين وفضائل أهل بيت النبيّ.

(٨) جمع الفوائد ٢: ٢١٨.

(٩) مسند أحمد ١: ٢٧٠، ٢: ٥١٣، ٣: ٣.

(١٠) الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٩، ٤: ٤٢، ٥٤، ٥٧، ٦١ – ٦٢، ٦٦، ٨٠ – ٨١، ٨٥، ٩٣، ١٢٨، ٢٣٩، ٥: ٥٣٧ .

(١١) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٢، ٣٤٩، ٣٥٦، ٦: ١٩٦، جامع البيان ٣: ٤٠٧ – ٤١٠.

(١٢) مطالب السؤول في مناقب آل الرسول: ٣٧٥ – ٣٩٠.

فليت شعري ماذا تكون حال المسلم السنّي بعد أن عرف أنّ الحسين بهذه المثابة الكبرى والجلالة العظمى؟! أيهدأ من بكائه عليه آناً ما؟! أتجف دموعه ساعة ما؟! معاذ الله! حاشاك يا مسلم حاشاك، لا يكون ذلك منك أبداً.

ماذا تكون حال المسلم الشيعي – وهو المعتقد أنّ إمامه الحسين نور الله في أرضه، وحجّته على عباده، وفرقانه الناطق، وصراطه المستقيم، المعصوم من الخلل، المبرّأ من الزلل، الشفيع يوم المحشر، كما تعتقده الشيعة بأئمّتها الاثني عشر – إذا تصوّر ما أصاب إمامه من مصيبة عديمة الند، عقيمة الشكل، لا تُقلّ الأرض ولا تظلّ السماء مثلها، ولا يحمل عاتق الكون وكاهل الوجود ثقلها، ولا يسع نطاق الصبر كتمها، ولا صدر الجَلد[1] كظمها، أيلام إذا لازم النوح والبكاء إلى يوم الانقضاء؟! كلاّ لا يلام.

---

(١) الجلد: الصلابة. الصحاح ٢: ٤٥٨، «جلد».

عزاء الحسين عليه السلام

لا يلهي عن العبادة

قالوا: إنّ التعازي ملاهي للمتعبّد عن عبادته، وللكاسب عن كسبه، فهي حجر عثرة، وكدية[1] مضرّة في سبيل إصلاح المرء نظامي معاده ومعاشه.

أقول: عجباً من قوم يرون قراءة التعزية لهواً، وهي من صفايا العبادة الكريمة - كما ستعلمه - ولا يرون من الملاهي قراءة القصص الخرافية، والحكايات الخيالية، والجرائد الهزلية، والروايات الغراميّة والمجلاّت اللادينية وأضرابها، التي يشغلون جلّ نهارهم بقراءتها، ومعظم ليلهم بمطالعتها، وكلّهم لاهيةٌ قلوبهم عن ذكر الله وإقامة الصلاة، فلا يقومون لها - إن قاموا - إلّا كسالى كالذي يتخبّطه الشيطان من المسّ[2].

---

(١) الكدية: الأرض الصلبة. الصحاح ٦: ٢٤٧١، «كدى».

(٢) أصل التخبّط: الخبط، وهو الضرب على غير استواء. ويقال: بفلان مس وألس وأولق، أي: جنون. ومعناه: إلّا مثل ما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون. مجمع البيان ٢:٢٠٥.

وارحماه لك يا عزاء سيّد الشهداء، ما هذا التحامل الثقيل الوطأة عليك؟! ألستَ على فرض عدم الأصل الاجتهادي[١] الدال على رجحانك حالك حال سائر المباحات في الأصل العملي[٢]، فما بالهم أمسكوا عنها[٣] النكير وخصّوك بأشدّه؟!

أمقتٌ منهم للحسين عليه السلام صاحب العزاء؟! لا، لا، هم ينتحلون الإسلام، والمسلم لا يكره أهل البيت.

أكراهة للمعزّى وهو رسول الله؟! لا، لا، هم يزعمون أنّهم من أمّته، ولا تكره أمّة نبيّها.

أبغضٌ لأبيه سرى منه إليه؟! لا، لا، ليسوا بخوارج مكفّري أمير المؤمنين علي عليه السلام.

إذاً أيمسّهم منه نصب[٤] أو مخمصة[٥] أو ظمأ[٦]؟! لا، لا، هم على أرائكهم متكئون فكهون بمائهم وحلوائهم.

---

(١) هو الكتاب والسنّة.

(٢) هو الدليل الذي تتحدد به الوظيفة العملية المقرّرة للمكلّف عند الشكّ في الحكم الواقعي.

(٣) أي: عن القصص الخرافية والحكايات الخيالية وغيرها.

(٤) النصب: الإعياء والتعب. كتاب العين ٧: ١٣٥، «نصب».

(٥) المخمصة: وهي المجاعة. معجم مقاييس اللغة ٢: ٢١٩، «خمص».

(٦) ظمأ: عطش. الصحاح ١: ٦١، «ظمأ».

أترهقهم منه ذلّة؟! أتلحقهم معرّة[١]؟! لا، لا، هم بمعزل عن ذلك ليسوا في عيره[٢] ولا نفيره[٣].

أيخشون على جارحة من جوارحهم تؤذى به[٤]؟! لا، لا، لم تدمع لهم به عيون، ولم تخشع لهم قلوب، ولم تقرع[٥] لهم ظهور، ولم تلطم لهم صدور، ولم تصكّ[٦] لهم جباه، ولم تخمش[٧] لهم خدود، ولم تخدش[٨] لهم جلود،

---

(١) في لسان العرب ٤: ٥٥٦ «عرر»: المعرّة: الشدّة.

وفي الصحاح ٢: ٧٤٢: هي الإثم.

وفي مجمع البحرين ٩: ٢٠٥: هي الأمر القبيح المكروه.

(٢) العير: هي قافلة الحمير، وكثرت حتّى سمّيت بها كلّ قافلة، فكلّ قافلة عير. لسان العرب ٤: ٦٢٤، «عير».

(٣) النفير، والجماعة: أنفار، وهم الذين إذا حزبهم أمر اجتمعوا ونفروا إلى عدوهم. كتاب العين ٨: ٢٦٧، «نفر».

(٤) أي: بالعزاء.

(٥) قرع الشيء يقرعه قرعاً: ضربه. لسان العرب ٨ : ٢٦٣، «قرع».

(٦) الصكّ: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامّة بأيّ شيء كان. لسان العرب ١٠: ٤٥٦، «صكك».

(٧) الخمش: الخدش في الوجه، وقد يستعمل في سائر الجسد. لسان العرب ٦: ٢٩٩، «خمش».

(٨) الخدش: مزق الجلد، قلّ أو كثر. لسان العرب ٦: ٢٩٢، «خدش».

ولم تبضّع[١] لهم لحوم، ولم تعفّر[٢] لهم أفواه، ولم تشعث[٣] لهم شعور، ولم تعفّر لهم جسوم.

أتفوتهم منفعة مادية وأدبية؟! لا، لا، لم يلتهم[٤] من حظوظهم لا فتيلاً[٥] ولا نقيراً[٦].

إذاً ما الحادي لهم على هذا الإحفاظ[٧] المدهش، والكره الغليظ الشديد، والتنديد والتفنيد؟!

يميناً[٨] بأصحاب اليمين والسابقين الأوّلين **﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾**[٩] ما حداهم على ذلك سوى بغضهم الكمين في جنانهم لأهل

---

(١) بضعت اللحم أبضعه بضعاً، وبضعته تبضيعاً، أي: جعلته قطعاً. كتاب العين ١: ٢٨٥، «بضع».

(٢) العفر، بالتحريك: التراب، وعفره في التراب يعفره عفراً، وعفره تعفيراً، أي: مرغه. الصحاح ٢: ٧٥١، «عفر».

(٣) تشعث: تلبّد شعره واغبرّ. لسان العرب ٢: ١٦٠، «شعث».

(٤) وألته ماله وحقّه يألته ألتا، وألاته، وألته إياه: نقصه. وفي التنزيل العزيز: وما ألتنهم من عملهم من شيء. قال الفراء: الألت النقص. لسان العرب ٢: ٤، «ألت».

(٥) الفتيل: سحاة في شق النواة. كتاب العين ٨: ١٢٣، «فتل».

(٦) النقير: نكتة في ظهر النواة منها تنبت النخلة. كتاب العين ٥: ١٤، «نقر».

(٧) يقال للغضب الإحفاظ، يقال أحفظني، أي: أغضبني. معجم مقاييس اللغة ٢: ٨٧، «حفظ».

(٨) أي: أقسم يميناً.

(٩) الواقعة (٥٦): ٧٦.

البيت عليهم السلام، وحبّهم إطماس ذكرهم من لوح كلّ فم، وقرطاس كلّ سمع، وإن ادّعوا المودّة المفترضة من الله تعالى للقربى، فهم مائنون[١]، قاتلهم الله أنّى يؤفكون.

كم مدّع حبّ ذي دلّ[٢] وذي غنج[٣] ... ولم تكن سمةٌ فيه تصدّقه
للحبّ لفحة تعذيب ونفحة طيـ ... ـب فهو من تين يُصليه[٤] معبّقه[٥]
فكلّ من لم تقم للعشق بينة ... منه عليه فمكذوب تعشّقه[٦]

---

(١) مائن، أي: كاذب. لسان العرب ١٣: ٤٢٦، «مين».

(٢) الدل: دلال المرأة إذا تدلّلت على زوجها تريه جرأة عليه في تغنج وتشكل كأنّها تخالفه وليس بها خلاف. كتاب العين ٨: ٨، «دل».

(٣) الغنج: الشكل. الصحاح ١: ٣٣٢، «غنج».

(٤) يصلاها: قاسى حرّها. لسان العرب ١٤: ٤٦٧، «صلا».

(٥) العبق: لزوق الشيء بالشيء، وامرأة عبقة ورجل عبق: إذا تطيّب بأدنى طيب فيبقى ريحه أياماً. كتاب العين ١: ١٨٢، «عبق».

(٦) الظاهر أنّ الأبيات له قدّس سرّه.

حكم البكاء على الموتى

قالوا: إنّ البكاء على الموتى محرّم في الشريعة الإسلاميّة ؛ لما رواه البخاري عن عمر، عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّ الميّت ليعذّب ببكاء الحيّ عليه»[1].

أقول: روى البخاري رفض صحّة هذا الحديث عن أمّ المؤمنين عائشة ـ وناهيك بعائشة وثاقة وفقاهة وحافظة ـ قالت: «يرحم الله عمر، والله ما حدّث رسول الله: أنّ الله ليعذّب المؤمن ببكاء أهله عليه، حسبكم القرآن: ﴿**وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾»[2].

وهذا الحديث الفاروقي الذي تشبّث الخصم به لم يعمل أحد من المسلمين به حتّى راويه؛ لأنّه كما نقل عن ابن عبد ربّه في عقده أنّه بكى على

(١) صحيح البخاري ٢: ٨١، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «يعذّب الميّت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنّته.

(٢) المصدر نفسه، والآية من سورة الأنعام (٦): ١٦٤.

زيد أخيه[١]، وأنّه أمر نساء بني المغيرة أن يُرقن من دمعهن على أبي سليمان خالد بن الوليد[٢].

ونقل ثقات الرواة أنّ أبا بكر بكى على النبيّ[٣]، وعثمان على ابنته[٤]، وعلي على الزهراء،[٥] وفاطمة[٦] وعائشة[٧] على أبويهما، وأم سلمة على ابن عمّها المغيرة[٨]، وابن مسعود على ابن الخطاب[٩].

وحسبك ما استفاض وصحّ أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله -وهو القدوة ومنه يعلم الحلّ والحرمة- بكى على عمّيه أبي طالب[١٠] وحمزة[١١]، وعلى ولديه

(١) العقد الفريد ٣: ١٩١، البكاء على الميت.

(٢) العقد الفريد ١: ١٩٢، البكاء على الميت.

(٣) صحيح البخاري ٢: ٧٠، كتاب الجنائز، باب الدخول على الميّت بعد الموت إذا أُدرج في كفنه.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٣٩: ٣٧.

(٥) الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة ١: ٦٧٣.

(٦) العقد الفريد ٣: ١٩٤، الوقوف على القبور وما بين الموتى، تاريخ اليعقوبي ٢: ٣٥، وفاة خديجة وأبي طالب.

(٧) المصنّف للصنعاني ٣: ٥٦٣، حديث ٦٦٩٩، الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٨، ذكر وصيّة أبي بكر.

(٨) المعجم الصغير ٢: ٨٢، باب الميم من اسمه محمّد.

(٩) المصنّف للصنعاني ٧: ٢٨٩، حديث ١٣٢١٤.

(١٠) الطبقات الكبرى ١: ١٢٣، ذكر أبي طالب وضمّه رسول الله إليه.

(١١) المعجم الكبير ٣: ١٤٢، حديث ٢٩٣٢.

الحسين[١] وإبراهيم[٢]، ذاك قبل مصيبته وذا حين منيّته، وعلى ابن عمّه جعفر الطيّار[٣]، وعلى ابني معاذ[٤] ومظعون[٥]، وعلى وعلى.. ولا تحصى علوات بكائه على أهل بطانته[٦] وصلحاء أوليائه.

ولقد بكى ثلاثين يوماً على القرّاء وهو يدعو على قاتليهم في مجموع قنوتاته وإدبار صلواته كما رواه البخاري في جامعه[٧]، فليت شعري من هم القرّاء؟ وبماذا استحقّوا من رسول الله ملازمة هذا الحزن والبكاء، ونصب الوجه لله وبسط الكف وإطلاق اللسان بالدعاء؟

ما هم لعمر الله إلّا نفر من عرض[٨] المسلمين بُعثوا سرية إلى أهل بئر معونة ورئيسهم عامر بن فهيرة مولى لأبي بكر بن أبي قحافة، فقُتلوا هناك

---

(١) المعجم الكبير ٣: ١٠٨، حديث ٢٨١٧ و٢٨١٩.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٨٤، كتاب الجنائز، باب قول النبيّ صلى الله عليه وآله: «إنّا بك لمحزونون».

(٣) صحيح البخاري ٤: ٢١٨، كتاب فضائل أصحاب النبيّ، باب مناقب خالد بن الوليد.

(٤) كنز العمّال ١٣: ٤١٣، حديث ٣٧٠٩٣.

(٥) الطبقات الكبرى ٣: ٣٩٦، عثمان بن مظعون، سنن الترمذي ٢: ٢٢٩، حديث ٩٩٤.

(٦) بطانة الرجل: وليجته من القوم الذين يداخلهم ويداخلونه في دخلة أمرهم. كتاب العين ٧: ٤٤٠، «بطن». وراجع بكاءه على أهل بيته عليهم السلام في المصنف لابن أبي شيبة ٨: ٦٩٧، ما ذكر في عثمان، حديث ٧٤.

(٧) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧، كتاب الجهاد والسير، باب فضل قول الله تعالى: (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله)، ولم أجد بكاءه صلّى الله عليه وآله وسلّم عليهم.

(٨) فلان من عرض الناس، أي: هو من العامّة. الصحاح ٣: ١٠٨٩، «عرض».

غدراً، فطال بكاء النبيّ عليهم سرّاً وجهراً لكونهم كانوا مشغولين مشغوفين بحبّ القرآن وحفظه وتلاوة ما تيسّر لهم من آياته وسوره، لهذا استحقّوا من رسول الله هذا الوجد الشديد، فما الظنّ برسول الله إذا أنهي إليه قتل زميل القرآن، من أطائب أهل بيته وأفاضل عترته، سبطه الحسين عليه السلام مظلوماً مغدوراً؟! أترقأ[١] له عبرة؟! أتخبو[٢] له زفرة[٣] مدّة عمره ومضمار حياته؟!

ومن جبل الجبلّة[٤] البشريّة بتسنيم[٥] العاطفة الرحمية لا يبارحه[٦] على ولده وفلذة كبده رسيس[٧] الحزن والبكاء، ووطيس[٨] الوجد[٩] والجوى[١٠]، ما دام داعيهما بين جوانحه معتلج[١١]، وفي أحشائه مندمج.

---

(١) رقأ الدمع، يرقأ رقأ ورقوءاً: سكن. الصحاح ١: ٥٣، «رقأ».

(٢) خبت النار تخبو خبواً، أي: طفئت. كتاب العين ٤: ٣١٥، «خيب».

(٣) الزفر: الزفير، والفعل: يزفر، وهو أن يملأ صدره غمّاً ثمّ يزفر به، والشهيق مدّ النفس ثمّ يزفر، أي: يرمي به ويخرجه من صدره. كتاب العين ٧: ٣٦٠، «زفر».

(٤) الجبلّة: الخلقة. لسان العرب ١١: ٩٨، «جبل».

(٥) سنم الشيء وتسنّمه: علاه. لسان العرب ١٢: ٣٠٦، «سنم».

(٦) برح برحاً وبروحاً: زال. لسان العرب ٢: ٤٠٨، «برح». لا يبارحه، أي لا يزول عنه.

(٧) رسيس الحمى: أصلها. لسان العرب ٦: ٩٧، «رسس».

(٨) الوطيس: التنور. الصحاح ٣: ٩٨٩، «وطس».

(٩) الوجد: من الحزن. كتاب العين ٦: ١٦٩، «وجد».

(١٠) الجوى: الحرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن. الصحاح ٦: ٢٣٠٦، «جوا».

(١١) اعتلاج الأمواج: التطامها. كتاب العين ١: ٢٢٩، «علج».

بعيشك[١] قل لي: هل الشريعة الأحمديّة الغراء - وهي الحنيفية السمحاء - لا تسمح للمكروب بالبكاء؟!

أم هل النبيّ الكريم - وهو كما وصفه الله بالمؤمنين الرؤوف الرحيم[٢] - نزعت من قلبه الرحمة للمؤمنين، فحجر عليهم البكاء وتركهم إيّاه من أشقّ الأشياء عليهم؟!

أليس هو القائل لمن انتقد بكاءه على ولده إبراهيم: «إنّه بكاء رحمة ومن لا يرحم لا يُرحم»[٣]؟!

حقّاً أقول: إنّ سيرة النبيّ الأمين وآله الأطيبين وصحبه الأنجبين وسائر التابعين وكافة المسلمين، بل وعامّة الآدميين على البكاء لموتاهم قرناً بعد قرن، وجيلاً بعد جيل، تلك فطرة الله التي فطر الناس عليها، وسنّته في خلقه.

هو يضحك ويبكي، كما هو لا سواه يميت ويحيي، فما أدري هذه الفئة المحرّمة للبكاء عند فقد الأحبّة الأعزّاء أمن البشر أم من الحجر؟! بل هي أشدّ قسوة، فإنّ من الحجارة لما يشقق فيخرج منه الماء[٤]، فنعوذ بالله من شرّ العصبية الخرقاء المفضية بأهلها إلى مخاصمة المعقول والمنقول، المبيحَين[٥]

---

(١) بعيشك: قسم.

(٢) التوبة (٩): ١٢٨.

(٣) شرح معاني الآثار ٤: ٢٩٣، باب البكاء على الميّت، مجمع الزوائد ٣: ١٧، باب في البكاء.

(٤) إشارة إلى سورة البقرة (٢): ٧٤.

(٥) المبيحَين: الكلمة مثنى صفة لكلمتي المعقول والمنقول.

لإراقة الدموع، بل المرجّحين لها في بعض الأحيان، بل موجبيها لمن يضيق به وسعه فيخشى على نفسه أو عقله إذا سجن دمعة في مقلته[١] ولم يرقرقها على وجنته[٢]، فإنّ العقل يبيحه إهمالها، ويمنعه إمهالها، والنقل يلزمه إطلاقها وإرسالها.

قال الإمام الصادق عليه السلام لأبي الصيقل وقد شكا له وجداً[٣] وجده[٤] على ابن له هلك حتّى خاف على عقله: «إذا أصابك من هذا شيء فأفض من دموعك فإنّه يسكُنُ عنك»[٥].

---

(١) المقلة: شحمة العين التي تجمع البياض والسواد. الصحاح ٥: ١٨٢٠، «مقل».

(٢) الوجنة: ما ارتفع من الخدّين. الصحاح ٦: ٢٢١٢، «وجن».

(٣) الوجد: من الحزن. كتاب العين ٦: ١٦٩، «وجد».

(٤) أصاب الشيء: وجده. لسان العرب ١: ٥٣، «صوب».

(٥) الكافي ٣: ٢٥٠، حديث ٣، باب النوادر.

البكاء والسخط على القضاء

قالوا: إنّ البكاء للمصيبة التي خطّها الله في لوح القدر والقضاء سخط من العبد على مولاه في ما قدّره وقضاه، وناهيك بهذا عظيم ذنب مُحبط للأجر ومسخط للربّ.

أمّا كونه مسخطاً فللنبوي: «فمن رضي فله من الله الرضى، ومن سخط فله السخط»[1].

أمّا كونه محبطاً فللباقري: «ومن سخط القضاء مضى عليه القضاء وأحبط الله أجره»[2].

ومن المعلوم أنّ سخط الله على عبده وإحباطه أجره لا يكونان إلّا عن معصية كبرى وموبقة عظمى.

---

(١) تحف العقول: ٤١، في قصارى كلماته صلّى الله عليه وآله، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٣٨، حديث ٤٠٣١.

(٢) الكافي ٢: ٦٢، حديث ٩، باب الرضى بالقضاء.

أقول: لا ملازمة ذاتية بين البكاء من شيء والسخط منه، فكثيراً ما يبكي من أمر يهواه ويرضاه، بل يكون غاية ما يتمنّاه، كالعلاج الطبيّ المؤلم للمريض المترتّب عليه شفاؤه من دائه، فإنّه يبكي بالجبلة[١] من ألمه، ويتضوّر[٢] من وجعه الذي شرق[٣] به حلقوم جلده، وغصّت فيه لهوات[٤] صبره، بكاء قسريّاً طبيعياً.

وقد يبكي على قتيل استوجب القتل بدافع العاطفة الإنسانية والحنان الغريزي، كبكاء أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام على قتلى النهروان الذين قُتلوا لأجل مروقهم عن الدين بأسياف أولئك الباكين عليهم، فهم يرون قتلهم حسناً واجباً ومع ذلك دفعتهم الرقّة والألفة إلى أن أصبحوا يبكون عليهم، فسألهم علي عليه السلام بما هذه عبارته: «أتأسون عليهم»؟!

فقالوا: لا، إنّا ذكرنا الألفة التي كنّا عليها والبليّة التي أوقعتهم ؛ فلذلك رققنا عليهم.

فقال عليه السلام: «لا بأس»[٥].

ومن هنا انفتح للفقهاء باب جواز البكاء على الأليف الضال[٦].

---

(١) الجبلة: الخلقة. لسان العرب ١١: ٩٨، «جبل».

(٢) التضوّر: صياح وتلوّ عند وجع من ضرب. كتاب العين ٧: ٥٤، «ضور».

(٣) شرق فلان بريقه، والشرق بالماء كالغصّ بالطعام، وهو أن يقع في غير مساغه، يقال: أخذته شرقة فكاد يموت. كتاب العين ٥: ٣٨، «شرق».

(٤) اللهاة: أقصى الفم، وهي لحمة مشرفة على الحلق. كتاب العين ٤: ٨٨، «لهو».

(٥) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥٨٢، رقم ٥١٧، وعنه وسائل الشيعة ٣: ٢٨٤، حديث ٣٦٦٣.

(٦) العروة الوثقى ٢: ١٣٠، فصل في مكروهات الدفن، المسألة الأولى.

وكم رأينا عيناً تَسفح[1]، وعقيق دمع، وعَبرةً تُنظم سقيطَ جزع مرحمةً ورقّة لأفراخ[2] تنشّبت[3] بمخالب بزاة أو صقور ونحوها من السباع الضارية، تنهش لحمها، وتهشم عظمها، وتعبث بأرواحها، وأمّهاتها تحوم حولها والهة[4] حيرانة، لم تستطع على ذلك صبراً، وما بها على الدفاع من قوّة.

أليس هذه الحال المشاهدة تستفزّ القلوب عن مستقرّها، وتؤذن للعبرات بالهبوط، وللزفرات بالصعود، وإن تكن تلك الأفراخ المرئيّة أفراخ عقرب أو حيّة؟! فإنّ العداوة والبغضاء بين الرائي والمرئي لا تقفان حائلاً بين الرقّة الفطريّة وهذه النظرة الجارحة للعواطف والقلوب، والموغرة[5] للأكباد والصدور.

ومن نسيج هذا البكاء وعلى طرزه وشاكلته بكاء اللعين ابن سعد الخصم الألد والعدو المبين إلى آل يس، فإنّه على ما روي حين نظر الفاطميات بطف كربلاء بعد قتل حُماتهنّ، وهجوم عتاته على مخيّمهم لسلبهنّ، ورآهنّ يلذن من خيمة إلى خيمة، ومن خباء إلى خباء، والطغام[6] الطغاة تعدو خلفهن،

---

(١) سفح الدمع يسفحه سفحاً وسفوحاً فسفح: أرسله. لسان العرب ٢: ٤٨٥، «سفح».

(٢) الفرخ: ولد الطائر، وجمع القلّة أفرخ وأفراخ. الصحاح ١: ٤٢٨، «فرخ».

(٣) نشب الشيء في الشيء بالكسر نشوباً، أي: علق فيه. الصحاح ١: ٢٢٤، «نشب».

(٤) الوله: ذهاب العقل والفؤاد من فقدان حبيب. كتاب العين ٤: ٨٨، «وله».

(٥) الوغرة: شدّة توقّد الحرّ. الصحاح ٢: ٨٤٦، «وغر».

(٦) الطغام: أوغاد الناس. كتاب العين ٤: ٣٨٩، «طغم».

وتبتز[١] ما عليهن من حليّ وحلل، وتضرم النار في أطناب[٢] مضاربهن، وسجوف[٣] خيامهنّ، وهنّ يستغثن فلا مغيث، ويستجرن فلا مجير، بكى على حالهنّ[٤] لا سخطاً ولا تبرّماً من ذلك الصنع الفظيع، كلاّ، بل كما قال الشاعر:

رقّ لها الشامت ممّا بها ما حال من رقّ لها الشامت[٥]

وبعد، فمن ذا الذي يجتري من الأمّة الإسلاميّة على رسول الله وعلى صحابته كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وفاطمة وعائشة وأم سلمة وابني عبّاس ومسعود وأضرابهما من حملة الكتاب ونقلة السنّة وخدمة العلم وأئمّة المذاهب، فيرمي الجميع بسخطهم على الله، وتبرّمهم من حكمه وقضائه وامتحانه وابتلائه حين يلم على سيرتهم، ويسبر صحف تأريخهم، فيراهم بأسرهم كانوا يبكون لفقد أعزّائهم وأحبّائهم؟!

أم من ذا الذي ينسب إلى السجّاد زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام - وهو كما نعته أبو عثمان عمرو بن بحر الشهير بالجاحظ حيث قال: الناس على اختلاف مذاهبهم مجتمعون على فضله ولا يشكّ أحد في تقدّمه وإمامته[٦] - أنّه ماقت حكم الله، ساخط على قضائه ببكائه على أبيه مدّة عمره؟!

---

(١) بزّه يبزّه بزّاً: سلبه. الصحاح ٣: ٨٦٥، «بزز».

(٢) الطنب: حبل الخباء، والجمع أطناب. الصحاح ١: ١٧٢، «طنب».

(٣) السجف: الستر. الصحاح ٤: ١٣٧١، «سجف».

(٤) بحار الأنوار ٤٥: ٥٤، باب ٣٧.

(٥) تفسير القرطبي ١٠: ٣٤٣، ذيل قوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها). وفيه بدل (رقّ لها) (رثى لها) وبدل (ما حال من رقّ لها) (يا ويح من يرثى له).

(٦) كشف الغمّة ١: ٣٢، ينابيع المودّة ١: ٤٦٣، باب ٥٢ في إيراد رسالة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.

أم من ذا الذي يعزي للأئمّة ولده البكّائين على جدّهم الحسين عليه السلام أنّهم بذلك البكاء غير راضين عن الله، وهم الدالّون على مرضاته؟!

أجل، قد تتجلّى حال من الباكي بأقوال وأفعال تنضم إلى بكائه تترجم عمّا في نفسه الشريرة من سخطه على ربّه في ما أصابه من مصيبة، كقول أهل الميّت موجّهين الخطاب للوجهة الإلهية: ما كان يضرّك لو أبقيته لنا حيّاً نتمتع به، أكان بقاؤه كلاًّ[١] عليك، أكان مقلّلاً لرزقك، أمن الإنصاف أن تخترمه[٢] وهو الوحيد، وتبقي لغيرنا الكثير؟!

وما شاكل هذه الأقوال الفظيعة الشنيعة الصريحة بالسخط على الله والاعتراض على قضائه، فهذا الفرد من المصابين هو المسخوط عليه والمحبوط الأجر، كما هو مفاد النصّين الآنفين.

---

(١) الكلّ: العيال والثقل. الصحاح ٥: ١٨١١، «كلل».

(٢) اخترم فلان، أي: ذهب فمات. كتاب العين ٤: ٢٦٠، «خرم».

البكاء والصبر الجميل

قالوا: الباكي تارك للصبر الجميل، وتاركه مذموم موزور؛ لقول أمير المؤمنين عليه السلام للأشعث بن قيس ـ معزّياً له بولده ـ : «إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم»[(١)].

ولقول الصادق عليه السلام: «أمّا إنّك إن تصبر تؤجر، وإن لا تصبر يمض عليك قدر الله وأنت موزور»[(٢)].

ولا ريب أنّ الذمّ والوزر من لوازم المحرّم.

أقول: أوّلاً: ليس كلّ باك بتارك للصبر الجميل، فقد يبكي المصاب بمصيبته وقلبه مطمئن بتسليم نفسه لله، ورجوعه إليه، وتفويض الحول والقوّة له

---

(١) الكافي ٣: ٢٦١، حديث ٤٠، باب النوادر. والوارد هو تعزيته بأخ له يقال له: عبد الرحمن.

(٢) الكافي ٣: ٢٢٥، حديث ١٠، باب الصبر والجزع والاسترجاع.

على احتمال المكروه، وكونه هو المستعان وعليه سبحانه التكلان، لم تبدر منه بادرة تنافي التوكّل على الله والالتجاء إليه في ما أصيب به، وهذا هو روح الصبر وحقيقته القائمة بالنفس، ويدلّ عليه وصف الله الصابرين بالمحوقلين وبالمسترجعين، أي: القائلين إذا أصابتهم مصيبة: لا حول ولا قوّة إلّا بالله، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون[١].

فالمسلم المحتسب المفوّض أمره له تعالى يعدّ صابراً وإن بكى[٢]وانتحب[٣] وناح وندب وتأثّر ممّا ألمّ به من ألم، متى كانت تلك الأمور منبعثة من رياح الفطرة، ومثارةً من مهب الجبلّة، وجارية على سنن البدعة وناموس[٤]الطبيعة، فلو كلّف والحال هذه بترك تلك الأمور لوقع في حمأة[٥] العسر والحرج، وركس[٦] في لجّة[٧] العسر والضرر، واللازم[٨] باطل كتاباً وسنّة لقوله تعالى: **﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾**[٩].

---

(١) إشارة إلى الآية ١٥٦ من سورة البقرة.

(٢) البكا، يمد ويقصر، فإذا مددت أردت الصوت الذي يكون مع البكاء، وإذا قصرت أردت الدموع وخروجها. الصحاح ٦: ٢٢٨٤، «بكى».

(٣) النحيب: رفع الصوت بالبكاء. الصحاح ١: ٢٢٢، «نحب».

(٤) الناموس: السر. تاج العروس ٩: ٢٥، «نمس».

(٥) الحمأ: الطين الأسود المنتن، ويسمّى الطين الذي نبت من النهر: الحمأة. كتاب العين ٣: ٣١٢، «حمى».

(٦) ارتكس الرجل فيه إذا وقع في أمر بعدما نجا منه. كتاب العين ٥: ٣١٠، «ركس».

(٧) اللجّة: الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه. تاج العروس ٣: ٤٧٠، «لجج».

(٨) أي: وقوع المسلم في العسر والضرر.

(٩) الحجّ (٢٢): ٧٨.

وقوله صلى الله عليه وآله: «لا ضرر ولا اضرار في الإسلام»[١].

فالملزوم[٢] مثله.

نعم، قد يمضي المصاب برزية في سبيل هلعه[٣] منها وجزعه وحزنه وبكائه غير مزوّد بزاد التقوى، وهو التسليم والتفويض لله والرضى بقضائه، فهذا الباكي بخصوصه يكون تاركاً إيكال الأمور لله، وغير صابر على فتنته وبلائه، فهو الحريّ بأن يكون مذموماً موزوراً كالأشعث المارق عن الدين، والمعين ابن ملجم اللعين على قتل علي أمير المؤمنين، فإنّ بكاءه لمصيبته بولده[٤] متجلّ لأمير المؤمنين أنّه مقت لجارية القضاء الإلهي، وتبرّم[٥] على الله في حكمه، وعدم نجوع[٦] وتطامن[٧] لصدور أمره، فلهذا أثبت له المذمّة عليه.

فشتّان بين بكاء هذه النفس الشريرة ومن على شاكلتها من الأشرار وبين بكاء المؤمنين الصالحين الأخيار، فذاك مناف للصبر وفاعله مأثوم مذموم، وهذا غير مناف وفاعله ناج مرحوم لطفاً من الله ورحمة، والله اللطيف الخبير.

---

(١) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٣٤، حديث ٥٧١٨.

(٢) أي: تكليف المسلم بترك البكاء وما قد يصاحبه من نحيب وندب.

(٣) الهلع: أفحش الجزع. الصحاح ٣: ١٣٠٨، «هلع».

(٤) الوارد هو مصيبته بأخ له يقال له: عبد الرحمن. الكافي ٣: ٢٦١، حديث ٤٠، باب النوادر.

(٥) برمت بكذا، أي: ضجرت منه برماً، ومنه: التبرّم. كتاب العين ٨: ٢٧٢، «برم».

(٦) نجع فيه الخطاب والوعظ والدواء، أي: دخل وأثّر. الصحاح ٣: ١٣٨٨، «نجع».

(٧) وزن اطمأن افلعل ؛ لأنّ أصل الميم أن تكون بعد الألف؛ لأنّه من تطامن إذا تطأطأ، وإنّما قدّموها لتباعد الهمزة التي هي عين الفعل من همزة الوصل فيكون أخف لفظاً. تاج العروس ١٨: ٣٥٩، «طمن».

وثانياً: ما كلّ صبر براجح جميل، فضلاً عن كون فعله واجباً أو تركه محرّماً يذمّ ويؤزر عليه؛ لما نعلمه بالضرورة من الدين أنّ المصائب الحائقة[١] بالدين خسفاً، وبالإسلام هوناً وصغاراً، وبالمسلمين تنكيلاً[٢] وتدميراً، وبالشرعة النبوية تحريفاً وتبديلاً، وبالأحكام الشرعيّة تركاً ورفضاً، كلّها مستوجبةٌ الحزن والأسف والأسى والبكاء والتأثّر والانفعال من كلّ ذي دين، وإلّا لما أمر الله بإنكار المنكر، وهل المنكر إلّامصيبة منصبّة على الدين يجب على كلّ فرد من أفراد ذويه إنكارها بالتألّم من صدورها، والبث والحزن وإبهاض[٣] النفس لوقوعها، وهذا أقلّ مراتب إنكارها الذي يقدر عليه كلّ أحد من المتديّنين، فكيف والحال هذه، يقال: إنّ الصبر بها جميل ويرجّحه دين قويم.

بعيشك، دلّني على متديّن من المسلمين، بل ومن غير المسلمين، إذا قرعت جبين دينه سياط الكوارث، ولكمت عرنين[٤] يقينه أيدي المصائب، لا يتململ من ذلك تململ السليم[٥]، ويئن أنين السقيم، وتأخذ ثورة الحزن والكآبة في فراش صدره وأحداق عينه وأسارير وجهه كلّ مأخذ عظيم.

---

(١) حاق به الشيء يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً، الأخير بالتحريك: أحاط به فهو حائق. تاج العروس ١٣: ١٠١، «حيق».

(٢) النكل: ضرب من اللجم والقيود. كتاب العين ٥: ٣٧١، «نكل».

(٣) البهض: ما شقّ عليك. لسان العرب ٧: ١٢٢، «بهض».

(٤) العرنين: الأنف. كتاب العين ٢: ١١٧، «عرن».

(٥) السلم: لدغ الحيّة، والملدوغ يقال له: مسلوم وسليم. كتاب العين ٧: ٢٦٥، «سلم».

إذاً، أيلام الموالي لأهل البيت وقد بلغه مصابهم بكربلاء، الثالّ[١] من الدين الحنيف عروشه، والماحي من الشرع الشريف صوره ونقوشه، إذا جزع وهلع وناح وأعول لهذا المصاب الديني الجليل؟!

مصابٌ ما السلو به مصاب ... ولا الصبر الجميل به جميل
وكيف وشرعة المختار ثكلى ... به والمصطفى الهادي قتيل[٢]

ومن المصائب الدينية موت علماء الدين، فهم حصون الإسلام كما ورد[٣]، فإذا مات واحد منهم ثلم الإسلام ثلمة لا يسدّ فراغه أحد، فالبكاء عليه راجح محبوب مستحسن مندوب.

بل يحسن ويجمل البكاء على كلّ ميّت صالح الأعمال، ولذا وردت الرخصة من الله أن تبكي عليه بقاع الأرض التي كان يعبد الله عليها وأبواب السماء التي كانت ترفع أعماله منها[٤].

أفيأذن الله للخضراء والغبراء بالبكاء عليه، ولا يأذن بذلك لإخوانه المؤمنين؟! إن هذا إلّا إفك مبين!

إن قلت: حسن الصبر ورجحانه وترتّب المثوبة وجزيل الأجر عليه من الأمور المسلّمة المقطوع بها كتاباً وسنّة، وإجماعاً وسيرة، وعقلاً، فكيف لا يرجح ويحسن في النوب[٥] والمصائب الدينية؟!

---

(١) وثلّ عرشه، أي: زال قوام أمره. كتاب العين ٨: ٢١٥، «ثل».

(٢) الظاهر أنّ الأبيات له قدّس سرّه.

(٣) الكافي ١: ٣٨، حديث ٣، باب فقد العلماء.

(٤) الكافي ٣: ٣٥٤، حديث ١٣، باب النوادر.

(٥) النائبة: النازلة، وهي النوائب والنوب، الأخيرة نادرة. لسان العرب ١: ٧٧٤، «نوب».

قلت: الحسن والقبح للأشياء وإن كانا ذاتيين لها لا بالوجوه والاعتبار – على الأقوى – بيد أنّ كونها كذلك نريد به أنّ الأشياء من قبيل المقتضيات لهما، لا العلل التامّة المستحيل انفكاكها عن المعلولات.

فالصدق والكذب مثلاً مقتضيان للحسن والقبح، نظير النار للإحراق يؤثّران حيث لا مانع، أمّا مع وجوده فلا، كالصدق الذي فيه هلكة نبي، والكذب الذي فيه منجاته، فيبطل تأثيرهما كالرطوبة في الحطب المبطلة لإحراق النار له.

كذلك الصبر هو حسن ما لم تكن المصيبة دينية، وإن تكنها فلا، ومن هنا يستنير لك الوجه من قول الإمام الصادق عليه السلام: «كلّ جزع مكروه إلّا على الحسين عليه السلام»[1]؛ لكون الجزع عليه جزعاً على الدين، فلا يكون مرجوحاً، بل راجحاً حسناً، فساغ الاستثناء ممّا تقدّم.

ومن العجائب – والعجائب جمّة – أنّ هذه العصابة التي في قلوبها مرض على الدين، تنظر في الكتاب والسنّة وفيهما المحكم والمتشابه، فتتبع ما تشابه منهما ابتغاء الفتنة، وهي النابذة لذينك الإمامين المبيّنين[2] وراءها ظهريّاً، والمتّخذة أحكامهما هزواً وسخرياً، ولكنّها تطفّلت على موائدهما ولم تدر ذوقهما لتعرف طيبهما، ومن ذاق عرف، فاحتجّت على المستمسكين بعروتهما الوثقى وحبلهما المتين بمتشابهات من الروايات، لم تدر ما لفظها وما معناها،

---

(١) كامل الزيارات: ٢٠١، حديث ٢٨٦.

(٢) يقصد بهما الكتاب والسنّة.

فليتها إذ احتجّت بالحديثين الشريفين العلوي[١] والباقري[٢] الآمرين بالصبر المثبتين لتاركه الذم والوزر، رضخت لسيرة الأئمّة العمليّة القطعيّة من البكاء على موتاهم وقتلاهم، ولا سيما البكاء على شهيد كربلاء، وحثّهم شيعتهم على ملازمة ذلك كما تواترت عنهم الأعمال والأقوال!

وليتها قبل احتجاجها بالنصّين الآنفين استحفّت[٣] السؤال عن معنى الصبر الذي فاعله يؤجر وتاركه يذم ويوزر، هل هو الإمساك عن البكاء مطلقاً أو عن بكاء خاص وهو ما كان لمصيبة دنيوية مشفوعاً بالتبرّم على الله منها، وبالانتقاد عليه سبحانه في إيجادها؟

لا شك أنّ هذا هو المقصود وغيره غير محرّم قطعاً، وإلّا لما صدر من أهل العصمة والمعلوم صدوره منهم كما تقدّم.

---

(١) قوله عليه السلام: «إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت محمود، وإن جزعت جرى عليك القضاء وأنت مذموم». الكافي ٣: ٢٦١، حديث ٤٠، باب النوادر.

(٢) المحتجّ به هو قول الصادق عليه السلام: «أمّا إنّك إن تصبر تؤجر، وإلّا تصبر يمض عليك قدر الله الذي قدر عليك وأنت موزور». الكافي ٣: ٢٢٥، حديث١٠، باب الصبر والجزع والاسترجاع. نعم ورد عن الباقر عليه السلام ما يلزم ذلك. الكافي ٢: ٦٢، حديث٩، باب الرضا بالقضاء.

(٣) حفّ القوم بالشيء وحواليه يحفون حفّاً وحفوه وحففوه: أحدقوا به وأطافوا به وعكفوا واستداروا. لسان العرب ٩: ٤٩، «حفف».

الاجتماع في العزاء والبدعة

قالوا: الاحتشاد[1] والاجتماع لنصب عزاء الحسين عليه السلام سيّد الشهداء، أمر حادث في أزمنة الصفويين والبويهيين، وكلّ حادث بدعة، والبدعة محرّمة، وكلّ محرّم يجب تركه، فيجب على الشيعة إلغاء الاجتماعات التي سنّتها لها السياسة الدولية، ونصبتها حبائل[2] حيل، وثبتتها أشراك[3] خدع؛ لتقتنص بها أهواء الشيعة وميولها إليها، فترفع بها دعامة ملكها، وتقوي شوكة سلطانها، وكذلك كان حتّى بلغ الكتاب أجله من إبادة ملكها – والملك أدوار – وانقراض أيامها – والأيام دول – ماتت الساسة ولم تمت السياسة، وهلكت الحِيَلَةُ وبقيت الحيلة، فتلقّاها الخلف عن سلف بيد القبول، وقلّدت الأبناء فيها

(١) يقال: احتشد القوم لفلان، إذا أردت أنّهم تجمّعوا له وتأهّبوا. لسان العرب ٣: ١٥٠، «حشد».

(٢) الحبالة: التي يصاد بها، وجمعها حبائل. لسان العرب ١١: ١٣٦، «حبل».

(٣) الشرك، بالتحريك: حبالة الصائد. الصحاح ٤: ١٥٩٤، «شرك».

الآباء ظنّاً أنّها من معالم الدين، وسنن سيّد المرسلين، وهذا من الجهل، والجهل عيبة[١] كلّ عيب، ومن التعويل على التقليد بلا دليل.

فهلاّ طاروا عن خطة التقليد الذميم بأجنحة استفراغ الوسع في طلب الحجّة والدليل، محلّقين تحليق الباز الكاسر عن هوّة الجهالة السحيقة[٢] إلى صهوات[٣] الصواب وذروة الحقيقة، لتتجلّى لهم بالحس والعيان هيئة علمية جديدة النظام، تبرهن لهم بمنظاراتها المكبّرة للصغير والمقرّبة للبعيد أغلوطة عقيدة متقدّميهم، ووهن أنشوطة[٤] سالفيهم، وتكشف بأشعّة كهربائها كلّ خبيء في جسم هذا العالم العليل، فلا تدع ضلعاً عوجاء في جوانح الصحة العمومية والحياة الاجتماعية إلّا أبدته نصباً للعيون، ولا قرحةً دويّة[٥] في أحشاء السعادة البشرية إلّا وأظهرت ضميرها المستتر المكنون، ليهون علاجها على النطاسي[٦] الماهر، والآسي[٧] الحاذق، فيقتلع شوكتها، ويستأصل شأفتها[٨].

---

(١) العيبة :الوصمة. لسان العرب ١: ٦٣٣، «عيب».

(٢) سحيق، أي: بعيد. الصحاح ٤: ١٤٩٥، «سحق».

(٣) صهوة كلّ شيء: أعلاه. لسان العرب ١٤: ٤٧١، «صها».

(٤) الأنشوطة: عقدة يسهل انحلالها، مثل عقدة التكة. الصحاح ٣: ١١٦٤، «نشط».

(٥) الدوى: اللازم مكانه لا يبرح. لسان العرب ١٤: ٢٧٩، «دوا».

(٦) النطاسي والنطيس: العالم بالطب. كتاب العين ٧: ٢١٥، «نطس».

(٧) الآسي: الطبيب. لسان العرب ١٤: ٣٤، «أسا».

(٨) الشأفة: قرحة تخرج في أسفل القدم فتكوى فتذهب. الصحاح ٤: ١٣٧٩، «شأف».

هذا هو العلم المعزّ ذويه، والمجلّ أهليه، والناشل[١] الأمم من حضيض الفقر، المدرّ عليها أخلاف[٢] النعم والبر، الآخذُ بيمين صاحبه إلى رقيّ كرسي المناصب العالية والاستواء على عروش الإمرة السامية، وإلى إفعام[٣] الأسفاط[٤]والجيوب نضاراً[٥]، والبلاد عماراً، لا علم الفقه الذي تشقى بطلبه طلاّبه من مهدهم إلى لحدهم، وما قصاراه سوى الظنّ بإباحة أمر أو حظره، ونجاسة شيء أو طهره.

فهذا علم لا يغني ولا يقني[٦]، شعار حافظيه الفقر المدقع، ودثارهم[٧] الضرّ المهلك، لا يطعمهم من جوع، ولا يؤمنهم من خوف، فهلمّوا منه إلى العلم أيّها الجهلة الغفلة، إلى الحياة إلى الحياة أيّها العظام الرفات، إلى الغنى والثراء أيّها الفقراء البؤساء[٨].

فحتام[٩] حتّام هذه الأنام عما الأسراع إليه أحزم؟!

---

(١) نشل الشيء ينشله نشلاً: أسرع نزعه. لسان العرب ١١: ٦٦١، «نشل».

(٢) الأخلاف، جمع خلف، بالكسر: وهو الضرع لكلّ ذات خفّ وظلف. لسان العرب ٩: ٩٢، «خلف».

(٣) الفعم: الممتلىء. الصحاح ٥: ٢٠٠٣، «فعم».

(٤) السفط: الذي يعبى فيه الطيب. لسان العرب ٧: ٣١٥، «سفط».

(٥) النُضار: الذهب. الصحاح ٢: ٨٢٩، «نضر».

(٦) القنى: الرضى. لسان العرب ١٥: ٢٠٢، «قنا».

(٧) الدثار: كلّ ما كان من الثياب فوق الشعار. الصحاح ٢: ٦٥٥، «دثر».

(٨) البؤس: الشدّة والفقر. لسان العرب ٦: ٢٠، «بأس».

(٩) قولهم: حتّام، أصله حتّى ما، فحذفت ألف ما للاستفهام. وكذلك كلّ حرف من حروف الجر يضاف في الاستفهام إلى «ما» فإنّ ألف «ما» تحذف فيه.

وإلام وإلام هذا الإحجام عما الإقدام إليه أحجى[1] وأمثل؟!

فقد سعدت الأمم وأنتم في شقاء، واستجمّت[2] وأنتم في مزيد عناء، وتنوّرت وتبصّرت وأنتم همج رعاع، فصوّبوا وصعّدوا سهام البصر والبصيرة في هذه الحياة الدنيا، هل هي للبؤساء فيها سوى نار تلظى هم فيها معذّبون، والأغنياء بها سوى جنّة المأوى هم فيها منعّمون؟!

هل يستوي أصحاب الجنّة وأصحاب النار؟!

كلا، أصحاب الجنّة هم الفائزون، إذاً فتحرروا يا عبدة المقلّدين، يا أرقّاء الجهلة الروحيين الممتصّين ثروتكم وأنتم لا تشعرون، الذين يردون بكم حياض المهالك، ثمّ لا يُصدرون[3].

أقول: يا حبلى التعجب لدي[4]، ويا ثكلاء اضحكي، متى كانت الأُمّة العربيّة في جاهليتها وإسلامها لا يجتمع الملأ الكثير منها للقيام بمأتم العميد الفقيد والعزيز الكريم كي يقال: إنّ الاجتماع لعزاء سيّد الشهداء مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام من محدثات الأمور ومبتدعاتها؟!

أليس صحّ عن النبيّ صلى الله عليه وآله قوله يوم عوده من أحد إلى المدينة وسماعه المناحة والبكاء من دور الأنصار على مستشهديهم ما هذا نصّه: «لكن حمزة لا بواكي له»؟!

---

(١) أحجى، بمعنى أجدر وأولى وأحقّ. لسان العرب ١٤: ١٦٧، «حجا».

(٢) الجمّ والجمم: الكثير من كلّ شيء. لسان العرب ١٢: ١٠٤، «جمم».

(٣) أصدرته فصدر، أي: رجعته فرجع. وقوله تعالى: (يصدر الرعاء) أي: يرجعوا من سقيهم. لسان العرب ٤: ٤٤٨ و٤٤٩، «صدر». والمراد: ثمّ لا يُرجعوكم من حياض المهالك.

(٤) لِدي: فعل أمر، من وَلَدَ يلد ولادةً.

فسمع أهل المدينة ذلك، فجاءت نساؤهنّ إلى بيت فاطمة، فأقمن مأتم حمزة عندها، ولم يقم لهم بعد ذلك مأتم إلّا ابتدأنه بحمزة[١].

أليس صحّ عن الصحابة يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله اجتماعهم حوله يبكونه واعترت كبارهم يومئذ الدهشة لعظم الرزيّة، فاختلّ بعض، وبعض أقعد وآخر خُتم على فمه، ورابعٌ ضني[٢] حتّى مات[٣]؟!

ألم تجمع أم المؤمنين عائشة النساء عندها للبكاء على أبيها[٤].

ألم تجتمع عندها النساء يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ لإقامة العزاء، وقامت معهنّ تلتدم[٥]؟! والالتدام: ضرب الخد باليد في المصاب[٦].

أليس مرّ النبيّ صلى الله عليه وآله وصاحبه عمر بنسوة مجتمعات يبكين ميّتاً فزجرهنّ عمر، فمنعه النبيّ صلى الله عليه وآله عن بعثرتهنّ[٧]؟!

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٤٤، من قُتل من المسلمين يوم أحد، من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٣، حديث ٥٣٣.

(٢) الضنا: المرض. الصحاح ٦: ٢٤١٠، «ضنا».

(٣) سبل الهدى والرشاد ١٢: ٢٧٤، باب٢٧ في عظم المصيبة وما نزل بالمسلمين بموته صلّى الله عليه وسلّم.

(٤) الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٩، ذكر وصيّة أبي بكر.

(٥) مسند أحمد ٦: ٢٧٤، حديث السيّدة عائشة.

(٦) كتاب العين ٨: ٤٦، «لدم».

(٧) المستدرك على الصحيحين ١: ٣٨١، البكاء على الميّت.

أليس أقامت نساء بني مخزوم مأتم خالد برخصة من عمر، وكنّ تركنه مجاراة له وخشية منه بما يعلمون من موجدته[١] على خالد[٢].

ألم تستأذن من النبيّ صلى الله عليه وآله زوجه أم سلمة أن تخرج لمناحة نساء أهلها على ابن عمّها، فأذن لها بالذهاب لذلك المحفل، فناحت مع نائحاته المجتمعات[٣].

ألم يرد أنّ الإمام الصادق عليه السلام قال لفضيل بن يسار: «أتجلسون وتتحدّثون»؟

قال: نعم، جعلت فداك.

قال: «إنّ تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا» الحديث[٤].

وهو يدلّ صريحاً أنّ الشيعة كانت زمن الصادق عليه السلام وقبله تحتشد وتجتمع لمأتم الحسين عليه السلام، وما أبعده عن أزمنة الصفويين وآل بويه.

نعم، تظاهرت الشيعة بتلك الأزمنة فيما كانت قبل تضمره، وتكاشفت عمّا كانت تستره، وأعلنت وجهرت بما كانت تسرّه وتخفيه تقيّة من الدول العادية المعادية لأهل البيت عليهم السلام؛ كي لا يعرفوا بذلك العمل أنّهم من شيعتهم ومحبّيهم ومواليهم فيؤخذوا ويقتّلوا تقتيلاً، كما فعل بكثير منهم، هذا لمحض

---

(١) الموجدة من الغضب. كتاب العين ٦: ١٦٩، «وجد».

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٦: ٢٧٧، كنز العمال ١٥: ٧٣١، حديث٤٢٩٠٨.

(٣) المعجم الصغير ٢: ٨٢.

(٤) قرب الإسناد: ٣٦، حديث ١١٧.

الظنّة والتهمة بكونهم من محبّي عترة النبيّ صلى الله عليه وآله ومن مرجّحيها على المروانية والعبّاسية استحقاقاً للخلافة الإسلاميّة والإمامة العظمى المحمّدية لاجتماع شرائطها بهم دون غيرهم.

فلهذه العقيدة المراغمة[1] لملوك الدولتين، كانت رجال السلطة وشرطة الخميس[2] تطلب كلّ فرد من أفراد الشيعة طلباً حثيثاً، وتنقّب عليه في عرض الأرض وطولها، فتسفك دمه ودم كلّ علوي تشمّ من أمّ رأسه رائحة النزعة إلى الإمرة، والميل إلى نيلها، ونزع صولجان[3] الملك من كفّ قابضه، والملك لا شكّ عقيم يُهلك الوالد لأجله ولده، فضلاً عن قريبه البعيد.

ولمّا أمنت بشوكة دولتها المضرّة والانتقام، أبدت من شعائر الحبّ والموالاة والتعظيم لأئمّة أهل البيت ما كان خبيئاً محجوباً، ثمّ عادت الكرّة عليهم فعادت إلى سيرتها الأولى من التقيّة.

والتقيّة باب رحمة من الله فتحه بمحكم كتابه المبين[4] لأهل الدين، وشرّعه حناناً منه ولطفاً إلى الأوّلين من المؤمنين والآخرين، بها نجّى الله حزقيل من

---

(١) المراغمة: الهجران. كتاب العين ٤: ٤١٨، «رغم».

(٢) والخميس بالفتح: الجيش، سمّي به لأنّه خمسة أقسام: الميمنة والميسرة والمقدّم والساقة والقلب، وشرطة الخميس: أعيانه. مجمع البحرين ١: ٧٠٢، «خمس».

(٣) الصولج والصولجان والصولجانة: العود المعوج، فارسي معرّب. لسان العرب ٢: ٣١٠، «صلج».

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إلّا أن تتّقوا منهم تقاة**﴾ آل عمران (٣): ٢٨.

فرعون، وحاق[١] بالواشين عليه سوء العذاب[٢]، ونجّى أبا اليقظان إذ أظهر الشرك وقلبه مطمئن بالإيمان[٣].

فالتقيّة للشيعة وليجة[٤] نعمّا تنضوي إليها كلّما خافت على نفوسها، وأطل[٥] البلاء على رؤوسها، وتهددها السيف الأبيض بالموت الأحمر في اليوم الأسود، وآذنتها جذوع النخل في الصلب عليها، وأطراف البلاد في النفي إليها، والسجون الحرجة بالزج فيها، والقيود الدهم[٦] بالحمل عليها، والمقامع[٧] بالقرع، والسياط بالجلد.

ذلك هو البلاء العظيم الذي كانت مشاهير الشيعة تعانيه من الدولتين الناصبتين العداوة والبغضاء لأهل البيت، وهم آل الرسول وأبناء بضعته وحبيبته الزهراء البتول، المشرّبين من أكفّ حقدهما، وأكؤس[٨] ضغنهما، نفوس

---

(١) حاق به الشيء يحيق، أي: أحاط به. الصحاح ٤: ١٤٦٦، «حيق».

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري: ٣٥٧، حديث ٢٤٧، الاحتجاج ٢: ١٣١، مناظرة بحضرة الإمام الصادق عليه السلام بين رجل من شيعته وآخر من مخالفيه.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**إلّا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾، النحل (١٦): ١٠٦، وعمّار ابن ياسر يكنّى أبا اليقظان، رجال الطوسي: ٧٠، رقم ٦٣٩.

(٤) وليجة: كلّ شيء أولجته فيه وليس منه. لسان العرب ٢: ٤٠٠، «ولج».

(٥) أطلّ عليه، أي: أشرف. الصحاح ٥: ١٧٥٢، «طلل».

(٦) الدهمة: السواد. الصحاح ٥: ١٩٢٤، «دهم».

(٧) المقمعة: خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه، والجميع المقامع. كتاب العين ١: ١٨٩، «قمع».

(٨) الكأس يذكّر ويؤنّث، وهو القدح والخمر جميعاً، وجمعها: أكؤس وكؤوس. كتاب العين ٥: ٣٩٣، «كأس».

السواد الإسلامي الأعظم[١] صهباء[٢] المقت والشنئان[٣] لذرية النبيّ ومواليهم، حتّى دبّت تلك الروح العبقرية في جسم كلّ كبير، وشرب سمّها صميم[٤] كلّ صغير، ولا بدع فالرعايا - كما قيل - على دين ملوكها خلقاً أو تخلّقاً، لا يسعها معهم إلّا الضرب على وتر وتيرتهم، والترجيع[٥] والترخيم[٦] تبعاً لغنتهم[٧]، وكلّها فسوق.

فإذاً ماذا تنتظر من العدو أن يصنع مع عدوّه؟!

أليس يكون من أكبر همّه وإطفأ لغليل[٨] قلبه - إن لم تسنح الفرصة لقتله - أن يجدّ كلّ الجد في الحط من شأوه[٩]، والإغماض عن حقّه، والأخذ بكلاكل[١٠]ناصريه، والبطش في حزبه ومعاونيه.

---

(١) أي: غير الشيعة من عموم المسلمين.

(٢) الصهباء: الخمر. الصحاح ١: ١٦٦، «صهب».

(٣) الشناءة مثل الشناعة: البغض. لسان العرب ١: ١٠١، «شنأ».

(٤) صميم الشيء: خالصه. الصحاح ٥: ١٩٦٨، «صمم».

(٥) الترجيع: تقارب ضروب الحركات في الصوت. كتاب العين ١: ٢٢٥، «رجع».

(٦) الترخيم: التليين. الصحاح ٥: ١٩٣٠، «رخم».

(٧) الغنّة: صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم يغور من نحو الأنف بعون من نفس الأنف. كتاب العين ٤: ٣٤٨، «غن».

(٨) الغليل: حرّ الجوف لوحاً وامتعاضاً. كتاب العين ٤: ٣٤٧، «غل».

(٩) الشأو: الغاية والأمر. لسان العرب ١٤: ٤١٧، «شأي».

(١٠) الكلكل والكلكال: الصدر. الصحاح ٥: ١٨١٢، «كلل».

كذلك كانت الحال مع العلويين وشيعتهم في الزمنين المشؤومين الأموي والعباسي، وسرى منهما ذلك السم النقيع[١] إلى الأزمنة الغابرة عنهما.

فقضت تلك السياسة الدولية على شمل المسلمين وجامعتهم الدينية ووحدتهم الإسلاميّة بالتبديد، وغادرتهم - يا للأسف - أوزاعاً[٢] شتّى وطرائق قدداً[٣]، يخوض بعضهم بدماء بعض، وتتحلّب[٤] أفواههم بأفلاذ[٥] كبودهم، وتنطف[٦] أسلاتُ[٧] سيوفهم بعبيط[٨] نفوسهم، وأعداء دينهم تنتقص بلادهم من أطرافها، وتستخرج علفهم من أجوافها، وهم عن ذلك عمهون[٩] أو في سكرة سبات[١٠]، والمتشاجر فيما بينهم في يقظة والتفات، بأسهم بينهم شديد، وعلى الأغيار أوهنُ من بيوت العنكبوت.

---

(١) نقع السم في أنياب الحية: اجتمع. لسان العرب ٨: ٣٦٠، «نقع».

(٢) قولهم: بها أوزاع من الناس، أي: جماعات. الصحاح ٣: ١٢٩٧، «وزع».

(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿**كنّا طرائق قدداً**﴾، أي: كنّا فرقاً مختلفة أهواؤنا. الصحاح ٤: ١٥١٣، «طرق».

(٤) تحلّب فوه وتحلّب النّدى أو الشيء: إذا سال. كتاب العين ٣: ٢٣٨، «حلب».

(٥) افتلذت فلذة من كبد، أي: قطعت قطعة. كتاب العين ٨: ١٨٦، «فلذ».

(٦) تنطف سمناً وعسلاً، أي: تقطر. النهاية في غريب الحديث ٥: ٧٥، «نطف».

(٧) أسلة النصل: مستدقه. لسان العرب ١١: ١٥، «أسل».

(٨) العبيط: وهو الدم الطري. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٧٣، «عبط».

(٩) وهم عمهون: إذا تردّوا في الضلالة. كتاب العين ١: ١١٠، «عمه».

(١٠) السبات: النوم الغالب الكثير. كتاب العين ٧: ٢٣٨، «سبت».

فآل الأمر بهم إلى ما آل من كسر بيضتهم، واستباحة حوزتهم، وتضييع خلافتهم التي بضيعتها أخيفت[١] الثغور، وعطّلت الحدود، ونبذت الأحكام من حلال وحرام، وثلّت[٢] عروش الإسلام، وطفق[٣] يدّعيها من ليس لها بأهل، مضى أمس بما فيه وخلا على علاّته غير مشيّع بحمد ولا مودّع بشكر.

فدع عنك نهباً صيح في حجراته ... ولكن حديثاً ما حديث الرواحل[٤]

هلمّ بنا اليوم نأخذ بأطراف الحديث مع هذه الفئة العصرية الضالّة عن سواء السبيل، الزاعمة أنّها انفردت عنّا بالخروج من التقليد الأعمى إلى الرأي الحصيف[٥] والحجّة البالغة، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، فاستبان لها الطريق الجدد[٦]، فلزمت محجّته البيضاء وسلكت صراطه المستقيم، تزهو علينا بملابس معارفها الخلاّبة زهو الطواويس.

---

(١) وكذلك فرس أخيف، بيّن الخيف، إذا كانت إحدى عينيه زرقاء والأخرى سوداء، وكذلك هو من كلّ شيء، ومنه قيل: الناس أخياف، أي: مختلفون. الصحاح ٤: ١٣٥٩، «خيف». والمراد اختلفت الثغور.

(٢) ثلّ عرشه، أي: زال قوام أمره. كتاب العين ٨: ٢١٦، «ثل».

(٣) طفق، وطفق لغة رديئة، أي: جعل يفعل. كتاب العين ٥: ١٠٦، «طفق».

(٤) أي: دع النهب الذي نهب من نواحيك وحدّثني حديث الرواحل، وهي الإبل التي ذهبت بها ما فعلت. هذا مثل للعرب يضرب لمن ذهب من ماله شيء، ثمّ ذهب بعده ما هو أجلّ منه. وهو بيت لامرىء القيس. النهاية في غريب الحديث ١: ٣٤٣، «حجر».

(٥) الحصيف: المحكم العقل. لسان العرب ٩: ٤٨، «حصف».

(٦) الجدد، أي: الواضح. كتاب العين ٦: ٩، «جد».

أجل، خرجت ولكن من تقليدها أعلام الهدى ومصابيح الدجى[١] وحجج الله الكبرى أنبياء الله وأوليائه الذين اختارهم على علم منه إلى هداية الورى[٢]، واستنقاذها من حطيم الفلسفة الخرقاء، والجاهلية الأولى، فهم لا ينطقون عن الهوى إن هو إلّا وحي يوحى، ودخلت في غيابة جب الإخلاد والتقليد لآرائها الفائلة[٣]، وعقولها القاصرة العاجزة بذاتها عن تناوش الهداية من مكان بعيد، ﴿**وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَاد**﴾[٤].

ومن علم أنّ ﴿**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْم عَلِيمٌ**﴾[٥]، ولم يطلبه ليقتبس من نور علمه فهو ظالم لنفسه مستبد برأيه، والظلم والاستبداد داءان قتّالان.

أجل، خرجت ولكن من بسيط الجهل إلى مركّبه[٦]، وهو أنكى[٧] لها وأنكد[٨]، وأدهى وأمر، واستنتجت من شكل منطقها العاقر العقيم اعتقاد أنّها

---

(١) الدجى: الظلمة. الصحاح ٦: ٢٣٣٤، «دجا».

(٢) الورى: الخلق. لسان العرب ١٥: ٣٩٠، «وري».

(٣) يقال: فال الرجل في رأيه، وفيل: إذا لم يصب فيه. لسان العرب ١١: ٥٣٥، «فيل».

(٤) الرعد (١٣): ٣٣.

(٥) يوسف (١٢): ٧٦.

(٦) الجهل المركّب: هو أن يجهل شيئاً وهو غير ملتفت إلى أنّه جاهل به، بل يعتقد أنّه من أهل العلم به، فلا يعلم أنّه لا يعلم. المنطق: ١٩، الجهل وأقسامه.

(٧) في الحديث: «لا شيء أنكى لإبليس وجنوده من زيارة الإخوان»، أي: أوجع وأضرّ. مجمع البحرين ٤: ٣٧٣، «نكى».

(٨) النكد: اللؤم والشؤم. كتاب العين ٥: ٣٣١، «نكد».

المستدلّة ونحن المقلّدون، وأنّها العلمية وأنّا الجاهلون، وأنّها السعيدة ونحن الشقيّون، وأنّها على السنّة ونحن المبدعون، وأنّها الحرّة وأنّا العبيد الأرقّاء للرؤساء الروحيين الجهلاء، وأنّها المحياة ونحن الأموات، وأنّها المستيقظة وأنّا في سبات، وأنّها وأنّا إلى ما لا يُحصى عدّه من إطرائها على نفسها والإزراء بنا معشر الشيعة الإماميّة، لقد خبّأ الدهر لنا منها عجباً حيث طفقت تثبت وتنفي بغير بيّنة ولا سلطان مبين.

أما والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة وخلق العلم وانشقّ لهيبته نصفين وعلّم به الإنسان ما لم يعلم وهداه النجدين، لقد طاش سهمها عن الرمية، وأخطأت أستاها الحفرة[١]، أنحن المقلّدون وباب الاجتهاد عندنا مفتوح، وسبيله لحب[٢] لمن يغدو به ويروح؟! أنحن أغبياء غفلة جهلة مقلّدة؟! إن هذا إلّا اختلاق.

بعيشك، قل لي: بأيّ زمن أظلم جوّ الشيعة جهلاً، وقلّدت من ليس للتقليد أهلاً، أبزمن مقلّدها الأولي الإمام علي عليه السلام عيبة العلم وسفطه[٣]، وباب مدينته، والعلوم كلّها معقولها ومنقولها مردّها إليه، والعلماء بأسرها عيال عليه، وهو القائل للناس: «سلوني قبل أن تفقدوني»[٤]؟!

---

(١) فأخطأت أسته الحفرة، وهذا مثل للعرب تضربه في من لم يصب موضع حاجته. النهاية في غريب الحديث ٣: ١٣، «صحصح».

(٢) اللحب: الطريق الواضح. الصحاح ١: ٢١٨، «لحب».

(٣) السفط: الذي يعبّى فيه الطيب. لسان العرب ٧: ٣١٥، «سفط».

(٤) نهج البلاغة ٢: ١٣٠، رقم ١٨٩.

أم بزمن أبنائه الأئمّة الهداة، عيالم العلم[1] ومعالم الدين، لم يختلف في فضلهم وعلوّ شأنهم وغزارة علمهم اثنان؟!

أم بزمن النواب الأربعة[2] وهم لا يصدرون ولا يردون إلّا عن عين صافية، توقيع من الإمام المهدي عليه السلام؟!

أم بأزمنة العلماء الأساطين السالفين: الكليني والصدوقين والشيخين والسيّدين والمحقّقين والفاضلين والشهيدين والحرّين[3]؟!

---

(١) العيلم: البحر. كتاب العين ٢: ١٥٣، «علم».

(٢) وهم: عثمان بن سعيد العمري، محمّد بن عثمان بن سعيد العمري، الحسين بن روح النوبختي، علي بن محمّد السمّري.

(٣) الصدوقان: محمّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي (ت٣٨١هـ)، وأبوه علي بن الحسين (ت٣٢٩هـ).

الشيخان: الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ)، والطوسي (ت ٤٦٠هـ).

السيّدان: السيّد المرتضى (٤٣٦ت هـ)،وابن زهرة (ت٥٨٥هـ).

المحقّقان: المحقّق الحلّي (ت٦٧٦هـ)، والكركي (ت ٩٤٠هـ).

الفاضلان: ـ المحقّق الحلّي، والعلاّمة الحلّي (ت٧٢٦هـ).

والشهيدان: الشهيد الأوّل محمّد بن مكي الجزّيني العاملي (ت٧٨٦هـ)، والشهيد الثاني زين الدين بن علي العاملي (ت٩٦٥هـ).

الحرّان: محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت١١٠٤هـ)، وجدّ والده الشيخ محمّد بن الحسين الحرّ العاملي.

أم بأزمان الجهابذة[١] المتبحّرين: كابن أبي طبا[٢]، وكاشف الغطا[٣]، وصاحبي الجواهر[٤] والرسائل[٥]، والمدّقق الشيرازي[٦]، والمتبحّر الكاظمي[٧]، والأساتذة المتضلّعين العظام كالطهراني[٨] والنجفي[٩] والخراساني[١٠] واليزدي[١١]والصدر العاملي[١٢]، والمحجّتين القدوتين بهذا الزمن آية الله النائيني[١٣] والسيّد المرجع أبي الحسن[١٤]؟!

---

(١) الجهبذ: النقّاد الخبير بغوامض الأُمور، البارع العارف بطرق النقد، وهو معرّب. تاج العروس ٥: ٣٥٨، «جهبذ».

(٢) هو السيّد مهدي بحر العلوم الطباطبائي (ت١٢١٢هـ).

(٣) هو الشيخ جعفر ابن الشيخ خضر الجناجي النجفي، صاحب كشف الغطاء (ت١٢٢٨هـ).

(٤) هو الشيخ محمّد حسن النجفي، صاحب جواهر الكلام (ت١٢٦٦هـ).

(٥) هو الشيخ مرتضى الأنصاري، صاحب كتاب المكاسب وفرائد الأصول (الرسائل)، (ت١٢٨١هـ).

(٦) هو السيّد محمّد حسن بن محمود الحسيني الشيرازي (ت١٣١٢هـ).

(٧) هو الشيخ محمّد حسن ابن الشيخ ياسين ابن الشيخ محمّد علي ابن الشيخ محمّد رضا ابن الشيخ محسن الكاظمي، الشهير بآل ياسين (ت١٣٠٨هـ).

(٨) هو الميرزا حسين ابن الميرزا خليل الطهراني (ت١٣٢٦هـ).

(٩) هو الشيخ محمّد طه نجف (ت١٣٢٣هـ).

(١٠) هو الآخوند ملاّ محمّد كاظم الخراساني، صاحب كفاية الأصول (ت١٣٢٩هـ).

(١١) هو السيّد محمّد كاظم بن عبد العظيم الطباطبائي اليزدي، صاحب العروة الوثقى (ت١٣٣٧هـ).

(١٢) هو السيّد إسماعيل بن صدر الدين الصدر العاملي (ت١٣٣٨هـ).

(١٣) هو الميرزا الشيخ محمّد حسين الغروي النائيني (ت١٣٥٥هـ).

(١٤) هو السيّد أبو الحسن الأصفهاني (ت١٣٦٥هـ).

أخلي عصر من عصور الشيعة من نوابغ ضليعين بالمعارف، شهيرين بالفضائل، متورّعين ناسكين، يقولون الحقّ وبه يعملون؟!

ألا إنّ من وقف على كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» لمصنّفه علاّمة عصرنا الحسن بن شرف الدين الشهير بالصدر، علم أنّ الإماميّة – على قلّتها – أكثر الأمم علماء ومؤلّفات في كافّة الفنون وسائر العلوم، وبأدبائها وشعرائها تضرب الأمثال، وهل ترى من أديب غير شيعي؟!

فمتى قلّدت الشيعة غير المجتهد المطلق الذي له الفضل شهد، وبكلّ فن مفيد؟!

أم متى قلّدت من لم يكن فائزاً بالقدح المعلّى من العلوم، وبالصفيح الأعلى[(١)] من التقى والصلاح، حتّى يقال: إنّها راكسة بحمئة[(٢)] الجهالة الذميمة؟!

أمّا زعمها أنّا في غفلة عن نيل السعادة والاستمتاع بملاذها وأنّها المستيقظة المستمتعة بها فضرب من الهذيان، ما هذه الدار بدار سعادة، بل نُزُل تكليف وعبادة، ومزرعة لدار الآخرة، إليها ينقل الحصيد من غث وسمين، فيجده مقدّمة أمامه فيجزى به، إمّا نضرة[(٣)] نعيم أو تصلية[(٤)] جحيم.

---

(١) الصفيح الأعلى: هو من أسماء السماء. لسان العرب ٢: ٥١٦، «صفح».

(٢) الحمأ: الطين الأسود المنتن. كتاب العين ٣: ٣١٢، «حمو».

(٣) النضرة: الحسن والرونق. الصحاح ٢: ٨٣، «نضر».

(٤) صليت الرجل ناراً، إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها. فإن ألقيته فيها كأنّك تريد إحراقه قلت: أصليته بالألف، وصليته تصلية. الصحاح ٦: ٢٤٠٣، «صلا».

فهذان الجزاءان مصداقان حقّاً للسعادة والشقاء لا ما تذهب إليه الأوهام من نعم الدنيا، المشاب لا محالة حلوها بالمرّ، وصفوها بالكدر، وما من لذّة من لذاتها الجاهلية[١] والمالية والصحية إلّا ومهددة في كلّ آن بالزوال والاضمحلال.

دلّني بشرفك على سلطان بها غير مجهود[٢]، ومثر غير كادح، وصحيح لم يلمّ به سقم، وحي لا يموت!

هل أبناء الدنيا سوى اثنين: وضيع ورفيع، هذا[٣] يخشى الضيعة، وذا[٤] تخطته الرفعة، وكلاهما مألومان، فأيّ سعادة لمألوم؟!

هل الإنسان إلّا قطعة من كبد الطبيعة، توّاق[٥]، نزوع[٦] الهمّة إلى أن يكون عديم الندّ فقيد المثل، وجلّ الذي ليس كمثله شيء؟!

فهو إذاً أسيف[٧] لهيف[٨] على ما لم تنله يده، وهو يشتاقه ويطلبه.

---

(١) أي: الشهوة المحرّمة.

(٢) الجهد: ماجهد الإنسان من مرض أو أمر شاقّ فهو مجهود. كتاب العين ٣: ٣٨٦، «جهد».

(٣) أي: الرفيع.

(٤) أي: الوضيع.

(٥) نفس توّاقة: مشتاقة. كتاب العين ٥: ١٩٩، «توق».

(٦) ينزع نزاعاً ونزوعاً: حنّ واشتاق. لسان العرب ٨: ٣٥٠، «نزع».

(٧) الأسيف: السريع البكاء والحزن. كتاب العين ٧: ٣١٢، «أسف».

(٨) اللهف: الأسى والحزن والغيظ. لسان العرب ٩: ٣٢١، «لهف».

ولمّا كانت السعادة منحصرة بأهل الجنّة ومقصورة عليهم، وكانوا شركاء بنعيمها، نزع الله ما في صدورهم من غل[١] حتّى لا يؤلم ولا يؤذي أحد بمشاركة ومشابهة غيره له من إخوانه المتكئين فيها ﴿**عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ**﴾[٢]... إلى آخره.

وأمّا زعمها أنّ العلوم الفلسفية جذابة للعزّ والمنعة والجلالة والرفعة والغنى والثروة، والعلوم الدينية ليست بهذه المثابة، فلعمري أنّه زعم خصم للعيان، ومفتر على الوجدان، كم من فيلسوف ضليع لا يملك من القوت سدّ رمقه، ولم ترضه أمّ المعالي[٣] حجابها، ولا نائلاً شرف المثول بوصيد[٤] أبوابها، وكم من جاهل بأطول طرفيه أصبح قارون دهره وعزيز مصره، فسبحان مالك الملك يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء[٥].

وأمّا زعمها أنّ علم الفقه نزر الجدوى، طفيف الفائدة، مستغنى عنه، فهو افتراءٌ محض وشدّة بغض.

---

(١) الغليل: الغشّ والعداوة الضعغن والحقد والحسد. لسان العرب ١١: ٤٩٩، «غلل». وهو إشارة إلى الآية ٤٣ من سورة الأعراف.

(٢) الصافات: ٤٤ – ٤٥، المعين: الماء الظاهر الجاري، لسان العرب ١٣: ٤١٠، «معين».

(٣) العلا: الرفعة والشرف، وكذلك المعلاّة، والجمع المعالي. الصحاح ٦: ٢٤٣٦، «علا».

(٤) الوصيد: فناء البيت. كتاب العين ٧: ١٤٥، «وصد».

(٥) إشارة إلى الآية ٢٦ من سورة آل عمران.

كضـــرائر الحســـناء قلـــن لوجههـــا حســـداً وبغضـــاً: إنّـــه لـــدميم[١]

كيف يكون قليل الفائدة ضئيل الناتجة وهو الكافل لتدبير النظامين المعادي والمعاشي، والمحسّن حال الإنسان مع ربّه ونفسه وجنسه، والملحف[٢] تحت جناحيه كلّ أو جلّ العلوم العقلية والنقلية، والسياسية والاقتصادية، الرياضية والطبيعية، حتّى الموسيقية واللغة غير العربية؟!

فما أحقّ هذا العلم الشريف الذي لأجله بعث الله الرسل، وأنزل عليها من لدنه الكتب، بضروب الحفاوة والتكريم، وأنواع التبجيل والتعظيم، والحبّ الصميمي والإخلاص القلبي، ولكن هذه الثلّة جهلته فعادته، ولا بدع، فالمرء عدوّ ما جهل[٣]، ولو كان عندها شامّة منه، أو ذائقة ما، ما استقبحت الاجتماعات المأتمية للحسين عليه السلام، وهي من محاسن سننه، ومحامد مندوباته، تلقّتها الأُمّة عن ساداتها الأئمّة، وأرسلتها الرواة الثقات إرسال المسلّمات عمّن لا يقولون إلّا الحقّ، فماذا بعد الحقّ إلّا الضلال[٤]: ﴿**أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ**﴾[٥]، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) القائل أبو الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ)، إنّه لدميم: إنّما يعني به القبيح. لسان العرب ١٢: ٢٠٨، «دمم».

(٢) اللحاف والملحف والملحفة: اللباس الذي فوق سائر اللباس. لسان العرب ٩: ٣١٤، «لحف».

(٣) قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، عيون الحكم والمواعظ: ٣٩.

(٤) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة يونس.

(٥) هود (١١): ٢٨.

ومن فجائع الدهور وفظائع الأمور وقاصمات الظهور وموغرات[1] الصدور، ما نقلته بعض جرائد بيروت[2] في هذا العام، عمّن نحترم أشخاصهم من المعاصرين الوطنيين، من تحبيذ ترك المواكب الحسينيّة والاجتماعات العزائية بصورها المجسّمة في النبطية وغيرها من القرى العاملية.

فما أدري أصدق الناقل أم كذب؟!

فإن كان صادقاً فالمصيبة على الدين جسيمة عظيمة ينوء[3] بها ولا ينهض بعبئها عاتق المتديّنين.

---

(١) الوغر: اجتراع الغيظ. وغر صدري عليه يوغر وهو أن يحترق القلب من شدّة الغيظ. كتاب العين ٤: ٤٤٤، «وغر».

(٢) في الطبعة الثانية المصحّحة لهذه الرسالة: ٤٨: يريد بها جريدة (العهد الجديد) الذي كان مراسلها قد زار سماحة السيّد محسن الأمين حسب نقل الأستاذ إبراهيم فران عن المؤرّخ السيّد حسن الأمين نجل السيّد محسن الأمين، وسأله عن رأيه في اللطم على الصدور والضرب على الرؤوس، فأجابه بالتحريم، ممّا أثار حفيظة سماحة الشيخ عبد الحسين صادق، فأصدر هذه الرسالة الموسومة بسيماء الصلحاء (سنة ١٣٤٥هـ ١٩٢٧م مطبعة العرفان، صيدا) ردّاً على التصريح المشار إليه. عن (حلقة دراسية حول عاشوراء) ١٩٧٤ - رقم ٢٢٥ ص٢٧.

(٣) ناء ينوء نوءاً: نهض بجهد ومشقّة، وناء: سقط، وهو من الأضداد. الصحاح ١: ٧٨، «نوأ». والمراد هو المعنى الثاني.

وإن كان مفترياً فالمصيبة أعظم والطامة أكبر، فلماذا لم يأخذوا منه باليمين[١]، ولم يقطعوا منه الوتين[٢] وهم عليه من القادرين؟!

بربك أهدني على محمل حسن أنت لاقيه وأنا ناسيه؛ لأحمل إخواني المحترمين عليه، وأقف عنده طامحاً ببصر الرضى والقبول إليه.

لعمري لقد تحطّمت في نظر القاصر المحامل، وتطايرت هباءً منبثاً، وأعيت[٣] الحنيّة[٤] المقوّم والقسي[٥] المثقف[٦] وأعجزت الشوكة[٧] الناقش لها بمثلها، فصبر جميل.

---

(١) كما يقبض على المجرم فيؤخذ بيده، أو المراد القوّة والقدرة، والمعنى: لماذا لا، وهم قادرون عليه، وإنّما أقام اليمين مقام القوّة والقدرة؛ لأنّ قوّة كلّ شيء في ميامنه. انظر مجمع البيان ١٠: ١١٤.

(٢) الوتين: عرق في القلب إذا انقطع مات صاحبه. الصحاح ٦: ٢٢١١، «وتن». والكلام إشارة إلى الآية ٤٥ – ٤٦ من سورة الحاقة.

(٣) الإعياء: الكلال. كتاب العين ٢: ٢٧١، «عيي».

(٤) الحنيّة: القوس. لسان العرب ١٤: ٢٠٣، «حنا».

(٥) تصغير القوس قويس، والعدد أقواس ثمّ قياس وقسيّ. كتاب العين ٥: ١٨٨، «قوس». وكان أصل قسيّ قؤوس؛ لأنّه فعل، إلّا أنّهم قدّموا اللام وصيّروه قسو على فلوع، ثمّ قلبوا الواو ياء وكسروا القاف، كما كسروا عين عصي، فصارت قسي على فليع. الصحاح ٣: ٩٦٧، «قوس».

(٦) الثقاف: حديدة تكون مع القوّاس والرمّاح يقوّم بها الشيء المعوج. لسان العرب ٩: ٢٠، «ثقف».

(٧) الشوكة: طينة تدار ويغمز أعلاها حتّى ينبسط. كتاب العين ٥: ٣٨٩، «شوك».

الصراخ والعويل في مجالس الحسين عليه السلام

قالوا: هلاّ اقتصرت الشيعة المقيمة مأتم الحسين عليه السلام على تلاوة مقتله في محاشدها العزائية وجلساتها الخصوصية، فتهريق دموعها من غير صرخة وعويل ورنّة[1] وصديد[2] ؛ لتسلم من الوقوع في المحرّم، فعن الصادق عليه السلام: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرنّة عند المصيبة»[3].

وعنه: «لا يصلح الصراخ عند الميّت ولا ينبغي، ولكن الناس لا يعرفونه»[4].

وعن الباقر عليه السلام: «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نهى ابنته فاطمة عند موته أن تنادي بالويل»[5].

وعنه أيضاً: «أشدّ الجزع الصراخ بالويل والعويل»[6].

---

(١) الرنّة: الصيحة الحزينة. كتاب العين ٨: ٢٥٤، «رن».

(٢) صدّ يصدّ ويصدّ صديداً، أي: ضجّ. الصحاح ٢: ٤٩٦، «صدد».

(٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٥، حديث ٤٩٦٨، باب ذكر جمل من مناهي النبيّ صلى الله عليه وآله. والحديث عن الصادق عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام.

(٤) الكافي ٣: ٢٢٦، حديث١٢، باب الصبر والجزع والاسترجاع. والوارد هو: لا يصلح الصياح على الميّت.

(٥) الكافي ٥: ٥٢٧، حديث ٤، باب صفة مبايعة النبيّ صلّى الله عليه وآله النساء.

(٦) الكافي ٣: ٢٢٢، حديث١، باب الصبر والجزع والاسترجاع.

أما للشيعة مقنع؟!

أما لها من وازع يزعها عمّا تستعمل في محافلها الحسينيّة من الضوضاء الهائلة والصرخات المكربة[١] والإجهاش[٢] الفظيع؟!

أقول: أوّلاً: أراكم تأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم، تحرّمون الصراخ والعويل بمآتم الحسين عليه السلام، ولا تحرّمونه بمآتمكم ﴿**كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ**﴾[٣]، ها أنتم كلّما فقدتم عزيزاً عليكم من كبرائكم تملأون المحيط عجيجاً وصرخة وعويلاً[٤]، وهكذا المنقول لنا عن أسلافكم جيلاً فجيلاً إلى زمن النبيّ صلى الله عليه وآله، يشهد لنا قول الصادق عليه السلام في الخبر المتقدّم: «ولكن الناس لا يعرفونه»، أي لا يعرفون كراهيّة الصياح المستعمل.

بل لعلّ النحبة[٥] والصرخة من لوازم الكمد الذي يبعث الدمعة للعين، فلو تكلّف حزين بإرسال العبرة عارية عن لوازمها الفطرية لشقّ عليه ذلك،

---

(١) الكرب، مجزوم، هو الغم الذي يأخذ بالنفس. كتاب العين ٥: ٣٦٠، «كرب».

(٢) جهشت نفسي وأجهشت، إذا نهضت إليك وهمّت بالبكاء. كتاب العين ٣: ٣٨٣، «جهش».

(٣) الصف (٦١): ٣.

(٤) كما حصل عند وفاة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب. البداية والنهاية ١٣: ٦، سنة تسع وثمانين وخمسمائة. وغيره كثير.

(٥) النحيب: رفع الصوت بالبكاء. الصحاح ١: ٢٢٢، «نحب».

ولبان شدّة انقباض النفس وكربها واعتلاج[(١)] الجوى[(٢)] بجانحه[(٣)] ؛ لأنّه لم يعط حريته الطبيعية بتمامها، وهو مخالف للرأفة والرحمة من الله بعباده.

ثانياً: إنّ الأخبار التي أوردوها حجّة على حرمة الصرخة، لا تنهض حجّة عليها؛ لكون لسانها - كما لا يخفى - لسان كراهة، والصادقي منها نصّ بالكراهة، والباقري والنبوي أخصّ من المدّعى[(٤)] ؛ لتخصيص الصراخ المحظور بلفظ «الويل»، ولعلّ لهذه اللفظة سميّة[(٥)] لم تكن بسواها، إمّا لأنّها من صرخات الجاهلية التي بني الإسلام على هدمها بتاً، أو لأنّ الويل هو واد في جهنم - كما عن بعض المفسّرين[(٦)] - فلا يسوغ أن يدعوه الأسيف[(٧)] لنفسه.

---

(١) اعتلج الموج: التطم، وهو منه، واعتلج الهم في صدره، كذلك على المثل. لسان العرب ٢: ٣٢٧، «علج».

(٢) الجوى: الحرقة وشدّة الوجد من عشق أو حزن. الصحاح ٦: ٢٣٠٦، «جوا». وقيل: هو داء يأخذ في الصدر. لسان العرب ١٤: ١٥٨، «جوا».

(٣) الجوانح: أوائل الضلوع تحت الترائب ممّا يلي الصدر، كالضلوع ممّا يلي الظهر،سمّيت بذلك لجنوحها على القلب. لسان العرب ٢: ٤٢٩، «جنح».

(٤) المدّعى هو حرمة كلّ صرخة على الميّت، في حين يخصّها الحديث بلفظ (الويل).

(٥) سمه وسما: خصّه. لسان العرب ١٢: ٣٠٣، «سمم». والمعنى خصوصية.

(٦) قال أبو سعيد الخدري: الويل واد في جهنّم، وقال عثمان بن عفان: هو جبل في النار. التبيان في تفسير القرآن ١: ٣٢١، ذيل قوله تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب..** ﴾، تفسير مقاتل بن سليمان ٣: ٤٦٠، ذيل قوله تعالى: ﴿**ويل للمطففين**﴾، جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١: ٥٣٤، ذيل قوله تعالى: ﴿**فويل للذين يكتبون الكتاب...**﴾.

(٧) الأسيف: السريع البكاء والحزن. كتاب العين ٧: ٣١٢، «أسف».

وهي معارضة بما هو أقوى منها سنداً ودلالة، وهو ما رواه الكافي في فروعه، ورواه غيره عن معاوية بن وهب، قال: استأذنت على أبي عبد الله، فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه، فجلست حتّى قضى صلاته، فسمعته وهو يناجي ربّه، ويقول: «يا من خصّنا بالكرامة - إلى قوله - وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم الصرخة التي كانت لنا، اللّهم إنّي أستودعك تلك الأنفس وتلك الأبدان حتّى نوافيهم على الحوض»(١).

وبما ذكره الصدوق في عيونه عن دعبل الخزاعي أنّ الرضا عليه السلام ما زال يستنشده الرثاء بالحسين ويبكي، ونساؤه يصحن ويبكين من داخل الدار، وتنادي إحداهن: واجدّاه، والرضا يسمع صياحهن(٢).

وبما ذكره الثقة الجليل السيّد ابن طاووس في «اللهوف» قال: فلمّا نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن(٣).

وفعل النسوة بحدّ ذاته وإن لم يكن حجّة إلّا أنّ سكوت الإمام زين العابدين عليه السلام تقرير لعملهنّ، كسكوته عن نسوة المدينة ورجالها عند ورود أهل البيت لها حين ارتفعت أصواتهن بالبكاء وحنين النسوة(٤).

---

(١) الكافي ٤: ٥٨٢، حديث١١، باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

(٢) انظر: عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩٤، حديث ٣٤، باب في ذكر ثواب زيارة الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٧، حديث١٥، باب٤٤ ما قيل من المراثي فيه صلوات الله وسلامه عليه. لم أعثر على صياح النساء وبكائهن والنداء بـ«وا جدّاه».

(٣) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٨.

(٤) مثير الأحزان: ٩٠، ينابيع المودّة ٣: ٩٣.

ومن سبر مقتل الحسين عليه السلام – على تعدّد ناقليه من السنّة والشيعة – ولا يختلجه ريب بأنّ أهل البيت ومحبّيهم من نساء ورجال كانوا في واعية مدهشة، وكلّها أو جلّها كانت نصب عين الإمام زين العابدين عليه السلام، ولم ينقل عنه في مرّة من مرّاتها نهي عنها، أو انقبضت نفسه الشريفة منها، بل كان ـ كما يُعلم في حاله ـ يحبّذها ويشارك بعظيم بكائه أهلها.

أفنترك هذه السيرة القطعية التي درجت عليها آل الرسول وأجيال محبّي آل الرسول لأجل بعض أخبار ليست بظاهرة في الحرمة عن الصرخة والعويل؟!

وخلاصة ما تقدّم جميعه، هو مندوبية الحزن والبكاء والصراخ والعويل لمصاب الحسين عليه السلام، والسيرة القطعية قائمة على ذلك كلّه، كما اعترف بها شيخ مشايخنا صاحب الجواهر[١]، والأخبار عن أهل العصمة بالغة حدّ الاستفاضة، فمن خالفها فقد خالف الأُمّة، والأئمّة ومخالفها في ضلال مبين.

---

(١) جواهر الكلام ٤: ٣٦٤ – ٣٧١.

حكم النياحة على الحسين عليه السلام

قالوا: إنّ إقامة النائحين والنائحات في مجالسهم المنعقدة للرجال والنساء مخالفة لقول نبيّهم صلى الله عليه وآله: «النياحة من الجاهلية»[1].

وقوله صلى الله عليه وآله لبضعته الزهراء عليها السلام: «لا تقيمي عليّ نائحة»[2].

وقول الباقر عليه السلام: «من أقام النياحة فقد ترك الصبر»[3].

وفي صحيح البخاري عن أم عطية، قالت: أخذ علينا النبيّ عند البيعة أن لا ننوح، فما أوفت منّا امرأة غير خمس. الحديث[4].

---

(١) تفسير القمي ١: ٢٩١، خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في تبوك، من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٦، حديث ٥٧٦٩.

(٢) الكافي ٥: ٥٢٧، حديث ٤، باب صفة مبايعة النبيّ صلى الله عليه وآله النساء.

(٣) الكافي ٣: ٢٢٢، حديث ١، باب الصبر والجزع والاسترجاع.

(٤) صحيح البخاري ٢: ٨٦، باب ما ينهى عن النوح والبكاء والزجر عن ذلك.

أقول: لا شكّ أنّ الأخبار الواردة في الإمساك عن النياحة معارضة بأكثر منها: ناحت فاطمة على أبيها[١]، وأمر النبيّ صلى الله عليه وآله بالنياحة على عمّه[٢]، ورخّص عمر آل المغيرة بالنياحة[٣]، وناحت عائشة على أبيها[٤]، وناحت الأنصار على موتاهم[٥]، وناحت الأئمّة عليهم السلام على بعض موتاهم:

ماتت للصادق عليه السلام بنت فناح عليها، ثمّ ولدٌ فناح عليه[٦]، وأوصى الباقر عليه السلام أن يُناح عليه بموسم الحج عشر سنين[٧].

ومتى تعارضت الأخبار فالمفزع الجمع مهما أمكن، فهو خير من الطرح، والقدر الجامع بينها: توجيه النهي للنياحة الباطلة، وهي التعداد الافترائي[٨] المحض كصنع الجاهلية.

---

(١) المصنّف للصنعاني ٣: ٥٥٣، حديث ٦٦٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٢: ٢١٠، السنة الثالثة من الهجرة، غزوة أحد.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٦: ٢٧٧، ١٩٢٢، خالد بن الوليد بن المغيرة.

(٤) الطبقات الكبرى ٣: ٢٠٨، ذكر وصيّة أبي بكر، تاريخ المدينة ٢: ٦٧٦، ذكر ابتداء خلافته، تاريخ الطبري ٢: ٦١٤، السنة الثالثة عشر، ذكر الخبر عمن غسّله والكفن الذي كفن فيه أبو بكر.

(٥) الطبقات الكبرى ٢: ٤٤، من قتل من المسلمين يوم أحد.

(٦) كمال الدين وتمام النعمة: ٧٣.

(٧) الكافي ٥: ١١٧، حديث١ باب كسب النائحة، من لا يحضرة الفقيه ١: ١٨٢، حديث ٥٤٧.

(٨) والمقصود تعداد المزايا والمناقب للميّت بما ليست فيه.

وتوجيه الأمر للنوح بحقّ، كالإطراء على الميت بما هو فيه من الصفات الجميلة.

ولعلّ المبالغة لا تنافيه كقول أم سلمة في ابن عمها المغيرة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بعد أن استأذنت من النبيّ أن تمضي إلى أهله ؛ لأنّهم أقاموا مناحة عليه ـ قالت:

أنعى الوليد بن الوليد أبا الوليد فتى العشيرة
حامي الحقيقة ماجداً يسمو إلى طلب الوتيرة[1]
قد كان غيثاً في السنين وجعفراً[2] غدقاً[3] وميرة[4]

فإنّ هذا الشعر لم يخل من المبالغة، ومع ذلك سمعه النبيّ فلم ينكر عليهم قولها.

ولمّا كان عدّ المناقب الحسينيّة يهيّج السامعين لمجاراتها[5]، كانت النياحة مندوبة، تحريكاً للعواطف والهمم نحو الخلال[6] الجميلة.

---

(١) الوتيرة هنا الذحل أو الظلم في الذحل. لسان العرب ٥: ٢٧٧، «وتر». والذحل: الثأر. لسان العرب ١١: ٢٥٦، «ذحل».

(٢) الجعفر: النهر عامّة. لسان العرب ٤: ١٤٢، «جعفر».

(٣) الماء الغدق: الكثير. لسان العرب ١٠: ٢٨٢، «غدق».

(٤) الميرة: الطعام يمتاره الإنسان. الصحاح ٢: ٨٢١، «مير». الكافي ٥: ١١٧، حديث٢، باب كسب النائحة.

(٥) جاراه مجاراة وجراء، أي: جرى معه. الصحاح ٦: ٢٣٠٢، «جرى». والمراد محاولة التحلّي والاقتداء بها.

(٦) الخلّة: الخصلة، والجميع: الخلال والخلاّت. كتاب العين ٤: ١٤١، «خل».

ومن المعلوم أنّ النائحة على فقيد لا تذكر غير مآثره معتزلة عن عدّ مساويه احتشاماً للميت وأهله، ومن ثمّ صحّ لها أن تأخذ الأُجرة على هذا العمل.

الرثاء الفصيح ونقل الحديث الصحيح

قالوا: إنّا نجد النائحين على سيّد الشهداء - وهم المعبّر عنهم بقرّاء التعزية - كثيراً ما يسردون على مسامع الجالسين أحاديث مكذوبة، وقصصاً يسبق إلى العقل استحالتها، وينكر الوجدان صحّتها، وجلّهم يتلو الحديث ملحوناً، ويملي الرثاء ليس موزوناً، فهلاّ أُلزموا بقراءة الرثاء الفصيح، ونقل الحديث الصحيح الذي لا يمجّه[1] الطبع، ولا يرفضه العقل، لتكون تعزيتهم مشروبة للأذواق، وداخلة بالآذان بغير استئذان، مكلّمة للقلوب لا من وراء حجاب، فتفيض آنئذ العبرات[2] قهراً، وتتصاعد الزفرات[3] قسراً، ويحصل المطلوب على طبق المرغوب.

---

(١) مجّ الشراب والشيء من فيه يمجّه مجّاً ومجّ به: رماه. لسان العرب ٢: ٣٦١، «مجج».

(٢) العبرة: الدمعة. لسان العرب ٤: ٥٣١، «عبر».

(٣) الزفر: الزفير، والفعل يزفر، وهو أن يملأ صدره غمّاً ثمّ يزفر به، والشهيق مدّ النفس، ثمّ يزفر، أي: يرمي به ويخرجه من صدره. كتاب العين ٧: ٣٦٠، «زفر».

أقول: لو كانت الشيعة كلّها أمّة عربية فصحى لكان من الحكمة مخاطبتهم بلغاتهم التي يأنسون بها، ولكن هي أمم عديدة، وألسنتها شتّى، فربّما احتشد محفل عزائي من أوزاع[١] مختلفة اللغات، منهم العربي ومنهم الفارسي ومنهم التركي ومنهم الهندي ومنهم ومنهم... إلى آخره.

فما يصنع القارئ والحال هذه؟!

أيلاحظ عربيهم ويذر من عداه خُشباً مسنّدة لا يفقهون حديثاً؟!

من أين تأتيهم العبرة إذاً وفي الآذان حيطان، وعلى الأفهام أغلاف؟!

أيضرب عن تفهيمهم صفحاً وهم جمّ غفير فيبخسهم حقوقهم؟!

أليس يلزمه التوزيع على الجميع فيعطي الأقل للأقلين والأكثر للأكثرين، غير مغمض من حقوقهم شيئاً عملاً بالنّصف، وخدمة للحق؟!

فإذا كان الأكثرون عواماً رعاعاً[٢] فلا مندوحة[٣] له عن مراعاة حقّهم بنثر التعزية ونظمها، فينقل لهم معنى الأحاديث بألفاظهم العامية متحرّجاً وقتئذ عن خلل الزيادة والنقص -وهو نقل الحديث بالمعنى -وإذا أعوز الأمر لشيء من النظم المهيّج لعاطفتهم جاء به من سنخ أناشيدهم، فيكون أوقع تأثيراً في

---

(١) الأوزاع، وهم فرق من الناس. لسان العرب ٨: ٣٩١، «وزع».

(٢) الرعاع من الناس: الشباب، ويوصف به القوم إذا عزبت أحلامهم، قال معاوية لرجل: إنّي أخشى عليك رعاع الناس، أي: فراغهم. كتاب العين ١: ٨٧، «رع».

(٣) الندح: السعة والفسحة، تقول: إنّه لفي ندحة من الأمر ومندوحة منه. كتاب العين ٣: ١٨٤، «ندح».

نفوسهم، وينعطف على من بحضرته من الخاصّة أخدان[١] العربية الفصيحة، فيشنّف[٢]أسماعهم بفرائد أحاديثها، وجمان[٣] قريضها، تلك شنشنة[٤] المعزّي الماهر المفرغ بكلّ إناء حظّه من الماء.

وهذه هي الفلسفة القولية التي سنّها أفصح من نطق بالضاد مع الزائرين له والوافدين عليه، كانﷺ يخاطب كلّ وفد بلغته حتّى كأنّه منهم، بل من عاليتهم، وكانت خطاباته مع أهل الحضارة غيرهم مع أهل البداوة، تلك سهل ممتنع وهذه حزن[٥] مرتفع، يميل للإمالة[٦] مكلّماً طيّاً، ولإبدال اللام ميماً[٧] مخاطباً حميراً، وبكلّ ذلك قد أوتي الحكمة وفصل الخطاب، عاقداً خنصريه على طرفيه المسهب والموجز، فإسهابه عجاب، وإيجازه إعجاز.

---

(١) الخدن والخدين: الصديق، وفي المحكم: الصاحب المحدّث، والجمع أخدان وخدناء. لسان العرب ١٣١: ١٣٩، «خدن».

(٢) الشنف: من حلي الأذن. لسان العرب ٩: ١٨٣، «شنف».

(٣) الجمان من الفضة يتخذ كاللؤلؤ. كتاب العين ٦: ١٥٥، «جمن».

(٤) شنشنة الرجل: غريزته. كتاب العين ٦: ٢٢٠، «شن».

(٥) الحزن من الأرض والدواب: مافيه الخشونة. كتاب العين ٣: ١٦١، «حزن».

(٦) الإمالة: عبارة عن أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء، وتمال الألف إذا كانت طرفاً بدلاً من ياء أو صائرة إلى الياء، دون زيادة أو شذوذ، فالأوّل كألف «رمى ومرمى» والثاني كألف «ملهى» فإنّها تصير ياء في التثنية نحو «ملهيان». شرح ابن عقيل ٢: ٥٢٠، الإمالة.

(٧) كما نقل عن رسول اللهﷺ أنّه قال: «ليس من أمبر أمصيام في أمسفر»، أي: ليس من البر الصيام في السفر. انظر: مسند الحميدي ٢: ٣٨١، غريب الحديث ٤: ١٩٤.

أيّد قوله لحاضرة[1] قريش: «خير الأمور أوسطها»[2]، وقوله: «مصارع العقول تحت بروق المطامع»[3] قولاً فصيحاً ولا يعدّ فصيحاً قوله للوافد الأعرابي[4]: «أتذكر الأزمة التي أصابت قومك، أحرنجم[5] لها الذيخ[6]، وأخلف نوء[7]، وامتنعت السماء، وانقطعت الأنواء[8] واحترقت العنمة[9]،

(١) الحضر: خلاف البدو، والحاضرة خلاف البادية؛ لأنّ أهل الحاضرة حضروا الأمصار والديار. كتاب العين ٣: ١٠١، «حضر».

(٢) عوالي اللئالي ١: ٢٩٦، رقم ١٩٩، الفصل العاشر في أحاديث تتضمّن شيئاً من الآداب الدينية.

(٣) نهج البلاغة ٤: ٤٩، رقم ٢١٩، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام. ولم أجده عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٤) الأعرابي: البدوي. لسان العرب ١: ٥٨٦، «عرب».

(٥) المحرنجم: المجتمع. لسان العرب ١٢: ١٣٠، «حرجم».

(٦) الذيخ: الذكر من الضباع. كتاب العين ٤: ٢٩٨، «ذيخ».

(٧) النوء، مهموز: من أنواع النجوم، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، وطلع في حياله نجم في تلك الساعة على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر، سمّي بذلك السقوط والطلوع نوءاً من أنواء المطر والحر والبرد. كتاب العين ٨: ٣١٩، «ناء».

(٨) الأنواء: ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها. لسان العرب ١: ١٧٦، «نوأ».

(٩) العنم: شجر من شجر السواك، ليّن الأغصان لطيفها، كأنّها بنان جارية. الواحدة: عنمة. كتاب العين ٢: ١٦١، «عنم».

وخفت البزمة[١] حتّى أنّ الضيف لينزل بقومك وما في الغنم عرف[٢] ولا غزر[٣] فترصدون الضب المكنون فتقتنصونه»[٤].

كلاّ! بل كلّ ذلك منه فصيح، واقع موقعه، مطابق لمقتضى الحال، وليست الفصاحة في الكلام إلّا مطابقته لمقتضى الحال.

نعم، يشترطون كونها لغوية نحوية عند مسيس الحاجة، وأيّ حاجة ماسّة للعربية الفصحى في قراءة التعزية على أمّة أميّة كمعدان[٥] العراق، وقرويّة الشام، وسكّان بادية نجد والحجاز واليمن، المصطلحين فيما بينهم على وضع ألفاظ معلومة بمواد وهيئات مخصوصة لمعان مقصودة، لا تفهم عندهم إلّا بها، لا بألفاظها العربيّة الأوليّة؟!

أليس يكون التالي لهم قريض الرثاء والمملي عليهم حديث العزاء باللغة العربية الفصحى وهم لا يشعرونها حائداً[٦] عن إصابة الغرض وإصالة الرأي، مفوّتاً للفائدة؟!

---

(١) البزمة: وزن ثلاثين، والأوقية أربعون، والنش وزن عشرين. لسان العرب ١٢:٤٩، «بزم».

(٢) وعرف الديك والفرس والدابة وغيرها: منبت الشعر والريش من العنق، وقيل: هو اللحم الذي ينبت عليه العرف. لسان العرب ٩: ٢٤١، «عرف». وفي المصدر عرق.

(٣) غزرت الناقة والشاة تغزر غزارة فهي غزيرة، كثير اللبن. كتاب العين ٤: ٣٨٢، «غزر».

(٤) كنز الفوائد: ٩٦، عنه بحار الأنوار ٢: ٣٧٥.

(٥) فئة اجتماعية يغلب عليها الجهل والبساطة في بعض قرى العراق وأريافها.

(٦) حاد عن الشيء يحيد حيوداً وحيدة وحيدودة: مال عنه وعدل. الصحاح ٢: ٤٦٧، «حيد».

اللّهم بلى، وبهذا سقط قول المعترض الموجب التزام القارئ للتعزية أن يقرأها بالعربيّة الفصيحة دائماً.

وأمّا اعتراضه عليه أنّه ينقل غير الصحيح من الأحاديث وغير المقبول من الروايات، وينقل المستهجن من القصص والحكايات، ففيه:

أوّلاً: أنّه لم يخلق ذلك من نفسه وإنّما يسنده لغيره من الرواة، والعهدة على الراوي، فأيّ جرم اقترفه بما نقله معنعناً(١)، أيكون بذلك كاذباً؟!

اللّهم لا، إلّا أن يُعلم منه الافتراء الصرف بأن يذكر شيئاً لم يرد به نصّ، ولا أفتى به فقيه، ولا أودعه ثقة في كتاب.

ثانيـــاً: إنّ الصـحيح(٢) والحسـن(٣) والموثـوق بـه(٤) والضـعيف(٥)

---

(١) المعنعن: هوما يقال في سنده: فلان عن فلان من غير بيان للتحديث والإخبار والسماع، وبذلك يظهر وجه تسميته معنعناً. الرعاية في علم الدراية: ٩٩.

(٢) الصحيح: هو: ما اتّصل سنده إلى المعصوم، بنقل العدل الإمامي عن مثله، في جميع الطبقات حيث تكون متعدّدة. الرعاية في علم الدارابة: ٧٧.

(٣) الحسن: هو ما اتّصل سنده كذلك – أي: إلى المعصوم – بإمامي ممدوح من غير نصّ على عدالته. الرعاية في علم الدراية: ٨١.

(٤) الموثق سمّي بذلك؛ لأنّ راويه ثقة وإن كان مخالفاً...، وهو أوّلاً: ما دخل في طريقه من نصّ الأصحاب على توثيقه، مع فساد عقيدته... ثانياً: ولم يشتمل باقيه، أي: باقي الطريق على ضعف. الرعاية في علم الدراية: ٨٤.

(٥) الضعيف: هو مالا يجتمع فيه شروط أحد الثلاثة المتقدّمة، بأن يشتمل طريقه على مجروح بالفسوق ونحوه، أو مجهول الحال، أو مادون ذلك كالوضّاع. الرعاية في علم الدراية: ٨٦.

والمقبول[١] والمرفوض[٢] من الأحاديث الواردة ليس من وظيفة قارئ التعزية تنقيحها، وجمع جميعها بقبضة معرفته، تلك وظيفة العلماء الأساطين، والجهابذة[٣] المتبحّرين، علماء الدراية والرواية، الذين يعرفون من رجال الحديث الغثّ من السمين، ويخرجون المدر[٤] من بين حبّ الحصيد، فلا يكلّف بما لا يعنيه.

ثالثاً: إنّه لابدّ أن يكون إمّا مقلّداً بأعماله لمرجع ديني أو مجتهداً، وأنظار المجتهدين مختلفة، وآراؤهم متوزّعة، فمنهم من لا يعمل بغير الصحيح المزكّى كلّ من رجال سنده بعدلين، ومنهم المكتفي بتزكية الواحد، ومنهم من يعمل بالحسن، وبعضهم يقبل الموثّق، وبعضهم يعمل بالضعيف جدّاً إذا انضمّ إليه ما يقوّي الظنّ بصدقه، قائلاً: إنّ المدار بالعمل على الاطمئنان بالرواية لا الراوي.

وكثير من أساطين العلماء يعملون بضعاف الأخبار في السنن - أي المستحبات والمكروهات - اعتماداً على ما استفاض نقله عن الأئمّة الهداة من قولهم: «من بلغه ثواب على عمل أوتيه وإن لم يكن كما بلغه»[٥].

---

(١) المقبول: هو ما يجب العمل به عند الجمهور، كالخبر المحتف بالقرائن. الرعاية في علم الدراية: ٧١.

(٢) المردود: هو الذي لم يترجّح صدق المخبر به لبعض الموانع. الرعاية في علم الدراية:٧١.

(٣) الجهبذ بالكسر: النقّاد الخبير بغوامض الأُمور، البارع العارف بطرق النقد. تاج العروس ٥، ٣٥٨، «جهبذ».

(٤) المدر: قطع طين يابس. كتاب العين ٨: ٣٨، «مدر».

(٥) الكافي ٢: ٨٧، باب من بلغه ثواب من الله على عمل.

⇦

ومن المعلوم أنّ روايات التعزية من سنخ الرخص لا العزائم، والله يحبّ أن يُؤخذ برخصه كما يحبّ أن يُؤخذ بعزائمه[1].

فمصادرة المعزّي بأن لا ينقل للمستمعين سوى صحاح الأخبار مع أنّ المسألة عند العلماء معركة لآرائهم، مع ما عرفت من التسامح في أدلّة السنن، ما هي إلّا فرطة[2] من التحامل، وشدّة من العداء.

وأشدّ منها سورة[3] منعه أن ينقل من الأحاديث ما يسبق للعقل رفضه، وللذوق لفظه[4] وإن كان نصّاً صحيحاً مقطوعاً به!

الله أكبر، أتذر حملة السنّة ونقلة أحاديثها المقدّسة حديثاً منها صحيح السند، صريح الدلالة، لا يعارضه أقوى منه ولا يناقضه إجماع، ولا يخالفه القرآن المجيد، ولا يستقبحه العقل السليم من شوائب الأوهام، فبماذا تعتذر إلى الله وهي المأمورة من عزّه وجلاله بنقل ما حملته صدورها، ونشر ما فقهته

⇨

والمراد بالكلام المذكور أنّ من بلغه خبر عن المعصومين عليهم السلام أنّ ثواباً يترتّب على عمل معيّن فأتى به المكلّف بنية التقرّب إلى الله تعالى أُتيه، أي أُعطي ذلك الثواب وإن لم يتوفّر في الخبر شروط الصحّة، وهو ما يصطلح عليه في علم الفقه بالتسامح في أدلّة السنن.

(١) الآيات الناسخة والمنسوخة: ٥٠، وسائل الشيعة ١: ١٠٨، حديث٢٦٣.

(٢) الفرطة بالضم: اسم للخروج والتقدّم..، وأمر فرط، أي: مجاوز فيه الحدّ. الصحاح ٣: ١١٤٨ و١١٤٩، «فرط».

(٣) السورة: الوثبة. لسان العرب ٤: ٣٨٥، «سور».

(٤) اللفظ: أن ترمي بشيء كان في فيك. كتاب العين ٨: ١٦١، «لفظ».

قلوبها إلى أهل ملّتها، قال تعالى: ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[١]؟!

أحياءً يكتم العالم علمه، ولا حياء في الدين؟!

أتقية يستر، ولات حين تقيّة؟!

نحن الآن وحرية الأديان سائدة في كنف[٢] من الأمن وعلى مهد من الاطمئنان.

أإتّباعاً لهوى الأغنياء والله تعالى يقول: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءهُمْ﴾[٣]؟!

ويقول: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾[٤]؟!

أتقليداً لعقولهم الوبيئة[٥]، وأفهامهم العليلة، وهي التي تستحلي الحنظلة[٦]، وتستمرىء التمرة؟!

أتكون الأناسي أنعاماً تتردّى بحفرها تبعاً لضالّتها، أو تشرّداً[٧] إتماماً بنادتها[٨]؟!

---

(١) التوبة (٩): ١٢٢.

(٢) فلان يعيش في كنف فلان، أي: في ظلّه. لسان العرب ٩: ٣٠٨، «كنف».

(٣) المؤمنون (٢٣): ٧١.

(٤) النازعات (٧٩): ٤٠.

(٥) أرض وبئة، إذا كثر مرضها. كتاب العين ٨: ٤١٨، «وبأ».

(٦) الحنظل: الشجر المرّ، وقال أبو حنيفة: هو من الأغلاث، واحدته حنظلة. لسان العرب ١١: ١٨٣، «حنظل».

(٧) شرد البعير يشرد شروداً وشراداً: نفر. الصحاح ٢: ٤٩٤، «شرد».

(٨) ند البعير يند نداً ونديداً وندوداً ونداداً: شرد ونفر.، التناد: التفرق والتنافر. القاموس المحيط ١: ٣٤٠.

على أنّ نَقَلَةَ الأحاديث المقدّسة لو نزلت على حكم تلك الأبصار الخاسئة الحسيرة لأفضت الحال بحملة القرآن الشريف أن ينزلوا على حكمها، ويغمضوا من آيات القرآن كثيراً لما يسبق منها لتلك الأفهام السقيمة والأنظار الكليلة استحالة صحّتها واستهجانُ صدقها، أو استبعاد وقوعها، مثل قوله تعالى: ﴿**وَجَنَّة عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ**﴾[(١)].

فأين هي[(٢)] في العالم المحسوس سوى هذين[(٣)] وهما لها عرض بالفرض، فأين محل طولها[(٤)]؟!

وقوله تعالى: ﴿**وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ**﴾[(٥)] فأين المحل لموسعها؟!

ونظير هذه الآيات كآيات الإسراء[(٦)] وآية الاستواء[(٧)] ونحوها[(٨)]، عند

---

(١) البقرة (٢): ١٣٣.

(٢) أي: الجنّة.

(٣) أي: السماوات والأرض.

(٤) أي: إذا كانت السماوات والأرض مجرد عرض للجنّة فأين محل الطول.

(٥) البقرة (٢): ٢٥٥.

(٦) قوله تعالى في سورة الإسراء (١٧): ١: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

(٧) قوله تعالى: ﴿**اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ**﴾. راجع سورة الأعراف (٧): ٥٤، يونس (١٠): ٣، الرعد (١٣): ٢، الفرقان (٢٥): ٥٩، السجدة (٣٢): ٤، الحديد (٥٧): ٤.

(٨) مثل قوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾، القصص (٢٨): ٨٨ وقوله تعالى: ﴿**يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾، الفتح (٤٨): ١٠.

هؤلاء القوم الضالين بمعزل عن الصدق، ومقربة من الكذب، أيسع المسلم المأمور بتلاوة كتاب ربّه كلّه أن يقرأ منه بعضاً ويعرض عن بعض؟!

حوشيت يا مسلم أن تغمض من كتاب ربّك آية، أو من سنّة نبيك رواية، خشيةً من معترض جاهل ومُعيب ناقص.

وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهم السقيم[١]

وممن طعن على القرّاء للتعزية بعض المعاصرين، زعم أنّ الكثير منهم بين مُخلق[٢] للأخبار وبين ماسخ[٣] لها، وعنده هذا الطعن عليه!

---

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ١: ٢٥٨.

(٢) انظر: رسالة «التنزيه» المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٥:٣٢.

وانظر: تعليق السُبيتي في هامش رسالته «رنّة الأسى» المطبوعة ضمن هذه المجموعة أيضاً ٥:١٦١.

(٣) المسخ: تحويل خلق عن صورته. كتاب العين ٤: ٢٠٦، «مسخ».

الشعر الحسيني والغناء

قالوا: ما بالنا نرى قرّاء التعزية من أساتذة وتلامذة ينشدون الشعر بأصوات رخيمة[١]، ونغمات رقيقة، وترجيع وترديد، لكأنّهم بلابل تصدح[٢]، أو قماريّ تسجع، أو أوتار تُجسّ، أو ألحان إسحاق ومعبد[٣]، وهل ذلك إلّا الغناء وهو محرّم شرعاً، ولا يطاع الله من حيث يُعصى، فهلاّ اقتصروا على تلاوة الأحاديث تلاوة مفيد على مستفيد بتؤدة[٤] وترسّل، لا بغنّة[٥] وترخيم؟!

---

(١) رخم الكلام والصوت ورخم، فهو رخيم: لان وسهل..، رخيم، أي: رقيق. لسان العرب ١٢: ٢٣٤، «رخم».

(٢) صدح الرجل يصدح صدحاً وصداحاً، وهو صداح وصدوح وصيدح: رفع صوته بغناء أو غيره. لسان العرب ٢: ٥٠٨، «صدح».

(٣) اسمان لمغنيين: إسحاق بن إبراهيم بن ميمون يقال: إنّه ولد في سنة خمسين ومائة ومات سنة خمس وثلاثين ومائتين. تاريخ بغداد ٦: ٣٣٦، رقم ٣٣٨٠، البداية والنهاية ١٠: ٣٤٦، سنة ٢٣٥.

ومعبد بن وهب، ويقال: ابن قطني، مات سنة ستة وعشرين ومائة. تاريخ الإسلام ٨: ٢٦٩، الأعلام ٧: ٢٦٤.

(٤) التؤدة: التأنّي والرزانة ضدّ التسرّع. مجمع البحرين ١: ٢٧٨، «تأد».

(٥) الغنّة: صوت فيه ترخيم نحو الخياشيم يغور من نحو الأنف بعون من نفس الأنف. كتاب العين ٤: ٣٤٨، «غن».

أقول: مسألة تنقيح معنى الغناء عند اللغويين وأهل العرف كمسألة تحريمه عند الفقهاء مسألة طويلة الأذيال، معركة للآراء، والاختلاف فيها بين العلماء قائم على قدم وساق، والقدر المتيقّن حرمته من الغناء هو ما كان صادقاً عليه الغناء عرفاً عامّاً، ومجامعاً لآلات الطرب، ومطرباً بنفسه، ومشتملاً على الترجيع[١]، ومقصوداً به اللهو، ولم يكن بحداء[٢]، ولا بتلاوة قرآن، ولا مناحات[٣]، ولا دعاء، ولا نياحة، ولا غناء امرأة في عرس خال من سماع الرجال، فهذا الفرد هو المحرّم شرعاً إجماعاً. وما عداه من الأفراد للنظر في حرمته مجالٌ واسع وقيلٌ وقالٌ كثير، يرشدك إلى هذا الاطلاع والمشارفةُ على الكتب المبسوطة الاستدلالية في فقه الإماميّة وغيرهم، سيّما كتابي الشيخين العلاّمتين صاحبي الجواهر[٤]والمكاسب[٥].

---

(١) الترجيع: تقارب ضروب الحركات في الصوت. هو يرجع في قراءته وهي قراءة أصحاب الألحان. كتاب العين ١: ٢٢٥، «رجع».

(٢) الحدو: سوق الإبل والغناء لها. الصحاح ٦: ٢٠٩، «حدا».

(٣) النوح مصدر ناح ينوح نوحاً. ويقال: نائحة ذات نياحة، ونواحة ذات مناحة، والمناحة أيضاً الاسم، ويجمع على المناحات والمناوح. كتاب العين ٣: ٣٠٤، «نوح».

(٤) هو الشيخ محمّد حسن النجفي المتوفّى سنة ١٢٦٦هـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام ٢٢: ٤٤.

(٥) هو الشيخ مرتضى الأنصاري المتوفّى سنة ١٢٨١هـ كتاب المكاسب ١: ٢٨٥، المسألة الثالثة عشر.

فإرسال هؤلاء المعترضين حرمة الغناء مطلقاً[١] إرسال المسلّمات هو في حيازة المنع، مع كثرة القائلين باستثنائه[٢] في المقام، إمّا لخروجه موضوعاً أو حكماً.

وعلى فرض تسليم حرمة الغناء على الإطلاق، فليس كلّ القرّاء للشعر ينحون بقراءتهم له نحو الغناء ليكون من ألحان الفسوق وإن كانوا حسان الأصوات، وليس كلّ قارئ نديّ الصوت[٣] جميل اللهجة تكون قراءته غناء، بل نداوة الصوت من النعوت الجمالية للمرء، ولهذا لا تتخلّف عن الأنبياء الجامعين لصفات الكمال.

لقد ورد عن نبيّنا صلى الله عليه وآله أنّه كان له حُسن يوسف[٤]، وصوت داود[٥]، وكان إذا تلا شيئاً من القرآن أخذ بمجامع القلوب[٦]، ومن المعلوم أنّ حديد

---

(١) أي بكلّ أفراده، أي بما فيها الحداء وتلاوة القرآن و...

(٢) أي باستثناء الذي ينشده قرّاء التعزية بأصوات رخيمة، وذلك إمّا بخروجه موضوعاً عن الغناء، أي لا ينطبق حدّ الغناء عليه، أو بخروجه حكماً، أي حدّ الغناء ينطبق عليه ولكن حكم الغناء - وهو التحريم - لا يشمله للدليل الخاص.

(٣) الندى، كفتى: بعده، أي بعد مذهب الصوت، ومنه: هو ندي الصوت، كغني: أي بعيده أو طريه. تاج العروس ٢٠: ٢٣٣، «ندا».

(٤) تاريخ بغداد ٣: ٥٨، رقم ١٠٣٥، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «هبط عليّ جبريل فقال: يا محمّد، إنّ الله يقرأ عليك السلام ويقول: حبيبي إنّي كسوت حسن يوسف من نور الكرسي، وكسوت حسن وجهك من نور عرشي، وما خلقت أحسن منك يا محمّد».

(٥) روضة الواعظين: ٦٩، مجلس في مولد النبيّ صلى الله عليه وآله، مناقب آل أبي طالب ١: ٢٨، فصل في مولده صلى الله عليه وآله.

(٦) الكافي ٢: ٦١٥، حديث ٤، باب ترتيل القرآن بالصوت الحسن.

الصوت[١] وغليظه تنفر من سماع حديثه النفوس، والأنبياء منزّهون عن كلّ منفّر للناس عنهم؛ ليتمّ غرضهم عند احتواش[٢] الناس عليهم من البلاغ الإلهي، وهذا هو الغاية القصوى من إرسال الرسل للعباد، كما أنّ الغاية القصوى من قرّاء التعزية أن تحتوش الناس عليهم لسماع العزاء، ولا يستلفت القارئ الآذان والأذهان لسماع العزاء إلّا بصوته الحسن الجميل الذي تميل إليه الناس بالجبلّة والطبع وتنفر عن سواه مكرهة له، كما قال قائلهم:

إذا غنّـــــــــاني القرشـــــــــي　　　　دعـــــوت الله فــــي الطـــــرش[٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[٤].

فالصوت الليّن المديد العاري عن الفرطة بالترجيع والترديد هو المشروب حبّه في القلوب، ولهذا كان المؤذّن الخصوصي للنبيﷺ بلال الحبشي لأجل نداوة صوته وطلاوة[٥] لفظه مع عدم قدرته على إخراج حرف الشين إلّا سيناً فقال رسول اللهﷺ: «سين بلال شين عند الله»[٦].

---

(١) أي: خشن الصوت.

(٢) احتوش القوم فلاناً وتحاوشوه: جعلوه وسطهم. كتاب العين ٣: ٢٦٢، «حوش».

(٣) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٣: ٢١١، والشعر للمهلبي.

(٤) لقمان (٣١): ١٩.

(٥) الطلاوة: الحسن، يقال: سمعت كلاماً عليه طلاوة. كتاب العين ٧: ٤٥٣، «طلي».

(٦) عدّة الداعي: ٢١، عنه مستدرك الوسائل ٤: ٢٧٨، حديث٤٦٩٦.

ومن هنا تعرف أنّ نداوة صوت المؤذّن أهم بنظر الشارع المقدّس من إخراج حروف الأذان من مخارجها، وما السرّ - والله العالم - إلّا الحرص على مزيد الإقبال والتوجّه نحو الذكر، فكذلك قارئ العزاء يكون؛ إذ الغاية واحدة.

البكاء على سيّد الشهداء والتأسّي بالنبيّ صلى الله عليه وآله

قالوا: لا ريب أنّ سيّدنا الحسين عليه السلام قتل شهيداً، والشهداء ﴿**أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ**﴾[1] منقولين بشهادتهم من سجون الدنيا إلى قصور الآخرة، ومن هوان العاجلة إلى كرامة الآجلة، ومن الضيق إلى السعة، ومن الشدّة إلى الرخاء، وكلّ ذلك مروي عن المعصومين عليهم السلام[2].

أتحسن الكآبة، أتجمل المناحة على حبيب فرّج كربه، ونفّس غمّه، وأخرج من سجن، وظعن[3] من منزل جدب[4] لا ماء فيه ولا كلاء[5] إلى

---

(١) آل عمران (٣): ١٦٩ - ١٧٠.

(٢) معاني الأخبار: ٢٨٨، حديث٣، باب معنى الموت.

(٣) ظعن: يدلّ على الشخوص من مكان إلى مكان. معجم مقاييس اللغة ٣: ٤٦٥، «ظعن».

(٤) الجدب: نقيض الخصب. الصحاح ١: ٩٧، «جدب».

(٥) الكلأ: العشب. الصحاح ١: ٦٩، «كلا».

مربع[١] خصيب، واسع رحب، جنانه[٢] ألفاف، قطوفها دانية، وثمارها يانعة[٣]، وأنهارُها مطردة من ماء غير آسن[٤]، ولبن خالص، وعسل صاف، وخمرة لا غول[٥] فيها ولا تأثيم، حائزاً مع ذلك رضوان الله ورضوان الله أكبر؟!

يا لله! أتكون أم حارثة الأنصارية[٦] ـ التي أمسكت عن بكائها على وحيدها المستشهد بين يدي رسول الله حين علمت أنّه من أهل الجنّة ـ أفقه من البكّائين على الحسين عليه السلام وأسمى مداركاً، مع أنّها امرأة، ومن شأن النساء الرقة والجزع؟!

أقول: أوّلاً: للباكي على الحسين عليه السلام أسوةٌ بالنبي صلى الله عليه وآله أنّه بكى على عمّه حمزة باتّفاق النقلة لسيرته[٧]، وحمزة سيّد الشهداء في أحد ومن أهل الجنّة يقيناً، وبكى على جعفر وزيد[٨] أياماً، وكان يقول: كانا لي صاحبين ومحدّثين[٩].

---

(١) الربع: المنزل والوطن، سمّي ربعاً؛ لأنّهم يربعون فيه، أي يطمئنون، ويقال: هو الموضع الذي يرتبعون فيه في الربيع. كتاب العين ٢: ١٣٣، «ربع».

(٢) الجنّة: الحديقة ذات الشجر والنخل، وجمعها جنان..، والجنّة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، من الاجتنان، وهو الستر لتكاثف أشجارها وتظليلها بالتفاف أغصانها. لسان العرب ١٣: ١٠٠، «جنن».

(٣) ينع الثمر ينيع ينعاً وينعاً وينوعاً، أي نضج. الصحاح ٣: ١٣١٠، «ينع».

(٤) أسن الماء يأسن أسناً وأسوناً فهو آسن، أي متغير الطعم. كتاب العين ٧: ٣٠٧، «أسن».

(٥) الغول: الصداع، وقيل: السُكر. لسان العرب ١١: ٥٠٩، «غول».

(٦) شرح نهج البلاغة ١٤: ١٤٧، قصة غزوة بدر.

(٧) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٩٩، السيرة الحلبية ٢: ٥٣٤.

(٨) صحيح البخاري ٤: ١٨٤.

(٩) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢: ٥٤٦.

وجعفر هو ذو الجناحين الطيّار بهما في الجنّة مع الملائكة[١].

وبكى على عثمان بن مظعون[٢]، وهو السلف الصالح بنصّ النبيّ[٣]، وليست الجنّة إلّا لعباد الله الصالحين.

وبكى على القرّاء[٤]، وهم من أهل الجنّة باتّفاق المسلمين[٥]، وبكى على صاحب العزاء ولده الحسين عليه السلام قبل أن تقع مصيبته، كما تضافرت بذلك الروايات عنه[٦]، فكيف يعاب باك تأسّى برسول الله، والله تعالى يقول: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾[٧].

هل هذا إلاّ ردٌّ على الله ورسوله، ومن رد عليهما فليتبوّء مقعده من النار.

ثانياً: إنّ الأحقّ بالبكاء هو من كان من أهل الجنّة لا من كان من أهل النار؛ لأنّ وجوده بالحياة الدنيا منفعة لأهلها من وجوه شتّى:

---

(١) المعجم الكبير ٣: ٥٨، حديث٢٦٧٥، المستدرك على الصحيحين ٣: ٢٠٩.

(٢) سنن الترمذي ٢: ٢٢٩، حديث٩٩٤، باب ما جاء في تقبيل الميّت.

(٣) الكافي ٣: ٢٤١، حديث١٨، باب المسألة في القبر ومن يُسأل ومن لا يُسأل، مسند أحمد ١: ٢٣٧، مسند عبد الله بن العبّاس.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٤١، باب غزوة الرجيع ورعل وذكوان وبئر معونة. ولم أعثر على بكائه صلى الله عليه وآله.

(٥) مسند أبي داود الطيالسي: ٤٥، مسند أبي يعلى ٩: ٢٥٥، حديث٥٣٧٦، سبل الهدى والرشاد ١٠: ٦١، الباب ٢١ في إخباره صلّى الله عليه وسلم بقتل أصحابه يوم بئر معونة.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٧٦.

(٧) الأحزاب (٣٣) : ٢١.

منها: إنّ الله سبحانه يرفع العذاب والمُثلات[١] الدنيوية عن مستحقّيها بواسطة دعاء ذلك العبد الصالح، وإكراماً من الله له (ولأجل عين ألف عين تكرم).

وجاء في القرآن والحديث القدسيين ما يدلّ على هذا، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ**﴾[٢].

وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «لولا رجال ركّع وشيوخ خشّع وأطفال رضّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً»[٣].

ومنها: إنّ أقوال من كان من أهل الجنّة وأعماله كلّها تكون صالحة للاقتداء بها فيغلب الصلاح ببركة وجوده على الفساد، ويفشوا الخير، ويكثر البر والتقوى، ويبلغ المعروف أشدّه، وينقطع دابر المنكر، فتستأهل الناس وقتئذ من الله الرحمة وإسباغ[٤] النعمة وإنزال البركات من السماء وإصعاد المعروف من الأرض، وكلّ ذلك بموته يُفقد، فهو المستحقّ أن يبكى لفقده ويُحزن،

---

(١) المثلة بفتح الميم وضمّ الثاء: العقوبة، والجمع المثلات. الصحاح ٥: ١٨١٦، «مثل».

(٢) الأنفال (٨): ٣٣.

(٣) انظر: إرشاد القلوب ١: ٧٩، الباب السادس في التخويف من الآثار، مسند أبي يعلى ١١: ٢٨٧، حديث ٦٤٠٢.

(٤) سبغت النعمة تسبغ بالضم سبوغاً: اتّسعت، وأسبغ الله عليه النعمة، أي: أتمّها. الصحاح ٤: ١٣٢١، «سبغ».

ويُؤسف لفراقه المفوّت تلك الفوائد الهامّة العامّة، الدنيوية والأخروية؛ لأنّ العالم الاجتماعي لا يصلح نظام معاشه إلّا بالصلحاء الذين تقبل شهادتهم، وتحفظ الودائع والرهائن عندهم، وتحصل بتعاليمهم وإرشاداتهم ونصائحهم للناس الألفة فيما بينهم، وهي رأس مال السعادة الحيوية، فهم الحريّون بالبكاء عليهم؛ لعظم فوائدهم الفائتة بموتهم.

[والمرء] مهما بلغ من الكبر عتيّا[١] لابدّ أن يشرف على الثنيّة[٢] النهائية من عمره، ويعانق إحدى الموتتين اللتين لا مناصّ له من وصال أحداهما، إمّا على فراشه حتف أنفه، أو على صهوة[٣] جواده طعمة لبيض الظبى[٤] وسمر القنا[٥]، والثانية هي الحسناء الحُرة التي تخطبها البواسل[٦] حماة الحفيظة[٧]،

---

(١) عتا الشيخ يعتو عتيا وعتيا: كبر وولّى. الصحاح ٦: ٢٤١٨، «عتا».

(٢) قال أبو عبيد: والثنى من الوادي والجبل: منعطفه. الصحاح ٦: ٢٢٩٤، «ثنى» والثنيّة النهائية، أي: المنعطف النهائي.

(٣) وهي من الفرس موضع اللبد من ظهره، وقيل: مقعد الفارس. لسان العرب ١٤: ٤٧١، «صها».

(٤) الظبة: حدّ السيف في طرفه، والخنجر وشبهه، والجمع الظباة والظبي والظبون. كتاب العين ٨: ١٧١، «ظبي».

(٥) والقنا أيضاً: جمع قناة، وهي الرمح، وتجمع على قنوات. الصحاح ٦: ٢٤٦٨، «قنا».

(٦) البسالة: الشجاعة. الصحاح ٤: ١٦٣٤، «بسل».

(٧) الحفاظ: المحافظة على المحارم ومنعها عند الحروب، والاسم منه الحفيظة. كتاب العين ٣: ١٩٨، «حفظ».

الذين لا يلوون للخسف[١] جيداً، ولا يعطون الدنية عن يد وهم صاغرون، والذين هم يمهرونها بأنفس الأنفُس رغبة بالفخر الخالد والسؤدد[٢] الأبيد[٣]، وإيثاراً للعزّة على الذلّة، وللرفعة على الضعة.

ومن أولى بمعانقة هذه الغادة[٤] الحسناء من مولانا أبي عبد الله الحسين عليه السلام، السان[٥] لأباة الضيم بعده كيف يختارون عزّ المنية على ذلّ الحياة: «ألا إنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين السلّة والذلّة وهيهات منّا الذلّة»[٦].

سيم[٧] الهوان فطاب الموتُ في فمه وتلك شنشنةُ[٨] الأسد المغاوير[٩]

---

(١) الخسف: الجور. كتاب العين ٤: ٢٠٢، «خسف».

(٢) السؤدد: الشرف. لسان العرب ٣: ٢٢٨، «سود».

(٣) آباد الدهر: طوال الدهر، والأبيد مثل الآباد. كتاب العين ٨: ٨٥، «أبد».

(٤) الغادة: الفتاة الناعمة. كتاب العين ٤: ٤٣٦، «غيد».

(٥) السنّة: الطريقة. لسان العرب ١٣: ٢٢٦، «سنن». المعنى: الراسم لإباة الضيم طريق العزّة.

(٦) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٩، تاريخ مدينة دمشق ١٤، ٢١٩، ترجمة الحسين بن علي ابن أبي طالب.

(٧) سامه الأمر سوماً: كلّفه إياه، وقال الزجاج: أولاه إياه، وأكثر ما يستعمل في العذاب والشرّ والظلم. لسان العرب ١٢: ٣١١، «سوم».

(٨) شنشنة الرجل: غريزته. كتاب العين ٦: ٢٢٠، «شن».

(٩) رجل مغوار ومغاور، أي: مقاتل، وقوم مغاوير، وخيل مغيرة. الصحاح ٢: ٧٧٥، «غور».

اختار لنفسه ما اختاره الله تعالى له من السعادة بالشهادة، فبرز لها بروز الرئبال[١]، المخرج من عرينه[٢]، منتضياً سيفه[٣]، ممتطياً جواده، عازماً على الموت، آيساً من الحياة، زاحفاً على أحزاب الضلالة - وهم عدد الحصى - بنيّف وسبعين من أنصاره، لا مطمح لبصره إلّا حطم فرسانهم، وإبادة خضرائهم، وصبغ أديم الأرض بأرجوان[٤] نجيعهم[٥]، ومحو أسطر صفوفهم وألوفهم المؤلّفة من لوح عالم الوجود، وتطهير البسيطة من دنس الظلمة، ورجس العتاة الفسقة.

فله الفخر كلّه حين طارت نفسه شعاعاً، وتوزّعت أشلاؤه إرباً اتّجاه المحاماة عن الدين، وفي سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلك سجية كلّ حريص على بيضة الشرف، يموت ليحيا حياة أبدية، ويفنى ليبقى فضله في أفق التاريخ سراجاً وهّاجاً وبدراً منيراً، ويرتحل عن الدنيا وذكره الحميد قاطن لا يظعن[٦]، مخيّم لا يقوّض[٧].

(١) الرئبال: من أسماء الأسد والذئب. كتاب العين ٨: ٣١٤، «رأبل».

(٢) العرين: مأوى الأسد. كتاب العين ٢: ١١٨، «عرن».

(٣) انتضل سيفه: أخرجه. لسان العرب ١١: ٦٦٥، «نضل».

(٤) الأرجوان: صبغ أحمر شديد الحمرة. الصحاح ٦: ٢٣٥٣، «رجا».

(٥) النجيع: دم الجوف. كتاب العين ١: ٢٣٣، «نجع».

(٦) ظعن يظعن ظعناً وظعناً، بالتحريك، وظعوناً: ذهب وسار. لسان العرب ١٣: ٢٧٠، «ظعن».

(٧) تقويض البناء: نقضه من غير هده. كتاب العين ٥: ١٨٥، «قوض».

فما أحرى في اليوم الذي استقل[١] به ذلك المولى الكريم أن لا يكون سوق عكاظ[٢] تحضره خنساء[٣] الرثاء، ومهلهلُ البكّاء، بل يكون ندوة هناء[٤] وافتخار، تتنادم ندماؤها بذكر مناقبه الزاهرة، ومآثره العاطرة، وتطفح به وجوه الموالين له زهواً وبشراً ومسرّة وحبوراً[٥]، وتفيض أسلات[٦] ألسنتهم عليه إطراء وثناءً، جرياً على العادة المستمرّة بين عموم الناس، غربيها وشرقيها، فهم يجعلون لكلّ نابغة نبغ منهم في خلّة[٧] حميدة ومأثرة كريمة يوم تذكار تهييجاً للنفوس، واستمالة للعزائم والهمم نحو اكتساب الخلال الفاضلة والمبادئ السامية.

---

(١) استقلّ الطائر: ارتفع من الأرض. كتاب العين ٥: ٢٦، «قل».

(٢) عكاظ: اسم سوق كان العرب يجتمعون فيها كلّ سنة شهراً ويتناشدون ويتفاخرون، ثمّ يفترقون، فهدمه الإسلام، وكانت فيها وقائع. كتاب العين ١: ١٩٥، «عكظ».

(٣) خنساء بنت عمرو، أخت صخر، شاعرة وهي بنت عمرو بن الشريد..، ولها مراث وأشعار في أخيها صخر مشهورة، وأجمعوا على أنّه لم تكن امرأة أشعر منها. تاج العروس ٨: ٢٦٩، «خنس».

(٤) التهنئة: خلاف التعزية. الصحاح ١: ٨٤، «هنأ».

(٥) الحبر والسبر: الجمال والبهاء. كتاب العين ٣: ٢١٨، «حبر».

(٦) أسلة اللسان: طرف شباته إلى مستدقه..، وفي كلام علي: لم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم، هي جمع أسلة وهي طرف اللسان. لسان العرب ١١: ١٥، «أسل».

(٧) الخلّة: الخصلة، والجمع: الخلال والخلات. كتاب العين ٤: ١٤١، «خل».

أقول: «جاءوا بمذق هل رأيتَ الذئبَ قط»[١] عملوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، مزجوا العذب الفرات بالملح الأجاج[٢].

أمّا العذب فهو قولهم: إنّ الحسينعليه السلام مات بيومه أحسن الموتتين، مجاهداً عن الدين بسطوة معجزة للبشر، مبقياً ذكره المجيد حيّاً للأبد.

وأمّا الأجاج فتحبيذهم أن لا يبكى عليه في اليوم الذي استشهد فيه، واستحسانهم تعظيم شعائر الفرح والزينة به أسوة له بأيام تذكار النوابغ من الأنام.

لقد حفظوا شيئاً وغابت عنهم أشياء، حفظوا وجوب تذكاره للتأسّي بصالح أعماله، ونسوا أنّه «عبرة كلّ مؤمن ما ذكره مؤمن إلّا وبكى»[٣]، كما ورد ذلك عنه وعن أبيه والمعصومين من بنيه.

---

(١) المذيق: اللبن الممزوج بالماء..، المذق: المزج والخلط. لسان العرب ١٠: ٣٣٩، «مذق».
والمراد أنّهم خلطوا في كلامهم بين السليم والسقيم، فليس كلّه سقيماً باطلاً، فهو مزيج من الأمرين كلون الذئب لا هو أبيض فقط ولا هو أسود.

وهذا عجز بيت، وشطره «حتّى إذا جنّ الظلام واختلط».

والبيت لراجز لم يعيّنه أحد من الرواة، ومعناه: أنّ الراجز يصف قوماً بالشُح والبخل، نزل بهم ضيفاً، فانتظروا عليه طويلاً حتّى أقبل الليل بظلامه، ثمّ جاؤوه بلبن مخلوط بالماء يشبه الذئب في لونه؛ لكدرته وغبرته، يريد أنّ الماء الذي خلطوه به كثير.

انظر: شرح ابن عقيل ٢: ١٩٩، «الهامش».

(٢) الأجاج: الماء المرّ المالح. كتاب العين ٦: ١٩٨، «أج».

(٣) كامل الزيارات: ٢١٤، الباب ٣٦ في أنّ الحسينعليه السلام قتيل العبرة، لا يذكره مؤمن إلّا بكى.

ونسوا أنّ خسران شيعته فوائد وجوده العظمى هو المحرّك لهم قهراً على الحزن له عند ذكره، وتلك شنشنة الخاسر كما مرّ آنفاً.

ونسوا أنّ ذكر اسمه فقط لا مزيد عليه هو بنفسه تعزية، ولهذا اقتصر عليها ذلك الصحابي الجليل جابر بن عبد الله لمّا زاره وهو مكفوف البصر، لم يزد على قوله ثلاثاً: يا حسين، وهو يبكي بكاء الثكلاء[١].

ونسوا حظّا ممّا ذكّروا به، وهو ما روي أنّه لمّا أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله ابنته فاطمة بقتل ولدها الحسين في عاشر المحرّم وما يجري عليه من المحن، بكت فاطمة بكاء شديداً وقالت: «يا أبت متى يكون ذلك»؟

قال: «في زمان يكون خالياً منّي ومنك ومن علي»، فاشتدّ بكاؤها وقالت: «يا أبت، فمن يبكي عليه ومن يلتزم بإقامة العزاء له»؟

فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «يا فاطمة، إنّ نساء أمتي يبكين على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي، ويجددون العزاء جيلاً بعد جيل»[٢].

وهو واضح الدلالة جدّاً على إرادة النبيّ صلى الله عليه وآله أن تبكي أمّته على مصيبة عترته ما تعاقبت وتناسلت.

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ١٢٥، رقم٧٢ قصّة ورود جابر بن عبد الله الأنصاري بكربلاء.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢، حديث٣٧، باب٣٤ ثواب البكاء على مصيبته ومصائب سائر الأئمّة عليهم السلام.

أيأمرنا النبيّ بالبكاء على مصاب سبطه ونحن نأمر أنفسنا بالهناء وننهى عن البكاء وإقامة العزاء؟!

هل هذا إلّا اجتهاد في قبالة النصّ، ولا يقول به مسلم قط من سنّي وشيعي؟!

وإنّما تركت السنّة العمل بهذه السنّة الحسنة لعدم تحقّقها عندهم، ولو وقفوا وقوف الشيعة عليها كانوا أحقّ بها من أهلها، ولكنّهم لم يقفوا على براهينها الراهنة، فأمسكوا عن العمل بها بلا دليل، وهذا هو روح التورّع في الدين، بيد أنّ لي أملاً وطيداً[1] أن أراهم عمّا قليل قائمين بهذا المأتم الحسيني أفضل قيام، بعد أن تعي أسماعهم وتشرب قلوبهم تلك الروايات الحسان التي معظم رواتها من ثقات أهل السنّة، وأجلّة علمائهم وكبراء فقهائهم.

---

(١) وطد الشيء وطداً: دام ورسا. لسان العرب ٣: ٤٦١، «وطد».

الاحتفال بيوم عاشوراء

قالوا: ما أجدر يوم عاشوراء أن يكون كيوم الثامن عشر من ذي الحجّة، أسعد عيد للشيعة يتبركون به لا يتطيّرون[1] بشؤمه؛ لأنّه اليوم الذي أكمل إمامهم الحسين عليه السلام فيه كلّ ما كلّف به من ربّه، وأتمّ[2] أداء جميع ما افترضه الله عليه من تكاليف شاقّة، لا يتحمّلها إلّا نبي أو وصي، من طعن وضرب وقتل وسلب وأسر ونهب ومثلة وتشهير، وفظائع لا توصف، وفجائع لا تكيّف، فما حاله بهذا اليوم إلّا كحال جدّه صلى الله عليه وآله يوم الغدير وهو الخاتمة لأيام تبليغاته للدين، المأمور بتبليغه لأمّته تدريجاً من بدء الدعوة إلى هذا اليوم، وما كانت تلك التبليغات المأمور بها إلّا شديدة الوطأة عليه، قاسى بها ما قاساه من مجافاة[3] الأهل، ومناواة[4] العشيرة، والحصار

---

(١) أصل الطير التشاؤم بالطير، ثمّ اتّسع فيها فوضعت موضع الشؤم. مجمع البحرين ٣: ٨٤، «طير».

(٢) في الكلمتين «أكمل وأتمّ» إشارة لطيفة إلى الآية٣ من سورة المائدة: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

(٣) الجفاء، يقصر ويمد: نقيض الصلة. كتاب العين ٦: ١٩٠، «جفو».

(٤) ناوأت الرجل مناوءة ونواء: عاديته. الصحاح ١: ٧٩، «نوأ».

وباسم الثغر والأبطال عابسة   كأن جدّ المنايا عنده لعب[١]

ولا ينافي جذله ذلك اليوم وسروره ما روي عنه من البكاء على بعض القتلى وبعض النساء[٢]، فإنّه بكاء رحمة لا جزع، كبكائه يومئذ حين مدّ بصره نحو أعاديه وهم كالجراد المنتشر وكقطع الليل المظلم، فقبض على كريمته الشريفة وبكى رحمة لهم ورقّة عليهم؛ لأنّهم ينتحلون دين الإسلام دين جدّه الأطهر، ويدخلون بسبب قتله النار، وهذه منه أعظم عاطفة كريمة لا يلقّاها من الأنبياء وأوصيائهم إلّا ذو حظ عظيم.

وبالجملة، فسروره بذلك اليوم –وهو على علم أوتيه من جدّه وأبيه بأنّه هو ذلك اليوم الذي يقتل فيه، وتلك التربة تربته، وعلى أديمها[٣] مسفك دمه، ومصرع جسده – من الأمور المقطوع بها عند كلّ مطّلع على السيرة الحسينيّة، ألا يلزم شيعته التأسّي به كتأسّيهم بجدّه وبهما للمسلمين أسوة حسنة؟! فتتخذ يوم عاشوراء كيوم الغدير الذي تتعاطى به أقداح الأفراح، وتدير فيما بينها أكؤس التهاني، ويقول المتعايدان منهما فيه عند مصافحتهما: الحمد لله على ما

---

(١) أعيان الشيعة ١٠: ٢٤٦. والشعر للحاج هاشم ابن الحاج حردان الكعبي المتوفّى سنة ١٢٢١هـ

(٢) ينابيع المودّة ٣: ٧٦، توبة الحرّ ومقتله وابنه، موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٨٩ عن نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ٥٨.

(٣) أديم كلّ شيء: ظاهر جلده، وأدمة الأرض: وجهها. كتاب العين ٨: ٨٨، «ادم».

أنعم على إمامنا، ووفقه لإتمام أعماله الصالحة، كما يقولان عند تصافحهما يوم الغدير: الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة.

وممّا يؤيّد التعيّد بهذا اليوم العاشوري إجماع المسلمين قاطبة على تعيّدهم بعد إكمالهم الأعمال الرمضانية وهو عندهم عيد الفطر، وبعد قضائهم مناسك الحجّ وهو عيد النحر، اتّخذوا هذين اليومين عيدين دون أيّام عامهم؛ لأنّهم توفّقوا لعمل فرائضهم الهامّة الرمضانية والحجّيّة، وأكملوها على وجهها، فحقّ لهم المسرّة والأنس بهذا التوفيق الإلهي، كما حقّ للحسين وجدّه عليهما السلام التعيّد بذينك اليومين اللذين توفّقا لإكمال الأعمال بهما، ويلزم الأمّة الاقتداء بهما.

أقول: وهذا الكلام يوشك أن يكون من ضروب الجنون، كيف تكون الأتراح[1] أفراحاً؟!

أيّ عاقل من الناس أو شاعر حساس يعدّ أيام المصائب أيام أعياد؟!

علام تحن النيب[2] لفصالها[3] المنحورة؟!

علام تثغو[4] الشياه لحملانها المذبوحة؟!

---

(١) الترح: ضدّ الفرح، يقال: ترحه ترحياً، أي: حزنه. الصحاح ١: ٣٥٧، «ترح».

(٢) الناب: الناقة المسنّة، والجمع: نيب وأنياب. كتاب العين ٨: ٣٨١، «ناب».

(٣) الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمّه. لسان العرب ١١: ٥٢٢، «فصل».

(٤) الثاغية: الشاة، وقد ثغت تثغو ثغاء، أي: صاحت. الصحاح ٦: ٢٢٩٣، «ثغا».

علام تبغم[١] الظباء لأخشافها المقتنصة؟!

علام تهدل[٢] الحمام لأفراخها المقبوضة؟!

بل علام يذوي[٣] ما ازدوج من النبات باستئصال قرينه؟! ويصوح[٤] الذكر لتصويح أنثاه، كما يعلم ذلك كلّ عالم نباتي؟!

أليس كلّ ذلك تأثّراً من فقد العزيز، وانفعالاً من بعد القريب؟!

أندّعي الموالاة لأهل البيت ولا نحزن لحزنهم ونفرح لفرحهم، وهم القائلون: «شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا»[٥]؟!

والرضا عليه السلام يقول لابن شبيب: «إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا»[٦].

وهو القائل في حديث آخر: «إنّ يوم الحسين عليه السلام أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا، وأورثنا الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء»[٧].

---

(١) بغام الظبية: صوتها..، والمباغمة: المحادثة بصوت رخيم. الصحاح ٥: ١٨٧٣، «بغم».

(٢) الهديل: صوت الحمام. لسان العرب ١١: ٦٩١، «هدل».

(٣) ذوي يذوي ذياً، وهو أن لا يصيب النبات والحشيش ريّه. كتاب العين ٨: ٢٠٦، «ذوي».

(٤) صوح النبات إذا يبس وتشقق. لسان العرب ٢: ٥٢٠، «صوح».

(٥) شجرة طوبى ١: ٣، ونحوه في الأمالي للطوسي: ٢٩٩، حديث٥٨٨.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٩، حديث ٥٨، باب٢٨ فيما جاء عن الإمام علي بن موسى عليهما السلام من الأخبار المتفرقة.

(٧) الأمالي للصدوق: ١٩٠، حديث١٩٩.

أيُتهجم المؤمن على القول باتّخاذه يوم عيد ومسرّة؛ لأنّ سيّد الشهداء كان فيه باسم الثغر، طلق الوجه غير مبال بالقتل، وفرحاً بملاقاة ربّه وهو عنه راض؟! فإنّ فرحه بمرضاة الله عنه لا يهوّن خطبه العظيم، ولا يصغّر مصيبته الكبرى، وإنّ ابتسامه - والحربُ كاشفة له عن ساقها - لا يدلّ سوى على بسالته وشجاعته، وعدم مبالاته بحتفه في طاعة ربّه.

أمّا اتّخاذ الشيعة يوم الغدير يوم عيد ومسرّة فلم يكن لمسرّة النبيّ صلى الله عليه وآله براحته من شقّة التكليف بعده في التبليغ، كلاّ، بل لم يزل رسول الله صلى الله عليه وآله يبلّغ الأحكام حتّى فاضت نفسه الزكية، ولم يزل في مرضه الذي توفّي فيه يأمر الناس بتجهيز جيش أسامة بن زيد[1]، وينهاهم عن الفرقة، ويوصيهم بعترته[2]، ويطلب منهم الكتف والدواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلّوا بعده أبداً[3].

بل كان اتّخاذهم له عيداً؛ لأنّهم يعتقدون أنّ ذلك اليوم يوم تلاوة الرسول الكريم فيه المنشور الإلهي والبلاغ الروحي والإعلان السماوي بجعل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام خليفة للناس بعده، وأنّه مثله ولي كلّ مؤمن ومؤمنة[4]، وإنّ الرياسة العامّة هي بعده لصنوه[5] زوج البتول، وأنّ هذا

---

(١) الطبقات الكبرى ٢: ١٩٠، سرية أُسامة بن زيد بن حارثة، الملل والنحل للشهرستاني ١: ٢٣، المقدّمة الرابعة، تاريخ مدينة دمشق ١٠: ١٣٩، رقم ٨٧٠، أيوب بن هلال.

(٢) كحديث الثقلين، انظر: مسند أحمد ٤: ٣٦٧، صحيح مسلم ٧: ١٢٢، باب من فضائل علي، سنن الترمذي ٥: ٣٢٩، حديث٣٨٧٦، وغيرها كثير.

(٣) صحيح البخاري ١: ٣٧، ٤: ٣١، ٦٦، ٥: ١٣٧، ٧: ٩، ٨: ١٦١.

(٤) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٤.

(٥) يقال: فلان صنو فلان، أي: أخوه..، والصنو: المثل. لسان العرب ١٤: ٤٧٠، «صنا».

البيان ليتم نعمة الله على عباده بإرشادهم على المرجع لهم بعد نبيّهم، ومن أجل ذلك جعلوه مجمع مسرّة.

وليس السبب في اتّخاذ أوّل شوال وعاشر ذي الحجّة عيدين للمسلمين أنّهم أتمّوا فيهما عملي رمضان والحجّ، فجعلوهما جلسة استراحة وزمن مسرّة على توفيقهم لأداء فرائضهم؛ لما نعلمه أنّ هذين اليومين مفترضٌ بهما على المسلمين من الأعمال المالية[١] والبدنية ما لم يُفترض بغيرهما من أيام السّنة، فأين الراحة فيهما من التكاليف الموظّفة بهما؟!

وأمّا وظائف غيرهما من الأيّام السابقة[٢] فلا خصوصية لهما فيها، بل كلّ يوم بالنظر لعمل سابقه يكون عارياً منه بالبداهة والوجدان، فالمرء في راحة من أدائه ثانياً، وفي مسرّة من توفيقه لما عمله آنفاً من عمل أطاع به مولاه.

فلو كانت هذه الاستراحة وذلك التوفيق الرباني باعثين على جعل يومه الحالي عيداً لكانت جميع أيام السنّة أعياداً لسريان العلّة في الجميع، بل الجاعل لهما عيدين هو الشارع المقدّس كجعله الجمعة من أيام الأسبوع عيداً للمسلمين دون بقية أيامه، والتعليل تحكّم بحت، وما لنا أن نتحكّم على الله.

---

(١) كزكاة الفطرة والأضحيّة.

(٢) أي: وأمّا الوظائف التي أتى بها المكلّف في الأيام الماضية التي سبقت يومي العيد كالصلاة والصيام وغيرهما من الوظائف الدينية فإنّه لا دخل ولا خصوصية للعيدين فيها.

الإنفاق في مجالس العزاء

قالوا: من الإسراف والتبذير ـ المحظورين شرعاًـ إنفاق الشيعة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة في سبيل تعزية الحسين على أنحاء شتّى.

فمنهم من يعطي البدر[1] الذهبية أو الفضية لقارئ العزاء أجرةً لعمله، وهو الغني المثري الذي لا يستحق الصدقة، وليس بأهل أن يُبرّ.

ومنهم من يشتري بماله العزيز شمعاً ودهناً وغازاً لإضاءة محل العزاء ليلاً.

ومنهم من يصرف المال الوافر ثمن تتن وقهوة وشاي وسكر وآلاتها من أكؤس وأقداح وآلات غليانها، كالأكواب والأباريق والسماورات.

ومنهم المنفق ماله ثمناً لأعلام ورايات سوداء ينشرونها للعزاء.

ومنهم من ينفقه عوضاً عن كرابيس[2] بيض يلبسونها يوم عاشوراء بهيئة الأكفان، وعلى آلات جارحة لأجل ضرب أنفسهم بها.

---

(١) البدرة: كيس فيه عشرة آلاف درهم أو ألف. كتاب العين ٨: ٣٤، «بدر».

(٢) الكرباسة: ثوب، وهي فارسية. كتاب العين ٥: ٤٢٧، «كربس».

ومنهم من يشتري الفراش والرياش[١] استعداداً لمن يحضر العزاء.

ومنهم من يعمّر بيوتاً ضخمة عالية رحبة لإقامة المأتم الحسيني بها، ومعظمهم إذا خاض القوم بتيار العزاء، وبلغ سيلهم فيه الزباء[٢]، ووقفت سفينة طوفان نوحهم وبكائهم على جوادي[٣] الانتهاء، يفزع لتنظيم أواني الموائد وصفّ صفاف المآدب المشتملة على الحار والبارد، والحلو والحامض، واليابس والمائع، والرطب والجامد، فيدعو الناس للاستطعام من طعامه، وجلّهم بل كلّهم أغنياء، لا حظّ للفقراء من طعامه إلّا بقية الأسئار[٤]، فلم يصادف برّهم موضعه، ولا خيرهم موقعه، في جميع تلك النفقات، فهل ذلك منهم إلّا تبذير، والمبذّرون إخوان الشياطين بنصّ القرآن العزيز[٥].

فهلاّ أنفقوا ما أنفقوه في سبيل تعمير مدارسهم الطامسة، وتعليم ناشئتهم الجاهلة، وتلقينهم فنون العلوم العصرية، والمعارف الزمنية، لينشلوا خضراء أمّتهم الأميّة وطائفتهم الهمجية من حضيض السفالة ومستنقع الجهالة - أسوة

---

(١) الريش والرياش: الخصب والمعاش والمال والأثاث واللباس الحسن الفاخر. لسان العرب ٦: ٣٠٩، «ريش».

(٢) الزبى، جمع زبية: وهي الرابية لا يعلوها الماء..، وقيل: إنّما أراد الحفرة التي تحفر للأسد؛ ولا تحفر إلّا في مكان عال من الأرض لئلا يبلغها السيل فتنطم. لسان العرب ١٤: ٣٥٣، «ربي».

(٣) الجودي: موضع. لسان العرب ٣: ١٣٨، «جود».

(٤) السؤر: بقية الشيء، وجمعه أسئار. لسان العرب ٤: ٣٣٩، «سأر».

(٥) قوله تعالى في سورة الإسراء (١٧): ٢٧: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾.

بسواهم من الأمم الراقية بمعارفها - إلى أوج العزّ والسعادة، وذروة الغنى والثروة، والجاه الضافي[١] الوسيع، والعيش الصافي النمير[٢]؟!

أقول:

هـوى نـاقتي خلفـي وقـدامي الهـوى وإنّـــــي وإياهــــا لمختلفـــــان[٣]

القوم يبغون عرض الحياة الدنيا، ومقيمو العزاء يطلبون الآخرة: ﴿**وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأُولَى**﴾[٤]، بل لا خير فيها، هي «غرّارة ضرّارة»[٥] كما قال أمير المؤمنين عليه السلام.

وكما وصفها في بعض خطبه بأنّها كفيء الظلّ بينا تراه سابغاً[٦] حتّى قلص[٧]، وزائداً حتّى نقص، ابتلي الناس بها فتنة، فما أخذوه منها لها[٨] أخرجوا منه وحوسبوا عليه، وما أخذوه منها لغيرها[٩] قدموا عليه وأقاموا فيه»[١٠].

(١) الضفو: السعة والخير. لسان العرب ١٤: ٣٨٥، «ضفا».

(٢) النمير من الماء: العذب الهنيء المريء. كتاب العين ٨: ٢٧١، «نمر».

(٣) خزانة الأدب ٣: ٣٥١.

(٤) الضحى (٩٣): ٤.

(٥) نهج البلاغة ١: ٢١٧، رقم ١١١.

(٦) سبغ الشيء يسبغ سبوغاً: طال إلى الأرض واتّسع. لسان العرب ٨: ٤٣٢، «سبغ».

(٧) قلص الظلّ يقلص عنّي قلوصاً: انقبض وانضمّ وانزوى. لسان العرب ٧: ٧٩، «قلص».

(٨) أي: للدنيا.

(٩) أي: للآخرة.

(١٠) نهج البلاغة ١: ١٠٩، رقم ٦٣.

ومن خطبة له عليه السلام: «الدنيا دار ممرّ والآخرة دار مقرّ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم»[(١)].

فالشيعة تنفق ما تنفق في سبيل التعزية آخذة من الدنيا للآخرة، ومن طريقها إلى منزلها، لتنتفع به في مثواها الأبدي، ومقرّها السرمدي، والحادي لها على هذه النفقة لهذا الوجه من الخير هو ما بلغها عمّن أقوالهم حجّة، وطاعتهم فريضة، المعصومين من آل محمّد صلى الله عليه وآله.

فعن أمير المؤمنين عليه السلام - كما رواه الصدوق في خصاله -: «إنّ الله تبارك وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختار لنا شيعة ينصروننا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أموالهم وأنفسهم فينا، أولئك منّا وإلينا»[(٢)].

وعن الصادق عليه السلام - رواه الكليني في فروع الكافي - أنّه كان يقول في سجوده: «اللّهم اغفر لي ولإخواني ولزوّار قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام الذين أنفقوا أموالهم، وأشخصوا أبدانهم رغبة في برّنا، ورجاء لما عندك في صلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيك صلى الله عليه وآله، وإجابة منهم لأمرنا، وغيظاً أدخلوه على عدوّنا، أرادوا بذلك رضاك، فكافهم عنّا بالرضوان»[(٣)] الحديث.

---

(١) بحار الأنوار ٧٥: ٦٧، حديث٣، ونحوه نهج البلاغة ٢: ١٨٣، رقم٢٠٣.

(٢) الخصال: ٦٣٥، حديث١٠، باب الواحد إلى المائة.

(٣) الكافي ٤: ٥٨٢، حديث١١، باب فضل زيارة أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

وهو وإن كان مورده نفقة الزوّار[1] للحسين عليه السلام، ولكن مغيّاً بغاية أعم من ذلك، وهي قوله عليه السلام: «رغبة في برّنا - إلى قوله - أدخلوه على عدوّنا» كلّ ذلك يفيد استحباب بذل المال في كلّ عمل تترتب عليه تلك الأمور، كالبذل في إقامة عزاء مولانا الحسين عليه السلام.

وفي «مقتل» الثقة الجليل الشيخ الطريحي النجفي[2]: في مناجاة موسى عليه السلام: «إنّ الله تعالى قال له: يا موسى، ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزّى على ولد المصطفى إلّا وكانت له الجنّة ثابتاً فيها، وما من عبد أنفق من ماله في محبّة ابن بنت نبيّه طعاماً وغير ذلك درهماً أو ديناراً إلّا باركت له في دار الدنيا الدرهم بسبعين درهماً، وكان معافاً في الجنّة... إلى آخره»[3].

وغير ذلك من أخبار الباب المقرونة بالسيرة العملية من الأصحاب، مضافة إلى الآيات والروايات العامّة لخصوص المقام، كاستحباب الإنفاق في

---

(١) أي: لا مقيمي العزاء.

(٢) هو: الشيخ فخر الدين بن محمّد علي بن أحمد الطريحي، ولد في النجف الأشرف سنة ٩٧٩هـ كانت أكثر تلمذته على والده كما تتلمذ على عمّه الشيخ محمّد حسين، تتلمذ عليه وروى عنه جماعة من العلماء، منهم: المولى محمّد باقر المجلسي، السيّد هاشم البحراني، ولده الشيخ صفي الدين الطريحي، توفّي سنة ١٠٨٥هـ.

(٣) مجمع البحرين للطريحي ٣: ١٨٦.

سبيل الله، وهو سبيل الخير، وأيّ خير أعظم من عمل يحبّه الله ورسوله وآله وهو إقامة عزاء سيّد الشهداء على الوجه الأكمل الذي يغيظ الكفّار الجاحدين ويرضي المؤمنين ويسرّ سيّد النبيين وآله الطاهرين، فهو أعظم شعيرة من شعائر الله ﴿**وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[١].

أمثل الإنفاق في هذا السبيل يعدّ من الإسراف والتبذير[٢]، ويقال عنه: إنّه لم يصادف محلّه؟! هذا قول يمقته الله ويمقت عليه أهله، ومصادرة لله وأولياء الله من غير حجّة ولا سلطان مبين.

فكلّ درهم ينفقه الشيعي ترويجاً لمصاب أبي عبد الله، وإحياءً لأمره المطلوب إحياؤه بقولهم عليهم السلام: «أحيوا أمرنا رحم الله امرءاً أحيا أمرنا»[٣]، أي: أظهروه وأعلنوه بين الناس إكباتاً[٤] للعدو، وغيظاً للكافر، وتعظيماً للشعائر، فذلك الدرهم يُعتاض عنه بسبعين، إمّا عيناً في الدنيا أو ثواب سبعين في الآخرة، سواء كان إنفاقه في سبيل الإطعام وغيره من لوازم العزاء الذي فيه إكبات الأعداء المحبوب لهم عليهم السلام قطعاً، كما تقدّم عن الصادق عليه السلام.

---

(١) الحج (٢٢): ٣٢.

(٢) وقد فرّق بين التبذير والإسراف في أنّ التبذير: الإنفاق فيما لا ينبغي، والإسراف: الصرف زيادة على ما ينبغي. مجمع البحرين ١: ١٧٠، «بذر».

(٣) انظر: قرب الإسناد: ٣٦، حديث١١٧، شرح الأخبار ٣: ٥٠٨، حديث١٤٥٨.

(٤) الكبت: الصرف والإذلال. الصحاح ١: ٢٦٢، «كبت».

فكلّ أمر لازم لتعظيم قدر المصاب لا ينبغي رفع اليد عنه إلّا بدليل قاطع من إجماع على حرمة أو نصّ خاصّ، و إلّا فالمحكّم في المقام العمل على الإطلاق بأيّ مظهر من مظاهر إحياء أمرهم وإحياء ذكرهم الواردين في نصوص المسألة.

وأمّا ما ذكروه من الحثّ والتحريض على استبدال النفقة على التعزية بالنفقة على إحياء العلوم الزمنية والفنون العصرية لترقى الأُمّة الشيعية رقي غيرها من الأمم فياليتهم - وهم أهل الثرى والثراء - أنفقوا قليلاً من كثير في هذا السبيل لتقتدي الناس بهم، إذ هم من الزعماء والكبراء الذين يُقتدى بهم، فما بالهم يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، فهلاّ حاسبوا أنفسهم ولووا عنان شحّها[1] فأفادوا أمّتهم، وأحيوا ميّت شعبهم؟!

وهلاّ أطلقوا أيديهم ببذل شيء من ثروتهم قبل أن يطلقوا ألسنتهم بالإزراء[2] على صلحاء أمّتهم، الذين إذا حضروا بأنديتهم لم يعدّوا، وإذا غابوا لم يُفقدوا[3]، المنفقين أموالهم مرضاة لله ورسوله وعترته، رغبة بالسعادة المؤبّدة والرقي الدائم في دار الآخرة؟!

---

(١) الشح: البخل مع الحرص. الصحاح ١: ٣٧٨، «شحح».

(٢) الزري: أن يزري فلان على صاحبه أمراً، إذا عابه وعنفه ليرجع، فهو زار عليه. كتاب العين ٧: ٣٨١، «زري».

(٣) اقتباس من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله يحب الأتقياء الأخفياء، الذين إذا حضروا لم يعرفوا، وإذا غابوا لم يفقدوا..». أعلام الدين في صفات المؤمنين: ٢٩٤.

مجالس العزاء والاختلاط بين الرجال والنساء

قالوا: معظم محافل العزاء التي تكون غاصّة بالأناسي الكثيرين مظنّة لوقوع المفاسد والمحرّمات الكبائر؛ لعدم خلوّها عن حضور شبّان وأغلمة بها، وما كلّهم بصلحاء، وعدم تجرّدها من مشارفة فتيات حسان، وما كلّهن بعفيفات، فتتبادل بين الزوجين الذكران والإناث هاتيك النظراتُ المريبة، والإشارات الخبيثة، وينطبق على الطرفين ما قيل: (نظرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء)[1]، فأيّ غائلة فحشية بأغلظ إثماً وأعظم جريرة من هذه الموبقات الملازمة لتلك الاجتماعات.

أقول: لم نعهد عند الشيعة مجلساً مشفوعاً بالنوعين ومعدّاً لهذين، وعلى فرض الاجتماع حيناً فالنساء حينئذ يكنّ من وراء حجاب كجدار أو

---

(١) لأمير الشعراء أحمد شوقي المولود سنة ١٢٨٥هـ والمتوفّى سنة ١٣٥١هـ في القاهرة.

ملاءة[١] تناط بينهما، أو براقع[٢] مسدولة على وجوههنّ، فأيّ موضع -تُرى؟! - مع هذا الحجاب بموضع للإشارات والغمزات الفحشية المريبة؟!

وهب تحضر مجالس الرجال بعض النساء البرزات اللاتي لم يألفن الحجاب لأجل سماع المأتم واكتساب الأجر والثواب، أليس هذه العبادة العزائية ملهية مذهلة لكلّ ذكر وأنثى عن صاحبه، ولكلّ منهما وقتئذ شأن يغنيه؟!

أليس حال الاجتماع هنا كحال اجتماع النوعين في مناسك الحجّ الشريف مع حسر القناع عن وجوه النساء هناك؟!

فالمعذرة عن جواز اجتماعهما هناك هي بعينها المعذرة عن اجتماعهما هنا، على أنّ ذلك الاجتماع العمومي والموكب العزائي الذي قارنته تلك الأعمال السيّئة لا تقدح بحسنه في نفسه كالنظر إلى الأجنبية حال الصلاة[٣].

---

(١) الملاء، بالضم والمدّ: جمع ملاءة، وهي الإزار والريطة. لسان العرب ١: ١٦٠، «ملأ».

(٢) البرقع: تلبسه الدواب ونساء الأعراب، فيه خرقان لعينين. كتاب العين ٢: ٢٩٨، «برقع».

(٣) وهو ما يطلق عليه في الاصطلاح الأُصولي بالاجتماع الموردي، فالمصلّي من حيث صلاته مطيع ومن حيث نظرته إلى الأجنبية عاص. أصول الفقه للمظفر ٢: ٣٧٧.

مجالس العزاء واحتمال الفوضى

قالوا: إنّ اجتماع الآلاف المؤلّفة للمأتم العاشوري في أيّ بلدة ومكان هو مظنّة لوقوع البوادر التي لا ينجلي قسطلُها[1] عن أقل من عشرات معطوبين، وما سفك الدماء بينهم ببعيد، وهناك الطامّة الكبرى التي يختلط فيها الحابل بالنابل، ويؤخذ البريء بجرم الجاني، وليس لهذا الاجتماع المخلّ بالأمن والراحة إلّا صدور الأمر من أولياء الأمور ببعثرة ذلك الجمع، وتشتيت شمله؛ لأنّه غير جار على قاعدة شرعية، ولا منتظم في سلك ديني، إن هو إلّا أحدوثة منكرة، وأنشوطة عقدتها أيدي الجهلة، يرفضها العلم والعلماء، ويأباها الدين والمتدينون.

أقول: الاجتماعات اللهوية والعُرسية والاستقبالية التي تغص بها الرّحب والباحات والشوارع بالشبان الجهلة، المدججة بالسلاح، التي تنسلّ من كلّ فجّ

(١) القسطل: الغبار. كتاب العين ٥: ٢٥٠، «قسطل».

عميق برايات لها منشورة، وطبول داوية، وأبواق صائحة، ومزامير صادحة[١]، وأناشيد حماسية عالية، ليست بمظنّة لبادر بادرة، وحدوث حادثة، بل الأمن بها سائد، والسلامة محرزة، والاطمئنان مخيّم!

وليس كذلك اجتماع شيعة جلّها شيبة وكهول، يجيئون من قراهم المعرّاة عن من يحسن فيها قراءة التعزية إلى محل المأتم كئيبين على سكينة ووقار، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة الحزن، وتعلو جباههم سمة الكآبة، لا تسمع لهم حسيساً ولا تهجس لهم ركزاً[٢]، قد قادهم الوجد المبرح، والحب الصميمي، والإخلاص القلبي لأهل البيت أن يحضروا فيسمعوا المناحة على سيّد الشهداء الحسين عليه السلام، ويجهشوا بالبكاء، أفهؤلاء تلتهب منهم نار الفتن، ويطغى طوفان الضرر، ويقفون حجر عثرة في سبيل الأمن، وشوك قتادة[٣] في عين السلم؟! غفرانك اللّهم، هذا إفك عظيم.

ما عهدنا ولا آباؤنا من قبل أنّ الشيعة التي تحتشد لإقامة عزاء أبي عبد الله تصدر فيها بينهم بواعث شر، أو حوادث ضُرّ، فمن أعجب العجائب طلبهم من الحكومة - أهل السلطة وذوي الإمرة - أن يمنعوا هذا الاجتماع الديني الذي لم يختلف شيعيان بأنّه من شعائر الدين، ومعالم الإسلام، ومن أهم ما تعتقده الإمامية مشروعاً حسناً عظيم الأجر جزيل الثواب.

---

(١) والصدح أيضاً: شدّة الصوت وحدّته. لسان العرب ٢: ٥٠٩، «صدح».

(٢) الركز: الصوت الخفي. الصحاح ٣: ٨٨٠، «ركز».

(٣) القتاد: شجر له شوك، والواحدة قتادة. كتاب العين ٥: ١١٢، «قتد».

فدعوى أنّ العلم والعلماء والدين والديّانين منه براء من كبائر الافتراء، والحكومة الحاضرة تعرف ذلك حقّ المعرفة، فلا يُغشي على علمها ذلك الإيهام العنكبوتي، والخيال السرابي، حتّى تلبّي طلبهم وتصدّق دعواهم، وهي مينٌ[1] محض وباطل بحت.

(١) المين: الكذب. كتاب العين ٨: ٣٨٨، «مين».

ضرب الصدور والظهور

قالوا: إنّ من مقيمي هذا المأتم الذميم من بلغ بهم القُحة[1] وهيجان المرّة[2] في باحة معتركه إلى صكّهم[3] الجباه ولطمهم الصدور بملء الأكف والراحات، وضربهم المتون وقرعهم الظهور بسلاسل ومقامع من حديد، ذلك الضرب الشديد المفضي إلى احمرار البشرة أو اسودادها، ونزف الدم والصديد[4] منها، وهذا من أعمال الجاهلية وترّهاتها القبيحة وعاداتها الذميمة، رجع الشيعيون إليه القهقرى[5] وهم لا يشعرون، واستنّوا به والإسلام ناسخُه، والإجماع محرّمُه، والعقل مقبّحه، والكتاب نافيه، والسنّة تُقصيه.

---

(١) القحّ: الخالص في اللؤم. الصحاح ١: ٣٩٤، «قحح».

(٢) المرّة: مزاج من أمزجة الجسد، وهو داء يهذي منه الإنسان. كتاب العين ٨: ٢٦٢، «مرّ».

(٣) الصكّ: الضرب الشديد بالشيء العريض، وقيل: هو الضرب عامّة بأيّ شيء كان. لسان العرب ١٠: ٤٥٦، «صكك».

(٤) الصديد: الدم المختلط بالقيح في الجرح. كتاب العين ٧: ٨٠، «صد».

(٥) والقهقرى: الرجوع إلى خلف. الصحاح ٢: ٨٠١، «قهر».

أمّا نسخه بالإسلام؛ فلأنّه عمل باطل والإسلام حقّ، وقد جاء الحقّ فزهق الباطل.

وأمّا تحريمه إجماعاً؛ فلأنّ متقدّمي العلماء ومتأخريهم يرسلون بكتبهم فتاويهم بحرمة اللطم على الأموات إرسال المسلّمات، بل إلقاء البديهات.

وأمّا تقبيحه عقلاً فلأنّ كلّ ذي لُبّ يرى أنّ اللطم - الشاق على النفس المؤلم للجسم من غير جرّ مغنم ولا دفع مغرم ولا فائدة يستدرك بربحها ضررُ هذه الصفقة الخاسرة - قبيحٌ سخيف، يمجّه الطبع ويرفضه الذوق وتذمّه العقلاء.

وأمّا نفيه من الكتاب فقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[1].

واللطم مشقّة وحرج فهو غير مجعول شرعاً، وما لم يكن مجعولاً فهو بدعة محرّم، ومصير مبدعها إلى النار.

وأمّا إقصاؤه سنّة ففي صحيح البخاري عن النبيّ صلى الله عليه وآله: «ليس منّا من ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، ودعا بدعوة الجاهلية»[2].

وفي الوسائل عن الإمامين العليّين بطريقين صحيحين: «من ضرب يده على فخذه عند المصيبة حبط أجره»[3].

---

(١) الحجّ (٢٢): ٧٨.

(٢) صحيح البخاري ٢: ٨٣، باب ليس منّا من ضرب الخدود ٤: ١٦٠، باب قصّة زمزم.

(٣) وسائل الشيعة ٣: ٢٧٠، حديث ٣٦٢٠ - ٣٦٢٣.

ومن المعلوم أنّ غير المحرّم لا يُحبط الأجر، فاللطم إذاً، لكونه محبطاً للأجر محرّم.

أقول: من نظر إلى هذا الكلام اللمّاع - آلة البرّاق زبرجة[١] - يخاله لأوّل وهلة ماء معيناً وجوهراً ثميناً وما هو إلّا سراب ﴿**بِقِيعَة يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا**﴾[٢].

متى كانت كلّ أعمال الجاهلية منسوخة بالإسلام؟! فليأتوا على ذلك بسلطان مبين، وما هم بآتين.

أليس كلّ الأمور التي تعاقد عليها أهل حلف الفضول - وهم من كبار رجال الجاهلية - لم يزدها الإسلام إلّا شدّة، كما صحّ نقل ذلك عنه صلى الله عليه وآله[٣]؟!

وهذه ما بأيديهم من ملّة إبراهيم الخليل عليه السلام، وهي عدّة معاملات وعبادات وأحكام وسياسات ومنها الختان، والديّات، وبعض مناسك الحج، لم يثلم الإسلام مشيدها، ولم ينقض مريرها[٤]، بل دعم سمتها[٥]، ورفع

---

(١) زبرج بالكسر: الزينة. الصحاح ١: ٣١٨، «زبرج». والمراد أنّ الذي يعمل في تلميع القطر آلته ووسيلته هي إضفاء الزينة والتلميع دون تغيير الجوهر.

(٢) النور (٢٤): ٣٩.

(٣) السنن الكبرى ٦: ٣٦٧، باب إعطاء الفيء على الديوان ومن يقع به البداية.

(٤) المرير من الحبال: ما لطف وطال واشتدّ فتله. الصحاح ٢: ٨١٥، «مرر».

(٥) السمت: حسن النحو في مذهب الدين. لسان العرب ٢: ٤٦، «سمت».

سمكها[١]، ونصب قطبها[٢]، وأعلى كعبها[٣].

وهذا جمّ كثير من عوائدهم[٤] قد حضّ الشارع المقدّس على انتاج نهجها وسلوك فجّها[٥]، منها إفشاء الإسلام، وإقراء[٦] الضيف، وحماية الجار، واحترام الأشهر الحرم والمشاعر العظام وبيت الله الحرام، إلى ما لا يحصى أو يستقصى من أعمالهم وتقاليدهم، فكيف يزعم الزاعم أنّ الإسلام لكلّها ناسخ، حتّى يتمّ له القول بتحريم اللطم؛ لكونه عملاً جاهلياً، وكلّ عمل جاهلي منسوخ؟!

هل هذا إلّا دعوى بلا دليل، باطلة مضمحلّة كدعواهم الإجماع على الحرمة، وهي في قبالة السيرة العملية للمسلمين من لدن عصر النبوّة إلى هذا الحين، فما من مصر من أمصار المسلمين، ولا قطر من أقطارهم تحلّ فيه إلّا وترى مآتمهم مشحونة من نسائهم إمّا باللطم على الصدور، أو بالتدام الوجوه، أو بصفق الأكف بحسب عاداتهم العاديّة المتداولة فيما بينهم في حياة النبيّ صلى الله عليه وآله وبعد مماته.

---

(١) سمك الشيء يسمكه سمكاً فسمك: رفعه فارتفع. لسان العرب ١٠: ٤٤٣، «سمك».

(٢) القطب: الحديدة القائمة التي تدور عليها الرحى. لسان العرب ١: ٦٨١، «قطب».

(٣) كلّ شيء علا وارتفع فهو كعب، ومنه سميت الكعبة للبيت الحرام. النهاية في غريب الحديث ٤: ١٧٩، «كعب».

(٤) من جموع العادة: عوائد. تاج العروس ٥: ١٣٩، «عود».

(٥) الفج: الطريق الواسع في قُبل جبل ونحوه. كتاب العين ٦: ٢٤، «فج».

(٦) والقرى: الإحسان إلى الضيف. كتاب العين ٥: ٢٠٤، «قري».

يدلّك على هذا المروي عن أم المؤمنين عائشة أنّها قامت يوم وفاة النبيّ تلتدم عليه مع الملتدمات[١]، وقد عرفت أنّ الالتدام لغة هو ضرب الوجه بالمصيبة[٢]، فالالتدام من شعار الحزن وإقامة العزاء، فكيف يدّعى الإجماع على حرمة اللطم والحال هذه؟!

بعيشك، اهدني على مسلم إمّا سنّي أم شيعي متهجّم على القول بتحريم اللطم لمصاب النبيّ(صلى الله عليه وآله وسلم) بأهل بيته وأفاضل عترته وأطائب ذريته، لا أخالك تعثر على غير أموي حربي لأهل البيت، أو ناصبي خارجي عليهم، يرى أتراح آل الرسول أفراحاً، ومآتمهم أعياداً، وهذا يسعنا أن لا نعدّه مسلماً لإنكاره أعظم ضروري ديني (مودّة ذوي القربى) التي فاه فم القرآن بافتراضها على أهل الإيمان[٣]، كما فاه بافتراض الصوم والصلاة والحجّ والزكاة وما شاكلها من الضروريات، فجاحد واحد منها مرتد ومستوجب الحد.

أجل، لا أنكر أنّ أفراداً من العلماء في مصنّفاتهم ومؤلّفاتهم يطلقون القول بحرمة اللطم على الأموات كحرمة جزّ الشعور وشقّ الثياب[٤]، بيد أنّهم

(١) الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٢، ذكر من قال: إنّ رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لم يوص وأنّه توفّي ورأسه في حجر عائشة، مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٧٤، حديث السيّدة عائشة.

(٢) لسان العرب ١٢: ٥٣٩، «لدم».

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿**قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾. الشورى (٤٢):٢٣.

(٤) العروة الوثقى ٢: ١٣١، مسألة ٣.

يستثنون من ذلك ما كان على الأنبياء والأولياء عموماً، وعلى النبيّ وآله خصوصاً، ولاسيّما على الحسين عليه السلام؛ لعظم مصيبته[١].

وما مدرك هذا الاستثناء سوى كون مصائب هؤلاء من أظهر مظاهر وأقوى مصاديق المصائب الدينية التي قد عرفت آنفاً رجحان الجزع لها، بل وجوبه إنكاراً للمنكر.

أمّا دعواهم أنّ العقل مقبّح اللطم فمصادرة بحت، وللخصم أن يدرأهم بالمثل، فيزعم أنّ العقل يستحسنه ويحبّذه، وحينئذ لا ينقطع دابر النزاع، ولا يستبين لمن الفلج[٢] والغلبة على صاحبه إلّا بالبرهان القاطع لأحدهما على الآخر، وهو قائم مع المستحسن المحبّذ للطم؛ لأنّ هذا الفاعل يرى عمله هذا ممّا يترتب عليه الزلفى[٣] من الله وحسن الثواب، فكلّ مقدّمة موصلة لهما وإن شقّت وثقلت هي عمل جميل، صنع حميد، والعقلاء يمدحونه عليها، ويدفعونه إليها، ويحبّذونها له بأعظم من تحبيذهم هجر التاجر وطنه، ومفارقته أهله، يشقّ البحار ويعاني ما يعاني من شقّة الأسفار؛ سعياً وراء الربح والفائدة، وطلباً حثيثاً للرزق المقسوم مع ما في ذلك من الأهوال والأخطار.

---

(١) كشف الغطاء ٢: ٢٧٩، المبحث السابع في الكفن، التنقيح في شرح العروة الوثقى ٩: ٢٣٥، حكم شق الثوب.

(٢) الفلج: الظفر بمن تخاصمه. كتاب العين ٦: ١٢٨، «فلج».

(٣) الزلفى: القربة والمنزلة. الصحاح ٤: ١٣٧٠، «زلف».

أيكون المسافر - والسفر بنفسه قطعة من سقر[١]، فضلاً عما يكتنفه من الضرر والخطر - محموداً لكونه ساعياً وراء الفائدة وبُلغة[٢] المعيشة، واللاطم القاصد بلطمه الفوز بنعيم الآخرة مذموماً؟!

أيصدر هذا الذم من مقرّ بالمعاد معتقد بالجزاء؟!

كلاّ، إذ لو كان معتقداً بالجزاء لاستحسن العمل المقصود به ذلك النفع الأخروي، وإن ثقلت وطأته وعظمت شدّته؛ لأنّه سعي وراء تحصيل أمر عظيم تهون في سبيل قصده معاناة الشدائد، ومكابدة القوارع.

هذا مع أنّ اللاطم ما انبعث منه ذلك اللطم المبرح إلّا لدافع نفسي عظيم هو يتغلغل بين أطباقه، قد ملئت منه جوانحه غمّاً وكرباً، ولم تسع حيازيمُه[٣] له كتماً، فأفشته العين بعبرة، والصوت بصرخة، والريق بشرقة[٤]، والصدر بنفثة[٥]، واليد بلطمة، كذلك كلّ أمر باطن نفسي إذا ضاق به نطاق الصبر وغلب على

---

(١) إشارة إلى الحديث الوارد: «السفر قطعة من العذاب»، من لا يحضره الفقيه ٢: ٣٠٠، حديث ٢٥١٥، الموطأ ٢: ٩٨٠، حديث٣٩، باب ما يؤمر به من العمل في السفر، واشتهر قولهم: «السفر قطعة من سقر»، كشف الخفاء ومزيل الألباس ١: ٤٥٣، حديث١٤٧٩.

(٢) البُلغة: ما يتبلغ به من العيش. الصحاح ٤: ١٣١٧، «بلغ».

(٣) الحيزوم: وسط الصدر حيث يلتقي فيه رؤوس الجوانح فوق الرهابة بحيال الكاهل. كتاب العين ٣: ١٦٦، «حزم».

(٤) الشرق: الشجا والغصّة، والشرق بالماء والريق ونحوهما كالغصص بالطعام. لسان العرب ١٠: ١٧٧، «شرق».

(٥) النفث: شبيه بالنفخ. الصحاح ١: ٢٩٥، «نفث».

الجلد[١] تبديه الجوارح الظاهرة، كصفرة الوجل[٢]، وحمرة الخجل، وكلمة الغضب، ولهثة الظمأ والنصب، ورعشة البرد، وأنّة الألم، وقحّة المصدور[٣].

وبالوجدان وعين العيان نرى كلّما عظم المؤثّر الباطني عظم أثره الخارجي، وكلّما هان هان، فلا جرم إذاً أن يكون لمصيبة الحسين عليه السلام أعظم لطم شديد مبرح؛ لكون مصيبة الحسين عليه السلام أعظم منكر، فهي مؤثّرة في نفس كلّ مسلم انفعالاً عظيماً بقدر عظمتها؛ إنكاراً لها، وهذا الانفعال النفسي من لوازمه الذاتية القهرية تلك اللطمة والصرخة والدمعة وأشباه هذه.

فمن ظهرت عليه هذه الأمور فهو مُنكر للمنكر في نفسه قطعاً، ومن لم تظهر عليه فهو غير منكر له، فيكون تاركاً للواجب عليه، وترك الواجب قبيح، فكيف يحكم العقل بحسنه؟!

وأمّا حرمته كتاباً لقوله تعالى: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[٤] فمدفوعة: أنّ المنفيّ جعله هو إلزام المولى عبده بادئ بدء بما يضيقَ على العبد ويعسر الامتثال به، لمنافاة ذلك للّطف الواجب عليه تعالى.

---

(١) الجلد: القوّة والصبر. لسان العرب ٣: ١٢٥، «جلد».

(٢) الوجل: الخوف. كتاب العين ٦: ١٨٢، «وجل».

(٣) المصدور: الذي يشتكي صدره. لسان العرب ٤: ٤٤٦، «صدر».

(٤) الحجّ (٢٢): ٧٨.

أمّا ما ليس من قبل المولى إلزام به ولكن العبد التزم بذلك الأمر الشديد من تلقاء نفسه، كالذي يختار الحجّ ماشياً فتتورم قدماه منه، ويصلّي النوافل فيكثر منها، بحيث تصير جبهته كثفنة البعير من كثرة السجود، ويصوم الحر والقر[١]، فلا ريب أنّ هذا مشروع - إذ الأجر على قدر المشقّة[٢]، وأفضل الأعمال أحمزها[٣]- وغير مستقبح؛ لعدم كونه من قبل الله سبحانه، وقد يُشرّع[٤] على العبد أيضاً لكونه هو السبب له، كالذي يستطيع الحجّ فيسوّف فإنّه يلزم به ولو متسكّعاً[٥]، والتسكّع ضيق وحرج ومشقّة، فما كلّ عمل شاق بمحرّم، وإلّا لما ارتكبته الأنبياء والأولياء، ولكان الواجب عليهم تركه، ففعله معصية وهم معصومون عنها.

---

(١) القرّ: البرد. كتاب العين ٥: ٢١، «قر».

(٢) عيون الحكم والمواعظ: ٢١٨. والنصّ هو: «ثواب العمل على قدر المشقّة فيه».

(٣) النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤٠، «حمز»، وأحمزها، أي: أقواها وأشدّها، وورد الحديث بألفاظ أخرى. انظر: نهج البلاغة ٤: ٥٤، رقم٢٤٩، الكافي ٤: ١٩٩، حديث٢، باب ابتلاء الخلق واختبارهم بالكعبة، معارج الأصول: ٢١٥، الفصل الثالث فيما ألحق بأدلّة الأصول وليس منها.

(٤) أي: العمل الحرجي.

(٥) إرشاد الأذهان ١: ٣١١.

وأمّا تشبّثهم للحرمة بالأخبار التي نقلوها، فالنبوي منها - مع الغضّ عن المناقشة بسنده - إن وقف الجمود بنا على ظاهره فهو يدلّنا على كون تلك الأعمال الثلاثة المذكورة[١] فيه ردّة عن الإسلام، ومروقاً عن الدين الحنيف، وهذا لا يتّجه إلّا بعد الالتزام بكون المراد بدعوة الجاهلية غير ما يسبق إلى الفهم منها من رفع العقيرة[٢] بالويل والثبور، بل هي توسّل الدعي المصاب بمصيبة بغير الله تعالى أن يكشفها عنه، كما الوثنيون يتوسّلون بأوثانهم ليكشفوا عنهم البأساء ويحوّلوا الضراء، وهي المصرّح بها في الكتاب العزيز بقوله: ﴿**قُلِ ادْعُواْ الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً**﴾[٣].

وعلى إرادة هذا المعنى[٤] من الدعوة، فلابدّ أن يكون ضرب الخدّ وشقّ الجيب من الشاكي المتوسّل أمام المشتكى له من قبيل التملّق والتزلّف لتهييج رحمته له، وميل حنونته إليه، وتحريك عاطفته نحوه، ليأخذ بناصره، ويجيب طلبته، وهذا يفعله كلّ شاك مدرّب بفنون رفع الشكاية المؤثّرة عند المشتكي إليه.

---

(١) والأعمال هي: ضرب الخدود، وشقّ الجيوب، والدعوة بدعوة الجاهلية.

(٢) رفع فلان عقيرته، أي صوته. الصحاح ٢: ٧٥٤، «عقر».

(٣) الإسراء (١٧): ٥٦.

(٤) وهو التوسّل بغير الله تعالى ليكشف عنه الضرّ دون الله سبحانه.

فالحديث الشريف إذاً وارد لبيان حكم الشاكي مصيبته لغير الله الراجي كشفها عنه من غير الله تعالى، وهذا لا ريب بمروقه عن دين الإسلام، ولا شك في صحّة سلبه عن المسلمين كما هو منطوق النبوي[١]، فهو خارج عن موضع البحث ومحل النزاع، لا يصلح أن يكون حجّة ودليلاً لحرمة اللطم.

كما لا يصلح أن يتّخذ حجّة لابن تيميّة ومن على شاكلته الزاعمين بثبوت الشرك لمن توسّل لله بصفوة من خلقه، فإنّ المتوسّلين بالأنبياء لم يطلبوا كشف ضرّهم وتحويله عنهم من غير الله كالوثنيين، كلاّ، بل يطلبونه من الله وحده بواسطة مقرّب عنده، وبين الطلبين بون بعيد.

ولولا حمل الدعوة الجاهلية المذكورة في النبوي المقدّس على التوسّل الشركي، لأشكل علينا إخراج الداعي والضارب خدّه والشاق جيبه عن ربقة المسلمين، فإنّ هذه الأمور الثلاثة ليست إجماعاً بمخرجة عن الدين ولو قلنا بحرمتها وبكونها من الكبائر الموبقة، إذ غاية الأمر يكون مرتكبها فاسقاً لا مرتداً، فلابدّ من طرح الخبر لإعراض المسلمين عن العمل بظاهره.

أمّا إذا لم نجمد على ظاهره، بل فاضت قريحتنا وسالت سليقتنا فتسلّقنا بسلم الذوق إلى ذروة باطنه، أو تيسّر لنا السير بنفق الفهم إلى كنز غامضه، ونظرنا إليه بعين الأشباه والنظائر، فلم نجده إلّا كأخيه النبوي الثاني الشهير وهو: «ليس منّا من لم يتغنّ بالقرآن»[٢].

---

(١) إشارة إلى عبارة «ليس منّا..» الواردة في الحديث.

(٢) معاني الأخبار: ٢٧٩، باب معنى المحاقلة وبيع الحصاة وغير ذلك من المناهي.

لا نفقه منهما[١] معنى سوى نفي فاعل الضرب والشق والدعوة، ونفي غير المتغني بالقرآن عن كلّ أفراد الأُمّة الإسلاميّة لا عنها بأسرها[٢]، فالعام فيهما مستعمل في الخاص، وهو مجاز مشهور شائع الجريان على لسان السنّة والقرآن وكلمات أهل اللغة العربية الفصحاء.

والتعبير بالعام عن هذا الخاص لنكتة بيانية شريفة، هي التنبّه على أنّ أمّته ينبغي لها أن لا توصف - بكونها أمّته السائدة كلّ الأمم كما هو سيّد الأنبياء إلّا بحيازتها للكمالات كلّها، فالفرد الذي لا يكون كاملاً يسوغ أن يُسلب عنها[٣] مجازياً لا حقيقياً، والباعث له على هذا التعبير هو شدّة حرصه ﷺ على أن تكون أمّته أهدى الأمم، وأعملها للأعمال الصالحة المقرّبة إلى الله زلفى بحيث لا يفوتها شيء من الأجر الجزيل، ولهذا المعنى نراه صلّى الله عليه وآله كثيراً ما يشدّد الأمر بالمندوبات والنهي عن المكروهات بلهجة هي أغلظ وأشدّ من إلزامه بالمفترضات.

ومن هذا البحر والقافية[٤] الأخبار الواردة عن الأئمّة الهداة المعربةُ عن حبوط الأجر بضرب الفخذ[٥]، فإنّ لسانها لسان حضّ وتحريض على ترك

---

(١) أي: من النبويين.

(٢) أي: هؤلاء داخلون تحت عنوان الأمّة الإسلاميّة، لكنّهم خارجون عن أفرادها خروجاً مجازياً لا حقيقياً.

(٣) أي: عن أفراد الأُمّة الإسلاميّة.

(٤) أي: على هذا النسق.

(٥) الكافي ٣: ٢٢٤ و٢٢٥، حديث٤ و٩، باب الصبر والجزع والاسترجاع، من لا يحضره الفقيه ٤: ٤١٦، حديث٥٩٠٤، نهج البلاغة ٤: ٣٤، رقم١٤٤.

المكروهات التي يؤجر الإنسان بتركها، فإذا فعلها فقد فاته ذلك الأجر المقرر أنّه يصيبه ويناله[(١)]، لا أنّه كان له أجر ثابت بعمل من أعماله وهذا العمل محبط له كما هو الظاهر، فإنّ هذا خلاف مذهب الشيعة وموافق للقول بالإحباط الدنيوي من كون المرء بعمله في دنياه إمّا على حسنة ماحية أو على سيّئة محبطة.

لا تقل: إذاً مفاد الأخبار كراهة اللطم، فما معنى إصرار الشيعة عليه بمأتم الحسين عليه السلام وهو مفوّت لأجرهم ومرجوح شرعاً؟!

لأنّا نقول: اللطم عليه عليه السلام - لكون مصابه حائقاً[(٢)] بالدين خسفاً، وعائثاً[(٣)] هدماً وثلماً - راجحٌ كما عرفت، ويدلّ عليه أيضاً عدّة روايات كخبر ابن سدير عن الصادق عليه السلام: «على مثل الحسين يحقّ اللطم»[(٤)].

وفي أمالي المفيد وبحار المجلسي ومقتل ابن طاووس والطريحي وأبي مخنف وغيرهم: أنّ الفاطميات لطمن الخدود على الحسين عليه السلام[(٥)]، وكون كلّ ذلك ليس بمرأى ومسمع من الإمام زين العابدين عليه السلام -مع كونه معهم بالطفّ

---

(١) كما فسّرها أيضاً الشيخ محمّد عبده في شرحه على نهج البلاغة ٤: ٣٤، حيث قال: أي: حرم من ثواب أعماله فكأنّها بطلت.

(٢) حاق به الشيء يحيق، أي: أحاط به. الصحاح ٤: ١٤٦٦، «حيق».

(٣) عاث يعيث عيثاً، أي: أسرع في الفساد. كتاب العين ٢: ٢٣١، «عيث».

(٤) تهذيب الأحكام ٨: ٣٢٥، حديث٢٣، باب الكفارات.

(٥) الأمالي للمفيد: ٣٢١، حديث٨، المجلس الثامن والثلاثون، بحار الأنوار ٤٥: ٥٨، ٧٩: ١٠٦، اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩، ٥٣، مقتل الحسين لأبي مخنف: ٢٠٣، كتاب الفتوح ٥: ٨٤، ذكر نزول الحسين بكربلاء، تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨، سنة إحدى وستين، الكامل في التاريخ ٤: ٨١، ذكر مقتل الحسين، البداية والنهاية ٨: ٢١٠، صفة مقتله.

وبالأسر وبالرجوع إلى المدينة وبالمكث بين ظهرانيهم وهنّ يلطمن ويندبن ويبكين – في حيازة المنع.

وفي مقاتل الطالبيين: أنّ زينب عليها السلام لطمت وجهها بمحضر من أخيها الحسين عليه السلام حين أخبرها بقتله، نُقل هذا عن زين العابدين[1].

ومن سبر السير وتصفّح التواريخ، لا يكاد يشك بأنّ الفواطم مضت عليهن مدّة مستمرّة وهنّ يقمن مأتم الحسين عليه السلام ويلطمن، ومعهنَّ نساء أهل المدينة وأم سلمة زوج النبيّ صلى الله عليه وآله وأم البنين زوج علي عليه السلام[2].

وصحّ عن أم المؤمنين عائشة الالتدام على النبيّ صلى الله عليه وآله مع نسوة الأنصار والمهاجرين[3]، ومتى جاز على النبيّ صلى الله عليه وآله جاز على سواه؛ لعدم القائل بالفصل.

فإذاً اللطم لا شبهة عند كلّ عالم تاريخي وفقيه متبحّر في جوازه ورجحانه على الحسين عليه السلام، وهو من تعظيم شعائر الدين التي تعظيمها من تقوى القلوب.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٥، ثمّ نرجع إلى ذكر خبر الحسين بن علي ومقتله صلوات الله عليه.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ١١٥، المحاسن ٢: ٤٢٠، حديث١٩٥، باب الإطعام في المأتم، الأمالي للطوسي: ٣١٤، حديث ٦٤٠، مقاتل الطالبيين: ٥٦، العبّاس بن علي ابن أبي طالب.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٧٤، حديث السيّدة عائشة.

هل نهى الحسين عليه السلام زينب عليها السلام عن اللطم؟

قالوا: لو كان اللطم على الحسين عليه السلام سائغاً راجحاً ما نهى الحسين عليه السلام أخته زينب عنه، قائلاً لها: «انظري إذا أنا قُتلت، فلا تشقّي عليّ جيباً، ولا تخمشي وجهاً، ولا تلطمي صدراً، ولا تدعي بالويل والثبور»[1].

كما روي هذا عنه، وظاهر «النهي» الحرمة كما هو المبرهن عليه في محلّه من علم الأصول[2].

أقول: إن صح هذا الحديث كان معارضاً لما هو أقوى سنداً وأكثر عدداً وأوضح دلالة، وهي الأخبار المتقدّمة، وهب حصلت المساواة فالقاعدة المقرّرة في مباحث التعادل والتراجيح[3] هو التساقط[4] والرجوع للأصل الأوّل

---

(١) الإرشاد ٢: ٩٤، وليس فيه: ولا تلطمي صدراً.

(٢) معالم الدين وملاذ المجتهدين: ٩٠، البحث الثاني في النواهي.

(٣) قال الشيخ المظفر قدس سرّه: ومرادهم (أي: الأصوليون) من كلمة التعادل تكافؤ الدليلين المتعارضين في كلّ شيء يقتضي ترجيح أحدهما على الآخر، ومرادهم من كلمة التراجيح جمع ترجيح على خلاف القياس في جمع المصدر، إذ جمعه ترجيحات، والمقصود منه المصدر بمعنى الفاعل، أي: المرجح. أصول الفقه ٣: ٢١٠، الباب التاسع: التعادل والتراجيح.

(٤) مصباح الأصول ٢: ٢٥٣، ٣: ٤٢٦.

وهو هنا الإباحة.

على أنّ نهي الحسين عليه السلام أخته عن اللطم وغيره لم يكن لمرجوحية اللطم بحدّ ذاته، كلاّ، بل لأنّه مظنّةٌ لشماتة الأعداء، ولهذا جاءت الرواية عنه بطريق آخر مشتملة على قوله: «لا تشمتي بنا الأعداء»[(١)].

وشماتة الأعداء يحذرها كلّ عزيز النفس أبي الضيم، يأنف الذلّة والهوان، ويترفّع بجانبه عن خطة الضعة والصغار، كسيّدنا الحسين عليه السلام الذي ما لوى للدنية جيداً، ولا بايع أحداً مكرهاً حتّى قُتل قتلة عزّ تضرب فيها الأمثال، ويستجودها له كلّ حرّ عزيز، من مسلم وغيره.

فالحسين عليه السلام يريد بنهيه أخته الحوراء عن الأشياء التي تصدر من الحزين الكئيب المغلوب على أمره - من شقّ جيوب ولطم صدور وجزّ شعور وأمثال هذه - أن تترفّع بنفسها عنها في مظان شماتة العدو لأهل البيت بهم، وهذا معنى جليل نفيس ترمي إليه أباة الضيم في مغازي كلماتها، وتقصده في مطاوي عباراتها؛ لأنّه من أهم أغراضها.

ولهذا لم تزل سلام الله عليها حافظة له تلك الوصيّة في مظان الشماتة، حتّى أنّها لما أُدخلت على اللعين ابن زياد، وحفّت بها إماؤها، وجلست ناحية من القصر، سأل عنها اللعين بقوله: من هذه المتنكرة؟ مراراً.

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٥.

فلم تجبه ترفّعاً عن مخاطبته، حتّى قال له بعض إمائها: هذه زينب بنت علي.

فأقبل اللعين عليها متشفّياً شامتاً، وقال لها زاهياً[1] متبجّحاً: يا زينب، كيف رأيت صنع الله بأخيك والعتاة المردة من أهل بيتك؟

فأجابته حينئذ بما يكشف له أنّها غير مبالية ولا متوجّعة متفجّعة بما أصاب أهلها من قتل، ما هذا نصّه حرفياً: «ما رأيت فيهم إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله فيما بينك وبينهم، فتحاجّ وتخاصم، فانظر يومئذ لمن الفلج[2]، ثكلتك أمّك يا ابن مرجانة».

فكان هذا الكلام أشقّ عليه من رمي السهام وضرب الحسام[3] على الهام، ولهذا أغضبه حتّى همّ – على ما نُقل – أن يشفي غيظه بضربه لها، لولا أنّ عمرو بن حريث حال بينه وبينها مكفكفاً سورة[4] غضبه بقوله له: «إنّها إمرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها»[5].

وهكذا كانت حالها لمّا أدخلت على اللعين يزيد بالشام ورأته – على ما رواه الطبرسي في احتجاجه عن شيخ صدوق من مشائخ بني هاشم – واضعاً

---

(١) الزهو: الكبر والعظمة. كتاب العين ٤: ٧٣، «زهو».

(٢) الفلج: الظفر بمن تخاصمه. كتاب العين ٦: ١٢٨، «فلج».

(٣) الحسام: السيف القاطع. الصحاح ٥: ١٨٩٩، «حسم».

(٤) ساوره، أي: واثبه، يقال: إنّ لغضبه لسورة. الصحاح ٢: ٦٩٠، «سور».

(٥) الإرشاد ٢: ١١٥.

رأس أخيها الحسين بين يديه في طست يضرب ثناياه بمخصرة كانت في يده وهو يقول:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

فإنّها وقتئذ خطبت خطبة بليغة مقرعةً يزيد بها، مستظهرة بحججها عليه، وهي من أفصح الخطب الشهيرة، المشتملة على قولها له: «لا يستفزّنكّ الفرح بقتلهم، ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[1].

حسبك بالله ولياً وحاكماً، وبرسول الله صلى الله عليه وآله خصيماً، وبجبريل ظهيراً، وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً، وأيّكم شرٌ مكاناً وأضل سبيلاً».

إلى أن قالت: «فلئن اتّخذتنا مغنماً لتجدنّا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما الله بظلاّم للعبيد، ثمّ كد كيدك واجهد جهدك، فوالذي شرّفنا بالوحي والكتاب والنبوّة والانتجاب، لا تدرك أمدنا، ولا تبلغ غايتنا، ولا تمحو ذكرنا، ولا ترحض[2] عنك عارها، وهل رأيك إلّا فند[3]، وأيامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد، يوم ينادي المنادي: ألا لعن الله الظالم العادي.

---

(١) آل عمران (٣): ١٦٩.

(٢) الرحض: الغسل. كتاب العين ٣: ١٠٣، «رحض».

(٣) الفند: ضعف الرأي من هرم. الصحاح ٢: ٥٢٠، «فند».

والحمد لله الذي حكم لأوليائه بالسعادة، وختم لأصفيائه بالشهادة، وببلوغ الإرادة، نقلهم إلى الرحمة والرأفة والرضوان والمغفرة، ولم يشق بهم غيرك، ولا ابتلي بهم سواك»[١].

فإنّ هذا الكلام مملوء جرأة، مشحون أُبّهة، طافح عزّة، ظاهرٌ بعدم المبالاة لمصائب أهلها وبشهادتهم؛ لكونها لهم سعادة، وهي طبق الإرادة، وهذا هو الكلام الفحل الجارح جوارح العدو، والمقطّع نياط [٢] قلبه، والموزّع شظايا فلذه[٣]، وبه يستبين أنّ لها الغلبة، وعلى أعدائها الدبرة[٤]، لكأنّ نفس أخيها بين جنبيها، ولسان أبيها بين فكّيها، بكلّ شجاعة وجسارة تفرغ بليغ الخطابة، غير مفحمة ولا متلعثمة.

ولا عجب، هي بضعة من أمراء الكلام الذين بهم نشبت أصوله، وعليهم تهدّلت غصونه، فبخ بخ ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْض وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[٥].

فهذه حالها سلام الله عليها في مظان الشماتة، وحيث لا شامت فهي الندّابة النوّاحة، الناطحة جبينها بمقدم المحمل حين رأت رأس أخيها

---

(١) الاحتجاج ٢: ٣٤، احتجاج زينب بنت علي بن أبي طالب حين رأت يزيد ـ لعنه الله ـ يضرب ثنايا الحسين عليه السلام بالمخصرة.

(٢) النياط: عرق غليظ قد علق به القلب من الوتين. كتاب العين ٧: ٤٥٦، «نوط».

(٣) الفلذة: قطعة من كبد. كتاب العين ٨: ١٨٧، «فلذ».

(٤) وجعل الدبرة عليهم، أي: الهزيمة. كتاب العين ٨: ٣٢، «دبر».

(٥) آل عمران (٣): ٣٤.

الحسين عليه السلام بالكوفة على رأس رمح حتّى رؤي الدم يسيل من تحت قناعها، على ما روى ذلك المجلسي وغيره عن مسلم الجصّاص[1].

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١١٥، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٣٧٣، ينابيع المودّة ٣: ٨٧، دخول السبايا إلى الكوفة.

تمثيل واقعة الطف

قالوا: إنّ جماعة من الشيعة في عاشوراء يشخّصون وقعة الطف برمّتها، وهي هيئة تقشعر منها الجلود، وتذوب الوجوه من المسلمين خجلاً وحياءً؛ لما في ذلك التشخيص من تشهير حال الفاطميات وإبرازهن بأسر الذلّة والهوان.

أقول: هذا العمل إن هو إلّا رواية تمثيلية تستعملها الناس طرّاً، وما القصد منها إلّا إعلام الحاضر بالغائب بحيث يراه نصب عينيه، فيكون على خبر من تاريخه، ومعرفة أحواله السالفة، ظالماً كان أم مظلوماً، فأيّ خجل يلحق المسلمين إذا خرجت منهم خارجة عن الدين فهتكت حرماته[1]، وهل هذا التمثيل بأعظم من تمثيل أداء المسيح وأمّه العذراء بتلك الصور المجسّمة في أحوال شتّى من صغره وكبره وقتله وصلبه؟!

---

(١) أي: أنّ تشخيص واقعة الطف كما يدّعي القائل تلحق المهانة والخجل بالمسلمين؛ لأنّها تكشف عمّا في تاريخهم من بشاعة وإجرام كإبراز الفاطميات في موكب الأسر والمذلّة، لكن المصنّف قدّس سرّه يجيب بأنّ الخجل والمهانة لا تلحق المسلمين ولا الفاطميات وإنّما تنحصر بالذين ارتكبوا الجريمة النكراء.

فلو كان هكذا تمثيل يعدّ للممثّل تشهيراً قبيحاً يصغّر من قدره، ويحطّ من منزلته، ويخجل الأُمّة، وتمسّها بذلك معرّة[١]، ما ارتكبته النصارى، ولا صوّرته في كنائسها ومعابدها ومعظم أنديتها اللهوية، ولتحاشوا عن ذلك، وتجنّبوا مذمّة العقلاء لهم عليه[٢].

---

(١) المعرّة: ما يصيب من الإثمّ. كتاب العين ١: ٨٥، «عرّ».

(٢) يستدل المؤلّف على نفي إشكال لحوق الذلّة والهوان بالفاطميات في حالة تمثيل وتشخيص واقعة الطف بالعرف الجاري عند المجتمعات الأخرى.

التطبير

قالوا: ما بال شرذمة من الشيعة يحيق بها السفه ويستخفّها الحمق، فتلبس يوم عاشوراء ثياباً بيضاء غير مخيطة بزي قمصان الأكفان، وتخرج متكاتفة جائلة بالشوارع، ومن مكان زعيم إلى مثله، بأيديها المدى[1] الماضية، والسيوف المشحوذة[2]، تضرب بها رؤوسها المكشوفة، ذلك الضرب المبرح، وتنبعث دماؤها كالشآبيب[3]، فما يأتي على أبعاضها بضع دقائق حتّى تستولي عليها سورة الإغماء من نزيف الدم والتهاب الجراح، فتحمل لمستشفيات أعدّت لها كما تنقل الموتى إلى مقابرها، ومنهم من يُقضى عليه ومنهم من لا تندمل جراحته حتّى حين، وهو يعاني ما يعانيه من مضاضة الألم، ومعالجة الجراحة.

---

(١) المُدية: الشفرة، والجمع المُدى. كتاب العين ٨: ٨٨، «مدي».

(٢) الشحذ: التحديد، شحذت السكين أشحذه شحذاً فهو شحيذ ومشحوذ. كتاب العين ٣: ٩١، «شحذ».

(٣) الشؤبوب: الدفعة من المطر وغيره، والجمع الشآبيب. الصحاح ١: ١٥٠، «شأب».

أليس هذا العمل مضاداً للفطرة الإنسانية، مخالفاً للعقل والدين الإسلامي الذي لم يجعل الله فيه من حرج ولا ضرر؟!

أليس إبراز هذا العمل أمام الملأ العام بصبغة أنّه من شعائر الدين الأحمدي الحنيف يستوجب التنديد على الإسلام والمسلمين والطعن عليهم بسخافة مذهبهم، وذمامة ديانتهم، وطيش عقولهم؟!

أقول: ما الذي نقموه على هذه الفئة، وسفّهوا لأجله أحلامها، وأخرجوها به عن دائرة الإنسانية؟!

ألبسها لباس الموتى؟ فهذا عمل غير معيب عقلاً، وهو مشروع ديناً في إحرام الحجّ، ومندوب في كلّ آن تذكرةً للآخرة، وتأهّباً للموت، وكفى واعظاً[١]، ومن الغرور بالدنيا محذّراً ومنذراً.

أكشفها عن رؤوسها؟ وهذا أيضاً مستحسن طبّاً، مشروع بالإحرام ديناً[٢].

أم بضعها[٣] أرؤسها بآلة جارحة، وهذا أيضاً مسنون شرعاً، إذ هو ضرب من الحجامة[٤].

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام: وكفى بالموت واعظاً. الكافي ٢: ٢٧٥، حديث٢٨، باب الذنوب.

(٢) حيث يجب على المحرم كشف رأسه، بل عدم التظليل.

(٣) بضع الشيء يبضعه: شقّه. لسان العرب ٨: ١٣، «بضع».

(٤) وتسمّى المغيثة أو المنقذة. وسائل الشيعة ١٧: ١١٤، حديث٢٢١٢١.

والحجامة تلحقها الأحكام الخمسة التكليفية: مباحة بالأصل[١]، والراجح منها مستحب[٢]، والمرجوح مكروه[٣]، والمضرّ محرّم، والحافظ للصحّة واجب.

فقد تمسّ الحاجة إلى عملية جراحية تفضي إلى بتر عضو أو أعضاء رئيسية حفظاً لبقية البدن، وسدّاً لرمق الحياة الدنيوية، والحياة الدنيا بأسرها وشيكة الزوال والاضمحلال، أتباح هذه الجراحة الخطرة لأجل فائدة ما دنيوية ولا تباح جراحة ما في إهاب[٤] الرأس لأعظمها فائدة، وأجلّها سعادة أخروية وحياة أبدية، وفوز بمرافقة الأبرار في جنة الخلد؟!

لا يقال: إنّ السعادة والفوز غداً لا يترتّبان على عمل ضرري غير مجعول في دين الله.

---

(١) والدليل عليه من الكتاب قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً**﴾البقرة(٢): ٢٩، وقوله تعالى: ﴿**كُلُواْ مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلاَلاً طَيِّباً**﴾ البقرة (٢): ١٦٨، ومن السنّة كقول الصادقعليه السلام: «كلّ شيء هو لك حلال حتّى تعلم أنّه حرام بعينه» الكافي ٥: ٣١٣، حديث ٤٠، باب النوادر.

(٢) كما لو أجريت الحجامة في أوقات معينة كالاثنين وبآداب خاصّة، راجع وسائل الشيعة ١٧: ١١٢، باب استحباب الحجامة ووقتها وآدابها.

(٣) وسائل الشيعة ١٧: ١٠٨، باب كراهة الحجامة يوم الثلاثاء والأربعاء والجمعة عند الزوال.

(٤) الإهاب: الجلد. كتاب العين ٤: ٩٩، «أهب».

لأنّا نقول: أوّلاً: غير المشروع في الإسلام من الأمور الضررية: هو ما خرج عن وسع المكلّف ونطاق طاقته؛ لقبح التكليف حينئذ بغير مقدور، أمّا ما كان مقدوراً فلم يقم برهان عقلي ولا نقلي على منع جعله.

ثانياً: وكونه شاقّاً ومؤذياً لا ينهض دليلاً على عدم جعله؛ إذ التكاليف كلّها مشتقّة من «الكلفة» وهي المشقّة[(١)]، وبعضها أشدّ من بعض، وأفضلها أحمزها[(٢)]، وعلى قدر نشاط المرء يكون تكليفه، وبزنة رياضة المرء نفسه وقوّة صبره وعظمة معرفته يكلّف بالأشقّ فالأشقّ زيادة للأجر، وعلوّاً للرتبة، ومزيداً للكرامة.

ومن هاهنا كانت تكاليف الأنبياء أشقّ من غيرها، ثمّ الأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل، وفي الخبر أنّ «عظيم البلاء يكافأ به عظيم الجزاء»[(٣)].

وفي آخر أنّ «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ،ثمّ الأوصياء، ثمّ الأمثل فالأمثل من المؤمنين وعباد الله الصالحين»[(٤)].

وهكذا إلى الطبقة السفلى وهي طبقة المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يجدون حيلة ولا يهتدون سبيلاً[(٥)]، فهم أخفّ تكليفاً من سائر الطبقات.

---

(١) كلّفه تكليفاً، أي: أمره بما يشقّ عليه. الصحاح ٤: ١٤٢٤، «كلف».

(٢) النهاية في غريب الحديث ١: ٤٤٠، «حمز»، بحار الأنوار ٦٧: ١٩١.

(٣) الكافي ٢: ٢٥٣، حديث٨، باب شدّة ابتلاء المؤمن.

(٤) انظر: الكافي ٢: ٢٥٢، حديث ١ و٢ و٤، ٢، ٢٥٩، حديث٢٩، باب شدّة ابتلاء المؤمن.

(٥) إشارة إلى الآية ٩٧ من سورة النساء.

ولو كان الشاقّ من الأعمال على النفس -وإن كان داخلاً تحت القدرة والطوق[(١)] -غير مشروع، ما فعلته الأنبياء والأولياء.

ألم يقم النبيّ صلى الله عليه وآله للصلاة حتّى تورّمت قدماه، وعاتبه الله على ذلك عتاب حنان عليه ورأفة به، فقال تعالى: ﴿**طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[(٢)]؟!

ألم يضع حجر المجاعة على بطنه أسوة بأفقر أمّته وأعدمها مع اقتداره على الشبع[(٣)]؟!

ألم تحجّ الأئمّة بعده مشاة حتّى تورّمت أقدامهم مع تمكّنهم من الركوب[(٤)]؟!

ألم يتخذ علي بن الحسين عليه السلام البكاء على أبيه دأباً، والامتناع من تناول الغذاء من الطعام والشراب حتّى يمزجها بدموع عينيه[(٥)]، هذا ويغمى عليه في كلّ يوم مرة أو مرتين من فرط الكآبة والحزن؟!

---

(١) الطوق: الطاقة. الصحاح ٤: ١٥١٩، «طوق».

(٢) طه (٢٠): ١ - ٢.

(٣) الأمالي للصدوق: ٧٣٣، حديث ١٠٠٤.

(٤) الكافي ١: ٤٦١، حديث ١، باب مولد الحسين بن علي عليه السلام، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ٢: ١٤٤.

(٥) الخصال: ٢٧٣، حديث ١٥، باب الخمسة و٥١٨، حديث ٤، أبواب العشرين وما فوقه.

أيجوز للنبيﷺ وآله إدخال المشقّة على أنفسهم طمعاً بمزيد الثواب، ولا يجوز لغيرهم مع أنّهم هم القدوة للمسلمين وبهم للمؤمنين أسوة؟!

أيباح لزين العابدين أن يُنزل بنفسه ما يُنزله من الآلام تأثّراً وانفعالاً من مصيبة أبيه – مع كونه أصبر الصابرين – ولا يباح لوليّه أن يُؤلم نفسه لمصيبة إمامه ورزيته الفظيعة؟!

أينفض العبّاس الماء من يده وهو على ما هو عليه من شدّة الظمأ تأسياً بعطش أخيه الحسين[1] – والعبّاس خير ولد لأبيه بعد الإمامين الحسنين – ولا نقتصّ أثره؟!

أيُقرح الرضا جفون عينيه من البكاء[2] – والعين أعظم جارحة نفيسة – ولا نتأسى به فنقرّح على الأقل صدورنا ونجرح بعض رؤوسنا أسوة به وبآبائه؟!

أتبكي السماء والأرض تلك بالحمرة وتلك بالدم العبيط حسبما استفاضت بذلك الأخبار[3] استعظاماً واستكباراً للرزية، ولا يبكي الشيعي بالدم المهراق من جميع أعضائه وجوارحه تأسّفاً وتحيّفاً وإجلالاً للخطب واستنكاراً لأمره؟!

---

(١) مقتل الحسينعليه السلام لأبي مخنف: ١٧٩، بحار الأنوار ٤٥: ٤١.

(٢) الأمالي للصدوق: ١٩٠، حديث١٩٩

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٣٠، سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٢، تهذيب التهذيب ٢: ٣٠٥.

ولعل الإذن من الله لسمائه وأرضه أن تنزف على الحسين دماً، يُشعر بترخيص الإنسان الشاعر لتلك المصيبة الراتبة أن ينزف من دمه ما استطاع نزفه إجلالاً وإعظاماً.

وهب أنّه لا دليل على الندب فلا دليل على الحرمة، فيبقى العمل مباحاً لحكم الأصل العملي[١]، وفاعل المباح لم يكن فاعلاً قبيحاً، مع أنّ الشيعي الجارح نفسه لا يعتقد بذلك الضرر، ومن كان بهذه المثابة من العقيدة لا يُلزم بالمنع من الجرح وإن حصل له منه الضرر اتّفاقاً كالذي يصوم معتقداً عدم الضرر فتضرر.

ودعوى أنّ الأغيار تندد على الإسلام بهذا العمل فهي دعوى مستطرفة! فإنّ غير المسلمين يستقبحون تعفير الجبين بالرغام[٢] في سجود الصلاة، ويستقبحون أن تعلو أُستاهُهم[٣] رؤوسهم فيها[٤]، ويستقبحون الطواف حول البيت، والهرولة بالسعي وكشف الرؤوس وظاهر الأقدام في الإحرام، وحرمة إزالة الهوام عن أبدانهم، وغير ذلك من الأعمال المشروعة في دين الإسلام، أفنرفع اليد عنها ألأنّ الأغيار تشمئز منها؟!

---

(١) الأصل العملي هو ما يرجع إليه لتحديد الوظيفة العملية عند فقد الدليل الشرعي المحرز الأعم من القطعي والظني المعتبر.

(٢) الرغام، بالفتح: التراب. الصحاح ٥: ١٩٣٤، «رغم».

(٣) الأست: العجز، وقد يراد به حلقة الدبر. الصحاح ٦: ٢٢٣٣، «سته». والمراد أنّهم يستقبحون السجود.

(٤) في الصلاة.

ومن المعلوم أنّ كلّ أمّة مغايرة لأمّة ثانية في دينها لا ترى أعمالها المغايرة لأعمالها بحسنة قط، لكونها لا تمدّ لها إلّا طرف المقت والكره، والكاره لا يرى إلّا المساوئ، كما أنّ الراضي لا يرى إلاّ المحاسن:

فعين الرضى عن كلّ عيب كليلة   كما أنّ عين السخط تبدي المساويا[1]

ولو نظرت الأغيار بعين البصيرة غير متجافية ولا متجانفة ولا عاصبة رأسها بعقيدتها إلى من يجرحون رؤوسهم بخناجرهم حماساً وتلهّفاً على حرمانهم نصرة إمامهم المستوجب النصرة والإطاعة، وتأثّراً وانفعالاً من عظيم رزئه، لما نبست ببنت شفة ملاماً وتفنيداً، ولرضخت لقبول معذرتهم، واستحسنت مُثلى طريقتهم، الدالة على أنّها بمكان عليّ، تُشكر وتُحمد عليه، لا تُهجى ولا تُذم.

ولعلّ إمساك النكير من علماء الشيعة عن هذه الفئة التي شعار حزنها على الإمام الشهيد تبضيع[2] رؤوسها، وإهراق دمائها، إمّا لأنّهم يرون أعمالها مستحبة تعظيماً لشعائر الدين الذي هو من تقوى القلوب[3]، أو لم يقم عندهم دليل على حرمتها، و إلّا لما أمسكوا النكير وهو النهي عن المنكر الواجب على

---

(١) أنساب الأشراف: ٦٣، تاريخ مدينة دمشق ٣٣: ٢١٩، رقم٣٥٨١، والشعر لعبد الله الطالبي ابن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، المتوفّى سنة١٢٩هـ

(٢) بضع الشيء يبضعه: شقّه. لسان العرب ٨: ١٣، «بضع».

(٣) إشارة إلى الآية ٣٢ من سورة الحج: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

كلّ مقتدر عليه ومؤثّر نهيُه فيه، وكثير من أولئك العلماء الأعلام مُقلّد عام، تنقاد لفتواه العوام، مثل أستاذنا العلاّمة الشيرازي الشهير[١]، الذي بمجرد أن حرّم على الفُرس شرب الدخان عمّ الامتناع جميع مملكة إيران، فسكوته كغيره من الأساطين المُقلّدين يُعدّ منهم إجماع سكوتي[٢] كاشف عن رضى المعصوم.

على أنّ جلّ أساطين علمائنا المتأخرين، كشيخ الطائفة الشيخ جعفر في (كشف الغطاء)[٣]، والميرزا القمي في كتابه (جامع الشتات)[٤]، والحجّة الكبرى الشيخ مرتضى الأنصاري في رسالته (سرور العباد)[٥]، والفقيه المتبحّر الشيخ زين العابدين الحائري في كتابه (ذخيرة المعاد)[٦]، والعالم الناسك المتورّع الشيخ خضر شلاّل في كتابه (أبواب الجنان)[٧]، وحجّة الإسلام الميرزا

---

(١) هو السيّد محمّد حسن بن محمود بن محمّد الحسيني الشيرازي، ولد في شيراز عام ١٢٣٠هـ وتوفّي سنة ١٣١٢هـ في سامراء ودفن في النجف الأشرف.

(٢) الإجماع السكوتي: هو سكوت العلماء على فعل محظور أو ترك واجب وقع أو فتوى صدرت، وفي حجّيته كلامٌ واسع.

(٣) كشف الغطاء ١: ٢٧٠، المقصد الثاني في القواعد المشتركة بين المطالب الفقهية، المطلب الثالث.

(٤) جامع الشتات ٢: ٧٥٠.

(٥) سرور العباد: ٣٤.

(٦) ذخيرة المعاد: ٣٦٨.

(٧) أبواب الجنان، الفصل الرابع من القسم السادس.

حسين النائيني في أجوبته لأهل البصرة[١]، وجميع علمائنا المعاصرين على ذلك[٢] خلا بصرياً[٣]وعاملياً[٤] خالفا الأئمّة وعلماء الأمّة، فنسأل الله الهداية لنا ولهم إلى سواء السبيل والحقّ المبين إنّه أرحم الراحمين.

---

(١) تقدّم في رسالة «نصرة المظلوم» للشيخ حسن المظفّر، المطبوعة ضمن هذه المجموعة ٢:٤٤٣.

(٢) أي: على السكوت عن هذه الفئة.

(٣) هو السيّد مهدي - محمّد مهدي - الموسوي القزويني البصري (ت١٣٨٥هـ)، صاحب رسالة «صولة الحقّ على جولة الباطل» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢:١٦٥.

(٤) هو السيّد محسن الأمين العاملي (ت١٣٧١هـ)، صاحب رسالة «التنزيه لأعمال الشبيه» (المطبوعة ضمن هذه المجموعة) ٢: ١٦٥.

الفهرس